المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة الأدب والنقد

الشعر اليمني المعاصر
بين
الأصالة والتجديد

إعداد الطالب : أحمد قاسم علي الخلافي

لنيل شهادة العالمية « الماجستير »

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة شؤون المكتبات - قسم المخطوطات
رقم التسجيل العام ٣٦٤ الخاص
التاريخ / / ١٤ هـ

إشراف الدكتور
شكري عمر فيصل

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة شؤون المكتبات
قسم المخطوطات

عام ١٤٠٤/١٤٠٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

" بسم الله الرحمن الرحيم "

((الاهـــــداء))

الى من ساقنى نحو هذا النور وشملنى برعايته وأعانـــنى على طلب العلم بجهده وتوجيهـاتـه ..

الى شقيقى الغالى "على قاسم المخلافى "...

أهدى اليه باكورة الثمار التى غرسها ولم يتمكـن من جنيهـا ..

أسأل الله عز وجل أن يتغمده برحمته وأن يسكنـــه فسيح جناته ..

ثم الى حملة الأقلام النزيهة والألسنة الطاهره العفيفـــه أحفاد حسان وابن رواحه الذين حملوا راية الجهـاد ضد الأقلام المأجورة والألسنة المسمومه والأفكـــار المنحرفه .

الى أمثال الرافعى ومحرم والأميرى وقطب والأعظمـــى والزبيرى .. الذين جمعوا بين قوة البيان وشـــرف الجهاد باللسان ..

أهدى هذا الجهد المتواضع راجيا المولى عـز وجـل أن يسلك بنا طريق الرشد وأن يحشرنا تحت لـــواء سيدنا محمد سيد البشر - صلى الله عليه وسلم - ...

شکر و تقدیر

" كلمة شكـــــر "

اعترافا بالفضل لذويه وبالعطاء لباذليه ، أزجى عظيم شكرى وفائق تقديرى لأستاذى الفاضل الأستاذ الدكتور شكرى فيصل ، الذى أشرف علىّ فى اعداد هذه الرسالة ولم يضن على بوقت ولا جهد الا بذله عن طيب نفس ورحابة صدر ، وقد غمرنى بتوجيهاته القيمة ، وآرائه السديده وتجاربه الرائده وأنار لى عتمة الطريق وفتح أمامى المغاليق . . فجزاه الله خير الجزاء وأمد فى عمره ومتعه بصحته .

كما أشكر أستاذى الدكتور جوده مصطفى المشرف السابق على رسالتى هذه وقد أفدت من علمه وتجاربه وأنار لى أول الطريق . . فبارك الله فى جهده .

كما أشكر الجامعة الاسلامية التى أتاحت لى فرصة الدراسة فيهـــا هـــذه السنوات الطوال وعلى رأسها فضيلة الدكتور عبد الله الصالح العبيد

وأشكر كذلك القائمين على قسم الدراسات العليا لما هيـــؤوه لنـــا مـــن أسباب التحصيل العلمى والكثير من وسائل الراحة .

كما أشكر جميع أساتذتى الذين شاركوا فى تكوينى العلمى والتربوى خلال السنوات الدراسية التى قضيتها فى الجامعة . .

وأخيرا أتقدم شكرى العميق الى كل من مد لى يد العون من زملائى وأخوانى ومن شاركنى الرأى والمشورة أو ساعدنى على اخراج هذه الرسالة بأى صورة من صور التعاون . . والله لا يضيع أجر من أحسن عملا . .

المُقدِّمَة

" بسم الله الرحمن الرحيـــم "

وبـه نستعيـــن

. . . أحمدك اللهم حمد الشا كرين على سابغ نعمائك وضافى آلائك . .

وأصلى وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين . . محمد بن عبدالله عليـــه أفضل الصلاة وأجل التسليم . .

أما بعـد . .

فقد بقى اليمن الى منتصف القرن الرابع عشر الهجرى تقريبا بعيدا عن كل تيار فكرى وأدبى جديد .

فى حين أن غيره من الأقاليم العربية - ولا سيما مصر والعراق والشام - كانت تشهد قيام حركة علمية وأدبية نشطه قدح زندها حكم محمد على فى مصر وطموحاته السياسية فى انشاء دولة عربية ، ثم ساعدت عليها البعثـــات الدراسية التى سافرت الى خارج تلك البلاد ، واطلعت على ما عند الآخرين .

فاذا كان تاريخ نهضة الأدب فى بعض البلاد العربية ، قد بـــدأ من منتصف القرن التاسع عشر الميلادى ، فانه فى اليمن قد تأخر نحوا من قـــرن تقريبا أى الى ماقبل نشوب الحرب العالمية الثانية ببضع سنوات ، كما سيأتـى بيانه ان شاء الله .

ذلك أن اليمن ظل فترة طويلة فى عزلة شبه تامه عن الشرق والغرب على السواء .

أما الشرق فمعلوم أن تبعيته كانت للخلافة العثمانية في تركيا وقد كان اليمنيون في صراع مستمر معها .

وأما الغرب فان سياسة القهر والاذلال التي مارسها في عدن وأقطار عربية أخرى كشفت القناع عن وجهه ، مما جعل اليمن يقدم الحذر في علاقاته معه ويبتعد عنه ما أمكن .

غير أن تلك العزلة بدأت تتحطم على صخرة الواقع مع هبوب رياح المدنية الغربية ، والاتصالات المادية والمعنوية بين الشرق والغرب .(1)

ومنذ ذلك التاريخ أو قبيله بدأت الارهاصات الأولى لنهضة فكرية وأدبية نشطة ، نمت وترعرعت بعد ذلك خلال السنوات العشر الأولى من بداية النهضة ، وبدأت بواكير تلك النهضة تأتي ثمارها عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٤م .

(١) كان ذلك عقب التآمر الرهيب الذي قام به اليهود بالتعاون مع دول الغرب الاستعمارية لاسقاط الخلافة الاسلامية واقتسام تركة " الرجل المريض " الذي كانوا يطلقونه على الخلافة العثمانية آنذاك ، وكانت نتيجة ذلك التآمر ، أن سقطت الخلافة التي كانت تظل المسلمين عام ١٩٢٤ م وتمزق العالم الاسلامي الى دويلات وامارات خاضعة لدول الاستعمار ، واستولى على تركيا صنيعة اليهود مصطفى كمال أتاتورك الذي قام فورا بالغاء القيم والسنن الاسلامية بين الاتراك .

ثم تطورت فى العقود التالية لذلك تطورا حاذت به - أو حاولت - النهضة الأدبية والشعرية فى معظم أقطار العالم العربى .

لكن الظاهرة الغريبة أن الدارسين والباحثين والكتاب المهتمين بالدراسات الأدبية والشعرية قد أهملوا - عن قصد أو عن غير قصد - التعرض لأدب الجزء الجنوبى من شبه الجزيرة العربية ، شعره ونثره فى العصر الحديث .

ويقى مكان هذه الدراسات شاغرا فى المكتبات العربية ، الا من القليل النادر .

ونظرة واحدة متأملة الى كتب الأدب وتاريخه فى هذا العصر تؤكد لنا هذه الحقيقة .

فالدراسات الأدبية التى تملأ المكتبة العربية لمختلف الأقاليم ، قل أن نظفر منها بدراسة منهجية تفصيله عن الشعر اليمنى تحليلا ونقدا .

اللهم الا تلك الشذرات المتفرقه هنا وهناك والتى لا يجمعها عنوان غالبا على ما سيأتى فى هذه المقدمة .

وليس من الغريب بعد ذلك أن تسأل المثقفين والمتعلمين العرب ، ماذا يعرفون عن الأدب اليمنى ؟ فلا يحيرون جوابا ويعترفون أنهم لا يعرفون شيئا عن أدب هذا القطر العربى وشعره .(1)

(١) ربما أن بعض المثقفين العرب يعرفون عن الأدب الفرنسى أو الانجليزى أكثر مما يعرفون عن أدب لغتهم وشعوبهم .

بل ان بعضهم قد يتساءل بصدق وهل فى اليمن أدباء وشعراء ؟

وهذا أحد الأسباب التى دعتنى الى دراسة هذا الموضوع من الزاوية التى اخترتها عنوانا لهذه الرسالة .

وثمت أسباب أخرى لعل من أهمها :

١ - اننى أحد أبناء تلك البيئة الذين يجب عليهم التعريف بها باعتبارها جزءا من الوطن الاسلامى الكبير ، وأهل مكة اعرف بشعابها كما يقولون .

٢ - أن الأدب اليمنى ، وخاصة الشعر - كغيره من الآداب العربية والعالمية - قد داخلته تيارات فكرية شابها شىء من الانحراف ، فأردت بعملى هذا تخليصه من ذلك الانحراف ليتسنى للقارىء العربى قراءته بعيدا عن تلك التيارات ، والصراعات الفكرية التى تتهمها .

وليكون الجيل الجديد حذرا فيما يأخذ أو يترك من هذا الانتاج الأدبى المعاصر .

٣ - أن هناك محاولات تهدف لتجريد الشعر اليمنى عن هويته الاسلامية وأصالته العربية ، فحاولت جاهدا التركيز على تلك الهوية والأصالة بما عرضته من نماذج ونصوص وتعليقات .

لهذه الأسباب مجتمعة تجشمت هذا العمل على صعوبته وجدته من هذا الجانب .

على أن الشعر اليمنى المعاصر - عموما - قد حظى بعدد قليل من الدراسات الأدبية والنقدية من زوايا مختلفة .

وهذه الدراسات على أهميتها ، الا أنها غير كافية ولا مستوعبة لموضوعات الشعر اليمنى وعناصره الفنية .

وهذه نظرة موجزة الى أهم الدراسات التى عالجت موضوع الشعر اليمنى المعاصر أو حاولت اماطة اللثام عن واقعه واتجاهاته :

١ - قصة الأدب فى اليمن - لأحمد الشامى :

وهذا الكتاب استعراض موجز لمسيرة الشعر اليمنى عبر عصوره المختلفة من العصر الجاهلى الى أواخر الخمسينيات من هذا القرن ويتمثل ذلك الاستعراض فى سرد عدد كبير من الشعراء المشهورين وعرض عدد من القصائد والمقطوعات الشعرية ، لكن دون تقييم أو تحليل .

٢ - شعراء اليمن المعاصرون - لهلال ناجى :

ويعد هذا الكتاب أول تعريف بالشعر اليمنى من دارس غير يمنى فقد استعرض صاحبه عددا من شعراء اليمن المعاصرين وتتبع تحركاتهم وذكر شيئا من قصائدهم ،وقد يحلل أو ينقد أحيانا بعض الأبيات أو المقطوعات ،لكنه لا يعد كتاب دراسة أدبية أو نقدية بقدر ما هو تعريف أدبى ببعض الشعراء .

٣ - رحلة فى الشعر اليمنى قديمه وحديثه - للمردونى

عنوان هذا الكتاب اكبر من موضوعه بكثير ، فالكتاب لم يدرس الا عددا قليلا من شعراء اليمن ومعظمهم من المحدثين ،فرحلته غير شاملة ووقفاته

كانت قصيرة جدا عند بعض العصور ، واشارات خاطفة لعصور أخرى ، غير أن الكتاب يمتاز عن سابقيه بالدراسة والتحليل لأكثر من نموذج شعرى لبعض الشعراء الذين التقى بهم فى رحلته .

٤ - الشعر المعاصر فى اليمن - لعز الدين اسماعيل

ويعد هذا الكتاب أول دراسة منهجية للشعر اليمنى ، لكنه اقتصر على جزئيات محددة ، واشارات موجزة الى بعض موضوعات الشعر اليمنى وعناصره الفنية .

٥ - الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر فى اليمن - لعبد العزيز المقالح .

وهذا الكتاب أوسع وأشمل الكتب التى ألفت فى دراسة الشعر اليمنى كما أنه ثانى دراسة منهجية بعد كتاب عز الدين ، ويمتاز عنه بأن صاحبه يمنى ، فهو أقدر على استيعاب النصوص وربطها بالأحداث ، غير أن تناوله لمختلف الموضوعات كان من منطلق فكرى قومى ، وسنعرف أن الشعراء اليمنيين لا ينتمون جميعا الى هذا الاتجاه .

٦ - من الأدب اليمنى - لأحمد الشامى :

وهذا الكتاب مؤلف أساسا ليكون ردا على كتابى رحلة فى الشعر اليمنى ، وشعر الغناء الصنعانى (١) ، فليس دراسة للشعر اليمنى ، وفائدته

(١) كتاب يعنى بدراسة الغناء الصنعانى وخصائصه وطبقاته منذ القرن السابع الهجرى الى اليوم تأليف الدكتور محمد عبده غانم .

تكمن فى تصحيحه لبعض الأخطاء الفكرية والتاريخية والفنية التى وقع فيها صاحبا هذين الكتابين من وجهة نظر مؤلفه .

٧ - مع الشعر المعاصر فى اليمن - لأحمد الشامى

وهذا الكتاب هو الآخر يعد مناقشة أدبية وفكرية لكتابى عز الدين والمقالح ، وما فيهما من أخطاء فكرية وسياسية وتاريخية وتوضيح لما يراه صاحب الكتاب أنه الحق والصواب ، فقد صحح بعض التواريخ وأوضح بعض الحقائق الغامضة ودافع عن بعض الشعراء .

واذا كانت تلك الدراسات تعد بمثابة بدايات أو لبنات فى سبيل الوصول الى دراسة مستوعبة وشاملة لكافة جوانب الشعر اليمنى المعاصر .

فان دراستى هذه ليست الا لبنة أخرى فى ذلك البناء وتكميلا لتلك البدايات التى بدأها أولئك الدارسون ، عسى أن تسد ثغرة أو جانبا من جوانب هذا الموضوع ، وتبقى هنالك ثغرات وجوانب أخرى تنتظر الباحثين والدارسين .

* * *

عقبات في طريق البحث :

جرت العادة أن يذكر الباحثون والدارسون الصعوبات والعقبات التي تواجههم أثناء سيرهم في بحوثهم .

وهو أمر بدهي فأنا لا أتوقع بحثا أو دراسة دون صعوبات وعقبات . غير أن تلك العقبات تختلف من باحث لآخر نتيجة لاختلاف طبيعة الموضوع .

والعقبات التي واجهتني أثناء السير في هذا البحث كثيرة ، لعل أهمها :

١ - المصادر والمراجع :

فهذه المصادر والمراجع مع قلتها لا يكاد يتوفر منها الا القليل في المكتبات العامة منها والتجارية على السواء ، مما اضطرني الى استقدامها من اليمن اما بنفسي او عن طريق المراسلات ، وكثيرا ما كنت أتعثر بسبب ذلك حتى تصلني تلك المراجع أو أعثر على بعضها في المكتبات الخاصة لبعض الأشخاص .

وقد جعلت مصادري ثلاثة أنواع :

أ - الكتب والدراسات التي عالجت فقرات هذا الموضوع .

ب - دواوين الشعراء .

جـ - الصحف والدوريات .

وربما كان العثور على بعض التراجم من أصعب الأمور التي واجهتني في قضية المصادر والمراجع .

٢ - وضع الخطـة :

وهناك صعوبة أخرى واجهتنى قبل الشروع فى الدراسة ، وأثناء الدراسة أيضا وهى الوصول الى خطة نهائية للبحث فقد اضطررت الى اعادة النظـر فى الخطة مرات عديده وقمت بتنقيحها والتدقيق فيها حتى استقام لى وضعهـا على الصورة النهائية التى هى عليها الآن .

وقد كان لتعاقب المشرفين أثر كبير على الموضوع تغييرا أو تعديلا .

فمنذ السنة الأولى من سنوات الكتابة - غادر الجامعة استاذى المشرف الأول د . مصطفى يونس جزاه الله خيرا .

وفى بداية العام الدراسى التالى بدأت رحلة جديدة من الاشراف مـع مشرف آخر هو د . جوده مصطفى الذى أتحفنى بعدد من الملاحظات المفيدة .

لكن الاشراف الجديد لم يتم الا بعد تعديل الموضوع من (الشعـر العربى المعاصر بين الأصاله والتجديد) الى " الشعر اليمنى المعاصر بين الأصالة والتجديد " .

وكان هذا الموضوع - مختلف عن الموضوع السابق فى كثير من المصـادر والمراجع . وقضيت هذا العام بين جمع المراجع الأساسية ، والقراءة الأوليـة وجمع بعض المعلومات فى بطاقات خاصة .

وفى العام الذى يليه بدأت مرحلة الكتابة مع التوسع فى القراءات والاطلاع وقطعت فى الكتابة شوطا بعيدا .لولم يكن من فوائده الا جمع المـادة

الأساسية للبحث ، غير أنى فى نهاية هذا العام فوجئت بسفر الأستـــاذ المشرف الثانى .

وفى العام الدراسى التالى لم أتردد فى اختيار الأستاذ الدكتور شكرى فيصل لأصحبه فى هذه الرحلة الشاقة .

فقد تعرفت عليه قبل أن يأتى الى الجامعة عن طريق كتبه ومؤلفاته ، ثم تعرفت عليه عن كثب بعد مجيئه الى الجامعة ، وكنت أتردد عليه وســألــه عما يعن لى مشكلات .

كل ذلك قبل أن يتولى عملية الاشراف علىّ .

أما بعد ذلك فقد عاش البحث معى خطوة خطوة ، ولم يبخـــل علـــىّ بوقته ولا بفكره ولا بتجاربه . وكنت من جانبى حريصا على الاتصال الدائم بـه والتردد المستمر عليه .

وقد فتح لى صدره وبيته فأفدت من علمه الغزير وخبرته الواسعة مما كـان له أبلغ الأثر فى نفسى وأعاننى بفضل الله على التغلب على تلك الصعـوبـات وانجاز هذا العمل الذى أضعه اليوم بين أيديكم لتقيمه .

فما كان من صواب فبتوفيق من الله ، وعونه ، وما كان فيه من خطأ فبتقصير منى .

أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه وأن ينفع به قراء العربية وآدابها انه سميع مجيب .

٣ ـ وهناك صعوبة ثالثة لعلها من أهم الصعوبات التى واجهتنى فى هـذا البحث .

وتتمثل هذه الصعوبة فى تحديد بعض المفاهيم الأدبية كتحديد مفهوم الأصالة والمعاصره أو التجديد .

ويبدو أن هناك اضطرابا أو خلطا متعمدا عند النقاد المعاصرين فى تحديد هذين المصطلحين وكأنهما نقيضان بينما هما فى الواقع شىء واحد .

فاذا كانت المعاصره أو التجديد يعنيان الابداع والابتكار ، فان الاصالة فى حد ذاتها هى معاصره وهى أيضا ابداع وابتكار ، والا كانت محاكـاة وتقليدا .

ومن هنا كانت الصعوبة فى تحديد مفهوم دقيق لهذه المصطلحـات وللتغلب على هذه الصعوبة قمت بعرض آراء بعض النقاد المحدثين فى هـذه القضية ومناقشتها والجمع بينها كما سنرى ذلك فى مدخل الباب الثالث من هذه الدراسة ان شاء الله .

وقد يلاحظ القارىء أننى حددت مفهوم المعاصره ولم أحدد مفهـوم التجديد ، ذلك أن المعاصره مصطلح نقدى معروف ويدخل التجديد ضمن اطاره ، ثم ان التجديد لفظ متـداول ومحدد فلا يحتاج الى تعريف أو تحديد .

ولكن لما كان عنوان الرسالة بلفظ التجديد وهو داخل كما قلت فى لفظ المعاصره . ومتحد معها فقد اكتفيت بهذا التنبيه اذ لا مغايرة بين اللفظين .

٤ - ومن الصعوبات التي وقفت عندها طويلا ، مسألة تحديد بداية الدراسة ونهايتها .

وهذه العقبة نشأت من اختلاف وجهات نظر الدارسين اليمنيين في بداية عصر النهضة في اليمن .

لكنني بعد أن استعرضت آراء الدارسين حول هذا الموضوع ومناقشتها تغلبت على هذه العقبة باختيار الرأي الوسط من تلك الآراء ، وذكرت أسباب اختياره والحجج التي حدت بي الى ترجيحه كما سنرى ذلك في موضعه من هذه الرسالة .

وأما تحديد النهاية الزمنية لهذه الدراسة فقد ذكرته بطريقة غير مباشرة وذلك من خلال دراسة الأحداث واختيار النماذج والنصوص الواقعة في الفترة التي سبقت المصالحة الوطنية والاستقرار النسبي للأوضاع عام ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م .

ولم أتعرض للسنوات العشر الأخيرة فهي لم تستكمل بعد عناصر دراستها .

خطة البحث :

وعلى الرغم من تلك الصعوبات التى أشرت اليها فقد استعنت الله ومضيت فى طريق البحث بصبر دؤوب ، وخطى ثابتة أحيانا ومتعثرة أحيانا أخرى وقسمت أبوابه ومباحثه على هذا النحو :

١ - تمهيد

٢ - الباب الأول

٣ - الباب الثانى

٤ - الباب الثالث

٥ - ملحق لتراجم الشعراء .

٦ - خاتمة .

١ - التمهيد :

وهو دراسة موجزه لمسيرة الشعر اليمنى عبر العصور المختلفة :

١ - العصر الجاهلى وينتهى بظهور الاسلام .

٢ - العصر الاسلامى والدولة الأموية وينتهى سنة ١٣٢ هـ

٣ - العصر العباسى ١٣٢ - ٢٠٣ هـ

٤ - عهد اليعفريين ٢٢٥ - ٣٩٣ هـ

٥ - عهد الصليحيين ٤٣٩ - ٥٣٢ هـ

٦ - عهد بنى رسول ٦٢٦ - ٨٥٨ هـ

٧ - عهد بنى طاهر ٨٥٨ - ٩٣٣ هـ

٨ - الحكم العثمانى لليمن ويبدأ من سنة ٩٤٥ هـ على فترات متقطعة .

وقد تمثلت الدراسة لهذه العصور بالتعريف بها ثم دراسة بعض نماذجها المشهورة ، هذا بالاضافة الى التعريف ببعض أعلام شعرائها التى ستأتى فى ملحق التراجم .

الباب الأول : العوامل المؤثره فى نشأة الشعر اليمنى المعاصر .

ويحتوى على ثلاثة مباحث . .

المبحث الأول : العامل السياسى

وتناولت فيه الأحداث التالية :

اليمن عقب خروج الأتراك

أحداث عام ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤م

نشأة حزب الأحرار اليمنيين

الحركة الدستورية أو حركة ١٩٤٨م - ١٣٦٧ هـ

ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ - ١٣٨١هـ

المبحث الثانى : العامل الثقافى

وتناولت فيه وسائل الثقافة الآتية :

١ - التعليم

٢ - الاعلام

٣ - الطباعة وتطورها .

المبحث الثالث : العامل الاجتماعي

وتحدثت فيه عن القضايا والظواهر التالية :

أ ـ الأدواء والمآسي التي يعاني منها المجتمع اليمني .

ب ـ الهجره وأثرها في تنشيط الحركة الأدبية .

جـ ـ بنية المجتمع وتكويناته وشرائحه .

د ـ الوضع الزراعي وما يعانيه العامل والفلاح

هـ ـ المرأة وقضيتها ومشكلاتها .

الباب الثاني : موضوعات الشعر اليمني المعاصر

ويتكون من مدخل وأربعة مباحث

تحدثت في المدخل عن بداية النهضة الشعرية في اليمن وتحديدها

وعرضت للآراء التي قيلت في ذلك ومناقشتها

المبحث الأول : الشعر الوطني

وتناولت فيه النقاط التالية :

١ ـ الأئمة والشعر الوطني

٢ ـ حزب الأحرار والجمعية اليمانية الكبرى

٣ ـ حركة ١٩٤٨ وما صاحبها من أحداث

٤ ـ الشعر وقضية الجنوب المحتل

٥ ـ ثورة ١٩٦٢ وملابساتها وأحداثها .

المبحث الثانى : الشعر الاسلامى

وتحدثت فيه عن النقاط التالية :

١ - تحديد مفهوم الشعر الاسلامى

٢ - الدعوة الاسلامية المعاصره وأهدافها وما تفرع عنها من جمعيات .

٣ - كبريات القضايا الاسلامية المعاصرة .

٤ - المناسبات الدينية .

٥ - المناسبات الاجتماعية .

المبحث الثالث : الشعر القومى

وتناولت فيه :

١ - مفهوم القومية

٢ - كبريات القضايا القومية التالية :

أ - محاربة الاستعمار والدعوة الى التحرير وما صاحب ذلك من تحركات وأحداث .

ب - قضية فلسطين .

جـ - قيام ثورة يوليو فى مصر .

د - الوحدة العربية .

هـ - نكبة حزيران .

المبحث الرابـــع : الشعر الاجتماعى

ويحتوى على هذه الفقرات :

١ ـ مظاهر التخلف الاجتماعى

٢ ـ البنية الاجتماعية وشرائح المجتمع وتقسيماته الدينيـة والعرقية ٠

٣ ـ الوضع الزراعى ومشكلات العامل والفلاح

٤ ـ المرأة وقضيتها وملابسات هذه القضية .

الباب الثالث : التطور الفنى وملامحه فى شعر اليمن المعاصر

ويشتمل على مدخل وثلاثة مباحث . .

المدخل : وتناولت فيه معنى الأصالة والمعاصره وعرضت لآراء بعـــض النقاد المحدثين حول هذين المصطلحين ٠

ثم أشرت اشارات موجزه الى التقسيمات الفنية لشعراء اليمن المعاصرين وتياراتهم ومشاربهم المختلفة ٠

المبحث الأول : التطور الفنى فى المضامين الشعرية .

وتحدثت فيه عن مختلف التيارات الشعرية فى شعر اليمـن المعاصر ابتداء بالتيار التقليدى ومرورا بالتيار الرومنســـى وانتهاء بالتيار الواقعى ،وهو أحدث المذاهب الأدبية الـتى وصل اليها الشعر اليمنى مبينا خصائص وملامح كل تيار مـن خلال النماذج والأمثلة التى أسوقها لشعراء هذا التيـار أو ذاك.

المبحث الثانى : التطور الفنى فى الصورة الشعرية .

وتحدثت فيه عن الصورة وخصائصها عند الأقدمين وعن مدى التطور الذى وصلت اليه عند النقاد المحدثين ، ثم ماهـــو نصيب الشعر اليمنى من خصائص الصورة الحديثة وابتكاراتهـا ومن هم أبرز روادها .

وذلك من خلال النصوص والنماذج المعروضه فى هذا المبحث.

المبحث الثالث : التطور الفنى فى الموسيقى الشعرية .

وعرضت فى هذا المبحث بايجاز :

١ - لقضية الخلاف بين أنصار القديم وأنصار الجديد فى هذا الموضوع .

٢ - ثم تناولت مراحل تطور الجانب الموسيقى فى الشعر العربى القديم ،ثم مراحل تطوره أيضا فى الشعر العربى الحديث عند مختلف المدارس والتيارات الأدبية الحديثة ،ومـدى افادة الشعر اليمنى المعاصر من هذه التيارات .

٣ - ثم كشفت النقاب عن محاولات التجديد الشعرية فى الايقاع والوزن فى الشعر اليمنى مشيرا الى أصحاب تلك المحاولات مبينا مدى التطور والتجديد الذى أضافته كل محاولـة أو مرحلة من تلك المراحل .

كل ذلك من خلال الأمثلة الشعرية التى أسوقها أثناء الحديث عن هذه المحاولة أو تلك ،مقارنا بين هـــذه المحاولات ومثيلاتها فى الشعر العربى الحديث .

المنهج الذى اتبعته فى كتابة هذه الرسالة :

١ - كنت حريصا أشد الحرص على استبعاد كل نص شعرى أو نثرى أشتم منه رائحة الانحراف الفكرى أو العقدى عن المنهج الاسلامى الأصيل .

٢ - قد تجرنى دراسة بعض الموضوعات فى الشعر الى التمثيل بنص يخالف المسلك السابق ، ففى هذه الحالة لا آلو جهدا أن أعلق عليه أو أنبه الى ما فيه من مخالفه فكرية أو عقديه أو سلوكية .

٣ - لم أتعمد المساس بالشخصيات أو تجريحها على أن ذلك لم يمنعنى من النقد الهادف البناء للتنبيه على خطأ أو الدفاع عن قضية .

٤ - لم أحاول التفريق بين شعراء شطرى اليمن ، فأينما وجدت النص الذى يخدم الغرض أو القضية أو الفكرة التى أتحدث عنها أخذت به بصرف النظر عن قائله .

٥ - فى دراستى للشعر الاسلامى نظرت الى النص وما فيه من معان اسلامية دون نظر الى سلوك قائله والتزامه أو عدم التزامه بالمنهج الاسلامى .

ومع ذلك فقد كنت حريصا - ما أمكن - على تقديم نصوص الشعراء الملتزمين عمليا بالاسلام .

٦ - فى دراستى للشعر القومى عرضت فقط وجهة نظر بعض الشعراء اليمنيين فى هذا المسار ، ولا يعنى ذلك أننى مؤمن بالقومية الى أهدرها الاسلام .

٧ - تعمدت تأخير تعريف الأصالة والمعاصرة الى الباب الثالث لأنهما من المصطلحات الفنية الشائعة فهما شديدا الالتصاق بالجانب الفنى منهما بجانب الموضوع .

٨ - ولما كان الشعر اليمنى يعد حلقة فى سلسلة الدراسات العربية ، فمن البدهى أن أبدأ موضوعاتى باعطاء فكرة سريعة عن كل موضوع ، ومدى التطور الذى بلغه فى البلاد العربية التى سبقت الى عصر النهضة ليتم على أساس تلك الفكرة الربط بين الشعر اليمنى والشعر العربى عموما .

٩ - الشخصيات المترجم لها فى البحث تعمدت تقسيمها الى قسمين :

أ - شخصيات أساسية يمثلها الشعراء اليمنيون المعتمدون فى البحث

ب - شخصيات جانبية وهم بقية الأعلام .

أما القسم الأول فقد أفردتهم فى ملحق خاص وهو الملحق المذكور فى نهاية هذه الرسالة .

وذلك أن تراجم بعض هؤلاء قد تطول وتتجاوز الصفحة والصفحتين أحيانا فتضيق بها الهوامش .

وخروجا من هذا الاشكان كان ذلك الملحق .

وأما القسم الثانى فقد كان المقصود منه التعريف بهم فقط ، كذا عرفت بمن يستحق التعريف منهم فى هوامش الصفحات ، وتركت الباقى ، اما اعتمادا على شهرتهم أو لعدم العثور على تراجم لهم .

١٠ - وفى كل ذلك لم أكن أتوقف عند الأفكار النظرية ولا أبادر اليهـــا اقتباسا وانما استنتج ذلك من خلال النصوص وأربطه بها ، ماوجدت الى ذلك سبيلا ووضعت نصب عيـنى منهج أستاذى المشرف فى الـدراسة الأدبية وضرورة اعتمادها على النصوص والذى يمثله قوله :

" ومن هنا كان يملأنفسى يوما بعد يوم أنه لكى تستقيم الدراسـات الأدبية عندنا ، ولكى تتخذ وجهها الحق من نحو لغوى ومن نحـوى نفسى ، ومن نحو علمى ، فانه لابد لنا من أن نأخذ أنفسنا بـدراسـة النصوص أولا ، وأن نجعل من هذه النصوص كذلك منطلقنا وقوة الدفع فى طريق دراستنا . . فالغرض من الدراسة فى المرحلة الجامعية انما هو منهج هذه الدراسة قبل أن يكون نتائجها . . فاذا نحن استخدمنا نتائج هذه الدراسة هذا الاستخدام المطلق مفضين عن أصولها الأولى ، اعنى عن النصوص التى تثبت وتنفى وتؤكد وتجحد . . فان معنى ذلك أننا نؤدى عملنا فى تكوين الجيل الجامعى أداء فيه بعض الخطأ والانحراف "(١) .

ولهذا فقد كانت النصوص هى الركيزة الأولى التى اعتمدت عليها فى دراستى هذه فهما وتحليلا واستنتاجا .

هذا مع الافادة من الدراسات الأخرى فيما لاتستغنى به النصوص .

(١) تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام - د . شكرى فيصل ص ٩ - ١٠ المقدمة .

. . . وبعـــد . . .

فانى لا أدعى الكمـــال ،ولا أزعـم الاتقان فى هذه الرســالـــة فهناك نواحى قصـــور كثيرة أدركتها وسيدركها غيرى ،وربما كان هناك نواح أخرى لم أدركها وسيكون القول الفصل فيها للجنة المناقشـــة ان شاء الله ، وهو ما أدعو الله أن يعيننى على استكماله بعـد ذلـك باذن الله . .

* * *

* *

*

تمهيد

الشعر اليمني قبل العصر الحديث :

الشعر - كما يقول بعض النقاد - مخاطبة الوجدان واثارة المشاعر عن طريق التصوير والتعبير وبالوسائل الفنية والقيم الجماليه الرفيعه .(١)

ولا تتفاوت القيمة بين شعر وشعر الا بمقدار قوة التعبير وسمو التصوير ثم وجود التنسيق بينهما .(٢)

واذا كان الشعر - كما هو معروف - ديوان العرب ،وسجل حياتهم ، ووسيلتهم فى نقل أفكارهم ومشاعرهم ،فانه كذلك أيضا فى حياة اليمنيين سواء فى ماضيهم أو حاضرهم .

فقد كان الشعر - بالنسبة لهم - الوسيلة الوحيده أو الأولى التى يصورون بها أحداث مجتمعهم بل كان فنهم الخاص الذى يدونون به تاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم ،ويسجلون عقائدهم ويعبرون عن عواطفهم ،ويصوغون أحاسيسهم ازاء كل ذلك صياغة شعرية موسيقية .

والشعب اليمنى بحكم فطرته وأنه جزء من الأمة العربية كلها يحمل خصائصها ويمثل روحها فهو ذو طبيعة شاعره يقدر الكلمة الساحره وينساق وراءها ،ولا يتأثر بشىء تأثره بمثل سائر أو حكمة بالغة .

(١) أنظر فى ذلك : أصول النقد الأدبى لأحمد الشائب ص ٢٩٨ ،والنقد الأدبى الحديث لمحمد غنيمى هلال ص ٣٥٦ ،والأدب وفنونه لمحمد مندور ص ٣١ ،وفى الأدب الجاهلى لطه حسين ص ٣١٢ .

(٢) أنظر قصة الأدب فى اليمن لأحمد الشامى ص ١٧١ .

وقد حاول اليمنيون أن يجعلوا كل حياتهم شعرا ، فان تعذر ذلك فلم يفقدوا التقاطيع والأوزان حتى فى غير الشعر (١) ، يدل على ذلك الكثرة الكاثرة من المنظومات الشعرية والتاريخية واللغوية وغيرها ، وهى ان فقدت التعبير الشعرى الرفيع فى المنظومات اللغوية فلم تخل من الوزن والقافيه على الأقل .

على أن هناك حشدا هائلا من الشعر الذى ملأ حياة اليمنيين فى كل عصر من العصور الأدبية كما سنتبين شيئا من ذلك فى هذه المقدمة التى سنتابع فيها بايجاز شديد حركة الشعر فى اليمن فى مختلف العصور ، محاولا اعطاء فكرة موجزة عن كل عصر من تلك العصور الأدبية ، حسب التقسيم الذى سأختاره لدراسة عصور الأدب فى اليمن فى مختلف مراحله .

أود أن أشير فى البداية الى أن هناك عددا من الدارسين المحدثين الذين أرخوا للأدب اليمنى أو الشعر اليمنى قد قسموا تلك العصور الأدبية الى فترات متقاربة أحيانا ومتباعدة أحيانا أخرى ،

فالشاعر احمد الشامى أشار فى كتابه " قصة الأدب فى اليمن " اشارة موجزة الى تلك العصور وقسمها الى التقسيمات التالية (٢) :

(١) انظر قصة الأدب فى اليمن لأحمد الشامى ص ١٧١ بتصرف .

(٢) على الرغم من الاشارة التاريخية الموجزه الا أن الشامى قد أفاض فى سرد أسماء الشعراء والمشاهير لكل فترة كما ذكر عدد لا بأس به من النماذج الشعرية لكل عصر من العصور .

١ - فترة العصر الجاهلى .

٢ - صدر الأسلام والدولة الأموية .

٣ - ثم قسم العصر العباسى والعصور التالية له الى فترات متقاربه بالسنوات وبعيدا عن التقسيمات السياسية حتى بلغ العصر الحديث فجعله عصرا قائما بذاته .(١)

وهناك دارس آخر هو الأستاذ عبد الله البردونى فى كتابه " رحلة فى الشعر اليمنى " ، الذى خصصه لدراسة عدد من شعراء اليمن فى مختلف عصورهم(٢) فقسمهم القسمة التالية :

١ - العصر الجاهلى .

٢ - العصر الاسلامى - صدر الاسلام والدولة الأموية .

٣ - عصر الخطورة .(٣)

٤ - عصر الاجترار .(٤)

٥ - عصر النهضة .

(١) انظر قصة الأدب فى اليمن ص ١٤٩ ومابعدها .

(٢) دراسة البردونى كانت دراسة نقدية وليست دراسة تاريخية ، وجاء تقسيمه التاريخى تمهيدا لدراسته النقدية تلك .

(٣) عصر الخطوره عند البردونى هو العصر العباسى الأول والثانى ، ويريد بالخطورة الخطورة الفكرية أو الانحراف الفكرى الذى أصاب بعض الشعراء العباسيين فأنشأ أدبا خطيرا صدم العادات وتحدى العقائد ، انظر الرحله للبردونى ص ٣٧ .

(٤) ويعنى به أن هذا العصر كان تكرارا لما قبله فليس فيه ابداع فنى باستثناء عدد قليل من الشعراء كابن هتيمل والهبل والزنمه .

ولم يتوسع فى دراسة الشعراء فى العصور السابقة لعصر النهضة حتى أنه لم يدرس الا شاعرا واحدا فى العصر الجاهلى وعددا محدودا فى العصور التالية له ، أما عصر النهضة فقد توسع فى دراسة شعرائه المشهورين حتى شملت دراستهم معظم صفحات الكتاب .

ومهما يكن من شئ فهذه التقسيمات وجهات نظر أصحابها ولكل وجهة هو موليها ، ولا يتسع البحث لمناقشتها ، وليس هذا مجال مثل هذه المناقشة ، فكل ما أريده هنا هو اعطاء لمحة موجزه عن دور الشعر ومكانته فى العصور الماضية التى سبقت عصر النهضة ، ولهذا سأسلك طريق التقسيم السياسى لعصور التاريخ فى اليمن ، وفى حالة تداخل تلك الدول سأكتفى بأشهرها وأكثرها تأثيرا على الشعر وأقواها نفوذا على الأدب .

وعلى هذا الأساس أخترت أن يكون تقسيمى لتلك العصور على النحو التالى :

١ - العصر الجاهلى .

٢ - عصر صدر الاسلام والدولة الأموية .

٣ - العباسيون .

٤ - اليعفريون .

٥ - الصليحيون .

٦ - الرسوليون .

٧ - بنو طاهر .

٨ - العثمانيون .

ومنذ بداية القرن الرابع تقريبا كانت هذه الدول المتعاقبه فى صراع مستمر مع الأئمة الذين كانوا يحكمون مدينة صعده وما حولها فى شمال البلاد وكان لهؤلاء الأئمة تأثيرهم الفعال على الأدب والشعر ، على أن الأدب والشعر لم يكونا خاضعين خضوعا تاما لذلك التقسيم السياسى ، الذى سلكناه ، ومن خلاله سوف نلقى الضوء على الشعر اليمنى متمثلا فى نماذجه واعلامه المشهورين ، وسأحتزى بعضا منهم وشيئا من أشعارهم فى كل عصر من هذه العصور المذكورة هنا .

* * *

" العصر الجاهلى "

العصر الجاهلى عند مؤرخى الأدب هو الفترة التى سبقت الاسلام بحوالى ١٥٠ سنة وهذه الفترة - بالنسبة لليمن كانت فترة المجد العتيد اذ كانت اليمن رمز القوة والسلطان ومسرح السياسة والتجارة وفيها الأقيال والتبابعة وسد مأرب والجنتان وغيرها من عناصر الحضارة ومعالم المدنيه .

وما يعنينا هنا هو الحديث عن شعر وشعراء اليمن فى هذه الحقبة التاريخية ويجدر بنا قبل ذلك أن نقف وقفة قصيرة عند أراء الدكتور طه حسين التى سجلها فى كتابه " فى الأدب الجاهلى " وزعم فيها أنه لم يكن لليمن شعر ولا شعراء لا فى الجاهلية ولا فى صدر الاسلام ، ويعتبر كل ماروته كتب تاريخ الأدب عن شعر وشعراء اليمن - بما فى ذلك الأغانى - ضربا من الخرافات والتضليل القائم على التكلف والخيال .

ولم يقف عند هذا الحد بل زعم أيضا أن لغة اليمن فى الجاهلية لم تكن هى اللغة العربية التى يتكلمها عرب شمال الجزيرة ، وانما تعلم اليمنيون العربية بعد الاسلام ثم تكلفوا الشعر بها فكان حظهم منها كحظ الموالى من الفرس وغيرهم .

وهذا نص كلام الدكتور طه :

" وهل لليمن فى الجاهلية شعراء ؟

أما القدماء فلا يشكون فى ذلك ، وهم يحصون شعراء يمنيين يروون لبعضهم

قصائد ... ولكنا نقف من هؤلاء الشعراء جميعا لا نقول موقف الحيطة والشك بل موقف الرفض والانكار .

فأمر هؤلاء الشعراء قائم كله على خطأ أساسى أو قائم كله على تكلف قصد به التضليل . ذلك أن القدماء زعموا أو خيل اليهم أن أهل اليمن عرب كغيرهم من العرب ، فيجب أن يكون حظهم من الشعر والشعراء كحظ غيرهم من أهل الحجاز ونجد ."(١)

ولم يكتف الدكتور طه بذلك ،فقد نفى أيضا أن يكون لليمن شعر حتى فى صدر الاسلام ،واعتبر الشعراء المنسوبين الى اليمن فى هذا العصر مخترعين اختراعا واذا صح شىء من ذلك فهو ضئيل .

يقول الدكتور طه وهو يتحدث عن شعراء اليمن فى الاسلام :

" وليس لها فى الاسلام شاعر فحل ،وانما شعراء اليمانيه فى الاسلام مخترعون اختراعا دون أن يكون لهم وجود تاريخى صحيح كوضاح اليمن ،أو هم ضعاف متأخرون فى الطبقة ... "(٢) .

الى أن يقول (وليس لليمن فى الجاهلية شعراء وحظها من الشعر فى الاسلام قليل ضئيل)(٣) .

(١) طه حسين فى الأدب الجاهلى ص ١٨٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٩٠ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٩١ .

ولم يكن هذا الانكار غريبا على الدكتور طه حسين ، فقد تطرق الى الشعر الجاهلى عامه فادعى أنه منحول حتى شملت مزاعمه العقائد والمقدسات حين تكلم عن بعض الأنبياء السابقين على الرسالة المحمدية مثل ابراهيم واسماعيل . فتناولهما بكلام " يؤذى ايمان المؤمنين ويفسد عقائد صغار الطلاب الذين ألقى عليهم" (١) كما يقول الدكتور محمد محمد حسين ، والقضية مشهورة في الدراسات الأدبية الحديثة وقد دار حولها نقاش عنيف وتعرضت لردود كثيرة منها رد الغمراوى (٢) والخضر حسين (٣) وفريد وجدى (٤) ولطف جمعه والرافعى (٥) والبهى (٦) الخولى (٧) وغيرهم .

والذى يعنينا هنا هو ذلك الموقف الذى وقفه الدكتور طه من الشعر اليمنى فى الجاهلية وصدر الاسلام ، وانتهى فيه الى تلك المزاعم الرافضه للشعر اليمنى جملة وتفصيلا ، وقد بنى الدكتور مزاعمة تلك على أمرين اثنين :

(١) أنظر الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر للدكتور محمد محمد حسين جـ ٢ ص ٢٩٨ .

(٢) فى كتابه " النقد التحليلى لكتاب فى الأدب الجاهلى " .

(٣) فى كتابه " نقض كتاب فى الشعر الجاهلى " .

(٤) فى كتابه " نقد كتاب الشعر الجاهلى لطه حسين " .

(٥) فى كتابه " الشهاب الراصد " .

(٦) فى كتابه " تحت راية القرآن" فى فصول متعددة منه .

(٧) فى كتابه " الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى "

انظر مصادر الشعر الجاهلى لناصر الدين الأسد ص ٤٠٢ ومابعدها .

أولهما - كما رأينا فى النص السابق - أن لغة أهل اليمن ليست اللغة العربية التى يتكلمها أهل الشمال ، وأن الشعر المنسوب الى شعراء يمنيين بلغة مضرية ما هو الا شعر منحول أنشأته العصبية اليمنية بعد الاسلام .

والأمر الثانى الذى بنى عليه الدكتور رفضه وانكاره للشعر اليمنى هو اختلاف الرواه فى بعض شعراء اليمن ، وقد سجل رأيه هذا فى كتابه " حديث الأربعاء " أثناء حديثه عن وضاح اليمن حيث قال (١) :

" . . . وأنا أشك شكا قويا فى وجود هذا الشاعر وحسبك أن رواته يختلفون فيه اختلافا كثيرا فمنهم من يزعم أنه عربى حميرى ، ومنهم من يزعم أنه من سلالة الفرس الذين جاءوا اليمن مع سيف ابن ذى يزن . . . وكل هذا الاضطراب لا يحمل على الاطمئنان الى وجود وضاح " (٢) .

على أن هناك أمرا ثالثا يتعلق بشعراء اليمن فى صدر الاسلام يعد نتيجة طبيعية للأمر الأول ، وهو أن بعض اليمنيين كما يقول الدكتور " أخذ يتعلم العربية ويتكلف الشعر فيها فكان حظهم فى هذا كحظ الموالى من الفرس الذين تعلموا العربية وتكلفوا الشعر فيها لأسباب سياسية وعصبية " (٣) .

فكأن الدكتور طه يعد فترة صدر الاسلام والدولة الأموية هى الفترة التى تعلم فيها اليمنيون وغيرهم من الأجناس اللغة العربية ، ولم يستقم لسانهم الا فى بداية العصر العباسى .

(١) سيطالعنا نموذج من شعر وضاح فى الصفحات القادمة عند الحديث عن الشعر الأموى .

(٢) حديث الأربعاء جـ ١ ص ٢٣٢ .

(٣) فى الأدب الجاهلى ص ١٩١ .

ولن أطيل فى استعراض الردود والمناقشات حول مزاعم د . طه هذه فقد تولى أمر هذه الردود عدد من شعراء اليمن وأدبائها المعاصرين[1] وكذلك بعض الأدباء العرب الآخرين[2] .

ونحن لا ننكر بادئ ذى بدأ أن الشعر العربى عموما - بما فى ذلك الشعر اليمنى فى الجاهلية - قد دخله كثير من النحل والتزوير ، وأن العصبية القبلية قد فعلت فعلها فى نسبة جزء غير يسير من الشعر العربى الى غير قائليه ، وذلك ما لم ينكره الرواه أنفسهم لكنهم لم يعمموا ذلك على جميع الشعراء العرب ، ولم ينكروا بسبب هذا الانتحال الشعر العربى كله .

(١) استعرض بعض تلك الآراء وناقشها كل من الأستاذ احمد الشامى فى كتابه " قصة الأدب فى اليمن " ص ٧٧ ومابعدها ، والدكتور عبد العزيز المقالح فى كتابه " الشعر بين الرؤيا والتشكيل " ص ١٣٣ ومابعدها .
وكان الأديب الكبير عبد الله العزب يكتب فى مجلة الحكمة أواخر الثلاثينيات مقالات أدبية عن شعر وشعراء اليمن فى الجاهلية والاسلام وكانت بمثابة رد ضمنى على مزاعم الدكتور طه والتى لم يكن قد مضى على نشرها سوى بضع سنوات .

(٢) منهم الدكتور محمد رجب البيومى فى مقال نشره فى مجلة الثقافة المصرية وسيأتى بعض فقراته .

واذا كان الدكتور طه قد وقف موقف الرفض والانكار لكل مانسبته كتب الأدب العربى من شعر وشعراء اليمن فلست أدرى علام اعتمد فى انكاره ذلك مع أن العرب جميعا متفقون على أن اللغة العربية الأم هى لغة اليمن وعنهم أخذت سائر القبائل العربية لغتها ولهجاتها فهم العرب العاربه وغيرهم العرب المستعربه كما هو معروف عند المؤرخين القدامى الذين لا يشكون فى ذلك كما قال الدكتور طه نفسه .

والنقوش التى استند اليها دونت لهجاتها المختلفة بأسلوب واحد ، وهذا يوضح كما يقول الدكتور مراد كامل (١) " أن اللغة التى استخدمت فى النقوش كانت لا تعبر عن لغة التخاطب " (٢) .

ونقل الشامى رأيا للدكتور احمد فخرى (٣) أحد علماء الأثار يؤكد فيه هذا المعنى الذى ذهب اليه مراد كامل ، هذا اذا سلمنا أن لغة نقوش المسند لم تكن عربية وأنها مغايره للغة الشمال كما يذهب الى ذلك الدكتور طه حسين (٤) ومن غير الواضح ما اذا كان اليمنيون ينطقون هذه النقوش القديمة بلهجة عربية شمالية أولا .

(١) عالم مصرى قبطى كان بارعا بعلم اللغات الشرقية وبعض اللغات الغربية مولده ووفاته بالقاهرة كان يتقن عددا من اللغات وآدابها ، توفى سنة ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م . انظر الأعلام ٧/١٩٩ .

(٢) قصة الأدب فى اليمن لأحمد الشامى ص ٥٢ .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) عالم بالآثار المصرية وله فيها عدة كشوف كان أستاذا للتاريخ القديم فى جامعة القاهرة ألف عدة أبحاث أثرية باللغة الانجليزية أحدها عن أبحاثه الأثرية فى اليمن توفى فى باريس سنة ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م ، انظر الاعلام ١/١٩٤ .

(٥) انظر " فى الأدب الجاهلى ص ٨١ ومابعدها . "

على أن اختلاف اللهجات العربية واختصاص كل منها بألفاظ أو بمعنى من المعانى المشتركة للفظ واحد لا يعنى أنه لم تكن لهم جميعا لغة فنية قائمة فوق اللهجات وتغذيها جميع اللهجات (١) .

أما أمر اختلاف الرواة فى شأن شاعر أو أديب ما فليس حجة كافية للشك فى وجود ذلك الشاعر أو انكاره ، وقد كفانا الدكتور محمد رجب البيومى مؤنة الرد على الدكتور طه حسين فى شأن الشاعر " وضاح اليمن " الذى نفى الدكتور وجوده أصلا بدعوى أن الرواة قد اختلفوا اختلافا كبيرا فى شأنه .

يقول الدكتور البيومى فى معرض رده بعد ان عرض لأقوال طه حسين مايلى :

" هذا تلخيص ما ساقه الدكتور من حجج ينفى بها وجود وضاح اليمن أصلا وشعره تبعا وهى حجج ظاهرة الضعف لأن أختلاف الرواة فى شأن شاعر هل هو يمنى أو مضرى أو فارسى لا يبرر القول بأنه غير حقيقى ، وأذكر أن أقوى حجج الدكتور فى انتحال الشعر الجاهلى كانت ترجع الى اختلاف الرواة فى حياة الشعراء وهو اختلاف لا يلزم أحدا بنكران وجود هؤلاء " .

وقد كتب معارضو الدكتور ما أماط اللثام عن ضباب هذه الشبه كما كان الأستاذ ابراهيم المازنى بارعا كل البراعة حين كتب مقالا فكاهيا عن الدكتور طه حسين يزنه فيه بميزان الدكتور النقدى ، ليصل الى انكار وجوده ، فاذا كان

(١) انظر تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ١ / ٤٢ .

اختلاف ماقيل عن انسان مدعاة لانكاره ، فان الباحث المنتظر بعد قرنين يستطيع أن ينكر وجود الدكتور طه ، لأن بعض مؤرخيه قالوا انه أزهرى معمم ، وبعضهم روى أنه جامعى مطربش ، وبعضهم روى أنه أزهرى يلبس القبعه ، وبعضهم روى أنه يتكلم باليونانية ، أفيكون الدكتور من هذا الاختلاف وهما لا حقيقة واقعة !!

الحق أن تضارب الروايات الأدبية فى حاجة الى من يثبت صحيحها بالدليل وينفى باطلها بالبرهان ، وليس بحاجة الى من يعصف بها جميعا لأنها متعارضة.

وما أسهل البحث الأدبى لوكانت طريقته الوحيده هى انكار كل المتعارضات دون تمحيص" (١) . هذا نص د . بيومى كما نقله عنه د . المقالح .

وهذه الحجج التى ذكرها الدكتور بيومى حجج قويه وكافيه فى دحض مزاعم الدكتور طه لا فى شأن وضاح فحسب ولكن فى شأن كافة الشعراء الذين أنكر الدكتور وجودهم اعتمادا على اختلاف الرواة فى شأنهم .

والحق أن الروايات الواردة فى كتاب الأغانى للاصفهانى فى شأن وضاح تحتاج فعلا الى تمحيص ولا سيما الروايات التى تذكر قصته مع الوليد بن عبد الملك وعلاقته بأم البنين زوج الخليفة الوليد (٢) وهى أمر مشكوك فيه حقا .

(١) الشعر بين الرؤيا والتشكيل د . عبد العزيز المقالح ص ١٣٥-١٣٦ نقلا عن مجلة الثقافة المصرية التى نشرت هذه الدراسة فى عددها (٦٧) ابريل ١٩٧٩م.

(٢) انظر تفاصيل هذه القصة فى كتاب الاغانى ٦/ ٢٠٩ ط دار الكتب سنة ١٩٣٥م.

ونكتفى بهذه المقتطفات من الردود النظرية على أن ندعم ذلك برد عملى من واقع الشعر اليمنى نفسه وبالحوادث التاريخية التى تثبت ان هناك شعرا يمنيا ، وأن هناك شعراء يمنيين أثبتهم التاريخ ودلت عليهم الأحداث وسنميط اللثام عن جزء يسير منهم فى الصفحات التالية من هذه الدراسة على أنى سأكتفى بالمشاهير من أولئك الشعراء بقدر ما يتسع له هذا التمهيد ، وسأقتصر من النماذج على ما تقتضيه الحاجة وتدعو اليه الضرورة .

فمن الشعراء المشهورين فى العصر الجاهلى من اليمنيين الأسماء التاليه : عمرو بن براقه ، مالك بن حريم ، الأفوه الأودى ، الأجدع بن مالك الهمدانى ، عبد يغوث الحارثى ، جعال بن عبد ، مالك بن زيد ، عمرو بن معدى كرب الزبيدى (١) .

وهذه بعض النماذج الشعرية لبعض الشعراء المشهورين فى هذا العصر مقرونة بأسماء أصحابها :

= ١ =

اليائيه الشهيرة للشاعر عبد يغوث الحارثى والتى مطلعها :

الا لا تلومانى كفى اللوم ما بيا ... فما لكما فى اللوم خير ولا ليا (٢)

(١) ستأتى تراجم هؤلاء الاعلام فى ملحق التراجم ان شاء الله .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ٢ / ٣٠٠ تحقيق السندوبى والأغانى ١٦ / ٣٣٣ .

وكان الباعث على انشائها أن الشاعر أسره بنو تيم فى " يوم الكلاب الثانى " يوم من أيام العرب كان بين بنى الحارث قوم الشاعر وبنى تيم .

وقد صور الشاعر فى هذه القصيدة موقفه من الأسر وشموخه وحزنه وصبره .

وفيها يقول :

الم تعلما أن الملامة نفعها ∴ قليل وما لومى أخى من شماليا (١)

فيا راكبا اما عرضت فبلغن ∴ ندا ما من نجران ألا تلاقيا (٢)

أبا كرب والأيهمين كليهما ∴ وقيسا بأعلى حضرموت اليمانيا (٣)

جزى الله قوما بالكلاب ملامة ∴ صريحهم والآخرين الموالياً (٤)

أقول وقد شدوا لسانى بنسعة ∴ أمعشر تيم أطلقوا من لسانيا (٥)

أمعشر تيم قد ملكتم فأسجحوا ∴ فان أخاكم لم يكن من بوائيا (٦)

فان تقتلونى تقتلوا بى سيدا ∴ وان تطلقونى تحربونى بماليا (٧)

وتضحك منى شيخة عبشمية ∴ كأن لم تر قبلى أسيرا يمانيا (٨)

(١) شماليا يريد شمائلى أى طباعى .

(٢) عرضت أتيت عروض مكة والمدينة .

(٣) أبو كرب يريد به بشر بن علقمه بن الحارث ، والأيهمان هما الأسود بن علقمه بن الحارث وعبد المسيح بن الأبيض وقيس هو ابن معد يكرب والد الأشعث بن قيس .

(٤) الكلاب يريد به يوم الكلاب الثانى الذى أسر فيه الشاعر .

(٥) النسعة : سير منسوج .

(٦) البواء السوء ويريد أن أخاهم النعمان لم يكن نظيرا له حتى يقتل به .

(٧) تحربونى : تسلبونى وتغلبونى .

(٨) عبشميه : نسبه الى بنى عبد شمس .

انظر البيان والتبيين ٢ / ٣٠٠ وأيام العرب فى الجاهلية ص ١٢٩ فهذه الشروح مأخوذة منهما .

قال الجاحظ وليس فى الأرض أعجب من طرفه بن العبد وعبد يغوث وذلك أنا اذا قسنا جودة أشعارهما فى وقت احاطة الموت بهما لم يكن دون سائر أشعارهما فى حال الأمن والرفاهية .

والقصيدة من عيون الشعر العربى وأثر الجاهلية واضح عليها لغة وأسلوبا وقد امتد أثرها فى العصور التالية وتأثر بها كثير من شعراء تلك العصور واتخذوها نبراسا ومثالا لشجون النفس وتوقيح الأحزان ، فقد اقتفى أثر الحارثى شعراء صعيدون وقفوا على مثل وتره الحزين من أمثال مالك بن الريب فى قصيدته المشهورة :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ∴ بجنب الغضى أزجى القلاص النواجيا .

ومجنون ليلى فى بائيته المشهورة أيضا :

تذكرت ليلى والسنين الخواليا ∴ وأيام لا تخشى على اللهو ناهيا

وإياس بن القائف فى قصيدته التى مطلعها :

يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم ∴ وترمى النوى بالمغتربين المراميا

وقد صور فيها الغربة ووحشتها تصويرا رائعا :

ولعل المتنبى كان يتوخى نغم الحارثى على نحو أعمق حزنا وأقوى أداء حين قال قصيدته التى مطلعها : (١)

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا ∴ وحسب المنايا أن يكن أمانيا

خلقت ألوفا لو رجعت الى الصبا ∴ لفارقت شيبى موجع القلب باكيا (٢)

(١) رحله فى الشعر اليمنى للبردونى ص ٢٢ ومابعدها .

(٢) ديوان المتنبى ص ٤٤١ ط دار الصادر بيروت .

= ٢ =

ومن مشاهير الشعراء اليمنيين فى الجاهلية الشاعر مالك بن حريم الهمدانى ومن أشهر قصائده وأجودها هذه المقطوعة :

اذا سألت نفسك أن ترانا ∴ بملك الجوف فاغترب النجادا

ترانا بالقرار بغير شك ∴ نقودها مسومة جيادا

علينا كل فضفاض دلاص (٢) ∴ وأسياف ورثناها عتادا

سنمحى الجوف مادامت "معين" (٣) ∴ بأسفله مقابلة عرادا

ونلحق من يزاحمنا عليه ∴ بأعراس اليمامة أو جرادا

نبيت مع التغالب حيث باتت (٥) ∴ ونجعل صمغ عرفطها زادا

وأثر الجاهلية واضح على القصيدة ألفاظا وتراكيب وأفكارا ، وواضح أيضا من نسب الشاعر أنه من قبيلة همدان وهى قبيلة يمنية معروفة الى اليوم ، وكان الشاعر مشهورا بفروسيته وشجاعته فى قبيلته وسائر القبائل العربية ، ولا سبيل الى انكار مثل هذه الأعلام البارزة ، ولا انكار ماتقوله من شعر ، ثم ان فى أعلام هذه الابيات مايبرهن عن يمنيتها فالجوف ومعين وعراد كلها مواضع يمنية معروفة .

وفى أحداثها مايؤكد ذلك .

(١) صفة جزيرة العرب للهمدانى ص ٣١٣ والأكليل ١ / ٨٨ .
(٢) الفضفاض الواسع من الثياب ، والدلاص الدرع اللين البراق الأملس .
(٣) معين ومراد موضعان معروفان فى اليمن .
(٤) اليمامة والجراد موضعان معروفان فى شمال الجزيرة العربية فى ديار بنى تميم .
(٥) العرفط نوع من النبات يشبه شجرة العضاة وهو شجر معروف .

ولم يذكر الهمدانى فى الأكليل ولا فى صفة الجزيرة مناسبة هذه الأبيات وانما أوردها بعد ذكر صاحبها مالك بن حريم فى " الأكليل " وشاهد على أعراض اليمامة وجبراد فى " صفة الجزيرة " .

وقد اختار له ابو تمام هذه المقطوعة التى تعد من عيون الشعر العربى والتى يقول فيها (١) :

أنبئت والأيام ذات تجارب ∴ وتبدى لك الأيام مالست تعلم

بأن ثراء المال ينفع ربه ∴ ويثنى عليه الحمد وهو مذمم

وأن قليل المال للمرء مفسد ∴ يهز كما هز القطيع المحرم (٢)

يرى درجات المجد لا يستطيعها ∴ ويقعد وسط القوم لا يتكلم

والأبيات ذات دلالة قوية على فحولة الشعر اليمنى فى الجاهلية وأنه لا فرق بينه وبين الشعر فى شمال الجزيرة العربية ، فبينهما لغة فنية مشتركة كما بينا .

= ٣ =

ومن فحول الشعراء اليمنيين فى الجاهلية عمرو بن معد يكرب الزبيدى (٣) من شعراء اليمن المعدودين وصاحب قصيدة :

ليس الجمال بمئزر ∴ فاعلم وان ردیت بردا

(١) شرح الحماسة للمرزوقى ٣/ ١١٧١ والتبريزى ٤/ ٣١ .

(٢) القطيع السوط والمحرم الخشن الصلب الذى لم يلن بعد ، يعنى أن الفقر يضع أهله .

(٣) جمع شعر عمرو مرتين مرة فى العراق ومرة فى الشام على ماسيأتى فى ترجمته .

وهى من أجود القصائد وأشهرها فى الشعر الجاهلى ، ومن جيد شعره فى الجاهلية أيضا قوله : (١)

ولما رأيت الخيل زورا كأنهـا ∴ جداول زرع أرسلت فاسبطـرت (٢)

فجاشت الى النفس أول مرة ∴ فردت على مكروهها فاستقـرت (٣)

علام تقول الرمح يثقل عاتقى ∴ اذا أنا لم أطعن اذا الخيل كرت

لعمـا الله جرماكلما ذر شـارق ∴ وجوه كلاب هارشت فازبـأرت (٤)

فلم تغن جرم نهدها اذ تلاقتا ∴ ولكن جرما فى اللقاء ابذعـرت (٥)

(١) شرح الحماسة للتبريزى ١ / ٤٤-٤٥ وخزانة الأدب للبغدادى ١ / ٤٢٢ ولم يزد على ما فى الحماسة ، وشعر عمرو لمطاع الطرابيشى ص ٥٢ .

(٢) الزور جمع أزور وهو مائل الزور من وقع الطعن يريد أن الفرسان قـد خلوا أعنة دوابهم وأرسلوها كأنها أنهار زرع أرسلت فاسبطـرت أى امتدت .

(٣) الفاء فى جاشت للترتيب وجواب لما فى هذا البيت الذى حذفه ابو تمام من قصيده عمرو وهو :

هتفت فجاءت من زبيد عصابة ∴ اذا طردت فاءت قريبا فكرت

وجاشت النفس بمعنى اضطربت من الفزع . واستقرت هدأت واطمأنت .

(٤) الشارق الشمس والهارشه الواثبة وازبأرت تهيأت للقتال .

(٥) جرم ونهد قبيلتان كانت جرم قتلت رجلا من بنى الحرث ثم تحولت الـى زبيد قوم عمرو فلما جاء بنو الحرث يطلبون دم صاحبهم عبأ لهم عمـرو فجعل جرما مقابل نهد ووقف هو قومه فى وجه بنى الحرث لكن جـرما انهزمت وتفرقت أمام نهد فهجاهم عمرو بهذه الأبيات .

وابذعرت : تفرقت وانهزمت .

ظللت كأنى للرماح دريـــة ∴ أقاتل عن أبناء جرم وفـــرت (١)

فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم ∴ نطقت ولكن الرماح أجـــرت (٢)

والقصيدة من القصائد المختارة فى الشعر الجاهلى وتحمل كل خصائصه مـن القوة والجزالة وغرابة الألفاظ وصدق التعبير والتصوير والفخر بالشجـــاعـــة والاقدام وهجاء الفارين والمتقهقرين فى الحرب ،وفى هجاء عمرو لأحلافـه مـن جرم مايجعل القصيدة مستعصية على التشكيك فقد عرفنا أن القائلين بعدم وجود شعر جاهلى صحيح يعتمدون على أن الشعر المنسوب الى شعراء يمنيين انمـا اخترع بعد الاسلام ليكون مفخرة من مفاخرهم وليس فى هذه القصيدة مايدل علـى ذلك .

= ٤ =

وللشاعر عمرو بن براقه الهمدانى ميمية مشهورة عند العرب يقول فيها : (٣)

اذا الليل أدجى واستقلت نجومه ∴ وصاح من الافراط هام جوائـم

ومال بأصحاب الكرى غلبـاتـــــه ∴ فانى على سر الوثيقة حـــازم

(١) دريئة : عرضة يأتينى الطعن من كل جانب والدريه فى الأصل مايحتمى به المحارب .

(٢) أجرت : من الاجرار وهو شق لسان الفصيل لئلا يرضع أمه ويجعل فيـه عويد أى أن فرارهم حبس لسانه عن مدحهم .
انظر شرح الحماسه للتبيرزى ١ / ٤٤-٤٥ وخزانة الأدب للبغدادى ١ / ٤٢٢ ولم يزد على ما فى الحماسه وقد أورد قطاع الطرميشى فى كتابه الذى جمع فيه شعر عمرو أحد عشر بيتا . انظر ص ٥٢ من " شعر عمرو بن معدى كـرب الزبيدى " وفيه شرح مبسط للأبيات المذكورة .

(٣) الاكليل ١٠ / ٢٤٩-٢٥٠ وصفة الجزيرة ص ٦١ وكلاهما للهمدانى والأغانى ٢١ / ١١٣ .

ومنها ..

وكنت اذا قوم غزونى غزوتهم .. فهل أنا فى ذا بالهمدان ظالم

تحالف أقوام على سفاهية .. وجروا على الحرب اذا أنا سالم

فلا أنا أدعى للهوادة بعدها .. تمال على الحرّ المذاكى الصلادم (١)

متى تجمع القلب الذكى وصارما .. وأنفا حميا تجتنبك المظالم

متى تجمع المال المنمى بالقنا .. تعش ماجدا أو تختبمك المغارم

الى آخر القصيده وهى من عيون الشعر العربى وتدل على فحولة الشاعر وجودة شعره وسمات المجتمع الجاهلى بادية عليها ، فالأنفة والحمية ورد العدوان بالظلم من سمات الشعر الجاهلى . كما قال زهير :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه .. يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم (٢)

وقد أورد الهمدانى أن مناسبة قصيدة عمرو هذه أن قوما من مراد أغاروا على ابل عمرو فاستاقوها فأراد الغاره عليهم فنهته قبيلته همدان عن انتهاك حرمة الشهر الحرام " رجب " ولكنه لم يستجب لهم فلج وأغار عليهم ونال حاجته منهم وقتل منهم وأسر وقال هذه القصيده عقب ذلك (٣) ،

والقصيدة مع مناسبتها واضحه الدلاله على يمنيتها ويمنية قائلها .

فأحداثها كلها تدور حول قبائل يمنية ،همدان ومراد ونحوها .

(١) الصلادم جمع صلدم وهو الأسد والصلب الشديد ،القاموس مادة (صلدم) .

(٢) شرح المعلقات للتبريزى ص ٢٣٨ .

(٣) الأكليل ١٠/٢٤٩ .

= ٥ =

وللشاعر الفارس اليمنى جعال بن عمرو قصيدة فخريه ، تعد من روائع شعر الفخر فى الشعر الجاهلى فى اليمن ذكرها الهمدانى فى الأكليل (١) وقدم لها بهذه المقدمه :

" قدمت اليه جذام فى حملات كانت بينهم وبين اخوانهم بنى عدى بن الحارث فقال : وكم بلغ ما جئتم تسألوننى ؟ قالوا : نسألك ألفى ناقه وأربعمائة ، فحمل لهم بها وقال هذه الأبيات :

لقت علمت أفناء قحطان أننا ∴ الينا يصير المجد فى كل مجمع

وأنا قبيل فى عصانا صلابة ∴ اذا زعزعت أحلامنا لم تزعزع

ويوم جذام قد كفيت عشيرتى ∴ حملت بألفى ناقة وبأربع (٢)

فلم يبلغوا جهدى ولكن حملتها ∴ على كاهل منى ذلول سوقع

بأكلبها سلمتها ورعاتها ∴ وذلك من كل بمرأى وبمسمع

ولو حملوا فى ضعفها لحملتها ∴ علىّ ولم أنكل ولم أتخشع

على أن نماذج الشعر اليمنى فى الجاهليه كثيرة وشعراء اليمن فى الجاهلية ايضا كثيرون وقد اكتفيت بأشهر النماذج وأبرز الشعراء .

(١) ١٠/ ٢٥٤ .

(٢) جذام قبيلة يمنية تنتسب الى جذام بن عدى بن الحارث ، وجذام لقبه واسمه " عمرو " كما فى الأكليل الموضع السابق ، ومعجم قبائل العرب لرضا كحاله ١/ ١٧٤ .

ومما يؤكد وجود الشعراء اليمنيين أن هؤلاء الشعراء كانوا قادة وسادة في قومهم فلم يكن من السهل اختراعهم أو نسبة أشعار اليهم ، ربما زيد في أشعارهم أو نسب اليهم شعر لم يقولوه ، اعتمادا على ماقالوه ، واشتهر عنهم ، من مثل هذه القصائد المشهورة ، التي أشرنا الى بعضها ، وهي من الجودة والقوة - كما قلنا - بحيث تجعل الشعر اليمني في مستوى الشعر العربي عامة .

أما اللغه فقد اشرنا من قبل الى أنّ اختلاف لهجات القبائل لا يمنع أبدا أن تكون هناك لغة فنية مشتركه بينها هي لغة المنابر والمجالس الخاصة كما نشاهد اليوم في الشعوب العربية فلكل بلد لهجته الخاصه به حتى أن بعض الشعوب العربية تجد صعوبة بالغه في التفاهم ولا سيما في اختلاف مسميات الأشياء من شعب لآخر . . . لكن ذلك الاختلاف لم يقف حاجزا دون وجود لغة فنية مشتركه .

فلغة الكتابة والخطابة والشعر لغة واحدة في كافة البلاد العربية كما نرى ذلك واضحا في وسائل الاعلام المسموعة والمقروءة والمرئيه وفي خطب الجمعة والمحاضرات العامة والمؤتمرات الرسمية وغيرها .

* * *

" عصر صدر الاسلام والدولة الأموية "

بدأ هذا العصر بدخول الاسلام الى اليمن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهى بانتهاء الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ فقد دخل الاسلام اليمن فى اعقاب حضارات ودول وتباعه وقصور وسدود وعروش . . الخ وما كاد الاسلام يستقر فى اليمن حتى ظهرت فتنة الأسود العنسى الذى ادعى النبوة ودعا الى الخروج عن الاسلام ، وفتن به أصحاب النفوس الضعيفة . فعلم الرسول صلى الله عليه وسلم بفتنته ، ودعا المسلمين الى مقاومته ، فقاومه المسلمون ، وانتصر الحق على الباطل ، وقضى المسلمون على الفتنة وظل الاسلام ، فى اليمن مرفوع الراية شامخ الجبين فى كل هذا التاريخ الطويل ، وكانت اليمن خلال ذلك مجتمعا متآلفا منضويا تحت لواء الخلافة الاسلامية فى المدينة ودمشق وبغداد ، وسيظل ان شاء الله جزءا من الوطن العربى والأمة الاسلامية .

وقد شارك اليمنيون فى هذه الفترات فى صناعة الأحداث فى تلك العواصم كما شاركوا فى الفتوحات الاسلامية وتوسيع رقعة الحكم الاسلامى فكان لهم آثار هامه فى الحياة العامة السياسية والدينية والأدبية والعلمية اذ عرف منهم القادة والساسة والمفكرون والعلماء والأدباء والشعراء .

واذا ما تتبعنا شعراء اليمن فى صدر الاسلام فسنجد أخبارهم وأشعارهم متناثرة هنا وهناك بين مختلف كتب الأدب والتراجم كالأغانى والأمالى

والعيوان وخزانة الأدب والشعر والشعراء والبيان والتبيين والعقد الفريد ومعجم الأدباء والاصابه وغيرها .

وسأكتفى هنا أيضا بالمشهورين من الشعراء وبعض النماذج الشعرية الدالة على قوة الشعر وفحولة الشعراء اليمنيين فى هذا العصر .

فمن مشاهير شعراء اليمن فى صدر الاسلام حتى نهاية الدولة الأموية : عمرو بن معدى كرب الزبيدى بعد ان أسلم وحسن اسلامه ، فروة بن مسيك ، قيس بن المكشوح ، ابراهيم بن كثير الشبابى ، اعشى همدان ، وضاح اليمن ، يزيد بن المغرغ الحميرى . الأشتر النخعى ، وغيرهم .

ولم يكن هؤلاء الشعراء بأقل شعرا ولا شهرة من سائر الشعراء العرب فى الجزيرة والشام والعراق سواء من عاش منهم داخل اليمن ، أو من هاجر الى العواصم الكبرى ومراكز النفوذ آنذاك ، ومن أبرز هؤلاء الشعراء كما قلنا :

= ١ =

عمرو بن معدى كرب الزبيدى ، وقد تقدم أنه من فحول الشعراء فى الجاهلية وهو كذلك من شعراء الاسلام المعدودين .

ولعل من أشهر ماروى له من شعر اسلامى هذه الأبيات التى قالها يصف صبره وجلده فى الحرب :(١)

(١) العقد الفريد ١/ ١٢٠ والأغانى ١٥/ ٢٢٦ مع اختلاف فى ترتيب الأبيات واختلاف فى بعض ألفاظها ، وشعر عمرو ص ٩٧ .

أعاذل عدتى بزى ورمحى .·. وكل مقلص سلس القياد (١)

أعاذل انما أفنى شبابى .·. اجابتى الصريخ الى المنادى

مع الأبطال حتى سل جسمى .·. وأقرح عاتقى حمل النجاد (٢)

ويبقى بعد حلم القوم حلمى .·. ويغنى قبل زاد القوم زادى

ومن عجب عجبت له حديث .·. بديع ليس من بدع السداد

وسيف من لدن كنعان عندى .·. تخير نصله من عهد عاد

فلو لاقيتنى للقيت ليثا .·. هصورا ذا ظبا وشبا حداد

ولا ستيقنت أن الموت حق .·. وصرح شحم قلبك عن سواد

أريد حياته ويريد قتلى .·. عذيرك من خليلك من مراد

وقال عقب معركة القادسية (٣) :

والقادسية حين زاحم رستم كنا الحماة بهن كالأشطان

الضاربين بكل أبيض مخدم .·. والطاعنين مجامع الأضغان

وبالمقارنه بين هذين النصين والنص الباهلى السابق تتضح لنا السلاسة والرقه التى امتاز بها الشعر فى العصر الاسلامى ، وكان هذا شأن الشعراء العرب فى هذا العصر باستثناء الفرزدق الذى كان ينحت من صخر كما يقولون .

(١) المقلص الفرس الطويل القوائم .

(٢) أقرح : أثقل .

(٣) ذيل الأمالى لأبى على القالى ص ١٤٦ وقد أورد القصيدة كاملة هناك ، وشعر عمرو بن معدى كرب تحقيق مطاع الطرابيشى ص ١٦٢ .

وهناك نصوص أخرى لهذا الشعر أكثر قوة ودلالة على المعـــانـــى الاسلامية التى أحدثها القرآن ورسختها الفتوحات الاسلامية المتوالية منها هذه الأبيات : (١)

فاتنـــا بدر وأحـــــد ∴ وشهدنـا القادسيـــة

فاثبتوا للقوم ضـــربـــا ∴ بسيـــوف حـارثيـــة

وارشقـوا للقـــومرشقـــا ∴ بسهـــام فـــارسيـــة

وحملوا حمـــلا وشيكـــا ∴ ثـم شيلـــوا المرهفيـه

واخطبوا الحور الـى اللـه ∴ بقتـال القـادسيـــة

كى تنالـوا الفـوز قدما ∴ فـــى غـدو وعشيـــة

فبدر وأحد والقادسية والحث على الثبات والحور العين معان اسلاميـة من تأثير القرآن ودعوته الى الجهاد .

ومن أشهر وأجزل شعر صدر الاسلام هذه المقطوعة التى اختـــارهـــا أبو تمام فى حماسته ،وهى للشاعر ابراهيم بن كنيف الشهـابى والتى يقـول فيها : (٢)

(١) شعر عمرو بن معدى كرب ص ١٨٠ لمطاع الطرابيشى .

(٢) حماسة أبى تمام شرح التبريزى ١/ ٨٨ ،وهو فيه النهبانى بـدلا من الشهابى وهذا تصحيف فقد ذكره الهمدانى فى الجزء الأول من الأكليل ص ٤٦١ وهو يتحدث عن بنى شهاب الذى ينسب اليهـــم هذا الشاعر وسماه الشهابى كما سيأتى .

تعزّ فان الصبر بالحر أجمل ∴ وليس على ريب الزمان معول

فلو كان يغنى أن يرى المرء جازعا ∴ لحادثة أو كان يغنى التذلل

لكان التعزى عند كل مصيبة ∴ وناثبة بالحر أولى وأجمل

فكيف وكل ليس يعدو حماسه ∴ وما لامرئ عما قضى الله مزحل (١)

فان تكن الأيام فينا تبدلت ∴ ببؤسى ونعمى والحوادث تفعل

فما لينت منا قناة صليبة ∴ ولا ذللتنا للتى ليس تجمل (٢)

ولكن رحلناها نفوسا كريمة ∴ تحمل مالا يستطاع فتحمل

وقينا بحسن الصبر منا نفوسنا ∴ فصحت لنا الأعراض والناس هزل

وفى هذه الأبيات من الجزالة والقوة مايجعل صاحبها فى مصاف كبار الشعراء فى العصر الاسلامى الأول ، وقد جرى البيت الأول مجرى المثل وهو بيت سائر على الألسنه مثله مثل أبيات قليلة لجرير والفرزدق وغيرهما من الشعراء الأعلام .

والأبيات تدل على أن حظ اليمن من الشعر فى العصر الاسلامى لم يكن قليلا ولا ضعيفا .

* *

(١) المزحل ، البعد من رحل عن مكانه اذا تباعد عنه أى لا يتجاوز أحد ماقدره الله عليه .

(٢) قناه صليبه أى صلبه وهى كناية عن العزه والمنعه .

= ٣ =

ومن النماذج الجيدة فى هذا العصر هذه الأبيات للشاعر قيس بن المكشوح المرادى والتى قالها فى معركة القادسية مفتخرا بعد أن قتل رستما قائد الفرس العنيد فقال قيس مصورا ذلك الحدث :

جلبت الخيل من صنعا تسردى ∴ بكل مدجج كالليث سامى

الى وادى القرى فديار كلب ∴ الى اليرموك فالبلد الشآمى (١)

وجئنا القادسية بعد شهر ∴ مسومة دوابرها دوامى

فناهضنا هنالك جمع كسرى ∴ وأبناء المرازبة الكرام

فلما أن رأيت الخيل جالت ∴ قصدت لموقف الملك الهمام

فأضرب رأسه فهوى صريعا ∴ بسيف لا أفل ولا كهام

وقد أبلى الاله هناك خيرا ∴ وفعل الخير عند الله نامى

فهنا شعر اسلامى جيد فى ألفاظه ومعانيه وهو لا يقل فى صوره عن شعر حسان وغيره من شعراء صدر الاسلام ،وان يكن فيه شىء من الافتخار بالنفس فذلك مالم يسلم منه أحد من الشعراء ،اللهم الا شعراء الصحابة الذين تربوا تربية خاصة على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،كحسان وكعب وابن رواحه رضوان الله عليهم .

(١) واد بين المدينة والشام كثير القرى فتحه النبى صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر ،وديار كلب موضع فى شمال الجزيرة .

وقد رسم الشاعر فى الأبيات الثلاثة الأولى خريطة للفتوحات الاسلامية فى عهدى أبى بكر وعمر والتى شارك فيها اليمنيون مشاركة فعاله .

= ٤ =

وفى العصر الأموى نبغ شاعر فحل من شعراء اليمن هو الشاعر عبد الرحمن ابن عبد الله المعروف " بأعشى همدان " وروائعه الشعريه كثيرة نختار منها هذه الأبيات الاستطافيه التى قالها يهنئ فيها فتوحات الحجاج ويشيد بانتصاراته ، وفيها يقول : (١)

أبى الله الا أن يتم نوره ∴ ويطفئ نار الفاسقين فتخمدا
وينزل ذلا بالعراق وأهله ∴ كما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا
وما نكثوا من بيعة بعد بيعة ∴ اذا ضمنوها اليوم خاسوا بها غدا
وما أحدثوا من بدعة وعظيمة ∴ من القول لم تصعد من الله مصعدا
وما زاحف الحجاج الا رأيته ∴ معانا ملقى للفتوح معودا
ليهن أمير المؤمنين ظهوره ∴ على أمة كانوا بغاة وحسدا

لكن ذنب الشاعر كان عظيما عند الحجاج وهو انضمامه الى خصمه اللدود عبد الرحمن بن الأشعث زعيم الخوارج ، لذا لم يمهله أن ضرب عنقه .

والقصيدة من أبرز النماذج الشعريه فى العصر الأموى رقة ألفاظ وسلاسة أسلوب ، ووضوح معان ، وأثر القرآن واضح فى ألفاظ القصيدة وتراكيبها " أن يتم نوره .. والفاسقين ، و " نقضوا العهد الوثيق " و" نكثوا من بيعة " وبغاة " وحسدا " وهكذا .

(١) الأغانى ٦/ ٦٠ .

= ٥ =

ومن فحول الشعراء فى هذا العصر - اعنى العصر الأموى - الشاعر يزيد بن ربيعة المعروف بابن المفرغ الحميرى وأكثر شعره فى الهجاء ومن شعره فى معاوية هذه الأبيات السارية : (١)

ألا أبلغ معاوية بن صخر ∴ مغلغلة من الرجل اليمانى

أتغضب أن يقال أبوك عف ∴ وترضى أن يقال أبوك زانى

وأشهد أن رحمك من زياد ∴ كرحم الفيل من ولد الأتان

فابن المفرغ شاعر مطبوع ذو د يباجة جاهلية لكنها مشرقه بعيده عن غرابة الألفاظ متسمة بالفصاحة والجزالة والسهولة فى معظم شعره .

وفى غزله يميل الى الألفاظ الأكثر رقة وعذوبة كما فى قوله : (٢)

سما برق الجمانة فاستطارا ∴ لعل البرق ذاك يحور نارا

قعدت له العشاء فهاج شوقى ∴ وذكرنى المنازل والديارا

فلم أملك دموع العين منى ∴ ولا النفس التى جاشت مرارا

الى آخر القصيدة وهو فى غزله يغرف من بحر كما قالوا فى جرير .

ومن أجود شعره وأشهره هذه الأبيات التى يتأوه فيها على فراقه سعيد بن عثمان بن عفان والى معاوية على خرسان واتباعه لعباد بن زياد والى سجستان ،وعباد هذا هو أخو عبيدالله بن زياد بن أبيه والى العراق من قبل معاوية .

(١) ديوان ابن المفرغ ص ٢٣٠ تحقيق د . عبد القدوس أبوصالح وأنظر أيضا الأغانى ١٧/ ٥٧ مطبعة التقدم بمصر .

(٢) ديوان الشاعر ص ١٣١

تقول الأبيات حاكية مدى ما بلغه التقاطع والجفا بين ابن المفرغ وعباد[1] :

أصرمت حبلك من أساءه ∴ من بعد أيام براءه[2]

لهفى على الرأى الذى ∴ كانت عواقبه ندامه

تركى سعيدا ذا الندى ∴ والبيت ترفعه الدعامه[3]

وتبعت عبد بنى علا ∴ ج تلك أشراط القيامه[4]

وشربت بردا ليتنى ∴ من بعد برد كنت هامه[5]

هامة تدعو صدى ∴ بين المشقر واليمامه[6]

العبد يقرع بالعصا ∴ والحر تكفيه الملامه

والريح تبكى شجوها ∴ والبرق يلمع فى الغمامه[7]

ورمقتها فوجدتها ∴ كالضلع ليس له استقامه[8]

(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٢/٦٨٨ ت/ الأستاذ محمود محمد شاكر ، وديوان ابن المفرغ ص ٢٠٧ ت / د . عبد القدوس ابوصالح .

(٢) رامه : موضع فى ديار بنى تميم بين البصره ومكه .

(٣) يعنى سعيد بن عثمان والبيت تعريض بعباد بن زياد أنه لا عماد له .

(٤) تعريض آخر ينسب عباد من ناحية جدته أم أبيه واسمها سميه وكانت جاريه لكسرى أهداها الى أحد ملوك اليمن وهو بدوره أهداها الى طبيب العرب بعد أن عالجه وكان من بنى علاج بن سلمه .

(٥) الهامه طير كانوا يزعمون أن أرواح الموتى تصير مثله فتطير .

(٦) المشقر حصن كان بين نجران والبحرين ، واليمامه من ديار نجد معروفه الى اليوم .

(٧) لمعان البرق فى الغمامه أراد به بكاء السماء على فقده بردا وادراكه هول مانزل به .

(٨) هذا البيت ليس مرتبطا بما قبله ولعل هناك أبياتا محذوفه بينه وبين ماقبله وهذه التفسيرات مأخوذه من هوامش طبقات فحول الشعراء ٢/٦٨٨ وما بعدها .

وتعد هذه الأبيات من أجود قصائد الهجاء في هذا العصر قوة في التأثير وبعدا عن التكلف والغرابه ،ولابن المغرغ شعر جيد ولهذا عده ابن سلام في طبقاته من شعراء الطبقه السابعه الاسلامية .

قال ابن قتيبه وهي من أجود شعره .(١)

والقصيده هجاء مقذع لآل زياد وله في هجائهم قصائد كثره ،ولهذا نكّل به عبيد الله بن زياد بعد أن أستأذن فيه معاويه ،وقيل أرسله الى أخيه عباد في سجستان وقيل غير ذلك .(٢)

ولا غرابة أن نرى مثل هذا الهجاء الفاحش عند شعراء اليمن فقد كاد الهجاء أن يكون سمة بارزة من سمات الشعر في العصر الأموي ، فقد عاد الى ماكان عليه في العصر الجاهلي وربما أشد حدة .

ولا فرق في ذلك بين شعراء شمال الجزيرة وجنوبها ،وما نقائض الفرزدق وجرير عنا ببعيد .

= ٦ =

ومن مشاهير الشعراء اليمنيين في العصر الأموي الشاعر الغزلي عبد الرحمن بن اسماعيل المعروف بوضاح اليمن .

(١) الشعر والشعراء ص ٢١١ .

(٢) انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٢/ ٦٩٠ ومابعدها .

فكما كان للفخر والهجاء راية وشعراء ، كان كذلك للغزل راية وشعراء وقد اشتهر من شعراء الغزل فى الحجاز عمر بن ربيعة (١) ، والأحوص (٢) ، والعرجى (٣) وغيرهم . وقد شجع على ذلك تهاون الخلفاء الأمويين عن معاقبة مثل هؤلاء الشعراء .

ولم يخل شعر اليمن من هذا النوع من الشعر الذى يشبه ما يسمى اليوم بالأدب المكشوف .

فقد اشتهر من شعراء اليمن فى هذا المجال الشاعر " وضاح اليمن " وسبقت الاشارة الى حديث الدكتور طه حسين حول " وضاح " والذى اعتبره فيه شخصيه وهمية ، وقلنا ان الدكتور قد جانبه الصواب فى بعض ملابسات القضية .

والحق أن وضاحا شخصية حقيقيه ثابته لا يرقى اليها الشك لأنه عاش فى العصر الاسلامى مثله مثل الفرزدق وجرير والحطيئه وأضرابهم .

والقضية التى يمكن أن يتطرق اليها الشك هى أخبار وضاح التى روتها كتب تاريخ الأدب ، فهذه الأخبار هى التى تحتاج الى تمحيص ، فربما

(١) الأحوص هو عبدالله بن محمد الأوسى من أهل المدينة كان من المتفحشين فى الغزل .

(٢) العرجى هو عبد الله بن عمر بن عمر بن عثمان لقب العرجى لسكناه قرية العرج قرب الطائف شاعر غزلى مطبوع .

(٣) وهذا النوع من الغزل يختلف عن الغزل العذرى المعروف فى هذا العصر أيضا فلكل من النوعين شعراؤه وأساليبه وطريقته وألفاظه .

داخلتها بعض الأساطير والمبالغات ، ولا سيما قصته المشهوره مع أم البنيين بنت عبد العزيز بن مروان زوج الخليفه الوليد ، فالمعروف عنها أنها من فضليات النساء ، ولهذا قال أبو الفرج اثناء حديثه عن هذه القصة " انها مصنوعة وضعها الشعوبيون " (١) ولم يشر مثل هذه الاشارة الى بقية أخبار " وضاح " التى أوردها فى الأغانى .

ثم اننا نتساءل أى عيب على اليمانيه ألا يكون فيهم شاعر غزل حتى يضطروا الى اختراع شخصية غزلية وهمية مثل وضاح كما يدعى الدكتور طه حسين (٢) .

ولوضاح غزليات كثيرة لعل أشهرها القصيده الحواريه التى يخاطب بها محبوبته روضه والتى منها (٣) :

يا روض جيرانكم الباكر .·. فالقلب لا لاه ولا صابر

قالت الا لا تلجن دارنا .·. ان أبنا رجل عائر

والتى تعتبر من أوائل المحاولات الناجحه فى الشعر التمثيلى الذى لم يعرف الشعر العربى كثيرا من نماذجه .

(١) أنظر الأغانى ٦/٢٢٤ .

(٢) انظر حديث الأربعاء ١/٢٣٥ .

(٣) الأغانى ٦/٢١٦ .

تمهيد تاريخي سريع لتاريخ اليمن ودولة منذ بداية العصر العباسي حتى بداية العصر الحديث :

في الفترة التي أعقبت العصر الأموي تعاقبت على اليمن العديد من الدول فلم تمض سوى فترة قصيره على حكم العباسيين حتى استقل الزياديون سنة ٢٠٥ بالحكم وأقاموا دولة سميت باسمهم استمرت نحوا من ٢٠٠ سنة وكانت في زبيد .

وفي سنة ٢٢٥ قامت دولة اليعفرين في صنعاء وبعض المناطق الأخرى واستمرت حوالي ١٤٠ سنة .

بينما كانت صعده وبعض المناطق الشمالية في البلاد خاضعه لحكم الأئمة الذين بدأهم الأمام الهادي - يحيى بن الحسين واستمروا في صراع دائم مع جميع الدول التي حكمت اليمن واتخذت صنعاء عاصمة لها وقد دام حكمهم ما يربوا على ألف سنه انتهت بقيام الجمهورية سنة ١٣٨١هـ ١٩٦٢م

وقد قامت حركة القرامطه الباطنيين في أواخر القرن الثالث ابان حكم اليعفرين واحتلت معظم مناطق اليمن - ماعدا المناطق التي كان يحكمها الأئمة - وعاثت في الأرض الفساد بقيادة علي بن الفضل القرمطي ، وانتهت هذه الحركة سنة ٣٠٣ هـ ، وقد أعقب اليعفرين على صنعاء دولة الصليحين

التى تعد امتدادا لدولة الصليحيين الفاطمية فى مصر ، وامتد تاريخ هذه الدولة حوالى ٧٠ سنة حكمت خلالها مناطق صنعاء واب وتعز ومناطق أخرى من اليمن .(١)

وكانت زبيد فى أثنائها محكومة من قبل بنى نجاح الدولة الناشئة التى اعقبت آل زياد وقد كان بنو نجاح موالى لآل زياد فلما انقرضت دولتهم خلفهم بنو نجاح واستمروا فى السيطرة على زبيد ونواحيها ما يزيد على قرن ونصف ، خاضوا خلالها عددا من المعارك والحروب مع الصليحيين الذين امتد سلطانهم الى عدن ، وكانوا يحكمونها بواسطة بنى زريع بعد أن طردوا منها بنى معن ثم استولى بنو حاتم على صنعاء واستولى بنو مهدى على زبيد فأزالوا حكم الصليحيين وبنى نجاح واستمروا فى الحكم حتى جاء الأيوبيون سنة ٥٦٩ هـ واستولوا على اليمن وأزالوا جميع الدويلات القائمة فيها ، وحكموها بقيادة توران شاه أخى صلاح الدين الأيوبى ، وظل الأيوبيون على اليمن الى سنة ٦٢٦ هـ .

(١) كان الصليحيون فى الأصل سنة ينتسبون الى المذهب الشافعى غير أن سليمان بن عبد الله الزواحى آخر دعاة الاسماعيليه والذى كان شيخا لعلى محمد الصليحى مؤسس الدولة الصليحية قد أثر فى عقيدته فأوصاه قبل موته أن يكون خليفته فى القيام بأمر الدعوة الفاطمية ، وقد قام بذلك خير قيام .

انظر اليمن عبر التاريخ لشرف الدين ص ١٩٨ .

وعلى اثر الأيوبيين قامت دولة الرسوليين الذين ينسبون الى محمد بن هارون أحد وزراء الأيوبيين فى مصر وأول سلاطينهم على اليمن هو نور الدين عمر بن على بن رسول مؤسس الدولة الرسولية فى تعز ،وقد حكمت هذه الدولة معظم مناطق اليمن باستثناء المناطق الشمالية التى كانت خاضعة لنفوذ الأئمة على امتداد التاريخ العباسى والعصور التالية له كما أسلفت.

ودامت دولة الرسوليين نحوا من (٢٠٠) سنة ،ثم خلفهم آل طاهر الذين كانوا عمالا للرسوليين على عدن ثم خرجوا عليهم واحتلوا زبيدا ثم صنعاء وبقية المناطق . ودام حكمهم حوالى ٨٠ سنة ،كان بينهم وبين الأئمة كثير من الحروب والمناوشات .

ولم يتمكن الأئمة من السيطرة على اليمن كاملة خلال هذه الفترات كلها رغم مابذلوا من جهد وماقدموا من تضحيات فلم يكد ينتهى حكم آل طاهر من اليمن حتى جاءت القوات العثمانية التى استولت على اليمن فى فترات متقطعه كانت خلالها فى صراع مستمر مع الأئمة بدأ فى منتصف القرن العاشر الهجرى ولم ينته الا بخروج الأتراك عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩١٨ م .

وهنا استقل الأئمة بحكم اليمن فترة قصيره انتهت سنة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م بقيام ثورة سبتمبر .

ومن خلال هذا الموجز التاريخى العام يتضح لنا أن الكثيرمن هذه الدويلات التى حكمت اليمن كانت مستقلة تماما عن دولة الخلافة القائمة

سواء فى العراق أو مصر أو تركيا ،والقليل منها كان خاضعا لواحدة من تلك الدول كالأيوبيين الذين كانوا جزءا من الخلافة الأيوبية فى مصر

والآن سوف نحاول كشف النقاب عن حال الشعر فى كل هذه الدول والعصور التى اختلفت قوة وضعفا ،وذلك من خلال اعلام الشعراء المشهورين ونماذجهم الشعرية التى سنسوقها فى هذه الدراسة الأدبية الموجزة فى هذا التمهيد .

١ - العباسيون ١٣٢ - ٢٠٥ هـ

قلنا ان حكم العباسين لم يستمر طويلا فى اليمن فقد استقل الزياديون بحكم اليمن بعد سبعين سنة تقريبا من قيام الدولة العباسية فى بغداد سنة ١٣٢ هـ .

ومع ذلك فقد كان هناك مجموعة من شعراء اليمن اشتهروا فى هذه الفترة نذكر منهم على سبيل المثال :

١ - يحى بن زياد الحارثى .

٢ - السيد الحميرى .

٣ - أبو السمط الفيروزى .

٤ - محمد بن أبان الخنفرى .

٥ - بكر بن مرداس ...

وغيرهم

(٤٠)

= ١ =

ومن النماذج الشعرية الجيدة لشعراء اليمن فى هذه الفترة ، هـــذه المقطوعه للشاعر يحى بن زياد الحارثى : (١)

نعا ناعيا عمرو بليل فأسمعـــا ∴ فرعا فؤادا لا يـــزال مـــروعـــا

ومادنس الثوب الذى زودوكه ∴ وان خانه ريب الهلى فتقطعـــا

دفعنا بك الأيام حتى اذا أتت ∴ تريدك لم تستطع لها عنك مدفعا

مضى فمضت عنى به كـــل لـــذة ∴ تقرّ بها عيناى فانقطعـــا معـــا

مضى صاحبى واستقبل الدهر مصرعى ∴ ولا بـــدّ أن ألقى حماى فأصرعا

والأبيات من أحسن ماقيل فى الرثاء رقة فى الألفاظ وصدقا فى المعانى وسلاسة فى الأسلوب وقوة فى التعبير .

وقد أحسن أبو تمام فى اختياره هذه المقطوعه فى حماسته فهـــذه الرصانة الشعريه ، والأسلوب المتدفق لا يمتلكهما الا شاعر فحل .

= ٢ =

ومن شعراء اليمن البارزين والمشهورين فى هذه الفترة كما قلنا الشاعر السيد الحميرى القائل مفتخرا بحميريته :

(١) شرح ديوان الحماسه للتبريزى ١/٣٥٦ .
والمرزوقى ٢/٨٦٠ .
ولم يذكر أى منهما مناسبة الأبيات ولا فيمـــن قيلت ، وستأتى ترجمة الشاعر فى ملحق التراجم ان شاء الله .

انى امرؤ حميرى غير مؤتشب ∴ جدى رعين وأخوالى ذوو يزنى

كان من أباضية الخوارج ثم تشيع لآل علىّ وله فيهم قصائد كثيرة ،وقد تغالى فى هذا التشيع حتى أنه ليرى أن الأئمة من قريش أربعة فقط هم على والحسن والحسين ومحمد بن الحنفية . كما يعتقد أيضا "بالرجعه "أى بعودة محمد بن الحنفية لأن غلاة الشيعة يزعمون أنه لا زال حيا ولم يذق طعم الموت وأنه سيعود فى جيش لجب وسيملأ الأرض عدلا بعد أن ملأت جورا .

وقد سجل آراءه تلك فى قصيدته الهمزية التى منها هذه الأبيات : (١)

ألا ان الأئمة من قريش ∴ ولاة الحق أربعة سواء

علىّ والثلاثة من بنيه ∴ هم أسباطه والأوصياء

فسبط سبط ايمان وحلم ∴ وسبط غيبته كربلاء

وسبط لا يذوق الموت حتى ∴ يقود الخيل يقدمها اللواء

وأكثر شعره فى بنى هاشم الا أنه ممزوج بغلو قبيح فى التشيع ،

وقد أطال صاحب الأغانى فى ذكر أخباره وأشعاره وقال عنه : "أنه كان شاعرا متقدما مطبوعا ،يقال : ان اكثر الناس شعرا فى الجاهلية والاسلام ثلاثه بشار وأبو العتاهيه والسيد " . (٢)

(١) ديوان السيد الحميرى ص ٥١ تحقيق شاكر هادى ط دار مكتبة الحياة بيروت ، والأغانى ٧/٢٤٥ .

(٢) الأغانى ٧/٢٢٩ .

وقال أيضا :

" وانما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب الصحابة وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم . . . وله طراز من الشعر ومذهب قلما يلحق فيه أو يقاربه "(١) .

ويقول الدكتور شوقى ضيف : " كان لشعره جزالة وعذوبة مع الرونق والحلاوة "(٢) .

= ٣ =

ويلحق بشعراء العصر العباسى فى اليمن الشاعر بكر بن مرداس فقد ذكر الهمدانى أن جماعة من الحجاج اليمنيين رأوا أبا نواس وهو يطوف بالبيت الحرام تحيط به جماعة من رفاقه فسألوا عنه فقيل لهم : الحسن بن هانى فسلموا عليه وأخبروه بنفاق أشعاره وأخباره بصنعا ، وطلبوا منه شيئا من أشعاره فقال لهم أتطلبونى مثل هذا وعندكم بكر بن مرداس فقالوا وانه عندك بهذه المنزله ؟ قال ابو نواس : أما هو القائل :(٣)

ياأخوتى ان الطبيب الذى . . ترجون أن يبرئنى سقمى
وما ألى نصحا ولكنه ∴ عن علم مابى من سقام عمى
فسائلوه عن عقاقيره ∴ وسائلوه مالذى احتمى
فانما الطب لمن داؤه ∴ من مرّة أو بلغم أو دم
والحب لا يشفى بابارج ∴ ولا بتمريا ق ولا محجم(٤)

(١) المصدر نفسه ص ٢٢٩-٢٣٠ .
(٢) شوقى ضيف العصر العباسى الأول ص ٣١٤ .
(٣) الهمدانى صفة جزيرة العرب ص ٨٤ - ٨٥ .
(٤) الأبارج معجون مسهل .

الى آخر الأبيات التى ذكرها الهمدانى وهى مقطوعة غزليه رقيقه تعد من عيون الشعر العربى فى بابها بشهادة أبى نواس .

٢ - اليعفريون من سنة ٢٥٥ - ٣٩٣ هـ

وقد برز من الشعراء فى هذا العصر أعداد كثيره فكان منهم المجيد ومنهم دون ذلك ،وكان هناك شعر بلغ القمة فى جودته فطار الى الآفاق وهناك شعر ظل يدور حول نفسه لم تتجاز شهرته منطقة قائله ،وهذه نماذج قليله أكتفى بها للبرهنة على جودة الشعر وقوته فى هذا العصر وهى قليل من كثير من شعر اللا معين فى ظل هذه الدولة التى حكمت اليمن فى هذه الفترة الزمنية التى لا تتجاوز المئتى سنة كما ذكرنا ،لمع خلالها من الشعراء :

عبد الخالق بن أبى الطلح ،الحسن بن احمد الهمدانى ، أبو بكر محمد ابن أقنونه ،ابراهيم بن الجدويه ،ابراهيم بن قيس الحضرمى ، وغيرهم كثير ، وسأكتفى هنا بذكر ثلاث مقطوعات لثلاثة من هؤلاء الشعراء المبرزين هم عبد الخالق ،والهمدانى ،وابراهيم بن جدويه :

= ١ =

فمن شعر ابن أبى الطلح نقتطع هذه الأبيات التى قالها فى المشيب والشباب من قصيده طويله خاطب بها محمد بن يعفر الحوالى .

وهذه هي الأبيات :[1]

عيرتني بالشيب لما رأتني ∴ أم عمرو والشيب ليس بعار

قالت : أربع فقد عداك عن اللهمو وأيامه عليك القصار

واضح اللون في المفارق كالبرسن شنني الى الفتاة النوار[2]

ولقد قالت : الخليل سليمى ∴ ذاك من قبلها وكنت أماري

وأقول الشباب جار مقيم ∴ داره ما بقيت دار قرار

فاذا نضرة الشباب كشيء ∴ رده المستعير للمستعار

واذا الشيب والشباب رداءا ∴ ن معار مؤدى وغير معار

غير أني اذا الهموم اعترتني ∴ لم تجدني الهموم بالخوار

والقصيدة من أجود ما قيل في الشيب من شعر وأسلوبها واضح وبعيد عن غرابة الألفاظ أو التعقيد المعنوي ، وكان هذا الوضوح هو طابع معظم الشعر العباسي ، وكان شعراء العصر العباسي مغرمين باضفاء طابع الوقار والجمال على المشيب فالمتنبي مثلا يقول :

خلقت ألوفا لو رجعت الى الصبا ∴ لفارقت شيبي موجع القلب باكيا[3]

فلم يتنكر الشعر العباسي للشيب كما تنكر له الشعر في العصور السابقة وقد طرق الشعراء اليمنيون هذا الموضوع كما طرقه غيرهم .

(١) الأكليل للهمداني ١ / ٣٨٣ والقصيدة طويله وقد ذكرها الهمداني بكاملها .

(٢) البرسن : القطن ، شنني بغيض ، والنوار المرأة النفور من الريبة .

(٣) ديوان المتنبي ص ٤٤٢ .

والأبيات تدل على أن وراءها شاعرا فحلا . قال الهمدانى فى صفة جزيرة العرب " كان الشهابى مطبوعا مفوها مفلقا "[1] وقد أثبت الهمدانى أيضا بعض قصائده فى الجزء الأول من الأكليل[2] .

= ٢ =

كما كان من نوابغ هذا العصر وشعرائه البارزين الشاعر العالم المؤرخ الحسن بن احمد بن يعقوب الهمدانى ، شاعر قحطان ، وقصيدته "الدامغة" مشهوره وذائعة الصيت ومطلعها :

ألا يادار لولا تنطقينا ∴ فانا سائلوك فخبرينا

وهى من قصائد الفخر الشهيرة ومنها يناقش موضوع افتخار العدانيين بالنبى صلى الله عليه وسلم فيقول مخاطبا قريشا[3] :

فلما أن أراد الله خيرا ∴ بكم بعث "ابن آمنة" الأمينا[4]

يعلمكم كتابا لم تكونوا ∴ له من قبل ذلك قارئينا

ويخبركم عن الرحمن مالم ∴ تكونوا للجهالة تعقلونا

فأظهرتم له الأضغان منكم ∴ وكنتم من حجاه ساخرينا

(١) ص ٨٦ .

(٢) ص ٣٨٢ ومابعدها بعد أن ذكر أنساب بنى شهاب وأخبارهم وقد ذكر له ثلاث قصائد بكاملها .

(٣) قصيده الدامغة للهمدانى تحقيق محمد على الأكوع ص ٢٩٥ ومابعدها .

(٤) رقم البيت فى الدامغه ٢٨٥ والأبيات التاليه حسب التسلسل .

وقد أوسمتموه من أذاة ∴ فأمحلتم بدعوته سنينا (١)

فلما أن حكيتم قوم " نوح " ∴ دعانا فاستجبنا أجمعينا (٢)

وكان " المصطفى " بأبي وأمي ∴ فأفخر .. مفخرا للآدمينا (٣)

ولم يك فى " معد " له نظير ∴ ولا قحطان غير مجمجمينا (٤) (٥)

فما قد جهلتم لم تكونوا ∴ لما أعطيتموه آخذينا

وناصره ذوو الألباب منا ∴ وأقبلنا اليه مبادرينا

فهذا مقطع من القصيدة التاريخية " الدامغه " التى يزيد عدد أبياتها على (٦٠٠) بيت ناقش فيها الهمدانى مختلف الموضوعات التاريخية ولهذا يطلق عليها بعض الأدباء اسم " الملحمه " واذا صحت هذه التسمية فهى من الملاحم الجيده فى الشعر العربى .

على أن هذه القصيده ستظل مفخرة الشعراء اليمنيين ودليلا على براعة الشاعر اليمنى واتقانه وتجويده .

وفى الأبيات التى بين أيدينا من وضوح المعانى وجودة الصياغة وعذوبة الألفاظ وقوة التعبير ما يجعلها فى غنى عن الشرح أو التعليق .

(١) رقم البيت فى الدامغة ٢٩١ .

(٢) " " " " " ٣٠٠ .

(٣) " " " " " ٣٠٤ . والأبيات التاليه حسب التسلسل .

(٤) معد هو بن عدنان واليه تنسب القبائل العربية فى الشمال ، وقحطان ابن عامر ينتهى نسبه الى سام بن نوح واليه تنسب قبائل حمير وكهلان والتبابعه ملوك اليمن وجنوب الجزيرة .

(٥) مجمجمينا من جمجم اذا لم يبن فى الكلام .

= ٣ =

ونختم نماذج هذا العصر بأبيات لواحد من أشهر شعراء صنعاء هو الشاعر ابراهيم بن الجدويه ، شاعر له شهرته ومكانته المرموقه بين شعراء اليمن فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، عاصر الهمدانى وذكره الهمدانى فى كتبه وقال عنه " انه شاعر مطبوع " (١) كما سيأتى فى ترجمته ، وروى له كثيرا من الأشعار فى كتابه الأكليل .

ففى الجزء الأول منه نجد هذه الأبيات (٢) :

تعاتبنى حسينة فى مقامى ∴ بأرض المشتين فقلت خبت

أفى يوم أحلونى وحلوا ∴ على ظهر الثريا اليوم لمت

بعزمكم علوت الناس حتى ∴ رأيت الناس والثقلين تحتى

وان شهدوا الحروب فأسد غاب ∴ غضاب دون أشبلها بخبت

وان طلبوا المكارم أدركوها ∴ بكل مقدم العرنين صلت

فقد طابت مغارسهم فطابوا ∴ وزادوا فى المدائح فوق نعتى

سلى الدنيا ومن أضحى عليها ∴ تنبئك اليقين اذا سألت

والى آخر الأبيات وهى من أحسن أشعار اليمن وأجودها فى هذا العصر عصر المتنبى وأبى فراس وهو عصر ازدهار الشعر العربى عموما .

(١) صفة جزيرة العرب ص ٨٧ .

(٢) الأكليل ١ / ٣٤٣ .

ورغم أن اليمن كانت منعزلة من الناحية السياسية عن عاصمة الخلافة ومشغولة بأحداثها الداخليه الا أن الشعر ظل يساير الشعر العربى فى العواصم الكبرى قوة وضعفا يزدهر بازدهاره ،ويركد بركوده كما رأينا فى النصوص القليلة التى سقناها لمختلف العصور التى مرت معنا .

على أن هذه النصوص ليست أجود شعر اليمن فى كل هذه العصور وان كانت من أجودها وأكثرها شهرة .

٣ - الصليحيون ٤٣٩ - ٥٣٢ هـ (١)

وفى ظل هذه الدولة أيضا برز عدد من الشعراء ،وكان لهم مكانتهم كما كان لشعرهم أثره ورونقه .

ربما كان الشعر فى هذا العصر أقل من العصر السابق سواء من حيث عدد الشعراء أو جودة الشعر وقوته غير أن هناك شاعرا فاقت شهرته شعراء عصره والعصر السابق له قوة فى التعبير وجمالا فى الشعر ذلك هو الشاعر ابن القم ، وهناك شعراء آخرون فى هذا العصر كان من أبرزهم :

١ - عمر بن يحيى الهبيشى . ٢ - الخطاب بن الحسن بن أبى الحفاظ

٣ - سليمان بن أبى الحفاظ . ٤ - عماره اليمنى

٥ - محمد بن زياد المأربى ، وغيرهم وسأكتفى فى هذا العصر بالنماذج التالية لثلاثة من أبرز شعراء العصر الصليحى .

(١) قامت دولة الصليحيين فى بادئ الأمر فى صنعاء ثم توسعت حتى شملت تهامه وعدن وبقية أجزاء اليمن باستثناء منطقة صعده التى كان يسيطر عليها الأئمة كما أسلفنا مرارا .

= ١ =

فمن أبرز نماذج الشعر فى هذا العصر هذه القصيده للشاعرحسين بن على بن القم ، والتى يمدح فيها الأمير سبأ بن احمد المظفر خليفة المكرم الصليحى وهذه بعض أبياتها : (١)

ان بان وجهى فشكرى لم يبن معه .. أو شط جسمى فودّى فيك لم يسرم

فجد وعد واعف واسمح لى وهب وأعد .. واصفح وأدن وأجمل وارض وابتسم

فلست أول عبد عق سيده .. ولست أول مولى جاد بالكرم

لا تطرحنى فعندى كل سائرة .. يبلى الزمان ولا تبلى من القدم

من كل زهراء لا تفنى على هرم .. تزرى بشعر زهير فى الفتى هرم (٢)

ومن خلال هذه الأبيات وغيرها تبدو فحولة الشاعر حتى ليكاد يضارع المتنبى فى عصره . وأثر المتنبى واضح على كثير من شعر ابن القم منها هذه الأبيات التى بين أيدينا التى تشبه سيفيات المتنبى .

كان ابن القم شاعرا من أفاضل اليمن المبرزين فى النظم كما سيأتى ذلك فى قول ياقوت فى معجم الأدباء . (٣)

(١) خريدة القصر للعماد الأصفهانى قسم شعراء الشام تحقيق الدكتور شكرى فيصل ٣/ ٩١ .

(٢) هو هرم بن سنان ممدوح زهير بن أبى سلمى الشاعر المعروف .

(٣) ١٠/ ١٣٠ وفى ملحق الراجم حديث اكثر تفصيلا عن شعر ابن القم .

= ٢ =

وللسلطان الخطاب بن الحسن بن أبى الحفاظ الحجورى أشعار كثيرة ومعظمها فى الدعوة الى المذهب الاسماعيلى الذى كانت تدين به دولة الصليحيين فى اليمن وشرح لمبادئه وأهدافه ،بل لقد كانت أشعاره ترديد لما كان يزعمه دعاة الفاطميين من أن الله لا يجوز أن يسمى بأى اسم لأنه أسمى من كل اسم . ومن ثم كانوا يضفون اسماء الله الحسنى فى القرآن الكريم على أئمتهم .

والشاعر متشيع مغال فى التشيع على طريقة المذهب الاسماعيلى وله فى ذلك أشعار ذكر بعضا منها عماره فى تاريخه المفيد (١) .

وله قصائد عتابيه كثيرة جرت بينه وبين أخيه السلطان سليمان بعد أن دب النزاع بينهما وقامت بينهما حروب ومناوشات وفتن انتهت بغلبة السلطان الخطاب بمساعدة الحرة أروى بنت احمد وكان كلا الأخوين شاعرا ،وكان سليمان سنيا بينما كان الخطاب شيعيا فاطميا فكان لهذا الخلاف المذهبى بين الأخوين أثر كبير أدى الى أن يقتل الخطاب أخاه غيلة بعد أن استدرجه حتى أمن جانبه وعاد اليه كما سيأتى بيان ذلك فى التراجم ان شاء الله .

ونكتفى هنا بالأبيات التالية التى يخاطب بها السلطان سليمان أخاه الخطاب ويعنفه على قتل أخيه احمد بن الحسن (٢) :

(١) أنظر تاريخ اليمن لعمارة ص ٢٥١ .
(٢) المفيد لعمارة اليمنى ص ٢٦٤ .

أمن المنازل بالعلاية تعجب ∴ وخرابها وكذا العمارة تخرب

خربت لشرب ترابها دم أحمد ∴ لما غدت أوداجه تتشجب[1]

ماكان بدعا من نوائب دهرنا ∴ أن يعف رسم أو يمطل ملعب

هربوا مخافة نقمة من ربهم ∴ أو هل من الله المهيمن مهرب

ياهاربا ترجو النجاة وفي يدى ∴ من هو منه هارب يتقلب

لا تحسبن الله مهمل قتله ∴ ظلما وأنت بذاك جهلا تحسب

ومنها :

أضحت منازلنا خرابا كلها ∴ وبلادنا بعد العمارة سبسب[2]

وغدت عشائرنا هلاكى واستوى ∴ ذو المال منهم والفقير المترب

وهو شعر عالى النبرة قوى الحجة واضح المعنى مستقيم الفكر وسط تلك المعامع من الأفكار المنحرفه والضاله التى انخرط فيها كثير من الشعراء والأدباء ورجال الدوله الصليحيه الذين كانوا فى الأصل سنيين شافعيين والذين تحول عدد منهم الى المذهب الفاطمى الذى كان يحكم مصر آنذاك .

ومن أشهر شعراء العصر الصليحى فى اليمن الشاعر نجم الدين عمارة ابن أبى الحسن اليمنى ، ومن مختاراته الشعريه الجيدة هذه الأبيات

(١) تتشجب : تتورم .

(٢) السبسب : الأرض المستوية البعيدة عن العمار .

من قصيدة له (١) فى الكامل ابن شاور (٢) .

اذا لم يسالمك الزمان فحارب ∴ وباعد اذا لم تنتفع بالأقارب

ولا تحتقر كيدا ضعيفا فربما ∴ تموت الأفاعى من سموم العقارب

فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد ∴ وأخرب فأر قبل ذا سدّ مأرب

اذا كان رأس المال عمرك فاحترز ∴ عليه من الانفاق فى غير واجب

فبين اختلاف الليل والصبح معرك ∴ يكرّ علينا جيشه بالعجائب

وما راعنى غدر الشباب لأننى ∴ أنست بهذا الخلق من كل صاحب

وغدر الفتى فى عهده ووفائه ∴ وغدر المواضى فى نبو المضارب

ولعل أول ما يلاحظ على أسلوب عماره بوجه عام جزالة الألفاظ والتراكيب مع الدقه فى اختيارها والتأنق فى صياغتها والبعد عن الكلمات الغريبة .

وهذا يدل على تمكنه من العربية اضافة الى ذوقه الفنى الرفيع ، وذلك راجع الى نشأته فى بيئه عربية خالصه لم تفسد لغتها بالاختلاط بالأعاجم اذ أن عمارة لم يبدأ رحلاته الى خارج اليمن الا بعد أن تجاوز الأربعين من عمره .

(١) الكامل بن شاور أحد حكام مصر فى العصر الفاطمى كان وزيرا للخليفة المعتضد وعميلا للأفرنج للمحافظه على مركزه وكان له أولاد منهم طى وسليمان والكامل وقد تحدث عنهم عمارة فى النكت العصرية فى مواضع متعددة وتحدث عن الكامل فى ص ١٢٩ .

(٢) النكت العصريه فى أخبار الوزاره المصريه لعماره ص ١٣٠-١٣١ ، وخريدة القصر للعماد الأصفهانى قسم شعراء الشام ٣/١٢٨ بتحقيق الدكتور شكرى فيصل .

٤ - الرسوليون (٦٢٦-٨٥٨هـ) :

لم تكن دولة الرسولين هى الدولة التى اعقبت دولة الصليحيين فى التاريخ السياسى فقد كان هناك عدة دويلات تعاقبت على أجزاء من اليمن فى الفترة التى تلت حكم الصليحين ولم تتوحد اليمن فى هذه الفترة الا فى ظل دولة الأيوبيين التى خلفت كل تلك الدويلات القائمة وهى الزريعيون وبنو مهدى وبنو حاتم .

على أن الحياة الأدبية فى هذه الفترة التاريخية بما فى ذلك فترة الأيوبيين كانت امتدادا للحياة الأدبية والشعرية فى عصر الصليحين وهى فترة جف فيها ينبوع الشعر جفافا كبيرا حتى أنه لم يبرز فيها شاعر فحل ذو مستوى فنى رفيع كابن القم أو عمارة أو غيرهما من شعراء العصر السابق . وكان الشاعر الوحيد الذى حاز على قدر كبير من الشهره الشعرية هو الشاعر نشوان بن سعيد الحميرى ، ومع ذلك فلم تكن هذه الشاعريه هى السبب الوحيد فى شهرته فقد كانت شهرته من حيث هو حاكم أو عالم بنفس المستوى الذى اشتهر فيه فى الجانب الشعرى .

ولعل أبرز القصائد التى منحته الشهره فى هذا المجال هى القصيدة الحميرية الذائعة الصيت المكونة من نحو مائة وثلاثين بيتا والتى استهلها بقوله :

الأمر جد وهو غير مـــزاح ∴ فاعمل لنفسك صالحا يا صـاح[1]

وبعد أن مضى قليلا فى الوعظ خرج الى الفخر وتعداد ملوك التبابعـة والأقيال والأذواء ،والقصيده تمثل نوعا من الشعر هو الشعر التعليمـــى التاريخى ولم يكن مستواها الفنى بالمستوى الذى حازه بعض شعراء العصر السابق أو حتى بعض شعراء العصر اللاحق ،وهو العصر الرسولى كماسيأتى

وهذه بعض أبيات القصيدة نضعها بين يدى القارىء ليتبين مستواها :

كيف البقاء مع اختلاف طبائـع ∴ وكرور ليلـى دائم وصبـــاح

الدهر أنصح واعظ يعظ الفتى ∴ ويزيد فوق نصيحـة النصـاح

أنظر بعينيك اليقين ولا تسل ∴ ياأيها السكران وهو الصاحـى

تجرى بنا الدنيا على خطركمـا ∴ تجرى عليه سفينـة المـــلاح

تجرى بنا فى لج بحـر مالـه ∴ من ساحل أبدا ولا ضحضـاح

شغـل البرية عن عبادة ربهم ∴ فتن على دنياهم وتـــلاح

ومحبة الدنيا التى سلكت بهم ∴ أبدا مع الأرواح والأشبـــاح

ثم تطرق الى الاشادة ببلقيس ملكة سبأ المذكورة فى سورة النمل وقـص خبرها مع سليمان عليه السلام فقال :

(١) شرحت القصيدة فى كتاب خاص بعنوان (ملوك حمير وأقيال اليمن) شرحها الأستاذ اسماعيل الجرافى والكتاب مطبوع .

أم أين بلقيس المعظم عرشها ∴ أو صرحها العالى على الأصراح

زارت سليمان النبىّ بتدمر (١) ∴ من مأرب دينا بلا استنكاح

فى ألف ألف مدجج من قومها ∴ لم تأت فى ابل اليه طلاح (٢)

جاءت لتسلم حين جاء كتابه ∴ بدعائها مع هدهد صلاح

سجدت لخالقها العظيم وأسلمت ∴ طوعا وكان سجودها لبراح (٣)

والقصيدة تحمل عصبية عنيفه وتحيزا مقيتا لا داعى له ، ولو أن نشوان وجه شعره وجهة أخرى غير هذه العصبية لأبدع أيما ابداع فقد كان يمتلك ناصية اللغة الى جانب موهبته الشعرية العظيمة .

وباستثناء نشوان فليس فى شعراء هذه الفترة الانتقالية - بين العصرين الصليحى والرسولى - ما يدعونا الى التوقف نظرا لقلة الشعر وركاكة أسلوبه عند شعراء تلك الفترة غير أن الشعر استرد مكانته المرموقه ومنزلته العالية فى عصر بنى رسول .

وفى دراستنا لشعر هذا العصر نواجه عددا من الشعراء المشهورين الذين يعتد بشعرهم ولاغتهم ومستواهم الفنى عموما ، نذكر منهم على سبيل المثال :

(١) تدمر مدينة تاريخية قديمة فى الشام .

(٢) الطلاح بكسر الطاء جمع طلح الهزيل من الابل .

(٣) البراح اسم من أسماء الشمس .

محمد بن حمير ،والقاسم بن هتيمل ،واحمد بن محمد فليته ،وعبد الرحيم البرعى ،وأبا بكر اسماعيل بن المقرئ ،ويحى بن رويك[1] ،وغيرهم .

وسأقتصر هنا على ذكر ثلاثة نماذج شعريه لثلاثة من أبرز شعراء العصر وهم :

ابن حمير الشاعر الفارس . .

وابن هتيمل الشاعر الموهوب . .

وابن المقرئ الشاعر الفقيه . .

= ١ =

فابن حمير شاعر فصيح جيد القريحه حسن البديهه وهو شاعر مكثـــر ومعظم شعره قد فقد ومن أحسن قصائده التى بقيت هذه المقطوعه مـــن قصيدته الرائيه الشهيره التى مدح بها السلطان نور الدين[2] . . ومنها[3] :

قد قيل جاور لتغنى البحر أو ملكا ∴ أنت المليك وأنت البحر ياعمر

ماحاز ماحزت لا عرب ولا عجـــم ∴ ما شاد ماشدت لا جن ولا بشر

(١) أنظر تراجم هؤلاء جميعا فى ملحق تراجم الشعراء فى نهاية الرسالة .

(٢) نور الدين هو : عمر بن على الرسولى الملك المنصور مؤسس الدولـة الرسولية فى اليمن كان من الدهاه الأجواد الشجعان ،استقل بحكم اليمن عن الأيوبيين سنة ٦٢٦هـ وتوفى سنة ٦٤٧ هـ .

(٣) العقود اللؤلؤية للخزرجى ١ / ٨٧ .

اذا الجدود بهم أبناؤهم شرفوا .. أو فاخروا فبك الأجداد تفتخر

والكل أنت وفيك السر أجمعه .. فلا يغرنك ان غابوا وان حضروا

عزوا بعزك أولاهم وآخرهم .. كما بأحمد عزت كلها مضر

وشعر ابن حمير الموجود بين أيدينا لا يخرج - فى معظمه - عن دائرة المدح والرثاء[1]، وأثر المدرسة العباسية بادٍ عليه فهو شاعر مقلد مغرق فى التقليد .

= ٢ =

وكان القاسم بن على بن هتيمل أبرز شعراء اليمن فى القرن السابع الهجرى وله شعر يسيل رقة وعذوبة فهو شاعر محترف يعرف كيف ينتقى ألفاظه وتعبيراته وشعره غنائى يشبه شعر البحترى ، ولهذا فتن معاصروه برائيته التى كانت بديعة القرن السابع والتى منها هذه الأبيات[2] :

أنا من ناظرى عليك أغار .. وارعنى مازال عنه الخمار

انما العيش والهوى قبل أن .. ينجم شدى أو يدب عذار

وغرام الشباب أشهى الى النفس .. وان كان فى المشيب الوقار

والى آخر القصيدة وهى من قصائد المدح المشهوره وبدأها بالغزل اتباعا لنظام القصيدة العربى التقليدى .

(١) انظر العقود اللؤلؤيه ١/ ٨٦ ومابعدها .

وحياة الأدب اليمنى فى عصر بنى رسول للحبشى ص ١٢٠ ومابعدها .

(٢) قصة الأدب فى اليمن لأحمد الشامى ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .

يقول الدكتور شوقي ضيف : " والحق أن ابن هتيمل كان شاعرا مجيدا سواء في مراثيه أوفي غزله أو مديحه ونسيبه ،وهو في المدائح يسجل أحداث عصره " .(١)

ويبدو أن ابن هتيمل كان واسع الثقافه الى جانب موهبته الشعريه وهذا ماجعل لشعره نكهة خاصة ميزته عن غيره من شعراء العصر الرسولي عامة .

وقد اشتهر شعر ابن هتيمل شهره واسعة . . وكاد أن يغطي على شعر استاذه ابن حمير ،ولا نجد لذلك سببا سوى شاعريته القوية " .(٢)

ومن روائع ابن هتيمل تقتطف هذه الأبيات من قصيدة يصف بها أسر المظفر الرسولي للامام ابراهيم بن تاج الدين سنة ٦٧٤ هـ ، (٣) والتي يقول فيها : (٤)

حفوا بسيدهم فلما أيقنوا ∴ بالموت طاروا عنه كل مطار

صبوا السياط على قوارح خيلهم ∴ هربا من المهرات والأمهار

فكأنهم شهب البزاة تهللت ∴ بالغيث فانقضت الى الأوكار

(١) عصر الدول والامارات ص ١١٧ .

(٢) عبد الله الحبشي حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول ص ١٢٩ .

(٣) هو الامام ابراهيم بن تاج الدين الملقب بالمهدي ،عاصر المظفر الرسولي وجرت بينهما حروب انتهت بأسر الأمام ابراهيم بأيدي قوات المظفر ونقل الى تعز وتوفي هناك سنة ٦٧٤هـ .

(٤) العقود اللؤلؤيه للخزرجي ١/ ١٩٥ وحياة الأدب اليمني في عصر بني رسول ص

فنجوا " وابراهيم " بأمر نفسه ∴ بالكرّ لا بالفر خوف العار

حتى اذا حمى الوطيس وأحصرت ∴ عنه السوابق ايما احصار

حملته مرّة روحه متحصنا ∴ في الحصن لا متخفيا في الغار

فهنا نجد نسيجا لفظيا متينا وكلمات قوية تروى السمع بجرسها وبحسن انتقائها ، فابن هتيمل بحق صائغ محترف ماهر بالشعر كما يقول الدكتور شوقي ضيف .(١)

= ٣ =

وكان خاتمة الشعراء في عصر بني رسول الشاعر اسماعيل بن أبي بكر المقرى شاعر الفقهاء وفقيه الشعراء وله أشعار كثيرة لعلّ من أشهرها وأوسعها انتشارا لاميته في الحكم والنصائح والتي مطلعها :

زيادة القول تحكي النقص في العمل ∴ ومنطق المرء قد يرديه في الزلل

ومن أجود أشعاره القصيدة الهائيه التي رثا بها اسماعيل بن الأفضل الرسولي والتي مطلعها :

هو الدهر كرّت بالخطوب كتائبه ∴ وعفت بأنياب حداد ثوائبه

وفيها يقول :(٢)

وقام بأمر الله حسن بعد ماعفت ∴ معالمه فينا وغارت كواكبه

وشمر عن ساق امرئ همه العلى ∴ يجاذب من أطرافها وتجاذبه

(١) عصر الدول والامارات لشوقي ضيف ص ١١٥ .

(٢) العقود اللؤلؤيه للخزرجي ١/ ٣١٨ .

وأمن من خوف وقرب من نـــوى ∴ وساس البرايا وهو ماطر شاربـــه

ودانت له الدنيا وأذعن أهلهـا ∴ وأرضت صعاب الحادثات تجاربه

كريم أهان المال بذلا ومن يهن ∴ لسائله أمواله عـــز جانبـــــه

أنارت به الأفاق والشمس أشرقت ∴ بطلعته والليل تجلى غياهبـــه

وواضح أن ابن المقرى قد تأثر فيها بقصيدة بشار البائيه الشهيرة التى مطلعها : (١)

جفا وده فازور أو مل صاحبـــه ∴ وأزرى به الا يزال يعاتبـــــه

خليلى لا تستنكرا لوعة الهـــوى ∴ ولا سلوة المحزون شطت حبائبه

وأبيات ابن المقرى على مستوى فنى جيد قل أن نظفر بمثله فى عصـــــره بعد ابن حمير وابن هتيمل وهى كما قلنا محاكاة لقصيدة بشار المشار اليها وهى من أبدع قصائد العصر العباسى عصر ازدهار الشعر العربى .

* *

(١) ديوان بشار ١/٣٠٦ .

دولة بنى طاهـر (٨٥٨-٩٢٣هـ)

وفى هذا العصر تضعضعت مكانة الشعر فلم يكن فيه من الشعـــراء المكثرين والموهوبين مثل ماكان فى عصر بنى رسول ، فالحروب والفتن التى كانت فى هذا العصر بين بنى طاهر وبين الأئمة لم تعط للأدب والشعـــر فرصة الازدهار والنمو .

ومع ذلك فلم يخل هذا العصر من بعض الشعراء من العلماء والمتفقه والفقهاء الذين كانوا يحسنون نظم الشعر دون النظر الى الاعتبـــارات والخصائص الفنية ، والقيم الجمالية الرفيعة .

ومن عرف من الشعراء فى هذا العصر :

يحيى بن المطهر ، وعمر بن عبد الرحمن السقاف ، وموسى بن يحيى بهران ، ومحمد بن عبد الله الهبى ، وعبد الهادى السودى ، والامـــام شرف الدين وغيرهم .

وهذه بعض النماذج المختاره لبعض هؤلاء الشعراء :

= ١ =

فالشاعر عبد الهادى السودى المتوفى سنة ٩٣٢هـ ، يقول فى قصيدة له : (١)

عاذلى فى الحب أو خطره ∴ لست من ليلى ولا سمـره

أنا فى واد أظنـك مـــا ∴ قلت فى الأفياء من شجره

(١) البدر الطالع ١/٤٠٨ .

لا تطل فيه الملامه الـى ∴ أن تذوق الحلـو من ثمـره

ياحلول الشعب من أضم ∴ أنشقونى النشر من زهـــره

= ٢ =

وللشاعر موسى بن يحيى بهران قصائد كثيرة معظمها مدائـح فـى الامام شرف الدين ومنها هذه القصيده الداليه ، نقتطع منها هذه الأبيات:

جاء من الجور امـام الهـــدى أكرم من زفت اليـه البنـود

خليفة الرحمن فى أرضـه ∴ مبارك الوجه كريم الجـــدود

قالت له الأيام اذ أقبلـت ∴ ما أحسن الوصل عقب الصدود

وليست الدنيا لـه بغيـــة ∴ ولو بدت فى زى خـود خـرود

وانما قام لنصـر الهـدى ∴ بهمة ما برحـت فى صعـــود

وأهلك الباغين حـتى ثـووا ∴ واستبدلوا بعد القصور اللحـود

وأصبح الجور كأن لـم يكـن ∴ وقيل بعدا للبغـاة القـــرود

واستبشر العدل بأيـامـه ∴ فامتلأ الفـور بـه والنجـود

وأقبل الخيـر ورايـاتـــه ∴ خافقـة قد حل عنهـا العقـود

والشر ولى مدبـرا خائفـا ∴ منهـزمـا يقســم ألا يعـــود

(١) أحد أئمة اليمن فى القرن التاسع وعلى يديه كانت نهاية دولـــة بنى طاهر وستأتى ترجمته فى ملحق التراجم .

(٢) شعر الغناء الصنعانى د . محمد عبده غانم ص ١٩٠ .

وغنى عن البيان ما فى هذه الأبيات من تكلف وصنعه وتعمد اللجوء الى المحسنات البديعيه مما يدل على انحطاط الشعر وسقمه فى هذا العصر لا على مستوى اليمن فحسب بل على مستوى الأرض العربية جميعها .

= ٣ =

وللامام شرف الدين نفسه مجموعة من القصائد والمقطوعات ربما كانت أجود شعر هذا العصر فألفاظه جزله ومعانيه قويه وأسلوبه بعيد نسبيا عن التكلف والمحسنات البديعية التى رأيناها فى النموذجين السابقين وهذه بضعة أبيات من قصيدته التى قالها عند فتحه لصعدة وزيارته لقبر الامام الهادى يحيى ابن الحسين الرسى الذى لا زال قائما الى اليوم .

تقول الأبيات :(١)

زرناك فى زرد الحديد وفى القنا ∴ والمشرفية والجياد الشزب (٢)

وجحافل مثل الجبال تلاطمت ∴ أمواجهن بكل أصيد أغلب

من كل أبلج من ذؤابة هاشم ∴ وبكل أروع من سلالة يعرب

وأعاجم ترك وروم قادة ∴ وأحابش مثل الأسود الوثب

واذا كان فى الأبيات شىء من جزالة الألفاظ انما يرجع ذلك الى موضوع القصيدة ومكانة صاحبها فهو لم يقل الشعر مادحا أو متكسبا بل كان متأثرا بجلال الموقف ولهذا جاء شعره وعليه مسحة من جمال التركيب وان كان قليلا وتقليديا الى حد كبير .

(١) البدر الطالع للشوكانى ١ / ٢٨٠ .

(٢) جمع شارب وهو الخشن والضامر . " القاموس "

العثمانيون :

بعد انقراض دولة آل طاهر ظلت اليمن متأرجحة بين الأئمة في صعده ودولة آل عثمان في تركيا التي كانت آنذاك تحكم العالم العربي كله بما في ذلك اليمن .

ولم تستقر اليمن أيضا طوال هذه المدة كان الحكم فيها لمن غلب من الأئمة أو العثمانيين .

ولم تكن حالة الشعر في هذه الفترة على امتدادها بأحسن حالا من الفترة التي سبقتها وهي عصر بني طاهر .

على أن تلك الصراعات والحروب لم تشكل عائقا قويا في طريق نهوض مجموعة من الشعراء الذين كان لهم أثر بارز في اعادة الشعر الى مكانته وازدهاره الذي كان عليه في عهد بني رسول على الأقل .

وهذه المجموعة هي التي وصلت الشعر اليمني بماضيه التليد مع اهتمام أكثر بعناصر الجمال الفني المعروفه في الشعر ، وكان من أبرز هؤلاء الشعراء :

حسن بن جابر الهبل ، عبد الصمد باكثير ، احمد بن احمد الآنس المعروف "بالزنمة" ، ابراهيم بن صالح الهندي ، على محمد المنسي ، محمد حسين المرهبي ، محمد بن اسماعيل الصنعاني ، على صالح العماري ، محمد هاشم الشامي ، محمد بن على الشوكاني ، واحمد بن لطف الزبيري .

وسأسوق هنا بعض النماذج الشعرية التى نتبين من خلالها ملامح الشعر ومكانته ومدى ازدهاره أو انحطاطه بالنسبة للعصور السابقة له ،وسأكتفى بالنماذج الأربعة التالية :

= ١ =

النموذج الأول للشاعر المجيد حسن بن على الهبل أشهر شعراء عصره بين شعراء اليمن ومن شعره الجيد قوله :(١)

أىّ سرّ فى فؤادى لهم ∴ غير مأمون عليه الرسل

صف لهم حالى وجد فى شرحه ∴ علهم أن يعلموا ما جهلوا

واطرح ذكرى عندهم ∴ ليس يودى عندهم من قتلوا

كم أثاروا من جوى فى مهجتى ∴ عندما قالوا سلا قلت سلوا

كل شىء متلقى منهم ∴ بقبول قطعوا أو وصلوا

آه كم أتبع زفرات الهوى ∴ مالها عنى لا تنفصل ؟

فهنا شاعر مبدع لم نظفر بشاعر مثله منذ ابن القم تقريبا ،فلا تكلف ولا اغراق ولا غرابه ولا جرى وراء المحسنات البديعيه ،ولهذا وصف الشوكانى رحمه الله شعره بأنه يسيل رقة ولطافة وجودة سبك وحسن معان ،(٢)

وقال الزركلى (٣) فى شعره جودة ورقة .

(١) قصة الأدب فى اليمن ص ٣٦٦.

(٢) البدر الطالع ١/ ١٩٦.

(٣) الأعلام ٢/ ٢٠٥.

= ٢ =

ومن النماذج الشعريه البديعة لشعراء هذا العصر هذه المقطوعة للشاعر ابراهيم بن صالح الهندى أحد شعراء القرن الحادى عشر المشهورين والأبيات من قصيدة بعث بها الشاعر الى الامام المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم المتوفى سنة ١٠٨٧ هـ (١) يتظلم منها ويستنكر ما أحدثه الأتراك والشريف حسين من منع الحجاج اليمنيين من دخول مكة للحج ، فقال الشاعر فى ذلك يستنهض المتوكل على الله (٢) :

أظلما عن البيت الحرام نذاد ∴ على مثلها الخيل العتاق تقاد

وخسفا يسام الهاشميون انها ∴ لفادحة فيها الحتوف عتاد

اذا لم يصن عرض الخلافة فيكم ∴ فمن أين مجد طارق وتلاد

تدافعت البيد العوامى بقومكم ∴ تدافع ذل فى ظماه ضماد

وردوا حيارى خائبين بصفعة ∴ ينال بها ريح الردى ويقاد

وقد شارفوا أرجاء مكة فانثنوا ∴ بفاقرة تغرى الأديم وعادوا

بنى القاسم المنصور لا تحسبونها ∴ بهينة لا بل عنا وعناد

فعزما فأنتم أسرة السؤدد الذى ∴ مبانيه فوق النيرات تشاد

(١) ثالث حكام الدولة القاسمية ، أبناء الامام المنصور القاسم بن محمد الهادوى والتى حكمت اليمن مابين سنتى ١٠٤٥-١٢٦٥ هـ وكانت فى صراع عنيف مع الأتراك طوال هذه الفترة .
انظر اليمن الانسان والحضارة ص ١٤٤ .

(٢) قصة الأدب فى اليمن لأحمد الشامى ص ٣٧١ .

ألستم بأهل الركن والحجر والصفا ؟ .·. بلى وهى أوطان لكم وبـــلاد

فلا تتركوا الأتراك فى جنباتهـــا .·. على الغيبة قد ساموا القرود وسادوا

وصولوا صيالا يترك البحر جـــذوة .·. وحزما فمن فوق الجمـار رمـاد

فهنا شعر رصين فى ألفاظه وتراكيبه جديد فى معانيه وأغراضـــــه تشعر وأنت تقرأه كأنك تقرأ شعرا عباسيا فى عصوره المزدهره ،وقد كـــان الشعر اليمنى أول شعر يدعو الى مقاومة الأتراك العثمانيين ،والخـــلافـــة العثمانية لا زالت فى عنفوانها وقوتها ،وهذه ظاهرة أدبية تستحق الاهتمام .

= ٣ =

وثمت شاعر فحل هو فى الواقع أشهر وأنضج شعراء عصره وهو الشاعر أحمد بن احمد الآنسى ،المشهور "بالزنمة" ،ولعل سر نبوغه فى الشعـــر أنه فرغ نفسه له فقد كان معظم شعراء اليمن فى عصره علماء فى مختلف فـروع العلم وقليل منهم من أخلص حياته للشعر ، وقضى فيه جزءا كبيرا مـن وقتـه كشاعرنا "الزنمه" ولهذا نجد له درورا ربما عزوجودها عند معاصريه ،ولـــه فرائد قل أن يحظى بمثلها شعراء جيله .

فمن فرائده ،القصيدة التى مدح بها أمير مكة الشريف احمد بن غالب (١) والتى مطلعها :

(١) البدر الطالع للشوكانى ١/ ٣٦ .

عج بالكثيب وحيّ الحيّ من كثب ∴ فثم يذهب ما بالصب من وصب

وانزل بحيث ترى الآرام سانحة ∴ بين الخميسين والهندية القضب

وقد حاكى فيها أبا تمام وتأثر ببائيته المشهورة التي مدح فيها المعتصم ومطلعها (١) :

السيف أصدق أنباءً من الكتب ∴ في حده الحد بين الجد واللعب

وله شعر جم وهو من الجودة والاتقان مما جعله يحوز قصب السبق على شعراء عصره في مصر والشام والحجاز .

فقد اجتمع بجماعة من أدباء العصر من مكة ومصر والهند والشام ومنهم حفيد الخفاجي صاحب الريحانه (٢) وابن معصوم (٣) ، والسيد حسين عبد القادر (٤) فاجتمعوا في منزل الشريف فقال الخفاجي ها نحن قد اجتمعنا هذا الاجتماع وهؤلاء أدباء اليمن المشهورون ، وأدباء الهند والشام ومصر وأنا أعمل ذيل الريحانه فهلموا فلينظم كل واحد منا قصيدة نهوية هذه الليلة ومن أحرز قصبات السبق حكمت بانحياز الأدب الى قطره .

وقد حكم الخفاجي للزنمه بالسبق لقصيدته التي مطلعها (٥) :

(١) ديوان أبي تمام ص ١٤ ط دار صادر بيروت .

(٢) الخفاجي صاحب ريحانه الألباء واسمه احمد بن محمد شهاب الدين المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ من علماء مصر وأدبائها .

(٣) ابن معصوم هو علي بن احمد عالم بالادب والشعر والتراجم ولد بمكة أصله من شيراز وبها توفي سنة ١١١٩ هـ .

(٤) حسين عبد القادر الكوكباني أمير يماني حفيد شرف الدين له علم بالأدب ، لجأ الى مكة فترة من حياته ثم عاد الى اليمن وبها توفي سنة ١١١٢ هـ .

(٥) البدر الطالع للشوكاني ١/٣٦ .

ألا حيّ ذاك الحيّ من ساكنى صنعا ∴ فكم أحسنوا بالنازلين بهم صنعا»

(١)

ومنها :

لقد ضاع مسك الشعر اذ ضاع نشره ∴ وأصبح ذاك الدر من لفظه جزعا

وماالشعر الا كالنسيم وانما ∴ يهز النسيم الغصن لا صخرة صلعا

وما كنت أسترضى المجرة مورداً ∴ لعيش ولا زهر النجوم لها مرعى

وما العزّ الا فى القناعة والتقى ∴ فلذ بهما ان رمت من ضيقة وسعا

وان كان لابد المديح لناظم ∴ فمدح رسول الله أحسنه صنعا

فنوع وجنس فى امتداح محمد ∴ فأوصافه لم تبق جنسا ولا نوعا

أجيبوا بنى الأداب صوت بلا غنى ∴ اذا كان فيكم من يجيب اذا يدعى

فابن الزنمه كما نرى فى شعره شاعر جاد متدفق واضح المعانى جزل الألفاظ رقيق الأسلوب وقد يميل الى بعض المحسنات البديعية ولكن بحسن الشاعر ولباقة الأديب ودقة اللغوى فلا نرى على شعره تكلفا ولا اغراقا فى هذه المحسنات .

= ٤ =

ونختم نماذج هذا العصر بأبيات للشاعر الفذ فى عصره احمد بن مصطفى البارودى الزبيرى خاتمة العصور الماضية وحجر الزاوية فى العصر الحديث كما سيأتى فى ترجمته .

(١) قصة الأدب فى اليمن ص٣، ٢ .

والأبيات من قصيدة طويلة قالها الشاعر مادحا بها الامام المتوكل محمد بن المنصور لما أمر بقتل الشيخ محمد بن صالح ثوابه أحد مشائخ ذمار[1] ،وكان قد تمادى فى عصيانه وتجاوزه فقال الشاعر فى ذلك هذه القصيدة الشهيرة والتى منها[2] :

رفع الحق شامخات قبابه ∴ وتجلت قشوره عن لبابه

ومحا الله آية الجور لما ∴ زال عن شمسه كثيف سحابه

وهوى البغى بعد طول تمادٍ ∴ به صريعا وانزاح لمع سرابه

وانجلى عثير الضلال لما ∴ شهر الملك سيفه عن قرابه

وقضى الله أمره فى ذوى الزيـ ـغ وأمضى عقابه فى " ثوابه "

يالها فتكة بها انتعش الديـ ∴ ـن وطالت بها عمود نصابه

فتكة هاشمية لم تدع قطـ م لمستعتب ساغ عتابه

ذكرتنا بالمصطفى حين روى ∴ لأبىّ بالرمح كأس مصابه

الى أن يقول :

(١) ذمار : مدينة يمنية قديمة وتقع فى جنوب صنعا وهى مدينة آهلة بالسكان الى اليوم .

(٢) نيل الوطر من تراجم رجال اليمن فى القرن الثالث عشر لمحمد بن محمد زباره ٢/ ٣٤٥ ومابعدها .

يا امام الورى ويا خير ملـــك ∴ لم يزغ حد سيفه عن قرابـــه

رعت بالسيف قلب كل كفـــور ∴ وشفيت الاسلام من أوصابـــه (١)

كل من يدّعى سماحة عليـــا ك فراش هوى بنار شهابـــه

والقصيدة من أحسن النماذج الشعرية فى القرن الثالث عشر الهجرى صياغة وأسلوبا ومع ذلك فلا ترقى فى مستواها الفنى الى المستوى الذى رأيناه فى شعر الزنمه والهندى وابن هتيمل فى القرون الماضية .

ثم ان كثرة المبالغات فى القصيدة ربما حط من مستواها الفنى الى حد كبير فالذوق دائما شديد النفور من المبالغات البعيدة عن الواقع كما فى قوله : ذكرتنا بالمصطفى - وشفيت الاسلام - كل من يدعى سماحة عليك .. الخ لم يكن لها رصيد من الواقع الذى عرف عن الممدوح .

ومن خلال هذا العرض السريع للشعر اليمنى فى عصوره المختلفة منذ العصر الجاهلى الى بداية العصر الحديث يتضح لنا أن الشعر اليمنى قد واكب مسيرة الشعر العربى فى نجد والحجاز والشام والعراق ومصر وغيرهـــا مواكبة دقيقة قوة وضعفا ومتانة وركاكه وتطورا وجمودا وازدهارا وانحطاطا .

(١) الصواب أن يقول وشفيت المسلمين ، أما الاسلام فليس فيه أوصاب فكله حق وعدل فالمسلمون هم الذين يحتاجون الى علاج ومداواه .

وذلك مما يساعدنا على فهم ودراسة الشعر اليمنى المعاصر وتحديد مساراته واتجاهاته وبواعثه ، وادراك طبيعته ومدى تطوره .

ومما تجدر الاشاره اليه هنا أن الشعراء المشار اليهم فى هذا التمهيد كلهم من اليمن ، اما فى الأصل والمولد والمنشأ ، أو فى الأصل والمولد فقط كما كان معظمهم يمنيا فكرا وشعرا ، وقليل منهم من كان مولده ونشأته فى غير اليمن أو ذابت شخصيته الأدبية والفكرية فى المجتمعات التى عاشوا فيهـــا خارج اليمن على أن شخصياتهم الفكرية قد ذابت جميعها فى العقيـــدة الاسلامية شأنهم فى ذلك شأن جميع الشعراء العرب .

وكان تأثرهم بها على قدر ايمانهم واخلاصهم .

ولما سادت عقائد التشيع والرفض فى العصر العباسى ومابعده عرفت عددا من الشعراء اليمنيين كما سنرى ذلك عند الحديث عن السيد الحميرى وعمارة اليمنى وغيرهما .

كما كان للفخر بالأنساب نصيب عند شعراء اليمن أيضا حتى فى العصور الاسلامية .

وكانت هذه بعض الركائز التى اعتمد عليها الشعر اليمنى المعاصر فى بعض مساراته واتجاهاته .

ولهذا كانت ضرورة هذا التمهيد الذى عرجنا فيه على كافة العصـــور التى مرت بالشعر اليمنى فى مسيرته الطويلة .

* * *
* *
*

البَابُ الأوَّل

" البـــــاب الأول "

في

" العوامل المؤثره في نشأة الشعر اليمـــني المعاصـــــر "

ويشتمل علـى

* تمهيـــــد ...

وثـلاث مباحـــث

* المبحث الأول : العامـل السياســي .
* المبحث الثاني : العامـل الثقافـي .
* المبحث الثالث: العامـل الاجتماعي .

* * *

* *

*

تمهيـــد

ظل العالم العربى قرونا طويلة خاضعا للخلافة العثمانية باعتبارها قوة اسلامية جديدة نشأت فى اعقاب تمزق العالم الاسلامى .

ولهذا ساد فيه الأمن والاستقرار بعد أن قدم فروض الطـــاعـــة والولاء لدولة الخلافة . وقد حاول سلاطين آل عثمان مرات عديدة اخضاع اليمن للحكم العثمانى باعتبارها جزءا من الوطن الاسلامى مـــن نـاحيـــة ولأهميتها الاستراتيجية جغرافيا وعسكريا من ناحية ثانية .

غير أن طبيعة اليمن أبت عليها أن تلين قناتها وتخضـــع للحكـــم العثمانى ، ولذلك ظلت الحروب والصراعات فترات طويلة من الزمن فما تكـاد القوات العثمانية تخضع جزءا من اليمن الا وينتفض جزء آخر .

ولهذا ظلت اليمن فى ركود مستمر سياسيا وثقافيا واجتماعيـــــا واقتصاديا خلال هذه الفترات التى عانت منها اليمن أنواعا من ويلات الحروب.

ثم ان الدولة العثمانية نفسها عانت مشكلات شتى من المـــؤامرات والانقسامات مما أضعف مركزها وضعضع نفوذها وقوّض أركانها وفقـدت مـــن جراء ذلك قدرتها على العطاء وبناء المجتمعات القوية المتماسكة .

وفى العقود الأخيرة التى سبقت الحرب العالمية الأولى اشتـــدت ضراوة الحرب بين اليمنيين والأتراك ، فأصيب اليمن بسبب ذلك بما يشبـــه الشلل فى كافة جوانب الحياة .

وزادت حدة المقاومة ضد الأتراك شدة وضراوة وركب الأئمة هذه الموجه وتزعموا قيادة المقاومة الشعبية وخاضوا ضد الأتراك معارك عديدة كان آخرها معركة " شهاره " (١) التى كان فيها القول الفصل وقررت بعدها الحكومة العثمانية سحب قواتها من اليمن فعقدت اتفاقية " دعان " (٢) الشهيرة مع الامام يحيى سنة ١٩١١م ١٣٢٩ هـ ، وكان الامام يحى قد خلف أباه على حكم اليمن سنة ١٩٠٤م وبموجب هذه الاتفاقية بدأ اليمن رسميا يخرج من قبضة الحكم العثمانى .

وما ان وضعت الحرب العظمى أوزارها سنة ١٩١٨م وتم تمزيق أوصال الخلافة حتى حصل اليمن على الاستقلال الجزئى فى شمال البلاد أما جنوبها فقد كان خاضعا للسيطرة الأنجليزية (٣) .

(١) شهارة منطقة شمال صنعاء تابعة لمحافظة حجة .

(٢) " دعان " قرية من قرى عمران قريبة من صنعاء من ناحية الشمال وفيها تمت الاتفاقية المذكورة ، فسميت باسمها .

(٣) أنظر تفاصيل هذه الأحداث فى تاريخ اليمن للواسعى ص ٣٠٣ ، والحكم العثمانى فى اليمن لفاروق أباظه ص ٢٦٩ وما بعدها ، واليمن الانسان والحضارة للشماحى ص ١٦٢ ، واليمن عبر التاريخ لأحمد حسين شرف الدين ص ٢٧٢ ومابعدها .

وبهذا تم تقسيم اليمن الى شمال وجنوب ،وظل الجنوب تحت السيطرة الاستعمارية الكاملة الى وقت قريب . ، وكان الشمال فى هذه الآونة فى وضع يحسد عليه اذ أنه فى ظل حكم وطنى تسانده الارادة الشعبية.

غير أن الأمور لم تسر فى مسارها الصحيح ، وجرت الرياح بما لا يشتهى السفن ،كما سيأتى تفصيل ذلك فى هذا الباب ان شاء الله .

أما الأدب والشعر فمن البديهى أن تكون سوقا هما كاسدة فى ظل هذا الوضع السياسى المتدهور .

ومع ذلك فلم تخل هذه الفترة من شعر الأغراض التقليدية كالمدح ، والحماسة ونحوهما كما سيأتى ان شاء الله .

. . . وفى هذا الباب سوف ندرس الوضع اليمنى المعاصر من جوانب متعددة وستشمل دراستنا المباحث الثلاثة التالية :

المبحث الأول : العامل السياسى .

المبحث الثانى : العامل الثقافى .

المبحث الثالث: العامل الاجتماعى .

باعتبار أن هذه العوامل الثلاثة هى أهم العوامل المؤثره فى مسيرة الشعر اليمنى المعاصر .

* *

" المبحث الأول "

" العامل السياسى "

اليمن عقب خروج الأتراك :

أشرنا من قبل الى أن الامام يحى ومن قبله ابوه محمد المنصور خاضا حروبا طاحنة مع القوات العثمانية بقصد اخراجها من اليمن حتى تم لهما ما أرادا .

وكانت النتيجة الطبيعية أن يكون الامام يحى هو جانى ثمرة هذه الحروب بعد أن تمت له البيعة عقب وفاة أبيه وظل على رأس القوات المحاربة حتى تم الاستقلال وانسحبت القوات التركية من اليمن الانسحاب الأخير.

وبذلك يكون هو المرشح الوحيد لحكم اليمن دون منازع ،وكان الأمل أن يكون اليمن فى ظل حكمه قاعدة انطلاق للشعوب العربية والاسلامية للتحرر من الأستعمار الأجنبى البغيض ، وأن يكون الامام يحى هو جامع كلمة العرب والمسلمين وموحد صفوفهم كما كان يصرح بذلك بعض الزعماء العرب.(١)

غير أن الأمور سارت خلاف ماكان متوقعا لها ، فلم يكن الامام يحى الذى تزعم الثورة ضد الأتراك صالحا لقيادة حركة تطورية مترفقة متزنة تجنب الشعب آلام المخاض الثورى العنيف "(٢) ،ومن ثم انشغل بنفسه واتجه نحو

(١) كان كثير من القادة العرب يرشحون الامام يحى لذلك ،وكان ياسين الهاشمى من رؤساء الوزارات العراقية يرى أن تكون اليمن قاعدة النضال العربى ،لأنها أول دولة عربية استقلت . " مقدمة ديوان ثورة الشعر للزبيرى ".

(٢) مقدمة ديوان الزبيرى ص ٧٤.

سياسة التجميد فى تثبيت دعائم حكمه ، وسلك كل السبل الموصلة الى ذلك دون النظر الى عواقب هذا السلوك وسلبياته .

ولهذا فقد " قضى الأمام جزءا كبيرا من عهده يضرب القوى الداخلية بعضها ببعض ، فكان يضرب القبيلة بالقبيلة حتى عجزت كل القبائل عن مقاومته "(١) .

وكانت هذه أولى مراحل الصراع بينه وبين الشعب ، الا أنه صراع مغلف بالدهاء ، والمكر ، صراع صامت خافت لا يحس به الا من عانى مرارته .

ولم يكتف الامام يحى باضعاف القوة العاتية فى البلاد آنذاك وهى القبائل " بل اتجه الى الشخصيات والعائلات الكبيرة ، والمؤثرة فعمل على اذابتها فى هدوء وأناة وبلا عنف حتى تم له ما أراد "(٢) ، وكانت هذه مرحلة أخرى من مراحل الصراع الصامت بين الأمام وخصومه .

وبطبيعة الحال لم تتم هذه الاجراءات فى يوم وليلة فقد أخذت من الامام وقتا طويلا حتى تم له ذلك .

هذه الفترة كانت أكثر العهود التاريخية ظلمة وأشدها قتامة على الأدب والشعر ، اذ لم يكن هناك ما يثير القرائح ويحرك النفوس ويستنطق الوجدان .

(١) مأساة واق الواق للزبيرى ص ٦١ .

(٢) اليمن الانسان والحضارة / شماحى ص ١٦٩ .

كما ان انعدام العلوم والمعارف التى تغذى الفكر، وتنمى العقل كان له أثره السلبى فى الذوق الأدبى والنبوغ الشعرى .

ومن ثم فقد خيم الجمود الأدبى والعقم الفكرى على هذه الفترة فقل أن نقرأ نصا أدبيا ممتازا .

* *

أحداث ١٩٣٤م - ١٣٥٣ هـ :

كانت الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الأولى وخروج الأتراك من اليمن فترة ركود ، وتربص ، فلا زال الامام يحى يعيش نشوة الانتصار الذى حققه ، ولم تمر باليمن أحداث كبيرة تبين ركام الزيف الذى يعيشه امام اليمن حتى جاءت أحداث وهواجس عام ١٩٣٤م والتى أماطت اللثام عن حقيقة الحكم الامامى البغيض .

وكان أهم حدثين عرفتهما اليمن فى هذا العام هما :

١ - الاشتباكات على الحدود اليمنية السعودية .

٢ - المعاهدة اليمنية البريطانية .

ولسنا بصدد بحث هذين الحدثين من الوجهة التاريخية فلا مجال لذلك هنا .

والمهم فى الأمر أن نشير اشارة عابرة الى الآثار السياسية التى خلفها هذان الحدثان .

فالاشتباكات بين الأشقاء على الحدود اليمنية السعودية قد تحدث أحيانا ، ولكنها تنتهى بتعانق الأخوة وتصالحهما ، وكذلك كانت هذه الاشتباكات ، فقد انتهت بمعاهدة الطائف التى وضعت حدا للحرب بين البلدين الشقيقين .

غير أن الآثار السياسية الداخلية التى خلفها هذا الحدث ،كانت كبيرة فقد أظهرت ضعف الامام يحى وهشاشة حكمه ،وعدم قدرته على العطاء والاستمرار .

أما المعاهدة اليمنية البريطانية ،فأقل ما يقال فيها انها أوجدت شكوكا حول قدرة الامام على تحرير الجنوب من الأستعمار .(١)

وهنا انطلقت الألسنة من عقالها بالنقد والتشهير وبدأت التحركات الوطنية المخلصة عملها متمثلة فى الجهود المضنية التى كان يبذلها المصلحون من علماء ،وشعراء ، وأدباء ،ومثقفين ، وغيرهم ،وكان الغرض من هذه التحركات هو الخروج بالبلاد مما تعانى من جمود وركود وتخلف .

ونشأ عن تلك الجهود والتحركات اتجاهان متضادان :

الأول : يدعو الى حياة متطورة متقدمة على أن يكون ذلك التقدم والتطور فى اطار الروح الاسلامية الصحيحة .

الثانى : اتجاه شبه معاكس للاتجاه الأول اذ يدعو الى الاصلاح ولكن عن طريق الامامة ،أى أنه يرى أن يطالب الامام يحى باصلاح جهاز حكومته ،وادخال عناصر قوية من ذوى الكفاءة والنزاهة والعفة القادرين على التقدم باليمن نحو الأفضل وحمايته .(٢)

(١) راجع تفاصيل هذين الحدثين فى " ملوك العرب " للريحانى ١/٢٠٨ وتاريخ اليمن للواسعى ص ٣٩١-٤١٤ ،ومحاولة لفهم المشكلة اليمنية لزيد الوزير ص ١٦٩ .

(٢) أنظر " اليمن الانسان والحضارة " ص ١٧٦ .

وقد ساعد على نشوء هذين الاتجاهين عامل ثالث هو اختيار الأمير أحمد وليا للعهد .

اذ أن هذا الاختيار قد أبعد عن الحكم كل الأسر القوية الأخرى الطامعة فيه ،والمنافسة لبيت حميد الدين ، مما أدى الى انضمام القوى المعارضة للامام الى صفوف خصوم الامامة ، كما أن هذا العامل قد أثار من ناحية أخرى الحفائظ والانقسامات داخل الأسرة الحاكمة نفسها . ومهما يكن من شيء فليس بين الاتجاهين كبير اختلاف ،مادام الهدف واحدا وان اختلفت طرق العمل وأساليبه . على أن الاتجاه الثاني الذي كان في الظاهر قريبا من وضع الامامه ،كان أيضا موضع تشكك لدى الامام ،فقد وافق الامام في بداية الأمر على الخطة التي قدمها أنصار هذا الاتجاه ،فلم تر النور بعد ذلك .

ولهذا كان أصحاب الاتجاه الأول يرون الاصلاح عن طريق الأسرة الحاكمة شبه مستحيل .

وهذا الاتجاه هو موضع حديثنا هنا اذ أن له أثره العظيم في توجيه الأدب ،والشعر ،فأصحابه شخصيات بارزة ومؤثرة في المجتمع اليمني ، وهم ذوو نشاط علمي وسياسي وأدبي معروف ،كما أن أصحاب هذا الاتجاه المتطور كانوا يهدفون الى تجميع وتنظيم المستنيرين والمثقفين من الشباب.

وكان الأدباء والشعراء هم طليعة المثقفين ،وكانوا يتمتعون الى جانب ثقافتهم الأدبية ،بثقافة دينية وعلمية عاليه ،وكان أوائل رواد هذا الاتجاه هم :

أ - القاضى الأديب محمد بن محمد زباره .

٢ - العلامة الأديب احمد بن احمد المطاع .

٣ - العلامة الشاعر احمد عبد الوهاب الوريث .

٤ - القاضى الشاعر عبدالله العزب .

وقائد هذا الاتجاه احمد المطاع ،كان يتمتع بشخصية قوية مؤثره ماضى الارادة ،مرهف الاحساس ،كثير التجوال فى انحاء اليمن ،مدنه وقراه ،ومن ثم كان معروفا لدى جميع الأوساط الشعبية والرسمية فى البلاد وكان هذا الاتجاه بداية العمل الوطنى المخلص- كما أسلفنا- ونواة الحركة الوطنية المعاصره ومنطلق الكفاح المنظم ، وكان الأدب - وخاصة الشعر - أمضى أسلحة هذه الحركة التى تعدّ مرحلة ثالثة من مراحل الصراع الدائر على الساحة اليمنية ،وكان قد سبقها مرحلتان أخريان :

الأولى : كانت صراع الامام مع القبائل ذات الشوكة ،والنفوذ ، وكان الهدف منه اضعاف قوة تلك القبائل فلا تتجمع لمقاومته .

الثانية : كان الصراع دائرا فيها بين الامام والأسر الكبيرة الطامعة فى الحكم المنافسة لبيت حميد الدين كما سبقت الاشارة الى ذلك.

فقد ضرب هذه القوى بعضها ببعض ،حتى صار هو الحاكم الوحيد دون منازع .

وأخيرا جاءت المرحلة الثالثة ،وهى مرحلة نشوء الحركة الفكرية التى كانت تقودها الطبقة المستنيره من المثقفين ،ومعظمهم من الأدباء والشعراء[1] .

على أن هذه المرحلة الأخيرة كانت بداية الصراع العلنى بين الحكومة اليمنية - متمثلة فى الامام يحى - والمعارضين لها ، الذين نفثوا فى الشعب روحا جديدة ،وحياة جديدة أيضا .

ربما لم تكن هذه الحركة الفكرية النضالية محددة الأهداف ولا متخذة شكلا تنظيميا معينا ،الا أنها كما يقول الزبيرى " كانت البذور الأولى لحركة الأحرار المنظمة التى جاءت فيما بعد[2] ، والمتمثلة فى حزب الأحرار اليمنيين فى عدن .

* *

(١) أنظر تفاصيل هذه المراحل فى " مأساة واق الواق " للزبيرى ص ٦١ - ٦٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٢ .

حـــزب الأحـــرار :

لقد تمخضت مراحل الصراع الآنفة عن قيام حزب الأحرار اليمنيين الذى تأسس عام ١٩٤٤ م فى عدن عقب خروج الأحرار من صنعاء بعد تأكدهم أن العمل تحت طائلة الحكم الامامى غير مأمون العواقب ، ولا مؤد الى نتيجة حاسمه .

ويعتبر الحزب أول تجمع حركى منظم فى تاريخ اليمن الحديث .

يقول مؤسسه الأستاذ محمد محمود الزبيرى فى مقابلة أجريت معه قبل استشهاده ونشرتها مؤخرا صحيفة ١٣ يونية : (١)

شارحا ظروف نشأة الحزب ونشاطاته :

" وحينئذ ظهرت لأول مرة فى تاريخ اليمن الحديث حركة جماعية منظمة معارضة علنية ، فتأسس فى عدن " حزب الأحرار " وأخذ يعلن المعارضة فى مغامرة تشبه الجنون ، وفى مجتمع كان يعتبر هذا العمل كفرا وموقا ، ويترصد الدوائر بكل هؤلاء المشردين المطاردين ، كانت الحركة فى هذه المرحلة تمارس أنواع النشاط الآتية :

١ - خطب حماسية وقصائد شعرية فى حفلات عامة .

٢ - مقالات نارية فى الصحف .

(١) فى العدد ٢٦٥ تاريخ ٤/٣/١٩٨٢م تحت عنوان " لماذا كانوا فى عدن " .

٣ - مذكرات ثورية الى الامام يحي تطالب بحقوق الشعب وتنتقد الأوضاع .

٤ - الاتصال بمؤسسي الجامعة العربية ومطالبتهم بفتح أبواب الجامعة للشعب اليمني (١) .

وهذه الحركة المتواضعة كانت نقطة تحول الى ثورة حقيقية ضد الأوضاع المستبدة " .

ولم يستمر الحزب طويلا فقد أقض مضاجع حكام اليمن فأرسلوا احتجاجا الى الانجليز يطلبون منهم حلّ ذلك التجمع وايقاف نشاطه ، فاستجاب الانجليز لمطلبهم ،وحلوا الحزب ،وعاد معظم الأحرار الى شمال البلاد باستثناء زعيمي الحزب ورائديه الأستاذين الزبيري ونعمان ،فقد استمرا في عدن .. لكن دون أن يسمح لهما بالحركة .

ولم تمض سوى فترة وجيزه حتى وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها وألغيت الأحكام العرفية المفروضة على عدن ،وحينئذ تقدم الاستاذان الزبيري ونعمان باسم آلاف اليمنيين المقيمين في عدن يطلبون ترخيصا لاعادة التجمع اليمني أو بالأصح لتأسيس " الجمعية اليمانية الكبرى" خلفا لحزب الأحرار وحصلوا على الترخيص فعلا .

(١) تأسست الجامعة العربية سنة ١٩٤٥م أي أثناء وجود الحركة اليمنية في عدن .

فالأنجليز الذين خرجوا من الحرب منتصرين كانوا يطمعون في زعزعة أركان الزعامات المحلية في العالم العربي ، ولهذا عملوا على تشجيع أي معارضة تحقق لهم غرضهم مهما يكن نوعها أو اتجاهها ، ومن هذا المنطلق جاء تشجيعهم للأحرار اليمنيين ، لا حبا فيهم ، ولكن تطبيقا للقاعدة المعروفة عندهم " فرّق تسد " .

وتأسست الجمعية سنة ١٩٤٦م وأصدرت صحيفة باسمها سمتها صحيفة " صوت اليمن " (١) .

والتحق بعد ذلك أن انضم الى الجمعية الأمير سيف الحق ابراهيم أحد أفراد الأسرة المالكة أواخر سنة ١٩٤٦م ، مما زاد في نشاطها وصلابة عودها .

وفي سبتمبر سنة ١٩٤٧ م قامت حملة جديدة ضاعف فيها الشعراء والكتاب من جهودهم وأتقنوا الدعاية لحركتهم والتشهير بالحكومة بشكل لم يسبق له مثيل ، وكان لهذه الخطوة أو الخطوات المتتابعة تأثير بالغ أدى بسرعة مذهله الى قيام ثورة الدستور أم الثورات اليمنية المعاصرة جميعا .

وكان للشعر دور رائد في اشعال فتيل الثورة على ما سيأتي تفصيله ان شاء الله .

* *

(١) أنظر " مع الشعر المعاصر في اليمن للشامي ص ١٤٨-١٤٩ ، واليمن الانسان والحضارة ص ١٠١ ومابعدها ، والشعر المعاصر في اليمن لعز الدين اسماعيل ص ١٤-١٥ ففيها أخبار مفصلة عن حزب الاحرار والجمعية اليمانية وتكويناتهما وأسماء بعض أعضائهما .

الحركة الدستورية أو حركة ١٩٤٨م :

حركة ١٩٤٨م هى الحركة التى أيقظت أفئدة الشعب اليمنى وضمائره ، وحركت مشاعره وتطلعاته للثورة والنهوض ، فالتحركات والتجمعات والصراعات التى سبقت هذه الحركة انما كانت روافد تصب فى نهرها .

فهى لذلك تعتبر الوجه المشرق لكل ما سبقها من اعمال وتحركات وكانت هذه الحركة ثمرة لجهود مضنية وأعمال جبارة استغرقت سنوات متعددة .

وقد شارك فى الاعداد لها والنهوض بها عدة اتجاهات :

١ - الجانب العسكرى ذو الاتجاه القومى العربى المتمثل فى الرئيس جمال جميل[1] ، وكانت مهمة هذا الجانب حماية شوارع صنعاء مما قد تتعرض له من مخاطر وخطوب .

٢ - الجانب القبلى الذى تولى عملية تنفيذ اغتيال الامام يحى رأس النظام الحاكم[2] وقد تمثل هذا الجانب فى أسرة بنى " القردعى " .

(١) ضابط عراقى قدم الى اليمن عام ١٩٤١ م لتدريب الجيش اليمنى وقاد الكلية الحربية فى صنعاء طيلة هذه الفترة وقد أعدم بعد الانقلاب .

(٢) بنو القردعى أسرة يمنية كبيرة وهم من أعيان البلاد كان شيخ هذه القبيلة الشيخ على ناصر القردعى على رأس الكمين الذى نفذ عملية اغتيال الامام يحى وقد أعدم عقب الانقلاب أيضا .

٣ - كما أسهم فى الحركة فئة ثالثة من فئات الشعب هم أبناء الأسر الكبيرة المنافسة لأسرة بيت حميد الدين والمتمثلة فى أسرة بيت الوزير وعلى رأسهم عبدالله بن احمد الوزير (١) ، الذى كان مرشحا لقيادة الثورة وامامة الدستور .

٤ - وتزعم هذه الاتجاهات كلها اتجاه رابع ،وهو اتجاه وطنى اسلامى ضم كثيرا من العلماء والأدباء والشعراء والقضاة والدعاة والمصلحين لعل من أبرزهم :

١ - الداعية الاسلامى الكبير الفضيل الورتلانى (٢) .

٢ - العلامة احمد المطاع (٣) .

٣ - القاضى زيد الموشكى (٤) .

٤ - الأستاذ الشاعر محمد محمود الزبيرى (٥) .

٥ - الاستاذ الشاعر احمد الشامى (٦) .

(١) عبدالله بن احمد الوزير عالم وسياسى من كبار رجالات اليمن آنذاك وكان يعد الرجل الثانى فى البلاد بعد الامام يحى ،وقد أعدم بعد حركة ٤٨ مباشرة.

(٢) عالم فاضل جزائرى كان موفدا من قبل الامام حسن البناء للاطلاع على أحوال اليمن وقد زار قبلها عدة بلدان لنفس الغرض .

(٣) ستأتى ترجمته فى ملحق تراجم الشعراء .

(٤) " " " " " " "

(٥) " " " " " " "

(٦) " " " " " " "

٦ - الأستاذ الأديب احمد محمد نعمان (١).

٧ - القاضي عبد الرحمن الارياني (٢).

٨ - والشاعر ابراهيم الحضراني (٣).

٩ - والمؤرخ القاضي عبدالله الشماحي (٤).

وغيرهم كثير .

وتكاثفت جهودهم جميعا على فكرة ازالة الظلم والقهر الاجتماعي عن المواطن اليمني ، فكانت ثورة ١٩٤٨ م - ١٣٦٧ هـ التي أطاحت برأس النظام الحاكم الامام يحي وان فشلت في الاطاحة بالنظام كله ولم تستمر الا ريثما استعد ولي العهد احمد حميد الدين للقضاء على الثورة بعد ثلاثة أسابيع من قيامها (٥) ، فكتم أنفاسها في مهدها ، وساق معظم رجالاتها الى سجون " حجة " وقتل من قتل منهم صبرا ، وبقي من بقي منهم في ظلمات السجون ، وكانت هذه الأيام أياما عصيبة على الثوار وأقاربهم خاصة وعلى الشعب اليمني عامة .

(١) احمد محمد نعمان ، من أسرة يمنية معروفة في لواء تعز كان من زملاء الزبيري ورفقاء دربه في عدن والقاهرة ، خطيب وأديب تولى عدة مناصب بعد الثورة ، وكان رئيسا للوزراء وعضوا في المجلس الجمهوري في فترة حكم الارياني ١٩٦٧-١٩٧٤م .

(٢) انظر ملحق التراجم .

(٣) انظر ملحق التراجم .

(٤) انظر ملحق التراجم .

(٥) انظر اليمن الحضارة والانسان للشماحي ص ٢٥٥ ومابعدها ومأساة واق الواق للزبيري في عدة مواضع وصحيفة ١٣ يونية عدد ٢٦٥ بتاريخ ٤/٣/١٩٨٢م .

وأقام الامام احمد عرشه على بحر من دماء الشهداء واستقر له الأمر واستتبت الأوضاع ،وظن الناس أن الحركة قد انتهت ،ولن تقوم للثوار بعد ذلك قائمة .

غير أن الحقيقة كانت خلاف ذلك فالثورة لم تنته بل تأصلت جذورها وأصبحت مصدر الهام سياسى عظيم ومصدر اشعاع أدبى ضخم ،وبدأ العمل الوطنى نشاطه من جديد ، واستأنف المخلصون جهادهم مستلهمين من أحداث وتحركات تلك الثورة متلافين ما حدث فيها من أخطاء .

وقد أعانهم على ذلك ثورة يوليو ١٩٥٢م فى مصر حيث بدأ حزب الأحرار نشاطه بقوة وصلابه واصرار فى القاهرة ،ولم تمض سوى سبع سنوات على قيام ثورة ٤٨ حتى تفجرت ثورة ثانية عام ١٩٥٥م فى مدينة تعز مقر الامام احمد اشترك فيها فئتان وطنيتان هما فئة الجيش ممثله فى المقدم أحمد الثلايا ،وفئة المثقفين ممثله فى القاضى الارياني ،وأحمد نعمان وبعض المثقفين الآخرين .

وكانت الواجهه هذه المرة من الأسرة الحاكمة نفسها فقد كان على رأس الانقلاب الأمير عبدالله بن يحى شقيق الامام أحمد ، والمؤسف أنه لم يكن هناك تنسيق يذكر بين مختلف القوى الوطنية الراغبة فى التخلص من الامام احمد ولهذا لم تلبث هذه الحركة أن سقطت بعد خمسة أيام فقط من بدايتها .

والغريب حقا أن الأستاذ الزبيرى - وهو أبز العناصر الوطنيـــة ومن ورائه حزب الأحرار فى القاهرة - لم يكن على صلة بهذه الحركـــة الانقلابية الجديدة ، ولهذا وقف منها موقفا مضادا فقد هاجمها بصراحـــة ووضوح من اذاعة " صوت العرب " فى القاهرة مما يدل على أن هذه الحركة كانت ارتجالا أكثر منها تنظيما وتخطيطا (١) .

وعلى الرغم من سلبيات هذه الحركة الا أن آثرها تعد امتدادا لحركة ١٩٤٨م ومقدمات ايجابية لثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م .

* *

(١) يجوز أن تصرف الزبيرى هذا ضد الانقلابيين كان الهدف منه التقليل من عدد الضحايا حتى لا يتكرر الخطأ الذى وقع فيه الأحرار عـــام ١٩٤٨م حيث سقطت أبرز شخصيات الأحرار ، وكانت تلك خسارة اكبر من خسارة الثورة وفشلها ، ولهذا نجد أن عدد الضحايا هذه المرة كان لا يتجاوز عدد أصابع اليدين بخلاف حركة ١٩٤٨ الـــتى راح ضحيتها عدد كبير من الأحرار كما عرفنا .

ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢ م :

في الحادي والعشرين من ربيع الثاني سنة ١٣٨٢ هـ الموافق ٢٠ سبتمبر ١٩٦٢م توفي الامام احمد حميد الدين مثخنا بجراحاته من جراء الرصاص الذي أطلقه عليه ثلاثة من الشباب في مستشفى الحديدة عام ١٩٦١ م ١٣٨١هـ .

وقام بعده ولي عهده محمد البدر اماما على اليمن غير أنه لم يمكث سوى ستة أيام في الحكم .

فقد أنفجرت الثورة في ليلة ٢٧ ربيع الثاني لعام ١٣٨٢هـ الموافق ٢٦ من سبتمبر ١٩٦٢م .

وبهذا انتهت دولة آل حميد الدين وقامت على اثرها ثورة سبتمبر التي غيرت مجرى التاريخ في الحياة اليمنية .

لقد كانت الثورة - ولا شك - كما يقول الأستاذ أحمد الشامي :

" رد فعل لأصوات وطنية كانت قد تصايحت في ضمائر كثير من اليمنيين الذين يريدون تغيير الأوضاع الى الأفضل والأحسن ، ويطالبون بالاصلاح والحكم الشوري العادل ، والتخلص من آفات التخلف والفقر والجهل والمرض، التي كانت تنهش في هيكل الأمة " (١) .

(١) احمد الشامي من الشعر الحاضر في اليمن ص ٩٩ .

كما كانت الثورة تتويجا لكل ماسبقها من ثورات وتحركات وانتفاضات وتجمعات شعبية ، وما صاحب ذلك من ثروة أدبية ونتاج شعرى كان لهما أبلغ الأثر فى اشعال حماس الجماهير اليمنية ، واثارة وتحريك أحاسيسهم وايقاظ ضمائرهم للاحساس بالظلم ، والثورة على التخلف والجهل والفقر والمرض وما شابهها من الأمراض الاجتماعية الفتاكه .

بعد هذا التمهيد أوبأن أشير الى أن الاحرار ، الذين ظلوا نحوا من عشرين عاما يكافحون ويجاهدون من أجل الخلاص من الحكم الامامى ورفع مستوى الشعب فى مختلف جوانب الحياة ، قد كان لهم الأثر الكبير فى تفجير ثورة ٢٦ من سبتمبر عام ١٩٦٢ م .(١)

والحق أن هذا الحدث العظيم قد تسبب فى تفجير قرائح الموهوبين من الشعراء وانفتاحهم على الحياة المعاصرة .

ولهذا فقد انسابت القصائد من كل حدب وصوب تمجيدا وفخرا واشادة ومدحا .

(١) لم تكن الثورة من تنفيذ الأحرار المباشر ، وان كانت قد جاءت ثمرة لجهودهم ونضالهم فى الفترة التى سبقت الثورة بعشرين عاما تقريبا - كما قلنا - كما كان لهم أيضا فضل التأييد المعنوى والتوعيه السياسية للمحافظة عليها بعد ذلك .

على أن الذين باشروا تفجير الثورة هم مجموعة من الظباط من خريجى الكلية الحربية وكلية الشرطة ، وقد تولى كتاب " أسرار ووثائق الثورة اليمنية " المنشور مؤخرا فى بيروت تفصيل ذلك وذكر أسماءهم والخلايا التى كانت تجمعهم .

وقد تبوأ كثير من الأدباء والشعراء مناصب قيادية فى حكومة الثورة وكان لهذا أثره البالغ فى رفع مستوى الأدب والشعر تحقيقا لمبدأ من مبادىء الثورة فى العمل على رفع مستوى الشعب اليمنى فى مختلف الأصعده وكل جوانب الحياة بما فيها الحياة الأدبية والثقافية .

ثم توالت الأحداث ،ففى السنة التالية انفجرت ثورة شعبية فى جنوب البلاد تطالب بخروج الأنجليز وازالة الظلم والقهر الاجتماعى والحلف الاستعمارى الذى يواجهه المواطن فى الجنوب .

وسارت الأحداث فى شمال البلاد وجنوبها فى خطين متوازين ، نظرا لاختلاف طبيعة الصراع ،ففى الوقت الذى يخوض فيه الشعب فى الشمال حربا أهلية ضروسا لتثبيت قواعد الحكم الجمهورى ،اذا به يخوض فى الجنوب حربا تحريرية مقدسه ضد أعتى قوة استعمارية ،ويمضى الخطان لا يلتقيان ويجد الشعر فى الحربين مجالا خصبا للتعبير عن ارادة الجماهير وآمالها وتطلعاتها ،ويلقى الشعراء بثقلهم فى المعركة فاذا بالشعر يصول ويجول الى جانب المقاتلين فى الشطرين ويكون للكلمة الشعرية تأثيرها الفعال هى والطلقة النارية سواء بسواء ،وتتطور الأحداث ويشتد النزيف فاذا بالأستاذ الزبيرى ومن معه من المصلحين يبذلون جهودا جبارة لايقاف ذلك النزيف واحلال السلام فى شمال البلاد ،فكان مؤتمر "عمران"(١)

(١) مؤتمر عمران ، مؤتمر وطنى عقد بزعامة الزبيرى فى منطقة عمران شمال صنعاء ،وخرج بقرارات ايجابية لم ترض بعض الجهات السياسية

أعقبه اغتيال الأستاذ الزبيرى ،وكان لهذا الحدث أثره النفسى العظيم فى نفوس اليمنيين عامة والشعراء منهم بصفة خاصة .

فتبارى الشعراء والخطباء والكتاب فى رثاء الزبيرى ،وعبروا عن آلامهم وآلام الشعب بفقده ،ولا زال الشعب اليمنى يحتفل بذكرى الشهيد الزبيرى الى اليوم ،وهناك قصائد كثيرة للبردونى والمقالح والشرفى وغيرهم تعبر عن هذا الخطب الجليل الذى أصاب الشعب اليمنى فى ابنه البار محمد محمود الزبيرى .

ولا أريد أن أتوقف كثيرا عند الأحداث السياسية فالتفاصيل فى هذه الأحداث تحتاج الى مجلدات .

غير أن هناك أحداثا ذات ارتباط مصيرى بالشعر ولها أثرها فى نفوس الشعراء كما أن للشعر دورا فى تصوير تلك الأحداث وابرازها .

= ذات التأثير المباشر على الحكومة فى صنعاء ،ولذا عملت الحكومة على الغاء تلك القرارات الجماهيرية والدعوة الى مؤتمر آخر عقد فى خمر بعد اتخاذ بعض الترتيبات التى تضمن للحكومة السيطرة عليه .

(١) بعد الغاء قرارات مؤتمر عمران ، حصلت جفوه بين الزبيرى والحكومة فخرج الزبيرى من صنعاء الى القبائل الشمالية هو وبعض زعماء الأحرار ومجموعة من الشباب ،وهناك أسس " حزب الله " الا أنه اغتيل قبل أن يكمل المشوار فى ظروف غامضه ولم تعلم الجهة التى اغتالته حتى اليوم ، فرحمه الله وأسكنه فسيح جناته .

ومن اعظم تلك الأحداث التى لفتت أنظار الشعراء والأدباء - اضافة الى الأحداث السابقة - حدثان هامان فى تاريخ الثورة اليمنية هما :

أ - حرب السبعين . ب - خروج الاستعمار من جنوب البلاد .

أ - حرب السبعين يوما ، وهى بين الجمهوريين والملكيين حول مدينة صنعاء وقد بدأت الحرب فى أول ديسمبر ١٩٦٧م وانتهت فى منتصف فبراير ١٩٦٨م وكانت نهاية المطاف فى الحرب الأهلية اليمنية وهذا من أهم نتائجها .

ومن نتائجها التى تحدث عنها الشعر :

١ - فك الحصار عن صنعاء الثورة .

٢ - كسر شوكة الملكيين .

٣ - اقناعهم بعدم جدوى استمرار الحرب .

٤ - تقوية الروح المعنوية لدى الجمهوريين .

هذا بالاضافة الى النتاج الشعرى الهائل المسجل فى دواوين الشعراء اليمنيين فى مختلف اتجاهاتهم ، وسأثبت شيئا من نماذجه عند الحديث عن الشعر الوطنى باذن الله .

ب - خروج الاستعمار الانجليزى من جنوب الوطن ، وهذا أيضا حدث هام فى تاريخ اليمن ، ولهذا ترنم به الشعراء وأشاد به الكتاب والخطباء

وفرح به المواطنون اليمنيون فى الشطرين ، وكان أمل الشعب اليمنى لو استغل الوطنيون الفرص المتاحه وأجمعوا أمرهم بينهم على كلمة سواء ونحو الخلافات والصراعات جانبا ، فلو أنهم فعلوا ذلك لكان خيرا لهم ولأمتهم ، وأهدى الى سواء السبيل .

وعلى أى حال لقد كان خروج الانجليز هو نهاية الصراع بين اليمنيين وقوى الاستعمار هذا فى الجنوب .

أما فى الشمال فقد كانت حرب السبعين يوما بداية لتاريخ جديد فى حياة الثورة والجمهورية ذلك هو تاريخ المصالحة الوطنية واستقرار الثورة واقامة حكم جمهورى على مبادىء وأسس سليمة وأهداف نبيله ، هى مبادىء وأهداف سبتمبر ١٩٦٢م .(١)

(١) كانت أهداف ومبادىء الثورة التى صيغت عند قيامها ولم يقدر لها أن تطبق بسبب الحروب الأهلية على النحو التالى :

أولا : التحرر من الاستعمار والاستبداد ومخلفاتهما واقامة حكم جمهورى عادل وازالة الفوارق والامتيازات بين الطبقات .

ثانيا : بناء جيش وطنى قوى لحماية البلاد وحراسة الثورة ومكاسبها .

ثالثا : رفع مستوى الشعب اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا .

رابعا : انشاء مجتمع ديمقراطى تعاونى عادل مستمد أنظمته من روح الاسلام الحنيف .

ومما لا شك فيه أن هذه الأحداث كلها منذ قامت الثورة الى أن تمت المصالحة الوطنية سنة ١٩٧٠ م ١٣٩٠هـ قد انعكست على الشعر وأثرت فيه تأثيرا كبيرا وحولته من شعر احتجاج وتمرد - كما سنعرف - الى شعر مقاومة وثورة شاملة (١) .

وليس هذا فحسب " فقد زاد عدد الشعراء وتغيرت الأشكال الأدبية والأنماط الشعرية حتى غدا للشعر أسلوبان عمودى وحديث " (٢) ، وهذا التطور الهائل الذى طرأ على الشعر اليمنى انما هو جزء من التطور العام فى جميع مجالات الحياة .

* * *
* *
*

= خامسا : العمل على تحقيق الوحدة الوطنية فى نطاق الوحدة العربية الشاملة .

سادسا : احترام مواثيق الأمم المتحدة والمنظمات الدولية والعمل على اقرار السلام العالمى والتمسك بمبادئ الحياد الايجابى ، وتدعيم مبدأ التعايش السلمى بين الأمم . اهـ الميثاق .

والديمقراطية هنا لا تعنى غير الشورى مادام المجتمع مستمدا انظمته من روح الاسلام .

(١) الأبعاد الموضوعية والفنية للمقالح ص ٢٩٢ .

(٢) نفس المرجع السابق .

" المبحث الثاني "

في

" العامل الثقافي "

تمهيـــد :

بقى اليمن خلال النصف الثانى من القرن الماضى والى منتصـــف الثلاثينيات من القرن الحالى بعيدا عن كل تيار فكرى جديد ، فى حين أن غيره من البلاد العربية وخاصة مصر والشام والعراق ، كانت تشهد حركة علمية وأدبية نشطه .

فاذا كان تاريخ نهضة الأدب العربى فى البلاد العربية الأخـرى يبدأ فى منتصف القرن التاسع عشر ،فانه فى اليمن قد تأخر الى ماقبل نشوب الحرب العالمية الثانية بقليل .

ذلك أن اليمن كان فى عزلة شبه تامه فى تلك الفترة عن البـــلاد العربية ،وعما يجرى فى العالم من أحداث وتطورات سياسية ،وثقـافيـة، ولهذا ظل محافظا على الثقافة الأدبية لعصور الانحطاط الأدبـى الـتى سبقت عصر النهضة .

وكان من البديهى أن يكون الأمر كذلك اذ لم يحظ اليمن طيلـــة هذه الفترة بأى تطور فى وسائل الثقافة المعاصرة والتى كانت مساعده على التطور العام .

ولعل أبر تلك الوسائل هى الوسائل التالية :

١ ـ التعليم .

٢ ـ الاعـــلام .

٣ ـ الطباعـة .

وفى الصفحات التالية ان شاء الله سوف نتناول بايجاز أوضـاع تلـك الوسائل وتاريخ تطورها ، كلا على انفراد مع تلمس أثر ذلك على الحركـة الأدبية والشعرية المعاصرة فى اليمن .

* * *

١ - التعليـــم :

مما لا شك فيه أن التعليم هو العنصر الأهم والعامل الأساسى فـــى نشر الثقافة واشاعة العلوم والمعارف ،وبث الوعى بين صفوف المواطنين ،كما يعدّ التعليم - بمختلف فروعه - السبيل الوحيد لاعداد الكفاءات القـادرة على العطاء والانتاج المؤهلة لتحمل المسئولية ،والأكثر من ذلك أن التعليم الموجه الهادف من أكثر العوامل تأثيرا فى ايجاد المواطن الصـــالـــح ، وقدرة على تربية النشء تربية سليمة ،واشاعة روح التعاون والاخاء والتسامح بين أفراد المجتمع .

ولما كان هذا القرن - أعنى القرن العشرين الميلادى ،الرابـــع عشر الهجرى - أكثر القرون توسعا فى هذا المجال ،مجال العلوم والمعارف فينبغى اعطاء القارئ لمحة ولو موجزة عن تاريخ تطور التعليم فى اليمـــن خلال هذا القرن .

من المعلوم بداهة أن التعليم كان قبل ذلك يقوم على الكتـاتيـب وحلقات المساجد والتلقى الشفوى عن العلماء ،وغير ذلك من الطـــرق المتبعه آنذاك ،غير أن العثمانيين استطاعوا - بحكم سلطانهم - أن يطوروا تلك الوسائل التعليمية خلال سيطرتهم على اليمن وأن يستخدموا طـرفـا تتلاءم وظروف العصر مع استمرار المساجد فى أداء دورها التعليمى الرائد ،

ففى عهد الوالى حسن حلمى (١) ، تمكن العثمانيون من ادخال التعليم الحديث الى اليمن ولأول مرة قام الوالى المذكور بتأسيس :

١ - ادارة المعارف .

٢ - دار المعلمين .

٣ - مدرسة الصنائع .

وغيرها ، وألزم الأهالى بادخال أبنائهم فى هذه المدارس حرصا منه على نشر التعليم واشاعته بين جميع المواطنين (٢) .

كما قام العثمانيون فى أخريات أيام حكمهم على اليمن بافتتاح مدرسة تدرس فيها اللغات العربية والفرنسية والتركية وذلك قبيل الحرب العالمية بقليل اضافة الى دراسة الكيمياء والحساب وغيرها من العلوم ، غير أن ظروف الحرب العالمية الأولى حالت دون استمرارها ، وقد رحل العثمانيون من اليمن عقب هذه الحرب مباشرة بخيرهم وشرهم وبعد خروجهم تولى الامام يحيى حميد الدين زمام الأمور فى البلاد ولكنه لم يول هذا المرفق الحيوى الهام أدنى اهتمام (٣) .

(١) أحد ولاة الدولة العثمانية على اليمن من قبل الباب العالى فى تركيا وكان عالما يحب العلم ويقرب العلماء ويتصدق على الفقراء والمعوزين ويحارب الرشوة ، تولى على اليمن سنة ١٣١٥هـ وعزل سنة ١٣١٨هـ وكان ذكره محمودا عند أهل اليمن . أنظر تاريخ اليمن للواسعى ص ٢٩٢ ومابعدها .

(٢) تاريخ اليمن للواسعى ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٣) الحكم العثمانى فى اليمن لفاروق أباظه ص ٤١٥ ومابعدها .

بل انه على العكس من ذلك قد قام بالغاء تلك المدارس التى أنشأها العثمانيون ،وأقام مكانها تعليما بدائيا متعثرا غير قادر على خلق المناخ الفكرى والثقافى المناسب ،وفيما عدا :

- المدرسة العلمية بصنعا .
- ودار المعلمين بصنعاء .
- ومدرسة الحديدة بالحديدة .

وبعض المساجد الكبيرة كالجامع الكبير بصنعا ومساجد زبيد وجبله وذمار - كان التعليم هابطا الى أدنى المستويات ،ولولا أن حاجة الامام الى بعض الموظفين الحكوميين ألجأته الى فتح تلك المدارس المعدودة لما أنشأها .

والملاحظ أن تلك المدارس على أهميتها كانت :

أولا : قليلة العدد بحيث لا تغطى الا أحياء قليلة من المناطق ،والمدن الرئيسية الكبرى ،بينما نجد بقية المدن ومعظم المناطق أو كل المناطق الريفية محرومة من التعليم تماما .

اللهم الا من بعض الكتاتيب المنتشرة فى بعض الأرياف والمقتصرة على تعليم القرآن وبصورة بدائية وعقيمة فقد ينهى الطالب فيها تعلم قراءة القرآن وهو لا يحسن تلاوة الفاتحة تلاوة صحيحة .

ثانيا : أن التعليم فى تلك المدارس والمعاهد الكبرى ينحصر فى مجال تعليم العلوم الدينية والعربية الأولية من فقه وتفسير وأصول ونحو وصرف وعروض ونحوها (١) .

وهذه العلوم مع ضرورتها وأهميتها وحاجة البلاد اليها الا أنها ينبغى أن تكون جزءا من خطة تعليمية شاملة قادرة على اعداد كوادر فى كل مرافق الدولة وفى جميع مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها طبقا لتعاليم الاسلام وقوانينه التشريعية .

ومع ذلك فان تلك المدارس الكبرى - ان صحت التسمية - كانت عاجزة عن تغطية حتى بعض الوظائف الادارية فى مجال القضاء ، وتبقى بعد ذلك مجالات كثيرة شاغرة تماما من مؤهلين يديرونها ويحملون أعباءها .

هذا هو سر ذلك التخلف فى هذه المجالات والذى ساد فترة حكم الأئمة فى اليمن مايزيد على نصف قرن .

ثالثا : ان تلك المدارس وخاصة المدرسة العلمية فى صنعاء ، كانت قاصرة على تعليم أبناء الأسرة الحاكمة والأسر الكبيرة الأخرى ، وكان

(١) انظر تاريخ اليمن للواسعى ص ٣٣٨ والأبعاد للمقالح ص ٣٢ .

هذا مبلغ الجهد فى مجال التعليم الداخلى ، أما التعليم فى الخارج عن طريق البعثات فلم يكن أحسن حظا من سابقه اذ كان الأئمة يتخوفون منه كثيرا خشية وقوع بعض الطلاب المبتعثين فى الانحراف الفكرى أو الخلقى كما كانوا يزعمون .

وربما كانت هذه وجهة نظر صحيحة بعض الشىء الا أنها ليست مبررا كافيا لحرمان الشعب من حقه فى التعليم اذ لم يكن العلم أبدا مدعاة للانحراف .

ويبدو أن خوف الأئمة من أن يطّلع هؤلاء الشباب على ثقافة الآخرين ومدنيتهم ، كان أكثر من خوفهم من تسرب الأفكار المنحرفة أو موازيا له .

على أن تسرب الأفكار والمبادىء المنحرفة شىء مخيف فعلا ، ومن حق كل دولة أن تحمى أبناءها من تلك الأفكار ، غير أن الطريقة التى عالج بها الأئمة الموضوع كانت غير سليمة ، فسياسة التجهيل ليست حلا لعلاج ذلك الانحراف بقدر ما هى مزرعة خصبة لنشوء مثل تلك الأفكار .

وبالرغم من حرص الأئمة الشديد على تلك السياسة التجهيلية فقد اضطروا الى أرسال بعض البعثات الدراسية عسكرية ومدنية ، وهو أمر أقتضته الحاجة الملحة وحتمته الظروف التى تعيشها البلاد .

ومن ثم فقد وافق الامام يحى مضطرا على ارسال البعثات التالية :

١ - بعثة لدراسة الطيران فى ايطاليا .

٢ - بعثة لدراسة الطب فى ايطاليا أيضا .

٣ - بعثة عسكرية الى العراق .

٤ - بعثة ثقافية الى العراق أيضا .[1]

وكانت هذه البعثات كلها فى الثلاثينيات من هذا القرن .

وكان من اعضاء البعثة العسكرية الى العراق كل من :

محى الدين العنسى ،واحمد حسين المروني ،وكانا من ثوار حركة ١٩٤٨م .

واحمد الثلايا وكان قائد حركة ١٩٥٥م.

وحمود الجائفى وعبدالله الجزيلان ، وعبدالله السلال ،وهؤلاء أبرز القواد فى ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م .

والى جانب هذه البعثات الرسمية ، كان هناك طلاب آخرون خرجوا الى القاهرة وغيرها بهدف التعليم ،كان فى مقدمتهم الأستاذ الزبيرى الذى درس فى كلية دار العلوم فى القاهرة بين سنتى ١٩٣٨ - ١٩٤١ م الشىء الهام فى ذلك كله أن التعليم كان له أثره البالغ على الأدب عامة والشعر بوجه خاص ، فمعظم المثقفين كانوا أدباء وشعراء أو من هواة الأدب والشعر .

ويدهى أن يتأخر عصر النهضة فى اليمن نتيجة لتأخر التعليم فيها فلم تبدأ النهضة الأدبية وتتضح معالم المعاصرة فى الشعر الا فى منتصف

(١) اليمن عبر التاريخ ص ٣٠١.

الثلاثينيات على ما سيأتى ، وبعد أن تسربت الى اليمن الكتب الثقافية والأدبية ودواوين الشعراء العرب المعاصرين وتآليف رواد الأدب والفكر فى العالم العربى وخاصة فى مصر والشام والعراق . فكان لهذه الكتب الفضل فى دفع عجلة التقدم فى الفكر اليمنى والثقافة اليمنية .

بيد أن التعليم من الناحية الرسمية ظل - كما كان - متعثرا الى درجة كبيرة .

ولهذا كانت غالبية قطاعات الشعب اليمنى محرومة من الثقافة والتعليم بما فى ذلك التعليم الاسلامى والثقافة الدينية .

والفئة التى كانت تملك قسطا من الثقافة والتعليم تنحصر فى مجموعة قليلة من أبناء الشعب ومعظمهم ممن خرجوا فى بعثات دراسية أو هجرات أو ممن تأثر بهم أو اطلع على كتب جاءت عن طريقهم ، وكان للهجرة كما هو معروف دور بارز فى اخصاب الثقافة والفكر والأدب فى اليمن .

فاذا كانت العزلة من أهم أسباب الانحطاط الفكرى والتخلف الثقافى فان للهجرة أثرها الايجابى فى كسر طوق العزلة اذ تمكن المهاجرون من الاطلاع على ثقافة الشعوب التى هاجروا اليها ونهلوا من معين الثقافة المعاصرة التى واجهوها تلك المهاجر ،فالانسان بطبعه مجبول على حب الاطلاع شغوف بكل جديد .

وبالرغم من أن الهدف الرئيسى من الهجرة هو كسب العيش الشريف الا أن المهاجرين اضطروا من خلال ذلك الى تعلم لغات الآخرين حتى

يسهل لهم العيش وخاصة أولئك الذين هاجروا الى أوربا وامريكا أو غيرهما من بلاد العالم .

هذا جانب ، ومن جانب آخر فقد أراد هؤلاء أن يتلافوا مافاتهم من التعليم ، وأن يكملوه فى أبنائهم وفلذات أكبادهم وخاصة أنهم يشاهدون بأعينهم الأثر الايجابى للتعليم فى المجتمعات البشرية التى يعيشون فيها .

ولهذا عاد عدد كبير من أبناء المهاجرين يحملون ثقافات متعددة وكان لهم أثرهم فى دفع عجلة الثقافة العامة الى الأمام ، فلم تقم ثورة سبتمبر ١٩٦٢م حتى كان الشعب كله متعطشا الى العلم متهيئا له متحفزا للحاق ببقية الشعوب .

فلما قامت الثورة وفتحت ابواب التعليم على نطاق واسع ، وبقدر امكانياتها المحدودة ، أتاحت فرص التعليم لجميع المواطنين ، ولم تمض سوى بضع سنوات حتى آتت شجرة التعليم ثمارها يانعة بعد أن انتشر التعليم بسرعة غير متوقعه وزاد عدد المدارس والمعاهد وبلغ الآلاف ، وبلغ عدد الطلاب عشرات الآلاف فى المدن والأرياف ، كما زاد عدد البعثات زيادة ملحوظة .

أما التعليم الجامعى فقد بدأ بعد مضى ثمانى سنوات فقط من قيام الثورة ، أى فى أوائل السبعينات ، ولا يزيد عمره الآن عن العقدين ، وهو وقت قصير جدا فى عمر الزمن بالنسبة لبلد نام كاليمن .

فقد بدأت الجامعة بكليتى ،الشريعة والقانون ،والتربية ، ثـم زاد عدد الكليات حتى شمل معظم التخصصات التى تدرسها الجامعات العربية.(١)

و ما من شك أن التعليم ولا سيما الجامعى أسس هام من أسس الحركة الأدبية المعاصرة ،تتطور بتطوره وتنحسر بانحساره ، وفى مدى أربعة عقود تطورت الحركة الأدبية فى اليمن تطورا ملحوظا لفت أنظار الكتاب والأدباء والمؤلفين .

وقد كانت الحركة الأدبية قبل ذلك متخلفة تخلفا شديدا بل لم يكن لها وجود ذو بال نتيجة لتخلف التعليم وأثر ذلك التخلف على الحيـاة الثقافية عامة ،والحركة الأدبية على وجه الخصوص .

ولعل هذا ما هدف اليه وقصده الدكتور طه حسين فى كتابه " الحياة الأدبية فى جزيرة العرب " حين قال وهو يتحدث عن الحياة الأدبية فى اليمن فى العشرينيات من هذا القرن : " وأنت تكلف نفسك مشقة شديدة ان أردت تتلمس فى اليمن أو الحجاز الآن شعرا ذا قيمة فنية حقيقية ،انما هى ألفاظ مرصوفه يكثر فيها البديع وتدور حول معان تافهة " .

وما رأيك فى أربعة أو خمسة من الشعراء يضيعون وقتهم فى صنعاء فى نظم القصائد الركيكة حول هذا المعنى وهو " أى الأمرين خير ،قرب الروح من الروح أم قرب الجسم من الجسم " .(٢)

(١) تشتمل اليوم جامعة صنعاء على الكليات الآتية : كلية الشريعة والقانون ، كلية التربية ـ كلية الآداب ـ كلية الاقتصاد والتجارة ـ كلية العلوم كلية الطب ،وهى فى طريقها الى افتتاح بقية التخصصات ،اضافة الى بعض الأقسام فى الدراسات العليا .

(٢) الحياة الأدبية فى جزيرة العرب ص ٢٠٨ .

وربما كان فى وصف الدكتور طه شىء من المبالغه الا أنه صحيح بوجه عام ولكنه لا ينطبق الا على الفترة التى كتب فيها كتابه فقط ، وهى فترة العشرينيات الى أوائل الثلاثينيات من هذا القرن .

* *

٢ - الاعلام :

الاعلام بوسائله المتعدده هو أحد وأبرز سبل نشر الثقافة والوعى فى الأمة بمختلف طبقاتها ومستوياتها .

وقد عرف العالم بما فيه العالم العربى وخاصة مصر والشام هذه الوسائل منذ عشرات السنين ، كما أن هذه الوسائل قد استغلت استغلالا جيدا فى سبيل نشر الثقافات العالمية والتقريب بينها .

١ - الصحافة :

ولم تعرف اليمن من وسائل الاعلام الا وسيلة واحدة هى الصحافة وبصورة ضئيلة ، حتى لا يكاد يحس أو يسمع بها الا أصحاب الشأن وهم قليلون جدا ، هذا فى أول الأمر ، ثم تطورت رويدا رويدا حتى بلغت حدا

(١) كانت الصحافة هى الوسيلة الوحيدة طيلة فترة الامام يحى والجزء الأكبر من فترة الامام احمد ، لكنه بعد ذلك انشئت الاذاعة وكان لها دورها كما سيأتى قريبا فى هذه الدراسة .

لا بأس به من التقدم ،وكانت صحيفة " صنعاء " التي أصدرها الأتراك في اليمن في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين - هي أول صحيفة تصدر في اليمن في هذا العصر ،ولكنها اختفت بعد خروج الجيش العثماني من اليمن (١) .

وبعد دخول الامام يحيى الى صنعاء وتوليه الحكم صدرت صحيفة أخرى هي صحيفة " الايمان " وكانت أقل شأنا من سابقتها اذ لم تكن تهتم الا بالأوامر الرسمية ،والأخبار المحلية ،وتنقلات الامام ،وما قيل فيه من مدح وثناء .

ولهذا لم تسهم لا قليلا ولا كثيرا في نشر الثقافة والوعي بين المواطنين الذين كانوا بحاجة ماسه الى مثل هذه المعلومات الثقافية علمية كانت أو أدبية أو دينية ،واستمرت هذه الصحيفة في الصدور الى حوالي سنة ١٩٥٧م.

وقد تغير وضعها في سنواتها الأخيرة ، فصارت تهتم ببعض الموضوعات الأدبية والسياسية والدينية التي تهم المواطن اليمني وذلك بعد أن تولى تحريرها الأستاذ العلامة الشاعر عبد الكريم الأمير ،لكن اهتمامها ذاك كان منصبا على الموضوعات ذات الصبغة الأدبية أو الدينية البحتة البعيدة عن النقد السياسي أو الاصلاح الاجتماعي للأوضاع .

(١) صدر العدد الأول من الصحيفة سنة ١٨٧٧ م عقب انشاء مطبعة صنعاء وكانت الصحيفة تصدر باللغتين التركية والعربية .

وقد ازدهرت الصحافة الى حد كبير بصدور صحيفة " الحكمة اليمانية" حوالى سنة ١٩٣٤م التى انشأتها مجموعة من المثقفين اليمنيين ، ورأس تحريرها الأستاذ الأديب أحمد عبد الوهاب الوريث ، وكانت تصدر شهريا وقد أسهمت اسهاما جيدا فى اثراء الحركة الأدبية ومهدت الطريق أمام حركة الشعر المعاصر فى اليمن ، بما تميزت به من منهج واضح ، وتبنيها طرح قضايا رئيسة كالقضية اليمنية وقضية الأمة العربية وقضايا العالم الاسلامى ويعود الفضل فى ذلك الى رئيس تحريرها الوريث ، ومجموعة الشباب المثقفين الذين التفوا حوله فقد أفادوا من هذه المجلة افادة كبيرة فى سبيل دفع الحركة الأدبية المعاصره ، والحركة الوطنية بشكل عام الى الأمام وخطوا بالحركة الشعرية خصوصا خطوات موفقة ، فقد كان معظم هؤلاء النخبة من الشعراء المرموقين .

وبعد وفاة الوريث سنة ١٩٣٨م رأس تحرير المجلة الشاعر والأديب المعروف " أحمد المطاع "[1] .

وكانت المجلة " تحفل بالكثير من المقالات الأدبية ، والمواضيع

(١) وكان معروفا فى الأوساط اليمنية والأدبية بعلمه وثقافته ومعارضته ولهذا راجت المجلة رواجا هائلا ، واتسع جمهور قرائها ، وكان لها أثر كبير فى نشر الوعى والثقافة بين الجماهير اليمنية مما مهد بعد ذلك لقيام حركة وطنية منظمة كما عرفنا .

العلمية ،وتنشر لكثير من شعراء اليمن ،وراجت وانتشرت داخل اليمن وخارجها "[١].

غير أن المجلة لم تعمر طويلا فقد أغلقت أبوابها فى أثناء الحرب العالمية الثانية بسبب ارتفاع الورق ولأسباب سياسية أخرى .[٢]

وبهذا اختفت المجلة من الوجود وتركت فراغا هائلا ،غير أن المسئولين عن تحريرها ومعظمهم من الشعراء كما قلنا لم يرضهم هذا الوضع فقاموا بانشاء مجلة خطية أسموها " البريد الأدبى " ورأس أو شارك فى تحريرها الأستاذ الأديب " احمد الشامى " وكان من أبرز كتابها الشاعر ابراهيم الحضرانى ، والأستاذ الشاعر احمد المرونى ،والشاعر القاضى زيد ابن على الموشكى[٣] ،والقاضى احمد سلامة[٤] وغيرهم كثير . وكانت المجلة تهتم بنشر الأدب الرفيع شعرا ونثرا ،كما كان لها أثرها فى الارتفاع بمستوى الذوق الأدبى والفنى بين قرائها .

وفى عدن سنة ١٩٤٦ م أنشأ الأحرار صحيفة " صوت اليمن " وكانت لسان حال المعارضة فى الداخل والخارج .

(١) قصة الأدب فى اليمن للشامى ص ٢٨٤ .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) وستأتى تراجمهم فى ملحق تراجم الشعراء .

(٤) عالم بارز من علماء اليمن المشهورين عاصر الحركة الوطنية منذ نشأتها وشارك فى اعمالها شغل عدة مناصب فى العهدين الملكى والجمهورى جاهر بكلمة الحق ولا زال كذلك يعد الآن من كبار علماء اليمن .

ولهذا فهي صحيفة سياسية في الدرجة الأولى ، ولما كان غالبيـــة كتابها على مستوى جيد من الأدب والشعر ، فقد كان من ضمن اهتماماتها النهوض بالجانب الأدبي باعتباره جانبا من جوانب الثقافة ، وخاصـــة أن الشعر كان سلاحا من أمضى أسلحة الحركة الوطنية ووسيلة هامة من وسائل الاثارة والتحريض التي اعتمدت عليها الحركة في مقاومة الظلم والاستبـــداد والاستعمار ، وبفشل حركة ١٩٤٨م اختفت هذه الصحيفة في عدن لتظهـــر بعد ذلك في القاهرة بعد ثورة ١٩٥٢ م في مصر وتأسيس حزب الأحـــرار هناك .

وفي تعز أنشأت حكومة الامام احمد في الخمسينيات صحيفتي النصر وسبأ ، وكانتا في حكم صحيفة " الايمان " الآنفة الذكر فقد صرفتا جـــــل اهتمامهما في نشر الأوامر الملكية والقرارات الرسمية وقصائد الامام وحاشيته . واستمر الوضع الصحفي على هذا الحال حتى قامت ثورة سبتمبر ١٩٦٢م .

وبعد قيام الثورة مباشرة صدرت صحيفة الثورة ولا تزال تصدر حـــتى اليوم ولها اهتمام جيد بالأدب بشكل عام ، يتمثل هذا الاهتمام في الملحق الأدبي الذي تصدره أسبوعيا تتناول فيه مختلف قضايا الشعر والأدب علـــى وجه العموم ، وقضايا الأدب اليمني بوجه خاص ، ثم نشأ عدد من الصحـــف والمجلات بعد قيام الثورة بفترة ولكل منها اهتمام قليل أو كثير بالشعـــــر وظواهره والأدب وقضاياه ، وقد أعقب هذه الصحيفة عدد من الصحـــــف

والمجلات نشأت خلال الستينيات منها صحيفة الصباح ، وكانت تصدر في الحديدة ، والجمهورية وتصدر في تعز ، ومن المجلات ظهرت مجلة الجيش وتصدر في صنعاء ، وأضواء اليمن والمسيرة وتصدران في صنعاء أيضا ، غير أن أكثر الصحف اهتماما بالأدب والشعر صحيفة ١٣ يونيو سابقا ٢٦ سبتمبر حاليا وهي صحيفة أسبوعية وتصدر في صنعاء ، وفيها صفحتان أدبيتان ثابتتان ، تعالج فيهما مختلف القضايا الأدبية والشعرية .

احداهما بعنوان قراءات في الأدب والفن للدكتور عبد العزيز المقالح الشاعر والناقد المعروف .

الثانية بعنوان قضايا الفكر والأدب للأستاذ الشاعر عبد الله البردوني .

هذا بالاضافة الى بعض المقطوعات الشعرية والظواهر الأدبية والقضايا النقدية التي تحفل بها الصحيفة في صفحات متعددة .

وهناك مجلة أخرى تعدّ من الأكثر المجلات اليمنية اهتماما بالشعر والأدب عموما هي مجلة " اليمن الجديد " الصادرة عام ١٩٧٢م عن وزارة الاعلام والثقافة بصنعاء ، ويشرف عليها مجموعة من أدباء اليمن وشعرائها البارزين .

والمجلة في مجملها تعنى بالدراسات الفكرية والأدبية والبحوث الاجتماعية .

وتحتوي على باب ثابت تحت عنوان " ديوان اليمن الجديد " تتبع فيه كل جديد في الشعر اليمني فهي مجلة أدبية ثقافية متخصصة .

وبعد فهذه خلاصة موجزه عن أثر الصحافة الملموس على الشعـــــر وقضاياه وظواهره .. على أن هذه الوسيلة تكاد تكون الوحيدة ذات الأثر البارز فى هذا المجال ،ولا سيما فى عهد ماقبل الثورة .

* * *

٣ - الاذاعة :

وكانت هناك وسيلة أخرى من وسائل الاعلام كانت هى الأخرى ذات أثر ملموس فى نشر الثقافة والأدب وهى الاذاعة الا أن أثرها كان محدودا الى حد كبير قبل الثورة ،ولم يظهر أثرها بشكل جلى الا عقب قيام ثـــورة ١٩٦٢م.

ظهرت الاذاعة أول ما ظهرت أواخر الأربعينيات ،ولكنها لم تكـن تبث برامجها الا ساعة واحدة فى اليوم ، وبدهى(١) الا يكون لها دور يذكر فى نشر الثقافة والوعى ،واثراء الحركة الأدبية من خلال تلك الساعـة .

غير أن الاذاعة تطورت فى أواخر فترة الأمام احمد تطورا ضئيـــلا . " ورغم سطحية التوجيه فقد كان لها دور غير منكور فى تطوير الحركة الأدبية بعامه والشعر بخاصة بما كانت تقدمه من محاولات فى القصة والدراســـة الأدبية ومن نماذج الشعر العربى الحديث "(٢) .

(١) قصة الأدب فى اليمن ص ٢٨٥ للشامى .

(٢) الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر للمقالح ص ٣٣ .

والحق أن هذا التطور أو الأثر الذى أحدثته الاذاعة فى الحركة الأدبية والشعرية جاء متأخرا بعض الشىء بالنسبة لما وصلت اليه الاذاعات العربية فى هذا المجال ،ففى أواخر الخمسينيات فقط بدأت الاذاعة تؤدى دورها بشكل مرضى نسبيا ،وذلك بعد أن تولى ادارتها الأديب محمد أحمد الشامى .

وبعد قيام الثورة سنة ١٩٦٢م ١٣٨٢ هـ سارت الاذاعة الى الأحسن ،وخاصة لأن أبرز موظفيها كانوا شعراء وأدباء وكان لهذا التشكيل أثره فى ابراز هذا الجانب من جوانب الوعى والثقافة .

بيد أن الاذاعة أثرت الحركة الأدبية اكثر وبشكل ملموس بعد المصالحة الوطنية سنة ١٩٧٠م ،وهكذا مضت الاذاعة فى هذه الخطوات حتى وصلت الى ما وصلت اليه اليوم .

والجدير بالاشارة والملاحظة أن صوت المذياع " الراديو " كان قد سبق الاذاعة المحلية فى هذا المضمار ،فكان عاملا ثقافيا هاما ساعد كثيرا على نقل ايقاع الحياة الجديدة متخطيا الأسوار العالية ،فقد مكن هذا الجهاز الصغير الشعراء والأدباء من متابعة التطورات الثقافية والأدبية فى الوطن العربى والعالم " (١) .

(١) الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر للمقالح ص ٣٣ .

أما جهاز التلفاز فلم تعرفه اليمن الا مؤخرا ،وقد بدأ البث فيه ولأول مرة فى عيد سبتمبر سنة ١٩٧٥ ،ولهذا لم يكن له أثر على الحركة الأدبية فى الفترة التى نتحدث عنها .(١)

* * *

٤ - الطباعة :

يرجع تاريخ الطباعة فى اليمن الى سنة ١٨٧٧ م ،فقد أمر السلطان عبد الحميد الخليفة العثمانى بانشاء أول مطبعة فى مدينة صنعاء العاصمة وكانت تطبع فيها " جريدة صنعاء " الأسبوعية الرسمية ،وهى لسان حال الحكومة التركية ، كما أسلفنا .

وبعد أن نالت اليمن استقلالها ،استخدمت هذه المطبعة فى اصدار صحيفة شهرية اسمها " الايمان " ثم صدرت عنها أيضا مجلة الحكمة اليمانية " وبعد فشل حركة ١٩٤٨م استولى الامام احمد على مطبعة الثوار التى كانت تصدر صحيفة " صوت اليمن " ونقلها الى تعز وسماها " مطبعة النهضة " وقد صدرت عن هذه المطبعة صحيفتا " النصر" و " سبأ" فى تعز أوائل الخمسينيات .

(١) صحيفة عكاظ السعودية عدد ٥٨١٨ فى ١٢ رجب ١٤٠٢هـ .

وفى الحديدة حاول الأستاذ محب الدين الخطيب انشاء مطبعة هناك حوالى سنة ١٩٠٨ م لتنشيط حركة الطباعة والنشر فى اليمن .

غير أن تلك المحاولة لم تنجح فقد تلقى الأستاذ محب الدين الخطيب رسائل من دمشق تلح عليه بالعودة الى هناك لاصدار صحيفة باسم " النهضة العربية " فتوقف السير فى مشروع المطبعة فى الحديدة .

ويحدثنا الأستاذ الخطيب فى مذكراته عن هذا المشروع فيقول :

" وشعر صاحب الترجمة بحاجة الحديدة وسائر اليمن ، الى أن تبدأ فيها حياة الطباعة ، والصحافة ، تنهض بالمستوى الفكرى والثقافى ففاوض اخوانه من العسكريين والمدنيين والأعيان والتجار ، فى أن تؤسس شركة بأسهم قيمة السهم الواحد منها جنية استرلينى واحد ، فوافقوا على ذلك ، وعلى أن يكون اسم المطبعة " مطبعة جزيرة العرب " وعلى أن تصدر منها صحيفة باسم " جزيرة العرب " أيضا "(١) . وبدأ الأستاذ اتصالاته وكتابة اسماء المشتركين والمساهمين حتى جاء طلب استدعائه الى دمشق ولم يكن هناك من تساعده ظروفه على ادارة هذا المشروع ، ولذلك توقف العمل فيه ، ولو قدر له النجاح لأثرى الحركة الثقافية والأدبية فى اليمن بثراء هائلا .

(١) الأبعاد الموضوعية ص ٣٠ .

كان هذا حال الطباعة قبل قيام ثورة ١٩٦٢م ،وما ان قامت الثورة حتى استقدم اليمنيون من مصر خبراء فى الطباعة وقام الخبراء بتشغيل الآلات الموجودة ، ثم أرسل الطلاب والعمال اليمنيون الى مصر وغيرها من البلاد العربية للتدرب على تلك الآلات .

وتحسنت الطباعة فى اليمن رويدا رويدا ،فاستقدم مزيد من الآلات الجديدة بالاضافة الى قطع الغيار للآلات القديمة .

ولم تمض عشر سنوات من قيام الثورة حتى كانت الطباعة قد بلغت حدا كبيرا من التطور فأصبح هناك العديد من المطابع ،والعديد من الصحف والمجلات والنشرات والكتب الدراسية التى تصدرها تلك المطابع (١) .

على أن هذه المطابع كانت غير كافية لمسايرة حركة الثقافة وعالم الفكر فى اليمن ،ولهذا رأينا أن كثيرا من الكتب والدراسات والدواوين الشعرية كانت ترسل للطباعة خارج البلاد وخاصة مطابع بيروت والقاهرة ودمشق .

* * *

* *

*

(١) تاريخ الطباعة فى الشرق العربى د . خليل صابات ص ٣٢٧ ، وقصة الأدب للشامى ص ٢٨٣ ،والحكم العثمانى فى اليمن لفاروق أباظه ص ٤١٥ ومابعدها .

" المبحث الثالث "

في

" العامل الاجتماعي "

تمهيـــد :

سنقتصر فى هذا المقام على دراسة أهم الظواهر الاجتماعيـــة الـــتى تترك تأثيرا مباشرا على الحياة الأدبية والشعرية فى المجتمع اليمنى وسنتبين من خلال هذه الدراسة الموجزة أثر كل ظاهرة من تلك الظواهر على الحركة الأدبية المعاصره .

وما من شك أن اليمن عاشت منذ بداية القرن العشرين على الأقل فى فوضى اجتماعية وسياسية لا حد لها ، فلم تعرف الأمن والاستقرار فترة طويلة من الزمن ،فهى فى حروب دائمة وصراعات مستمرة كلفتها جهدا كبيراونفقات باهظة وحرمتها التكافـــل الاجتماعى والترابط الأخوى بين أبنائها .

فلم تكد الحروب اليمنية مع القوات العثمانية تضع أوزارها ، حـــتى حلت محلها حروب ثارات بين القبائل كان للحكم القائم يد فى اشعـــالهـــا واذكاء أوارها مما أدى الى تفكك النظام الاجتماعى والترابط الوطـــنى بين القبائل .

وزاد الأمر سوءا أن جفت الموارد الاقتصادية نتيجة للحروب المستمرة فانتشر الفقر والمرض ونتج عنهما قضية هامة فى حياة المجتمع اليمنى هـــى قضية الهجرة التى كان لها أثرها البالغ فى تقطيع أواصر المجتمع واحساسه بالغربة والضياع .

وكما كانت الهجرة مشكلة ، فقد نشأت عنها أيضا مشكلة أخرى هى مشكلة نشوء أحزاب فكرية غير منتمية الى فكر المجتمع اليمنى وعقيدته . ولا متقيدة بمبادئه وقيمه ولا مخلصة فى ولائها لعواطفه ، ومشاعره ، وكانت تلك ثمرة الهجرة ، استقاها فريق من المهاجرين اليمنيين من بعض المجتمعات العربية والأجنبية التى تكثر فيها مثل تلك الأحزاب ، وتتعدد فيها الولاءات.

غير أن الهجرة من ناحية ثانية كانت ظاهرة ايجابية ووسيلة أدبية مكنت أصحاب المواهب الشعرية من توسيع مداركهم وألهبت مشاعرهم ودفعتهم الى المشاركة النظرية والعملية والفنية فى بعض الأحداث العربية والعالمية .

على أن الهجرة ليست لا واحدة من عدد من الظواهر التى كان لها أثرها وانعكاساتها على الأدب والشعر فى اليمن المعاصر .

وسأتناول هذا بايجاز مجموعة من القضايا والظواهر الاجتماعية ذات الأثر المباشر على الشعر ، وهى على النحو التالى :

أ - الأدواء والمآسى الاجتماعية التى يعانى منها المجتمع اليمن المعاصر.

ب - الهجرة وأثرها فى تنشيط الحركة الأدبية .

جـ - بنية المجتمع وتكويناته وشرائحه .

د - الوضع الزراعى وما يعانيه العامل والفلاح .

هـ - المرأة .

* *

أ - الأدواء الاجتماعية - الفقر والجهل والمرض وغيرها :

ليس هناك ما هو أخطر على المجتمع من الأمراض الاجتماعية التي تهدد حياته وتكاد تقضي على مستقبله .

وهذا ما عاناه المجتمع اليمني في النصف الأول من القرن العشرين فالفقر ، والجهل ، والمرض ، وغيرها كانت أدواء فتاكة تهدد كيان المجتمع اليمني على الرغم من امكانية توفر وسائل الراحة وأسباب الترف التي كانت تعيشها المجتمعات البشرية آنذاك .

صحيح أن هذه الأمراض كانت تعاني منها بعض المجتمعات العربية والعالمية ، لكنها في اليمن كانت أكثر الحاحا ووضوحا وتزايدا ، ولهذا استأثرت هذه القضية باهتمام كثير من الشعراء والأدباء والمفكرين وغيرهم من المخلصين والمصلحين .

ومن أجل ازالة هذه الأمراض ظهرت معارضات شعبية وتجمعات وحركات وثورات وتمردات وغيرها ، مما مر معنا من قبل ، وكان هدفها جميعا اسعاد المجتمع اليمني وازالة أسباب بؤسه وشقائه .

وكان الشعر هو المحرك الفعال والأساسي لكل تلك الأحداث والانتفاضات ، ولذا كان الشعراء في مقدمة الصفوف وعلى رأس كل حدث أو انتفاضة .

ومن ثم كان الشعر - فى معظمه منصبا على اصلاح الوضع الاجتماعى وازالة تلك الأمراض الخطيرة .

وقد سلك لذلك طرقا متعددة واستعمل أسلحة مختلفة ،وكان شعر المدح المشوب بالنصح المخلص والارشاد الهادف - هو احدى الطرق التى سلكها الشعراء فى سبيل الاصلاح .

ولما لم يجد هذا الأسلوب فقد سلك الشعر أسلوبا آخر فى هذا السبيل ذلك هو أسلوب التحريض والتحذير .

وآخر ما اهتدى اليه الشعراء فى سبيل الاصلاح هو التنظيم والتخطيط المدعمان بالكلمة القوية والتعبير الهادف كما سنرى ذلك فى المباحث القادمة - ان شاء الله - من خلال النماذج والأمثلة التى سنسوقها هناك.

وأكتفى هنا باقتباس هذين البيتين للأستاذ الزبيرى اللذين يمثلان صورة الواقع الاجتماعى لليمن آنذاك ،وفيهما يقول :(١)

ما لليمانين ،فى لحظاتهم ∴ بؤس وفى كلماتهم آلام

جهل وأمراض وظلم قواد ∴ ومخافة ومجاعة واسام

* *

(١) ديوان صلاة فى الجحيم ص ٦٦ .

ب - الهجرة وأثرها فى تنشيط الحركة الأدبية :

الهجرة ظاهرة تاريخية قديمة ، والشعب اليمنى شعب مهاجر دائما لا تكاد الأرض تتسع لمآربه وأطماعه وخيالاته .

ولا تسل عن الأسباب الدافعة الى الهجرة ، فليس طلب الرزق هو السبب الوحيد لهجرة اليمنيين بل هو آخر الأسباب .

" ففى عصر العزة والمجد قالوا انهم تركو أوطانهم غزاة فاتحين ، وفى عهود الجدب قالوا انهم غادروها عفاة منتجعين ، وفى الفترات الأخيرة فارقوها ، طلبا لرزق ومجانفة لضيم ، أو هروبا من ظلم أو حبا فى علم " .(١)

وهذه العوامل الأخيرة هى التى تتسلط على مهاجرى القرن العشرين فهم لم يتركوا وطنهم حبا فى الارتحال ، فقد كانت الغربة شديدة الوطأة عليهم ، وانما طلب الرزق ، وكراهة الضيم وحب العلم والفرار من الظلم هى التى دفعتهم الى مفارقة أهليهم وذويهم ووطنهم ، ومن ثم أحس المهاجرون بالغربه ، وشعروا بمرارتها ، وتمنوا لو أنهم يحصلون على هذه الضروريات فى وطنهم وبين أقاربهم وأهليهم .

ولم تكن الهجرة مقصورة على فئة معينة فهناك فئات عديدة اضطرتها ظروفها الى الهجرة وفيهم الأدباء والشعراء والمفكرون ، ومن هنا تأتى

(١) قصة الأدب فى اليمن ص ١٦٥ .

أهمية الهجرة باعتبارها ظاهرة من الظواهر الاجتماعية ، ذات الأثر الفعال في تنشيط الحركة الأدبية المعاصرة .

فهي من ناحية قد ساعدت المهاجرين وخاصة - طلاب العلم منهم - على الاطلاع على آداب وعلوم ومعارف الأمم التي عاشوا فيها وأكسبتهم خبرات واسعة في مجالات شتى من تخصصاتهم .

ومن ناحية ثانية فقد كان المهاجرون - وبصفة خاصة - الشعراء (١) يحسّون بوخز فراق الوطن والأصل ، فيصوغون مشاعرهم وأحاسيسهم تلك في صور شعرية مما أكسب الحركة الأدبية ثروة كبيرة من الشعر الوطني أو شعر الاحساس بالغربة ، والتذمر مما يعاني منه المهاجرون .

(١) مجموعة كبيرة من شعراء اليمن البارزين عاشوا في المهجر وعانوا من آلام الغربة والفراق ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : الأستاذ الزبيري ، ولطف جعفر أمان ، ومحمد عبده غانم ، واحمد المعلمي ، ومحمد أنعم غالب ، وعبده عثمان ، وعبد العزيز المقالح ، وابراهيم الحضراني ، وأحمد الشامي في السنوات الأخيرة ، وغيرهم وسترد تراجم هؤلاء في موضعها ، ومعظم هؤلاء كانت الغربة بالنسبة لهم اختياريه ، فقد كانت غربتهم اما سياحية أو تعليمية ويستطيعون العودة الى البلاد متى شاءوا .

والوحيد الذي كانت غربته اضطرارية هو الأستاذ الزبيري فقد كان محرما عليه العودة الى البلاد ، ولذا كانت غربته أشق ومعاناته أقسى . ومن ثم ظهرت معاناته جليه في شعره مما سنتحدث عنه في الأبواب القادمة .

وليس ذلك فحسب بل ان الهجرة ،بما ولدت من عواطف ومشاعر فياضة لدى المغترب ،قد أثارت أحاسيس جميع الشعراء في الداخل والخارج وألهمتهم فنونا من القول وأصنافا من التعبيرات ،وأبرزت أمامهم كثيرا من صور البؤس ،والشقاء التي يعاني منها المغتربون نفسيا واجتماعيا ،فكان ذلك النتاج الشعري الهائل الذي تضمه دواوين الشعراء المعاصرين في اليمن .

على أن الهجرة لم تعد ظاهرة ايجابية كما هو المعروف عنها في المجتمعات الراقية ،بل أصبحت مرضا خطيرا من الأمراض الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع اليمني ،فهي كما يقولون آخر الدواء الكي على الرغم ما في الكي من آلام .

* *

جـ - بنية المجتمع وتكويناته وشرائحه :

المجتمع اليمنى يتكون من العناصر التى يتكون منها المجتمع العربى عامة ، ويتميز بالخصائص العامة التى يتميز بها ذلك المجتمع أيضا .[1]

ومن ثم فان بنيته الاجتماعية تتألف من عناصر متعددة منها :

١ - المذاهب الدينية .

٢ - التجمعات القبلية .

٣ - العناصر المثقفة .

ولكل منها آثاره الفكرية والأدبية والنفسية فى الحياة اليمنية :

١ - فالمذاهب الدينية الرئيسة فى اليمن والتى تتوزع الحياة الاجتماعية اليمنية ولها أثر على المجتمع اليمنى لا تعدو ثلاثة مذاهب :[2]

أ - المذهب الشافعى ، ب - المذهب الزيدى ،

جـ - المذهب الاسماعيلى .

(١) يذكر الدارسون الاجتماعيون أن المجتمع العربى يتميز بالخصائص التالية :

١ - انه مجتمع تاريخى . ٢ - انه مجتمع أصيل ، ٣ - أنه مجتمع حىّ

٤ - أنه مجتمع قيم ، ٥ - أنه مجتمع خصب ٦ - أنه مجتمع حضارى .

انظر كتاب دراسات فى المجتمع العربى لأنور العقاد ص ٥ .

(٢) هناك دراسة مفصله عن هذه المذاهب فى كتاب تاريخ الفكر الاسلامى فى اليمن لأحمد حسين شرف الدين ص ٤٠ و ٥٩ و ١٠٥ .

١ - فالشافعيـة :

هم غالبية سكان اليمن في تقدير كثير من المؤرخين كالريحاني[1] والعطار[2] وغيرهما ،وكما تدل الاحصاءات الأخيرة .

وينسب الشافعيون الى امام المذهب محمد بن ادريس الشافعي[3] رحمه الله ،ويسكنون في المناطق الجنوبية ،وبعض المناطق الشرقية والغربية من اليمن أي في محافظات تعز واب والحديدة والبيضاء ومأرب والنواحي التابعة لها .

ويضعف عندهم الانتماء القبلي لانشغالهم بالزراعة ،وقد عمل الأئمة في الماضي على حرمانهم من المشاركة في الحكم امعانا منهم في تمزيق المجتمع اليمني لضمان استمرار سيطرتهم على البلاد ، وكانت وسيلتهم الى ذلك القاعدة المعروفة " فرق تسد " .

(١) الريحاني : هو أمين الريحاني مؤرخ لبناني زار اليمن ابان حكم الأمام يحي وكتب كتابه المعروف " ملوك العرب " .

(٢) العطار : هو محمد سعيد العطار صاحب كتاب " التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن .

(٣) صاحب المذهب المشهور في العالم الاسلامي من مواليد غزة سنة ١٥٠ هـ ، عاش في العراق ثم انتقل الى مصر ،فكان له مذهبان قديم وجديد ،انتشر مذهبه في كثير من بلاد العالم الاسلامي ،توفي سنة ٢٠٤ هـ في مصر .

وظل الشافعيون مبعدون عن الحكم والادارة حتى قامت ثورة سبتمبر ١٩٦٢م ، التى عملت على ازالة الفوارق والامتيازات بين الطبقات وانشاء مجتمع تعاونى عادل مستمدا انظمته من روح الاسلام الحنيف (١) .

كما ورد ذلك فى المبادىء الستة المعلنة عقب قيام الثورة مباشرة.

ومن ثم رأينا ثمرة ذلك التعاون تظهر جليا فى الجهود التى بذلها الفريقان فى حرب " السبعين يوما " التى حوصرت فيها العاصمة " صنعاء " وكادت أن تستسلم للقوات الموالية لبيت حميد الدين .

كما كان من ثمرة ذلك التعاون والاخاء أن أتيحت فرص العمل والتعليم للجميع على أساس التكافؤ فى الفرص والمجالات .

٢ - أما الزيديون :

فينسبون الى الامام زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه (٢) ، ويقدر عدد المنتسبين الى هذا المذهب بنحو ٤٠٪ من سكان اليمن ، ويقطنون المناطق الشمالية ، ومعظم المناطق الشرقية من البلاد

(١) الميثاق الوطنى ص ٧ .

(٢) من كبار علماء وفقهاء القرن الثانى الهجرى هاشمى قرشى عده الجاحظ من خطباء بنى هاشم ولد سنة ٧٩ هـ وخاض عددا من المعارك ضد الأمويين ، أنتهت بقتله سنة ١٢٢ هـ فى الكوفة من اعمال العراق . الاعلام ٣/٥٩ .

وكان الأئمة كثيرا ما يستفيدون منهم فى الأغراض الحربية (١) ، ولهذا عملوا على صبغهم بالصبغه العسكرية واتحموا معهم ، ومع غيرهم ، سياسة التجهيل التى ضمنت لهم عدم وجود معارضة منظمة فترة طويلة .

ولما كان الحكم محصورا فى بنى هاشم طبقا للقواعد الفقهية فى المذهب الزيدى ، فقد حرم جميع أبناء الشعب - من غير الهاشمين - من المشاركة فى الحكم ، اللهم الا بعض المناصب القضائية ، والادارية التى كانت تسند الى طبقة القضاة ، وهى الطبقة الثانية بعد الهاشمين على ماسيأتى .

ولم يكن بدّ من أن تظل الفئة الزيدية محافظة على الانتماء القبلى المسلح ، اذ لم يكن فى مناطقهم مشروعات اقتصادية ولا زراعية ولا تعليمية ولا صحية تشغلهم عن الحروب وتضمن استقرارهم النفسى وتوثق علائقهم بينهم .

وهذا ما حدث فعلا عقب انتهاء الحرب الأهلية وقيام المصالحة الوطنية اذ أنشئت بعض المشروعات الزراعية والتعليمية فجاءت بمردود ايجابى فعال .

(١) انظر تاريخ الفكر الاسلامى لشرف الدين ص ١٠٥ ، والزبيرى أديب اليمن الثائر للعمرانى ص ٧١ ، وللريحانى فى ملوك العرب جـ ١ كلام مستفيض عن هذه المذاهب وفى صفحات متعددة .

فقد اشتغل جزء من أبناء القبائل بالتجارة وهاجروا الى المـــدن واستقروا فيها ، وكان للتعليم ولا سيما التعليم الاسلامى أثر بالغ فـــى التخفيف من حدة العصبية القبلية ،وكسر شوكتها ،والقضاء على المشكلات الناتجة عنها .

اذ كان التعليم الاسلامى زمن الأئمة ضئيلا ومشوها الى حد كبيـر ، وكان الجهل بالاسلام اخطر قضية تواجه المصلحين ودعاة الاسلام فى اليمن لكن العلماء ما لبثوا أن تنبهوا لهذا الخطر وبدأوا باحياء حلقات المساجد لتعليم الكبار واعطاء مفهومات صحيحة عن الاسلام ،ثم بدأت فكرة انشـــاء المعاهد العلمية لتعليم الجيل الناشىء ،وتربيته على الاسلام من منبعـــه الصافى ـ القرآن والسنة ـ .

ولا زالت هذه الفكرة تتسع رويدا رويدا حتى شملت جميع أجـــزاء اليمن .

وقد تنبهت الدولة لأهمية هذه المعاهد فى تخريج الأجيال ودفع عجلة التعليم ، فأنشأت هيئة عامة للمعاهد العلمية ،وتجمع هذه المعاهـد فى مناهجها بين مناهـج وزارة التربية ومنهجها الخاص الهادف الى تقويـة الطلاب فى علوم اللغة العربية والعلوم الشرعية .

٣ - الاسماعيليـــة :

نسبة الى اسماعيل بن جعفر الصادق ، وهى توجب امامته وتزعم أنـــه لم يمت ولن يموت حتى يملأ الأرض عدلا ، والاسماعيلية احدى فرق الشيعـة المتطرفة .

وقد دخلت اليمن فى القرن الثالث الهجرى مع حركة القرامطة الـــتى غاثت فى الأرض فسادا وأباحت المحرمات على يدى داعيها الفاجر على بـن الفضل الذى قتل مسموما عام ٣٠٣ هـ .

وعاش الاسماعيليون بعد ذلك أقلية مضطهدة على امتداد فتـــرات التاريخ الاسلامى التى حكم فيها اليمن الشافعيون والزيديون فكلا المذهبين اســـلامى يدين بانحراف المذهب الاسماعيلى عن الاسلام ، ان لم نقـــل بخروجه عنه ، وقد تعرض الاسماعيليون من أجل ذلك لحرب ابادة مـــرات متعددة ومنعوا من نشر مذهبهم وصودرت كتبهم .

ولا زال لهم بقايا فى منطقة حراز جنوب غرب صنعاء ويسمون انفسهم أحيانا بالمكارمة .[1]

(١) أنظر تفاصيل المذهب الاسماعيلى فى اليمن فى كتاب طبقات فقهـاء اليمن للجعدى ص ٧٥ ومابعدها ، وغاية الأمانى فى أخبار القطـر اليمانى ١ / ٢٠١ ، ومواضع أخرى من هذا الجزء ، وتاريخ الفكـــر الاسلامى فى اليمن لأحمد حسين شرف الدين من ص ٩٥ - ١٠٤ .

على أن هذه المذاهب الثلاثة التى تؤلف المجتمع اليمنى فكرا وعقيدة ، لا زالت هى الأصول الأولى التى تكوّن الفكر اليمنى المعاصر ، لا فى جانبه الأدبى فحسب بل فى كل جوانب حياته السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية .

اذ أن هذه المذاهب قد تأصلت جذورها وتعمقت أصولها فى المجتمع اليمنى منذ أمد بعيد ، فما من مواطن الا وينتمى الى واحد منها ، مهما يكن انتماؤه الفكرى الحديث .(١)

وربما كان هناك صراع فكرى وأدبى أيضا بين هذه المذاهب فى العصور الماضية الا أن ذلك الصراع قد تلاشى فى العصر الحديث ، وتوحدت جهود المفكرين والشعراء من المذهبين الزيدى والشافعى خاصة ، وتوجه الجميع لمحاربة الظلم والفقر والقهر والاستبداد والتخلف والجهل وغيرها من الأمراض التى عانت منها يمن القرن العشرين .

ومن ثم رأينا ثمرة تلك الجهود الموحده تمثلت فى عدن عام ١٩٤٤م فى حزب الأحرار وفى ثورة الدستور سنة ١٩٤٨ ، وفى سجون حجة

(١) وهناك الأقلية غير الاسلامية وهم اليهود والذين لا تزال طائفة منهم تعيش فى بعض مناطق اليمن الشمالية وخاصة صعده ، والذين لا يشكلون فى الظاهر أى خطورة على المجتمع اليمنى ، وبالتالى فليس لهم دور يذكر فى مجالات الفكر والسياسة والأدب .

وفى تعز سنة ١٩٥٥ ، وفى صنعاء سنة ١٩٦٢م ، وفى حرب السبعين يوما عام ١٩٦٧م وفى المجلس الجمهورى الذى تكون بعد المصالحة الوطنية عام ١٩٧٠م وغيرها مما قد أشرت اليه من قبل ، ونتيجة لهذه النتائج الايجابية فقد أدرك الجميع أن اشارة أى نعرة طائفية أو عرقيه انما هى سلاح من أسلحة الهدم وعامل من عوامل التخلف والجهل .(١)

ولذلك حمل عليها الشعر وسفه أحلام دعاتها ومروجيها يقول الزبيرى :

أرضنا تلعن الطغاة الأ .·. ولى سادوا علينا بالفرقة المذهبية

أرضنا حميرية الأصل ليست .·. أرض زيدية ولا شافعية(٢)

اذن فالمذهبية كادت أن تكون مرضا اجتماعيا خطيرا لولا جهود المصلحين وتكاتفهم للقضاء عليها وقهر دعاتها حتى غدا يمن اليوم موحد الأوصال تسوده المحبة والوئام .

(١) تكون المجلس الجمهورى الذى تولى تيسير دفة الحكم فى اليمن عقب المصالحة الوطنية عام ١٩٧٠م من كل من :-

أ - القاضى الأديب عبد الرحمن الأريانى .

ب - السيد الشاعر احمد محمد الشامى .

جـ - الشيخ المناضل محمد على عثمان .

(٢) ديوان الزبيرى ثورة الشعر ص ١٤٧ .

٢ - التجمعات القبلية والتقسيمات العرقية :

هناك أنماط من التجمعات والتقسيمات القبلية والعرقيه ، تتـــدرج تحت اطار هذا العنوان ، بعض تلك التجمعات والتقسيمات مرفوضه شكـلا وروحا من قبل الانسان اليمنى ،وذلك بالنظر الى نتائجه الخطيرة من فرقة وعصبية وغرور واحتقار وغيرها .

وبعضها الآخر مقبول فى حدود معينة لا تمس كرامة الانسان كما سنبينه بعد قليل .

فمن التقسيمات العرقية المرفوضه تلك الدعوة العرقية التى تقســـم الشعب اليمنى الى قحطانية وعدنانية ،وكل فريق يفاخر بأصوله ويعـــدد مثالب الآخرين ،ولولا أن خاض غمارها بعض الأدباء والمثقفين لما أشـرت اليها (١) ، فهى دعوة جاهلية قديمة .

وكذلك رفض الشعب الدعوة المذهبية التى تقسم المواطن اليمنى الى زيدى وشافعى والتقسيم فى حد ذاته ليس عيبا ،ولكن العيب فى التعصـب البغيض والجهل المقيت والولاء أو البراء على أساسهما ،وقد أشرت الى أن هذه الدعوة كانت قائمة ابان حكم الأئمة ولكنها زالت - والحمد لله - بعد قيام الثورة وتعمقت أخيرا أواصر المحبة بين المواطنين .

(١) معركة القحطانية والعدنانية فى اليمن تعنى هنا بعض المهاتـرات التى حدثت بين الأستاذ احمد الشامى والدكتور عبد الرحمن البيضانى وتناقلتها بعض الصحف وغذتها بعض التيارات الحزبية وكان لها آثارها السلبية غير أنها استؤصلت من جذورها فى حينها . انظر المراجـع السابقة .

ومن التقسيمات السائده فى المجتمع اليمنى ذلك التقسيم القبلـــى المعروف (١) ، الذى يقسم القبائل اليمنية فى شمال البلاد الى حاشـــدية (٢) وبكيلية ، وكل قبيلة تتفرع الى عدة فروع وشرائح صغيرة تسمى " فخوذا " .

والتقسيم فى حد ذاته لا ضير عليه ولا ضرر منه اذا كان المراد منـــه معرفة الأنساب والفخوذ القبلية فقط " ياأيها الذين آمنوا انا جعلنـاكـــم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم " (٣) غير أن هذا التقسيـــم ذاته ربما كان عيبا ومرضا اجتماعيا خطيرا ، اذا تجاوز حدوده وغاياته .

اذن فالنظام القبلى ليس خيرا محضا ولا شرا كله .

فهناك مواقف جعلته مصدر فخر واعتزاز سجل التاريخ والشعر بعضـا من تلك المواقف .

(١) حاشديه : نسبة الى قبيلة حاشد ، وهو حاشد بن جشم بـــن خيوان ، بن نوف الهمدانى جد جاهلى من ولد قحطان وتقـــع القبيلة حاليا شمال صنعاء والى الجنوب من صعده وشرقى مدينـة حجه ويتزعمها شيخ واحد يدعى شيخ مشائخ حاشد وهو حـــاليـا الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر .

(٢) بكيل نسبة الى أحد ملوك اليمن الأقدمين وهى قبائل متعدده لكل منها شيخ ولا يجمعها الآن صوت واحد نظرا لكثرتها وتفرق مساكنها فى نواح متعدده من اليمن .

(٣) سورة الحجرات آية ١٣

وهناك مواقف أخرى سجلها الشعر والتاريخ أيضا هبط فيها النظام القبلى الى الحضيض .

غير أنه فى كلا الحالين كان يتمتع بالرجولة والخشونة والشجاعة والصرامة .

ولست هنا بصدد تسجيل المواقف من هذا النوع أو ذاك بقدر ما أريد الاشارة الى أن تلك المواقف فى الحالين كانت غرضا من اغراض الشعر وهدفا من أهدافه .

ومن التقسيمات الممقوته لدى الشعب اليمنى ذلك التقسيم الذى كان شائعا ابان حكم الأئمة والذى يقسم المواطنين الى سادة وقبائل أو سادة وعرب ، ويعطى السادة حقوقا ليست لبقية المواطنين .

وفى هذا التقسيم ما فيه من حقد وكراهية واحتقار واثارة للضغائن تحقيقا للطبقية التى عمل الاسلام على ازالتها .

ولهذا كان له ردة فعل عنيفه عقب ثورة سبتمبر ضد أناس أبرياء لا ناقة لهم ولا جمل كل ذنبهم أنهم ينتسبون الى هذه السلالة أو تلك .

ولقد وقف الشعر والأدب بصرامة ضد هذا التقسيم .[1]

(١) وسنتناول ذلك بالتفصيل من نصوص الشعر فى مباحث قادمة ان شاء الله .

فبنو هاشم فى نظر الشعر أصول كريمة غير انهم أخوة لنا نحن المواطنين ،لا مزية لهم علينا ،هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فان هناك خطورة بالغة على بنى هاشم من جراء هذا التقسيم يكمن هذا الخطر فى التنافس الذى يحدث بين الأسر الهاشمية نفسها على الامامة .

أضف الى ذلك أن الشعب يشعر بالضغينه والكراهية نحو هذه الأسر لما يحس به من تعال وأنانية عند أفراد تلك الأسر .

ونسجل هنا نصين أحدهما شعرى والآخر نثرى وكلاهما للأستاذ الزبيرى يضع لنا فيهما النقاط على الحروف فى قضية هذا التقسيم وأخطاره وآثاره على الشعب وعلى بنى هاشم أنفسهم أيضا .

ففى النص الشعرى يقول الزبيرى :

وبنو هاشم أصول كريمات .. لنا من جذورنا اليعربية
انهم أخوة لنا غير أسياد علينا فى عنصر أو مزيه

وهذه مجرد اشارة وستأتى النماذج الشعرية فى موضعها .

وفى النص النثرى حدد النتائج الخطيرة التى تنتظر بنى هاشم من جراء هذا التقسيم ،وقد بنى نتائجه تلك على مقدمات ثابته .

(١) ديوان الزبيرى ثورة الشعر ص ١٤٧ .

يقول الزبيـــرى :

" ما من شئ يهدد الهاشميين فى الحاضر والمستقبل كخطر الامامة فكل امام ينهض فى عائلة هاشمية واحدة يلوح له أن خصومه ومنافسيه انما هم الرجال البارزون فى العائلات الهاشمية الأخرى ، فيتجه أول ما يتجـــــه للتخلص منهم قبل غيرهم .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان الشعب كله يشعر أن العائلات الهاشمية كلها متعاليه ، كأنها ليست من الشعب فى شئ ، وسيكون ذلك خطرا كبيرا على هذه السلالات ، وباعثا على نفور الشعب منها وتعصبـــــه ضدها .

وبالتالى تصبح كأنها جالية ولن توجد قوة تستطيع أن تخضع الشعب الى الأبد لأقلية ضئيلة " (١) .

* *

(١) الأمامة وخطرها على وحدة اليمن للزبيرى ص ٣٦ .

٣ - العناصر المثقفة :

لعل أهم عنصر من عناصر البنية الاجتماعية فى اليمن وأقواها تأثيرا على الحركة الأدبية المعاصره ، هو هذه الطبقة الاجتماعية والفئة الواعية من الفئات المتعدده فى المجتمع اليمنى .

وهذه العناصر المثقفة الواعية هى التى بعثت الحركة الأدبية فى اليمن وحافظت على استمرارها ، وغذت نموها على امتداد هذه الفترة التاريخية الحديثة من تاريخ اليمن .

على أن هذه العناصر يمكن تقسيمها الى فئتين اثنتين :

١ - فئة القضاة من العلماء والمصلحين ذوى الثقافة الاسلامية العالية .

٢ - فئة المثقفين ثقافة عصرية .

فالفئة الأولى - وهم القضاة - كانت تحتل المرتبة الأولى فى العلم والثقافة منذ بداية الثلاثينيات الى منتصف الخمسينيات تقريبا - وهى الفترة التى تمثل الشطر الأهم من عمر النهضة الأدبية الحديثة .

فقد كانت هذه الفئة هى الطبقة الاجتماعية المرموقة فى المجتمع اليمنى بعد الطبقة الحاكمة ، ولم يكن هذا اللقب محصورا فى أسر معينة من الشعب انما كان يحظى به كل من حاز على قدر كبير من العلوم الشرعية والأدبية وحاز تبعا لذلك على مركز اجتماعى حساس ووظيفة حكومية مرموقة .

ولما كانت هذه الطبقة من أكثر الفئات ثقافة وأعظمها مكانة علميـــة فقد كان منها الأدباء والشعراء والمفكرون ورواد الحركة الوطنية الحديثة ورواد الحركة الأدبية المعاصرة ، وذوو الحل والعقد في المجتمع ، وقل أن تجد قاضيا ليس أديبا أو شاعرا أو مؤرخا ، أو ناقدا ، أو مرجعـــا للـــرأى والمشورة في منطقته أو مبرزا في فرع من فروع العلم ومجالاته .

ومن الواضح أن مؤسس النهضة الأدبية الحديثة وزعماء الحـــركـــة الوطنية ، ورواد الأدب والشعر كان معظمهم من هذه الطبقة .

ومن ثم لمعت شخصياتهم في كل هذه الميادين ، واستنارت بعقلياتهم عقول الأجيال التالية ، وكان منهم :

القاضي ، محمد بن محمد زباره .

والقاضي ، احمد عبد الوهاب الوريث .

والقاضي ، أحمد بن احمد المطاع .

والقاضي ، عبدالله العزب .

والقاضي ، زيد الموشكي .

والقاضي ، محمد محمود الزبيري .

والقاضي ، عبد الرحمن الارياني (١) .

وغيرهم كثير ممن قامت وترعرعت على أكتافهم الحركة الأدبية والوطنيـــة معا .

(١) انظر تراجمهم في ملحق التراجم في نهاية الرسالة .

وقد استمر لهذه الطبقة أو الفئة دورها الفعال حتى بعد قيام الثورة ، ولكن بصورة ضئيلة وفى شخصيات بارزة فى المجتمع ، مثل الأستاذ الزبيرى ، والقاضى الارياني ، والحجرى (١) ، وأضرابهم .

أما الفئة الثانية ، وهى فئة المثقفين ثقافة عصرية وثقافة أدبية خالصه فلا شك أن لها أثرها الأدبى الملموس منذ أوائل الأربعينيات تقريبا ، قد لا يكون لها مركز اجتماعى بارز فى المجتمع آنذاك ، لكنها كانت عنصرا فعالا وتيارا قويا دفع بالحركة الأدبية خطوات الى الأمام ، والتحمت بالفئة الأولى التحاما قويا كان له أبلغ الأثر فى ترسيخ دعائم النهضة الحديثة فى كافة جوانبها ، فقد كانت الفئة الأولى تمتلك الثقافة الدينية المكينة ، والى جانب ذلك كانت تتمتع بحصيلة كافية من الثقافة المعاصرة . أما الفئة الثانية فكانت متمكنه من الثقافة المعاصره الى جانب قسط كبير من الثقافة الاسلامية والأدبية ، وباجتماع الفئتين تشكل تيار أدبى جارف استوعب كافة جوانب الثقافة وأفاد من جميع التيارات الأدبية المعاصرة ، وهو ما سنتحدث عنه بالتفصيل فى الأبواب القادمة ان شاء الله .

(١) عبد الله بن احمد الحجرى ، من أبرز شخصيات اليمن ، ورجال السياسة فيها ، تولى رئاسة الوزراء أيام القاضى الارياني ، اغتيل فى لندن عام ١٩٧٦م .

ومن أبرز رواد هذه الفئة فى الأربعينيات والخمسينيات ، الشامى والحضرانى وعبده غانم ، ولطف جعفر أمان والبردونى (١) ، وغيرهم ممن ستسرد أسماؤهم تباعا فى هذا البحث سواء فى هذه السنوات المذكورة أو فى السنوات التالية لها .

وحسبى هذه الاشارة المقتضبة الى أبرز التقسيمات والفئات الاجتماعية ذات الأثر المباشر أو غير المباشر على الحركة الأدبية المعاصرة فى اليمن .

* * *

* *

*

(١) أنظر ملحق التراجم فى نهاية الرسالة .

د ـ الوضع الزراعى ، وما يعانيه العامل والفلاح :

كانت الزراعة فى اليمن والى عهد قريب هى العمل الأساسى للغالبية العظمى من المواطنين اليمنيين ، وكادت أن تكون هى المصدر الرئيسى للرزق فى أغلب الأسر اليمنية ، فلم تكن هناك أعمال حكومية ولا أعمال تجارية حرة ، وكان التعليم متأخرا كما عرفنا ، فجميع مجالات العمل كانت مغلقة ما عدا الزراعة .

ولم تكن الزراعة قادرة على استقطاب هذا العدد الكبير من المواطنين ولهذا كان يحصل التنافس بينهم على الأرض وتقوم المشارعات (رفع القضايا الشرعية الى الحكام) والخصومات المستمرة .

هذا من ناحية ومن ناحية ثانية كانت الحكومة تكلف المزارع مبالغ باهظة من الضرائب والاتاوات التى ربما فاقت فى مجموعها ثمن محصوله الزراعى حتى أصبحت الزراعة عبأ ثقيلا على المزارع بعد أن كانت مصدر رزقه فكانت الهجرة هى الحل الأمثل لمشكلة المزارعين ، ولعل هذا الوضع الزراعى المتدهور هو العامل الرئيسى وراء هجرة الفلاحين عن أرضهم بحثا عن لقمة العيش .

وقد عالج الشعر من زوايا مختلفة قضية الفلاحين والعمال فصور الظلم الواقع عليهم والتعاسة التى يعانونها ونددّ بالضرائب والاتاوات التى كانوا

يلاقونها من قبل المقدرين والمخمنين والجنود الى غير ذلك من المصائب الواقعة على المزارعين ، على ما سيأتى بيانه فى الباب الثانى .

كان هذا حال المزارعين قبل الثورة عام ١٩٦٢م ، أما بعد الثورة فقد انقلبت الأوضاع وفتحت مجالات العمل فى الداخل والخارج وقلت الضرائب التى كانت مفروضة على المزارعين وتحسنت الأحوال المعيشية الى حد كبير فلم تعد الزراعة مشكلة ، وحتى الهجرة لم تعد مشكلة ، كما كانت بعد أن تيسرت وسائل المواصلات .

* * *

* *

*

هـ ـ المرأة :

لم يكن لشعر النهضة فى اليمن اهتمام خاص بالمرأة وقضيتها ، ذلك أن قضية اليمن الكبرى أرضا وانسانا رجلا وامرأة ، قد استأثرت بجهـــود جميع الأدباء والشعراء والمفكرين وامكاناتهم .

واذا كان هناك شىء من الاهتمام بهذه القضية فباعتبارها جزءا من القضية الرئيسية التى يعانى منها المجتمع اليمنى كله .

وبمعنى آخر ان المرأة لم يكن لها قضية مستقلة عن قضية المجتمـــع نعم كانت محرومة من حق التعليم ، ولكن الشعب كله كان كذلك ، أما مسألة الخروج للعمل فقد كانت المرأة اليمنية غارقة فى أعمال الفلاحة والحرث الى أذنيها تكـدّ وتكدح أكثر مما يكدح الرجل الذى يقضى معظم أوقاته ، اما فى الغربة أو فى أعمال أخرى للكسب والمعاش .

هذا هو الموقف بالنسبة للمرأة كقضية ، أما موقف الشعر من المـــرأة كأنثى فهناك القليل من شعراء الشمال وبعض من شعراء الجنوب الذيـن صرفوا جزءا من شعرهم فى هذا المجال .

ومن ثم كان شعر الغزل قليل جدا فى الفترة التى سبقت الثـــورة لانشغال الشعراء بقضايا أهم وأشمل من هذه القضايا الجزئية .

وقامت الثورة وزاد عدد الشعراء وفتحت اليمن على مصراعيها لجميع الأفكار والدعوات الوافدة بما فى ذلك قضية تحرير المرأة ،الذى كان فيها الصراع على أشده فى بعض الأقطار العربية .

ولكن قيام الثورة صاحبته حرب أهلية ،ولذلك عزف الشعر عن كل القضايا الجانبية وظل مخلصا وفيا للوطن وقضاياه الرئيسية .

بيد أن هناك شاعرا واحدا لفت اهتمام الدارسين هو الشاعر محمد الشرفى الذى عزف عن الشعر الوطنى واتجه نحو قضية المرأة وجعلها محور شعره وموضوع دواوينه ومصدر أفكاره زاعما أن للمرأة اليمنية قضية وهو قاسمها المنتظر .(١)

والحق أن الشرفى أو نزار اليمن كما يسميه بعض الدارسين لم يرد بدعوته هذه الا الدعوة الى الانحلال ونشر الفساد ،فبدأ منذ عام ١٩٦٣م يحاكى نزار قبانى فأصدر فى فترة وجيزة هى فترة الستينيات ثلاثة دواوين هى :

(١) يبدو أن الشرفى اتجه هذا الاتجاه بحثا عن البروز والشهرة ،ومن أيسر طريق ،فقد تأزمت الأمور عقب الثورة واشتد الصراع فكان البحث عن الشهرة عن طريق الكفاح الوطنى ضربا من المخاطرة بل يتطلب نفوسا قوية قادرة على التضحية والعطاء كما حدث للزبيرى رحمه الله أما غير هؤلاء فقد كان عليهم أن يسلكوا سبلا أخرى ميسرة لتحقيق أطماعهم وشهواتهم ومنهم شاعرنا الشرفى .

١ - " دموع الشراشف " .

٢ - " ولها أغنى " .

٣ - و " من أجلها " .

وجميع قصائد هذه الدواوين تدور فى محورها حول المرأة جنسا وقضية ، وبعض تلك القصائد نوع من الأدب المكشوف ، ولذا ثارت ضده ضجة صاخبة بين صفوف السيدات والعلماء والمصلحين ، وكافة فئات الشعب ، وصدرت آنذاك ردود عنيفة اعتبرت الشاعر متخلفا فكريا على حد تعبير بعض المثقفات اللواتى قمن بالرد على بعض قصائده المنشورة عام ١٩٦٤م (١) .

فالشاعر اذن كان يبحث عن النجمة أكثر مما يبحث عن الاجادة الفنية " ، كما يقول الأستاذ البردونى (٢) .

وبدهى ألا تلقى هذه الدعوة المجانفة للحق والصواب تجاوبا فى مجتمع مستمسك بأخلاقه وتقاليده كالمجتمع اليمنى ، وكان الاعراض عن شعر الشرفى ونبذه أبلغ رد عليه الى جانب الردود المكتوبة التى أشرت اليها وشيكا .

ولا بد هنا من الاشارة الى أن هناك فرقا بين طبيعة المرأة ووظيفتها فى الريف وطبيعتها ووظيفتها فى المدن ، فالى عهد قريب لم يكن هناك فرق كبير بين هذه وتلك لا فى وظيفتها ولا فى طبيعتها وسلوكها الاجتماعى .

(١) انظر كتاب " رحلة فى الشعر اليمنى " للبردونى ص ٢٣١ .

(٢) المرجع نفسه ص ٢٣٤ .

غير أنه بعد قيام الثورة وانفتاح اليمن على العالم وتشعب أمـــور الحياة وكثرة الوافدين والوافدات على المدن اليمنية ، وانتشار التعليـــم الثانوى والعالى بها ، كل ذلك قد جعل فرقا بين الحياة الريفية والحياة المدنية .

فالمرأة الريفية - على الرغم من انتشار التعليم الابتدائى والاعدادى أحيانا فى صفوفها - لا زالت وظيفتها الأساسية العمل فى الحقل وتربيـة الأولاد .

أما المرأة المدنية فبعد أن تعلمت مارست بعض الأعمال المدنيـــة ولكن فى حدود ضيقة مع المحافظة على شرفها وقيمها وتقاليدها ومـــع المحافظة كذلك على كيانها ومسئوليتها باعتبارها أما وربة بيت .

فلم تكن اذن المرأة اليمنية - ريفية كانت ، أم مدنية - بحاجة الى أى نوع من أنواع الانحراف التى وقعت فيها أختها المرأة العربية فى بعـــض الأقطار .

واذا كان هناك بعض الشواذ اللواتى استجبن لمثل هذه الضلالات فأمر بدهى نظرا لاختلاف طبيعة البشر ، واذا ماقيس هذا الأمر بحجم الدعوة التى بذلها دعاة التحرير منذ عشرين سنة تقريبا فانه يعتبر ضئيلا جدا .

وبهذا نختم هذا الباب عن العوامل المؤثرة فى الشعر اليمنى المعاصر على أن نلتقى مع الشعر نفسه فى الأبواب والمباحث الآتية ان شاء الله

* * *
* *
*

البَابُ الثانى

" البـــاب الثانـــى "

" موضوعـات الشعر اليمنى المعاصر "

. . . ويشتمل هذا الباب على مدخل وأربعـة مباحث . . .

المبحـث الأول : الشعر الوطـــنى .

المبحث الثانـــى : الشعر الاسـلامى .

المبحث الثالث : الشعـر القـومـــى .

المبحث الرابـع : الشعر الاجتماعـى .

* * *

تمهيـــــد :

كانت النهضة قد بدأت فى بعض الأقطار العربية فى أواخـر القرن الثمـانى عشر مع بداية الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ م كما يـؤرخ لذلك بعض مؤرخى الأدب .

أو مع قيام حكم محمد على كما يؤرخ آخرون ،ولم يأت العقد السابع من القرن التاسع عشر حتى كانت قد آتت النهضة أكلها وأينعت ثمـارهـا ، وخاصة فى مصر والشام والعراق .

وكانت النهضة الأدبية تسير جنبا الى جنب مع النهضة الشاملة وتتأثر بعواملها الى أن بلغت قمتها على يدى شوقى والعقاد والرافعى وأضرابهم فى العشرينيات من هذا القرن .

وكان الأمد أن يكون هذا التاريخ هو بداية النهضة والحركة الأدبية المعاصرة فى اليمن ،بعد أن انطفأ سعير الحرب العالمية الأولى ،وانسحبت القوات التركية من اليمن الأنسحاب الأخير ،وهدأت الأوضاع ،وقام فى اليمن حكم وطنى مستقر - كما أسلفنا - فى الباب الأول .

لكن الآمال تبددت وسارت الأمور فى غير مسارها الصحيح بعـــــد الاستقلال ،فلم تخرج اليمن من الحرب مع الأتراك الا لتدخل عصرا أشـــد قتامة وأكثر جمودا وأبأس حالا مما كانت عليه أيام الأتراك ،فقد كان عصر الامام يحيى عصر جمود شامل فى كافة نواحى الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية .

ولم يرض هذا الوضع طائفة من العلماء والأدباء والمفكرين اليمنيين فقد تنبه هؤلاء ،الى خطورة الوضع ،وحاولوا انقاذ اليمن من مغبة هذه السياسة ،ومن هذا المنطلق بدأت تتكون الأصول الأولى للفكر والأدب المعاصرين .

وكان الشعر في هذه الفترة مزيجا من بقية الأصالة العربية وبقية المعجمة التركية .

ومع ذلك فقد كان في مقدوره " أن ينير الطريق للباحث في معرفة أبعاد الانكسار والذبول اللذين عانى منهما الشعب اليمني في أخطر سنوات التكوين والاقتراب من مدخل العصر وبداية التحديث " (١) .

ومن العسير تحديد بداية دقيقة للنهضة الأدبية والمعاصرة الشعرية في اليمن ،فالظواهر الأدبية ليست شيئا ماديا حتى يمكن لنا تحديد بدايتها ونهايتها ،وانما هي أمور معنوية لا تخضع للتحديد الزمني الدقيق وكل مايمكن عمله هنا هو أن نحدد فترة زمنية تقريبية لبداية عصر النهضة في اليمن ،مع الاشارة الى اختلاف الأدباء والمؤرخين في تحديد تلك البداية .

(١) صحيفة ٢٦ سبتمبر العدد ٢٢ تاريخ ٢٤/٢/١٩٨٣م من دراسة للدكتور عبد العزيز المقالح بعنوان " بداية الأنين " .

ومن خلال تتبعنا لتاريخ الحركة الشعرية فى اليمن من بداية هـذا القرن تبين أن عملية بدأ النهضة ومحاولة التحديث استمرت خمسة عشر عاما تقريبا من منتصف العشرينيات الى نهاية الثلاثينيات .

فبداية العشرينيات مثلا " كانت بداية الاحياء الفقهى ، وعلى الرغم من جفافها الا أنها شكلت بداية الخصب الأدبى الذى تبرعم - كما قلنا - أواخر الثلاثينيات "(١) .

كما شهدت هذه الفترة تيارات الأحداث التى ترافق عادة التاريخ السياسى والتاريخ الأدبى فى اطار العصر المتحرك ، ويكفى كما يقول الأستاذ البردونى " أن هناك شعرا يتقيد بالأحداث ويتنادى بلغة المؤثرات العامة وبهذا يتحقق الرغد ويأتى الفن الأجود من الأصول الضامئة "(٢) .

ومن هنا يتضح لنا أن شعر العشرينيات كان الخلفية المؤثرة أو النواة الأولى لشعر اليمن المعاصر .

ولما كانت الظواهر الأدبية لا تخضع لتحديد دقيق - كما أسلفنا - فقد اختلف مؤرخوا الأدب اليمنى فى تحديد بداية النهضة الى الآراء التالية :

(١) البردونى فى صحيفة ١٣ يونيو عدد ٢٧٦ تاريخ ١٩٨٢/٥/٣٠م

(٢) صحيفة ١٣ يونيو العدد السابق .

١ - يرى الأستاذ عبد الله البردونى أن عوامل النهضة الأدبية فى اليمن تبدأ من أواخر العشرينيات ،وتمتد الى أواخر الثلاثينيات من هذا القرن ويحددها بعشر سنوات أى مابين سنتى ١٩٢٨-١٩٣٨م .(١)

٢ - ويرى الدكتور عبد العزيز المقالح أن النهضة الأدبية تبدأ فى أوائل الأربعينيات ،وهى الفترة التى نضج فيها الشعر اليمنى ،وبرزت فيها شخصيات الشعراء ،ونجوم الحركة الوطنية المعاصرة .

يقول المقالح فى بيان رأيه هذا :

" . . . ومع ذلك ورغم استحالة تحديد زمن ثابت لنشأة المعاصرة فى الشعر فان الأربع السنوات الأولى من الحرب العالمية الثانية بما خلقه مناخها من توتر وقلق واحساس بالتغير تكاد تكون الفترة الزمنية المحددة لنشوء ظاهرة التجديد والمعاصرة فى شعر اليمن المعاصر " .(٢)

وقد اعتمد فى استنتاجه على دليلين لاثبات رأيه هذا :

الأول : النصوص التى قيلت فى هذه الفترة .

الثانى : التهديد الذى أطلقه ولى العهد انذاك احمد حميد الدين

(١) أنظر تفاصيل هذا الرأى فى كتابه " رحلة فى الشعر اليمنى " ص٧٨-٧٩ .

(٢) الأبعاد الموضوعية والفنية للدكتور المقالح ص ٤٤ .

وقال فيه : " انه سوف يروّى سيفه من دماء العصريين " ويعنى بهم الشعراء والأدباء الذين خرجوا عن قانون التقليد والجمود والرتابة .(١)

٣ - أما الأستاذ احمد محمد الشامى فيرى أن النهضة الأدبية تمثلت بمدرسة ومرت بمراحل ثلاث :

أ - مرحلة التكوين وتبدأ فى أوائل العشرينيات .

ب - ومرحلة البروز وتبدأ فى منتصف الثلاثينيات.

جـ - ومرحلة التبلور والنضوج وتبدأ فى أوائل الأربعينيات .

ولكل مرحلة من هذه المراحل شعراؤها .

يقول الأستاذ الشامى مبينا هذه المراحل :

" وقد تكونت بذلك مدرسة جديدة نبغ من بين روادها الشيخ حسن الدعيس والقاضى احمد الحضرانى ،والسيد على عقبات . وبرزت ناهضة بالسيد أحمد الوريث والسيد احمد المطاع والقاضى عبدالله العزب والسيد عبد الكريم الأمير . وتبلورت زعامتها فى شعراء اليمن الثلاثة القاضى محمد محمود الزبيرى وابراهيم الحضرانى واحمد محمد الشامى " .(٢)

(١) أنظر المصدر السابق .

(٢) قصة الأدب فى اليمن ص ٢٨١ .

ولن أطيل فى مناقشة هذه الآراء ، فالرأى الأول على أهميته يبدو لى - والله أعلم - أن فيه شيئا من التساهل والخلط بين عوامل النهضة ومظاهرها ، فعوامل النهضة بدأت بالفعل أواخر العشرينيات أو قبل ذلك بقليل أما مظاهرها فهى التى بدأت فى أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات.

وهذه المظاهر هى التى جعلت المقالح يعتد بها ويعتبرها بداية النهضة الأدبية فى اليمن .

بينما الواقع أن هذه المظاهر كانت ثمرة لجهود جبارة بذلها الشعراء والأدباء قبل ذلك بسنوات .

وهذا ما يجعلنى أرجع أن البداية الحقيقية للنهضة كانت فى منتصف الثلاثينيات ، وهذه أبرز عوامل الترجيح :

١ - أن هذا التاريخ سبقته أحداث عظيمة هزت مملكة الامام يحى وأضعفت مركزه الروحى والوطنى وهى أحداث ١٩٣٤م المشار اليها فى الباب الأول من هذه الدراسة (١) .

٢ - ظهرت فى هذا التاريخ نماذج شعرية تدل على بداية وعى سياسى ونهضة وطنية متطورة مثل قصيدتى زباره والوريث المشار اليهما من قبل .

(١) أنظر صفحة

٣ - أن هذا التاريخ رافقه نشاط ثقافي منظم كان من نتائجه انشاء مجلة الحكمة ،والبريد الأدبي وغيرهما .

٤ - أن في الشعر نفسه مايدل على أن الفترة التي حددها المقالح لم تكن هي البداية ،اذ كان الشعر فيها قد بلغ درجة عالية من النضج . ففي هذه الفترة أنشأ الزبيري عددا من القصائد الجيدة التي نالت اعجاب جمهرة من الشعراء والنقاد العرب البارزين .

منها : قصيدة ألقاها بين يدي الملك عبد العزيز بمنى مطلعها :

قلب الجزيرة في يمينك يخفق ٠٠ وسنى العروبة من جبينك يشرق

وكان ذلك عام ١٩٣٨م٠

وفي الفترة نفسها أنشأ الزبيري كذلك قصيدته الرائدة " تحية الى السيد رشيد الشبيمي" مطلعها :

معجز أن تهدي لنا المعجزات ٠٠ وهي من نفحة السماء هبات[1]

وذلك بكلية دار العلوم بالقاهرة وكانت الأولى التي حازت رضى أدباء ونقاد دار العلوم آنذاك .

ومنها كذلك قصيدة " في سبيل فلسطين التي أذيعت عام ١٩٤٠م من اذاعة " برلين العربية " تعليقا على اجتماع الدول العربية بلندن ومطلعها :[2]

(١) ديوان عذاة في الجحيم ص ٢٦٠

(٢) نفس المصدر ص ٢٢٠

مراجل فى أثير الشعر تضطرم .. وصيحة فى سماء الحق تحتدم

وضجة فى صماخ الدهر صاخبة .. لها بكل بلاد مسمع وفم

فهذا الشعر فى قوته وجزالته لا يوجد طفره ولابد أن تسبقة مرحلة مخاض .

٥ - ويؤكد ماذهبت اليه أن الزبيرى نص على أن التاريخ المذكور هو بداية الصحوة فى اليمن فقال ردا على سؤال وجهته اليه صحيفة الثورة عام ١٩٦٢م ونشرته مؤخرا صحيفة ٢٦ سبتمبر :(١)

" لقد بدأ التفكير فى الحركة الوطنية أحلاما متواضعة فى عقول الطلائع الرائدة ، وكانت هذه الأحلام ... استنكارا لمظاهر التأخر والجمود فى شتى مجالات الحياة " .

ويكاد يكون من المتفق عليه عند الكثير من الأحرار أن مبادىء الصحوة جاءت فى اعقاب أحداث ١٩٣٤م .

٦ - أن الدكتور المقالح نفسه أعتبر قصيدتى زيارة والوريث عام ١٩٣٥م البداية التاريخية لمرحلة - الأنين - فى الشعر اليمنى ، وميلاد مستوى جديد من الشعر النضالى فى اليمن .(٢)

* * *

(١) عدد

(٢) صحيفة ٢٦ سبتمبر عدد ٢٢ - ٢٣ لعام ١٩٨٣م.

" المبحث الأول "

" الشعر الوطني "

الوطنية مصطلح شاع استعماله وكثرت تفسيراته ، واستغل استغلالا سيئا فى العصور الحديثة .

فاذا كانت الوطنية فى معناها الحقيقى اللائق بها تعنى أن يشعر الانسان شعورا عميقا بآلام أمته وأفراحها ، ويقف ضد أعدائها وخصومها فان من معانيها كذلك أن يحب أرضه ويألفها ويحن اليها ويتعاطف مع أهلها ويدعو الى محاربة الظلم والفساد ونشر العدل والمساواة بين المواطنين الى غير ذلك من المعانى الكثيرة التى تندرج تحت هذه اللفظة .

واذا كان من العسير أن نحيط بكل معانى الوطنية ومدلولاتها ومصطلحاتها فالمعانى المتقدمة هى أبرز هذه المعانى .

وحب الوطن أمر مركوز فى الفطر مغروس فى النفوس ، فقد كان بلال رضى الله عنه يهتف وهو فى دار الهجرة بالحنين الى مكة قائلا :(١)

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ∴ بفخ وحولى اذخر وجليل (٢)

وهل أردن يوما مياه مجنة ∴ وهل يبدون لى شامة وطفيل (٣)

(١) السيرة النبوية ٢ / ١٦٩ .

(٢) الفخ موضع خارج مكة ، والاذخر نبات يظهر بمكة طيب الرائحة ، والجليل نوع من النبات يسمونه الشام .

(٣) المجنه سوق للعرب قريب من مكه ، وشامة وطفيل جبلان بمكة . المرجع السابق .

وأكثر من ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه كان يحن الى مكة ويقول : " والله لولا أن أهلك أخرجونى ما خرجت ، اللهم حبب الينا مكة كما حببت الينا المدينة " .

وجرى دمعه وهو يسمح وصف مكه من أصيل(١) ويقول له : " يا أصيل دع القلوب تقر " .

وقد عنت الوطنية فى الفترة الزمنية المتأخرة بعد الحرب العالمية الأولى العمل الدؤوب على تحرير البلاد من الغاصبين ، وغرس معانى العزة والكرامة فى نفوس أبنائها تطبيقا لقوله تعالى " ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين "(٢) .

فالشعر الوطنى اذن هو ما يشمل هذه المعانى وأضرابها مما يتصل بالوطن ورفعته والدفاع عن قضاياه ، وكذلك كل ما يتصل بقيادته وطريقة هذه القيادة فى الحكم ، والطرق الاصلاحية التى تسلكها فى سبيل عزته وكرامته .

وبالتالى فالحديث عن الحركات الاصلاحية والأحزاب والتجمعات السياسية التى تهدف الى مصلحة الوطن عملا لا قولا هو أيضا من الشعر الوطنى .

(١) أصيل بالتصغير ابن عبدالله الهذلى وقيل الخزاعى صحابى جليل انظر الاصابة ١ / ٨٤ .

(٢) سورة المنافقين آية ٨ .

وكذلك كل مايتصل بمقاومة الأحزاب وتعرية الشخصيات العميلة ومهاجمتها ومناقشة وتسفيه آرائها هو أيضا من الشعر الوطنى .

وليس من الوطنية فى شىء ذلك التقسيم الطائفى للأمة ، والذى يقسمها الى فئات متناحرة وأحزاب متعددة الولاءات تتعصب لمناهج وضعية أملتها الأهواء وشكلتها الغايات ، وفسرتها الأحلام وفق مصالح قوى متصارعة لا تمت الى أمتنا بأية صلة ، وأعتقد أن للشعر اليمنى - بهذه المعانى - نصيبا وافرا من شعر الوطنية كما سنرى ذلك فى هذا المبحث وتجدر الاشارة هنا الى أن الشعراء اليمنيين أنفسهم يختلفون فى نصيب كل منهم من شعر الوطنية ، كما وكيفا .

وعلى هذا يمكن تقسيمهم الى ثلاث فئات متبعين فى ذلك تقسيم الدكتور المقالح :

أولا : الشعراء الذين لا يتوازى شعرهم مع حجم نضالهم ، ومن هؤلاء الشاعران المناضلان الموشكى والمسورى .

ثانيا : الشعراء الذين يرتقى شعرهم الى حجم نضالهم ويقف الزبيرى فى هذا المجال متفردا .

ثالثا : الشعراء الذين يفوق شعرهم حجم نضالهم وهؤلاء هم بقية الشعراء دون حاجة الى تحديد الأسماء " (١) .

(١) د . عبدالعزيز المقالح " الشعر بين الرؤيا والتشكيل " ص ١٧٦ .

وهذا التقسيم على درجة كبيرة من الصحة ، فمعظم شعراء اليمن داخل ضمن هذا التقسيم شعرا ووطنية :

فمن الثابت يقينا أن هناك عددا من الشعراء لا نصيب لهم من الوطنية ، ولا حظ لهم من النضال لأنهم يعيشون تحت مظلة الحكم السائد يأكلون ويتمتعون ولا يعبأون بقضايا الوطن ولا مشاكل المواطنين ، أو أنهم لا هون غافلون يخوضون معارك اللهو والغرام ،فحسب ،ولن يكون هذا الفريق أو ذاك من شعراء الوطنية .

وسأحاول في الصفحات التالية ان شاء الله تتبع النصوص الوطنية في الشعر اليمني وعرض أمثله منها حسب الأحداث الوطنية المتسلسلة تاريخيا ومواقف الشعراء ازاء كل حدث .

* * *

١ ـ الأئمة والشعر الوطني :

دخلت اليمن تاريخها الحديث وعلى عرشها الامام يحى حميد الدين الذى خلف أباه محمد المنصور فى حكم البلاد وهى خاضعه فى معظمها للحكم العثمانى شأنها فى ذلك شأن كافة البلاد الاسلامية ،وقد قاد الامام يحى حينذاك حركة نضالية قبلية لمقاومة الجيش العثمانى المقيم على جبال اليمن وسفوحها .

انتهت تلك المقاومة النضالية بخروج الجيش العثمانى من اليمن خروجا نهائيا عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى ١٩١٨م .

استقل بعدها الامام يحى بحكم الجزء الشمالى من اليمن ، وكان يعتبر آنذاك رمزا أسطوريا لما كان من نجاحه فى تحرير اليمن الشمالى . وكان مرشحا كذلك لتحرير الجزء الجنوبى من اليمن القابع تحت السيطرة الانجليزية بل نظر اليه بعض العاملين فى حقل القضية العربية آنذاك على أنه سيكون محررا لبقية أجزاء العالم العربى .

بيد أن الأمور سارت بخلاف ماكان مقدرا لها فقد أحكم الامام قبضته وسيطرته على الجزء الشمالى من البلاد ولم يطمح بأكثر من ذلك .

ورغم توالى الصرخات ـ شعرية ونثرية ـ التى تستنجد بالامام لانقاذ الجزء الجنوبى من الوطن (١) الا أن الامام لم يستجب لتلك النداءات

(١) انظر نماذج لتلك النداءات فى الصفحات القادمة من هذا المبحث عند الحديث عن قضية الجنوب .

وقابلها بعدم المبالاة وقلة الاكتراث - كما أسلفنا - ولهذا بدأت تظهر بوادر المعارضة بحكمة ، وتوالت الصيحات ونشطت حتى أفرزت - في النهاية - تلك الحركة الوطنية التي سلكت في إصلاحها مراحل متعددة .

فكان أول ما بدأت به هو مدح الحكام والثناء عليهم ثم الهجوم والسخرية ، ثم العمل المنظم كما سيأتي :

وخلاصة القول أن الوطنية كانت هي العنصر البارز والسمة الغالبة على شعراء اليمن في الأربعينيات ، التي تعتبر بحق البداية الحقيقية لعصر النهضة الشعرية والأدبية في اليمن .

وكان الشعراء هم الأداة المحركة واللسان المعبر عن حال الأمة وما تعانيه من قهر واذلال .

وهذا ماجعل دور الشعراء بارزا في ايقاظ الأمة واحياء ضميرها وتبني قضاياها وانتشالها من حمأة الجمود والتخلف التي سقطت فيها .

ومن هذا المنطلق كان لابد أن يسير الشعر الوطني والحركة الوطنية الاصلاحية في اتجاه واحد .

ونتيجة لهذا التوافق كان الشعراء هم معالم الطريق الذين اهتدى بهم السائرون في درب الاصلاح ، وكان شعرهم انعكاسا للواقع الذي يعيشه الشعب اليمني بكل أبعاده ومقاصده .

ولذا وجدنا أن هذه المواقف الشجاعة لبعض الشعراء قد وضعتهم في موقف حرج أمام الحكام .

وكان التخلف والظلم والجهل والفقر والقهر الاجتماعي وغيرها هي الدوافع الأساسية لهذه الدعوة الاصلاحية وذلك المسلك الوعر الذي سلكوه .

وقد بدأ هؤلاء الشعراء - كما قلنا - دعوتهم الاصلاحية بقصائد مدح اذ كانت هذه القصائد هي الصوت المسموع والوسيلة الوحيدة للوصول الى الغاية .

يقول الأستاذ الزبيري في بيان ذلك :

" وقد ولدت القضية الوطنية هناك في تعز في صورة قصائد كنا نلقيها على الجماهير في محافل الأعياد الضخمة لولي العهد ، لقد كان عملنا يعتبر تقدمية ونهضة وجرأة على تطوير الأساليب القديمة في الأدب . والشعر ، وجرأة على الظهور والتشهير بوجود عصر حديث لم يكن للناس به علم في بلادنا " .(١)

(١) مقدمة ديوان ثورة الشعر ص ٣٩ .

ويقول :

" ولقد كان شعر المدح فى هذه الفترة البدائية هو الرائد والمستكشف الأول ، وهو المجسّ الدقيق الذى تغلغل الى أغوار نفس الامام واعطانا القدرة على الانتقال من مرحلة الى مرحلة " .(١)

وحتى شعر الاستعطاف والشكوى رغم مافيه من مدح وثناء فقد كان ينطوى على آلام السجن ، ويسجل حقيقة تاريخية فى صورة ضراعة واسترحام وهذا فى حد ذاته نقد خفىّ لأوضاع البلاد وما تعانيه من ظلم وقهر واضطهاد . يدل على ذلك :

١ - قصيدة الأستاذ الزبيرى الاستعطافيه التالية :(٢)

رحلوا بنا منذ الصباح ولم نكن ∴ ندرى أرحلة سائح أم مصرع
عرضت لنا تلك المطى كأنها ∴ نعش يؤم بنا المقابر مسرع
وتهافت الناس الجميع كأنهم ∴ حضروا جنازة ميت لا يرجع
يتخاوصون بأعين مذعورة ∴ تتجرع البلوى كما نتجرع
وأتت مواكب أهلنا لتردنا ∴ بنحيبها عما اليه نزمع
تبكى وتنشدنا الأناة وترتجى ∴ ألا نسير وتستغيث وتفزع
جاؤوا حيارى خائفين ومالهم ∴ ذنب وقد يخشى البرىء ويجزع

(١) مقدمة ديوان ثورة الشعر ص ٧٦ .
(٢) الزبيرى أديب اليمن الثائر للعمرانى ص ١٦٩ .

يكون حيث دموعهم مردودة ∴ حسرى وحيث بكاؤهم لا ينفع

قلنا لهم انا لنأسف اذ نرى ∴ أكبادهم من أجلنا تتقطع

فاسعوا الى المولى الامام لعله ∴ يحنو على هذى القلوب ويخشع

صبوا المدامع تحت ظل حنانه ∴ ان الحنان الى المدامع يسرع

وتحملوا معكم صغارا رضعا ∴ فعساه يعطفه الصغار الرضع

عطفا أمير المؤمنين فاننا ∴ جئنا اليك من المخاوف تفزع (١)

٢ - قصيدة ضراعة وشكوى ممزوجتين بالنصح والارشاد والتحذير من المنافقين والوشاة يرسلها الشامى من سجن حجّة يقول فيها : (٢)

توق أحاديث الوشاة فانها ∴ أباطيل مكر أو أحابيد خدعة

أرادوا بها جمع الحطام ونكبوا ∴ عن الحق فيها والهدى والفضيلة

ولم يكسبوا منها سوى الاثم والخنا ∴ واهدار ذمات الحقوق المصونة

لقد نحتوا صخر القداسة جرأة ∴ على الدين وابتاعوا التقى بالرذيلة

وكم بائس أودوابه فى شباكهم ∴ وكم تعس ألقوه فى قعر هوة

(١) أرسل الزبيرى هذه القصيدة الاستعطافية من سجن الأهنوم فى مطلع الأربعينيات الى الامام يحى بعد أن أمر الامام بسجنه هو والعلامة محمد ابو طالب الخطيب بسبب خطبهما الاصلاحية فى الجامع الكبير بصنعاء والتى أعقبت البرنامج الاصلاحى الذى قدمه الزبيرى الى الامام والذى يدعو الى التمسك بالاسلام وتطوير جميع مرافق الحياة فى البلاد على هذا الأساس .

(٢) ديوان النفس الأول .

(١)
وليس ببدع شأنهم فمحمد ∴ ابوه تلقى منهم كل طعنة

وحذر منهم قومه ورماهم ∴ نكالا وتحذيرا بأخلد لعنة

فويل لمن يجنى الحياة دميمة ∴ وقد دنستها موبقات النميمة

وويل لمن يؤذى ضمير "امامه" ∴ بوسواس شر أو ببهتان فرية

وقد حملونى كل وزر وطوحوا ∴ بدنيا ن واجتاحوا تراثى وأسرتى

(٢)
فأنقذ حياتى من أحابيل مكرهم ∴ فانى فيها موثق كالقنيصة

أ ـ فالقصيدتان على ما فيهما من ضراعة واستراحام وما يحملان من تمجيد ومدح الا أنهما يمثلان المرحلة الأولى من مراحل الحركة الاصلاحية فى اليمن وهى مرحلة الاصلاح عن طريق الحكام القائمين بالأمر آنذاك ،وكان شعر المدح هو الوسيلة التى اتبعها الشعراء فى سبيل الوصول الى غرضهم الاصلاحى غير أن تلك الوسيلة لم تجد شيئا فى اصلاح الحكام فاضطر الشعراء الى الانتقال الى مراحل تالية .

ب ـ ثم تلت المرحلة الأولى مرحلة ثانية هى مرحلة التذمر والسخط والتململ وكانت هذه المرحلة تمر بصمت يشوبه شىء من المجاملة والحذر .

ولهذا لم تأت قصائد خاصة تفصح بوضوح عن ذلك التذمر والسخط ، وان كانا قد تخللا بعض قصائد المدح التى قيلت فى المرحلة الأولى .

(١) هذا البيت اشارة الى أن نسب الأئمة من آل بيت رسول الله ، ولعل هذا أهم العوامل فى بقائهم هذه الفترة الطويلة فى الحكم .

(٢) القنيصة : الصيد .

٣ - وكانت هذه المرحلة بداية لمرحلة ثالثة هى : مرحلة المواجهة العلنية والهجوم المباشر بين الأحرار والسلطة ،والأحرار لا يزالون داخل البلاد .

وقد بدأت تلك المواجهة بتخوف السلطة من الأحرار ثم هدمها لمنزل كل من الزبيرى والموشكى رأسى المعارضة البارزين ،وكان لهذه الحادثة أثر قوى على نفوس الأحرار .

ومن ثم سجلها شعراؤهم مواساة وتعزية لصاحبى الدارين يقول الأستاذ زيد الموشكى مواسيا زميله الزبيرى فى هدم داره :(١)

ياشاعر اليمن العزيز تصبرا ∴ ان التصبر حظ كل أريب

سحق الأثيم الدار وهو مبلبل ∴ مما بعثت به من الترهيب

أقلقت مضجعه فأرسل عسكرا ∴ يشفونه بفظيعة التخريب

الله اكبر قد ملأت فؤاده ∴ رهبا وأضرمت الحشا بلهيب

وكذاك كان لنا ولكن كله ∴ سهد بجنب الموطن المحبوب

أفديك ياوطنى العزيز بمهجتى ∴ وكريم أولادى وكل قريب

لا تبتئس بلدى من المجد الذى ∴ منه الورى أخذوا أتم نصيب

انا تعاهدنا على أن تنجحى ∴ ويتم أمرك رغم كل مريب

(١) شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجى ص ١٦ .

وقد بلغ الشاعر قمة من قمم الايثار حين لم يبال بمصيبته الشخصيـــة في هدم داره ويمرّ عليها مرور عابرا ويجعلها هي ومهجته وأولاده فداء للوطن .

وللشامي أيضا مقطوعة أخرى بعنوان " تعزية " أهداها الى الأستاذ الموشكي الشاعر المجاهد مبينا فيها تأثره البالغ لهدم حكام اليمن داره ومبديا اعجابه بكفاحه وتضحيته يقول فيها مخاطبا الموشكي ومعرضا بالامام :(١)

ايثور محتـدا عليك مهـدمـا ∴ بيتا هو الركن المحبب والحمـى

لم يخشى ربا في السماء ولا رعى ∴ حقا ولا صان الذمار ولا استحى

هدم الفضيلة واستباح حرامها ∴ وطغى على دين الحنيفة واعتدى

ياأيها الجبـار مهـلا انمـا ∴ هدمت مجدك والكرامة والعـلا

أصبحت بين العالمين عجيبـة ∴ باللؤم توصف والخديعة والشقـا

ما تلك أحجارا ولكن أنفسـا ∴ ستريك يوما كيف تسحق من عتـا

هدمتها لابل أثرت شعورهـا ∴ لتهب من ليل الجهالة والكـرى

(١) شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجي ص ٩١ .

ولم ترد هذه القصيدة في دواوين الشامي لأن ظروف طبع دواوينه الأولى حتمت خلوها من هذا النوع من القصائد التي تعد هجومـا على الأئمة ، وقد طبعت هذه الدواوين ابان حكم الامام احمد اواخر الخمسينيات .

ففى القصيدة هجوم عنيف يدل على أن مرحلة النضال العلنى بين الحكومة والمعارضين كانت قد بدأت فعلا وأن المعارضين لم يعودوا يطمعون فى الاصلاح عن طريق الأئمة .

فقد ثبت لهم بالتجربة أن الأئمة غير قادرين على الاصلاح والتطور ولابد من البديل وهذا ماقام به الأحرار فعلا فى ١٩٤٨و١٩٥٥و١٩٦٢م.

٢ - حزب الأحرار والجمعية اليمانية الكبرى :

أ - حزب الأحرار :

سبق الحديث عن حزب الأحرار والجمعية اليمانية وظروفهما ونشأتهما وقلنا ان الأحرار لم يخرجوا من اليمن الا بعد أن ضاقت بهم الأرض واشتد عليهم الحصار وألجموا عن القول والعمل وكان لابد لهم من خطوة أخرى يخطونها نحو الاصلاح ، فكان أن خرجوا الى عدن واستأنفوا العمل من هناك .

وهذه الخطوة تمثل مرحلة جديدة من مراحل النضال الوطنى والشعر الوطنى ،وعلى الرغم من أن عدن آنذاك كانت تحت الاحتلال الانجليزى الا أنهم لم يجدوا بقعة غيرها يلجؤون اليها ، ومع ذلك فقد كانت أحسن حالا من الشمال اذ أن الأحرار تنفسوا فيها الصعداء وأنشأوا حزبهم هذا ثم أنشأوا لهم صحيفة كانت لسانهم المعبر عن آرائهم كما تقدم .

وهذه المرحلة فى الواقع تعد المرحلة العملية الأولى فى طريق الاصلاح المنظم الهادف ، ولهذا جاء شعرهم فيها قويا وعنيفا منطلقا :[1]

خرجنا من السجن شم الأنوف ∴ كما تخرج الأسد من غابها

نمر على شفرات السيوف ∴ ونأتى المنية من بابها

ونأبى الحياة اذا دنست ∴ بعسف الطغاة وأرهابها

ونحتقر الحادثات الكبار ∴ اذا اعترضتنا بأتعابها

ونعلم أن القضا واقع ∴ وأن الأمور بأسبابها

ستعلم أمتنا أننا ∴ ركبنا الخطوب حنانا بها

فان نحن فزنا فيا طالما ∴ تذل الصعاب لطلابها

وان نلق حتفا فيا حبذا ∴ المنايا تجىء لخطابها

فخروجهم كان حرية وانطلاقا من السجن الكبير كما أسماه الزبيرى وليس هروبا من الواقع ولا كراهة للنضال أو فرارا من ميدان المعركة ، انما كان انطلاقة جديدة للبحث عن أرضية يثبتون عليها أقدامهم فقد سئموا من الاقامة تحت القهر والاذلال والبطش ، وأرادوا أن يفلتوا من الخزى والعار اللذين تعيشهما أمتهم حفاظا على كرامتهم وأنفتهم .

(١) ديوان صلاة فى الجحيم للزبيرى . ص ٥٥ .

أنغنا الاقامة فى أمـــة ∴ تداس بأقـدام أربابهـــا

وسرنا لنفلت من خزيهـا ∴ كراما ونخلص مـن عـابهـا

وكم حية تنطوى حولنـا ∴ فننسل من بيـن أنيابهـا

ويارب مملكة كنـت قـد ∴ لهوت بهـا وبأصحابهـا

تظن السماوات تعنو لها ∴ وتجثـو خشوعـا لأحسابها

وأن النهى ات ارث لهـا ∴ تتيـه بهـا وبألقـابهـا

وأنا عبيد خلقنا لهـا ∴ لنبقـى سجودا بأعتابهـا

وليست بشىء سوى أنهـا ∴ عجوز تجـن بألعـابهـا

تغذى البلاد بأسواطها ∴ وتسقى الرعية من صابهـا (١)

والقصيدة فى الديوان طويلة وكلها تصوير ساخر لما يدور فى رؤوس وعقول الحاكمين وما تنطوى عليه خططهم من مكر وخداع وتضليل .

نصحت فقالوا هدمت البلاد ∴ وزلزلت بنيـان أقطابهـا

وما أنت والنصح فى أسـرة ∴ تنال السمـاء بأنسابهـا

وقد نزل الوحى من أفقها ∴ وحل النبى بأثـوابهـا

وما الحق والعلم والعالمو ∴ ن الا قرابيـن محرابهـا

حذار الخطابة ان السجون ∴ تهش اليـك بترحابهـا

(١) المصدر السابق ص ٥٦ .

ولما كان حزب الأحرار هو أول حركة منظمة علنية فى هذه المرحلة فقد كان أبرعها فى هذه الحركة كما يحدثنا الأستاذ الزبيرى " جرأتها على مواجهة الطغيان وجها لوجه باعتزاز وثبات ، ثم قدرتها على تجميع كل المستويات العالية من القوى الشعبية بحيث أصبحت كلها تعتبر حركة الأحرار فى عالمها جميعا ، وقد أسفرت هذه المرحلة عن حركة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨م ، كما سيرد.

وقد مر بنا أيضا أن الأعضاء البارزين والمحركين لهذا التجمع الوطنى كانوا من الأدباء والشعراء فقد كان الأستاذان احمد نعمان ومحمد محمود الزبيرى رئيسى الاتحاد ، وكان الشاعر زيد الموشكى مستشارا له والأستاذ الشاعر احمد الشامى سكرتيرا وهكذا .(١)

وفى أول اجتماع للأحرار والذى تم فيه الاعلان عن هذا الحزب ألقى الأستاذ الزبيرى قصيدته المدوية " صيحة البحث "(٢) ومطلعها :

سجل مكانك فى التاريخ ياقلم .. فيها هنا تبعث الأجيال والأمم

ومنها :

(١) للاستزادة من الحديث عن حزب الأحرار ونشأته وأعضائه ، أنظر من الأدب اليمنى للشامى ص ٧٧ ، والزبيرى شاعر اليمن الثائر ص ١٩٧ واليمن الانسان والحضارة للشماحى ص ١٩١ ومابعدها .

(٢) ديوان صرخة فى الجحيم ص ١٣٠ .

هنا القلوب الأبيات التى اتحدت ∴ هنا العنان هنا القربى هنا الرحم

هنا العروبة فى أبطالها وثبت ∴ هنا الاباء هنا العليا هنا الشمم

هنا الكواكب كانت فى مقابرها ∴ واليوم تشرق للدنيا وتبتسم

هنا البراكين هبت من مضاجعها ∴ تطغى وتكتسح الطاغى وتلتهم

لسنا الأولى أيقظوها من مراقدها ∴ الله أيقظها والسخط والألم

شعب تفلت من اغلال قاهره ∴ حرا فأجفل عنه الظلم والظلم

نبا من السجن ثم ارتد يهدمه ∴ كى لا تكبل فيه بعده قدم

وقد انتشرت القصيدة انتشارا واسعا حتى غدت نبراسا يهتدى بها الشعراء فى طريق الكفاح الوطنى ، وعرفت بمطلعها اكثر مما عرفت بعنوانها فقد تداولها الناس بعنوان " سجل مكانك " فأصبحت بعد ذلك معلما من معالم التاريخ اليمنى الحديث ،واعتبرها الشعراء والكتاب تاريخا للفترة التى قيلت فيها ، فهذا الشاعر عبدالله البردونى يسجلها فى مطولته التاريخية " حكاية سنين " على أنها جزء من تاريخ المرحلة التى نحن بصددها فقال :

(١)
سجل مكانك وانبرى التاريخ يحتضن العبارة .

وتعتبر قصيدة الزبيرى هذه قمة من قمم الشعر الوطنى فى هذه الفترة جرأة وشجاعة وصراحة ووضوحا .

(١) مدينة الغد ص ١٥٤ .

ولم يكتف الأحرار بهذا الاعلان المروع عن تمردهم على الطغيان وخروجهم عنه بل دعوا الى الثورة عليه والانتقام منه ، والوقوف في وجهه ، فالطريق السليم لأخذ الحق وازالة الظلم هو التضحية بالنفس ، والثقة بالله ، والاعتصام به والاتحاد في حزبه .

ان القيود التي كانت على قدمي ∴ صارت سهاما من السجان تنتقم
ان الأنين الذي كنا نردده ∴ سرا غدا صيحة تصغي لها الأمم
والحق يبدأ في آهات مكتئب ∴ وينتهي بزئير ملؤه نقم
جودوا بأنفسكم للحق واتحدوا ∴ في حزبه وثقوا بالله واعتصموا (١)

وكل قصائد الأحرار في هذه الفترة أي من ١٩٤٤م الى ١٩٤٨م كانت صدى لخلجات الشعب وأناته وكان الشعر يخدم القضية الوطنية بكل أبعادها .

ففي هذه الأثناء وفي سنة ١٩٤٥م وجه الزبيري صرخة مدوية الى الشعب اليمني حاثا اياه على الثورة والنضال وعدم الاستسلام للظالمين والطغاة فقد اعتاد هؤلاء عدم الاحساس بالبشر الا اذا تحرك البشر وأشعروهم أنهم أحياء .

(١) ديوان صرخة في الجحيم ص ١٣١ .

وقد تمثلت هذه الصرخة فى قصيدة " صرخة الى النائمين " والتى يقول فى مطلعها :(١)

ناشدتك الاحساس يا أقلام ∴ أتزلزل الدنيا ونحن نيام

والقصيدة طويلة أقتطف منها هذه الأبيات الداعية الى النضال والكفاح وعدم الاستسلام :

ياقوم هبوا للكفاح وناضلوا ∴ ان المنام عن الذمام حرام

تستسلمون الى قساة مالهم ∴ خلق ولا شرع ولا أحكام

ولقد صبرتم ثلث قرن لم يصن ∴ أعراضكم صبر ولا استسلام

لن يبرح الطغيان ذئبا ضاريا ∴ مادام يعرف أنكم أغنام

فتكلموا كيما يصدق أنكم ∴ بشر ويشعر أنه ظلام

وتحركوا كى لا يظن أنكم ∴ موتى ويحسب أنكم أصنام

فالقوة والوضوح كانا وسيلتين من وسائل الشعر فى هذه المرحلة ـ كما نراه فى هذه القصيدة وغيرها من قصائد الأحرار ـ لبلوغ الغاية التى توحدوا على أساسها وتحركوا تحت مظلتها .

(١) ديوان صلاة فى الجحيم ص ٦٨ .

ويشاء الله أن تتوفى فى هذه الأثناء زوج أحد المناضلين فى هذه المعركة هو الأستاذ احمد محمد نعمان زعيم حزب الأحرار فجاء خبر وفاتها من تعز الى عدن والأحرار فى معمعة النضال ، فاهتزت عواطف زوجها وضعف أمام هذه المحنة التى أصابته ،وجزع لهذه الكارثة التى حلت به .

فانطلق صوت الشعر معزيا ومواسيا فأنشأ الزبيرى قصيدته العصماء المشهورة بعنوان " طليعة الشهداء " يقول فى تقديمه لها :" فكتبت له - يعنى الأستاذ نعمان - هذه القصيدة أطلب اليه أن يضع نهاية للدموع وأذكره أنه فى معركة لا يجوز فيها البكاء ،وحاولت أن أسرب عاطفته نحو زوجته بعاطفته نحو بلاده " (١) . ومطلع القصيدة (٢) :

كفكف الدمع واعتصم بالعزاء ∴ ليس فى الحرب فرصة للبكاء

قد تصديت للجهاد فلا تأبه ∴ لنهل يأتيك فى الهيجاء

ويسترسل الشاعر بتذكير زميله فى الجهاد وشقيقه فى المبدأ بموقعه ومصير أمته البائس ومايقاسيه شعبه على يدى الأئمة من ظلم وجهل وشقاء وتعاسة فيقول (٣) :

فامض ياقائد الشباب الى الحق ∴ ولا تكترث بالبأساء

حل أمر الفقيد فى ذمة الله ∴ جزيل الثواب جم العطاء

(١) ديوان سبعة فى الجحيم ص ٩٣ .
(٢) المصدر نفسه
(٣) المصدر نفسه ص ٩٩ .

وتذكر مصير أمتك الكبـــرى ∴ على هـوة الـردى والفنـاء

أن تعـر يـؤوى رفـات بنـيهـا ∴ أن دمع يفى لهـم بالعـزاء

كم يظـل الامام يحفـر للنـا ∴ س قبورا بكفـه الشـلاء

كم تقاس البلاد من قلبه القـا ∴ سى وتلتقى فى ظله من شقاء

ثلث قرن لم يبرح اليمن الميمون ∴ منـه فـى ليلـة ليـلاء

تعجز الشمس أن تشـع علـى ∴ أفكاره السود لمعة من ضياء

وهكذا استطاع الشاعر ببراعته وقوة أسلوبه أن يحول قصائد الرثـاء الى قصائد وطنية تنسى الانسان أعـز الناس اليه وتذكره المصائب التى تحل بأمته ووطنه .

وهناك فرق واضح بين أسلوب الزبيرى فى هذه المرحلة مرحلـة المواجهة والمرحلة السابقة لها .

ففى مرحلة الاستعطاف والمدح نجد أسلوبا هادئا وألفاظا رقيقـة فيها التواضع والانكسار .

أما فى هذه المرحلة التى تحتاج الى الجرأة والشجاعة فالزبيـرى قوى القلب منطلق اللسان لا يجد الضعف الى قلبه سبيلا ، متفائل بالنصر لا يسمح لليأس أن يدب الى قلب واحد من المناضلين حتى ولو فقد أعـز الناس اليه .

ب ـ الجمعية اليمانية الكبرى :

لم تمض فترة طويلة على قيام حزب الأحرار في عدن حتى أقلق ظهوره وتحركه مضاجع الأئمة في صنعاء ، فأوعزوا الى الانجليز بوقف نشاطه ومصادرة ممتلكاته ، غير أن الانجليز لم يستجيبوا لتلك المطالب لا خوفا من الجماهير التي التفت حول الحزب ، بل ربما لما يسببه لهم هذا المنع من مشكلات وما يثيره ضدهم من ضغائن وظل الأحرار يمارسون نشاطهم بحرية وانطلاق .

ولم يكن بدّ ـ بالنسبة لحكومة صنعاء ـ من وقف نشاط هذا التجمع الوطني فهو على صلة بالجماهير اليمنية في الداخل والخارج ، وأفكاره تسري بينهم سريان النار في الهشيم ، كما حدث لقصيدة " صيحة البعث " وغيرها .

فلم يكن من ولي العهد احمد الا أن أسرع الخطى الى عدن لمصالحة الأحرار واقناعهم بالعودة الى الشمال وأظهر لهم ـ مكرا ودهاء ـ تذمره وسخطه على الوضع القائم وأنه غير راض عن تصرفات أبيه ، فانخدع الأحرار بأسلوبه المراوغ وفضل معظمهم الرجوع الى شمال البلاد بيد أن رجوعهم هذه المرة كان الى تعز مقر ولي العهد ، فقد كان الأحرار يرون فيه الأمل الوحيد في بيت حميد الدين الذي يحققون به طموحاتهم ويضعون عنده رحالهم .

ولهذا كانوا حريصين على طمأنة الشعب ووعده بالأمن والأمان في ظل ولي العهد لكي يستشيروا في نفسه معاني الاصلاح ودوافع الوطنية فهو الحارس الأمين لحقوق الشعب والليث المدافع عن أرضه وعقيدته ، والمصلح العظيم في أوقات الشدة والابتلاء .

نقرأ هذه المعاني وغيرها في الأبيات التالية للشاعر ابراهيم الحضراني[1] :

وطني لا عليك قد صانك أمنه ∴ وألقى عليك ظل أمانه

لك هاد من نوره لك سيف[2] ∴ يدفع السوء عنك من قرآنه

لك يا موطني سراة عليهم ∴ رضي الله في قديم زمانه

هم دعاة الاله فيناوهم ما ∴ برحوا اليوم حارسي أديانه

حملوا مشعل الهداية للخلق ∴ وليل الضلال في عنفوانه

كل ليث منهم يدافع عنا ∴ كدفاع الكريم عن سبيانه

أيها المصلح العظيم اذا ما ∴ وقع الشعب في عظيم امتحانه

أنت في المجد عيشه فاذا ما ∴ كان يوم الوغى فليت عوانه

(١) من كتاب " امام اليمن احمد حميد الدين لأحمد الشامي ص ١٢٩ . وليس للحضراني ديوان يجمع أشعاره الى اليوم ولعل الشاعر يوفق الى جمع أشعاره المتناثرة هنا وهناك .

(٢) كذا جاء البيت وفيه مبالغه غير محموده الا اذا اعتبرنا الضمير عائدا الى الله فيكون الامام هاديا بنور الله مقيما لحدوده ، وفي هذا المعنى تكلف .

كان هذا ظن الأحرار بسيف الاسلام " ولىّ العهد " بعد عودتهم من عدن ، ولكن ولى العهد قلب لهم ظهر المجن وكشر عن أنيابه وبدا على حقيقته ومعدنه الماكر فسرعان ما خابت الآمال وتبددت أحلام الأحرار .

وانفض الأحرار بعد ذلك من حول ولى العهد وتفرقوا فى المدن والقرى ، وانضم بعضهم الى من بقى من الأحرار فى عدن ، وهناك تكونت الجمعية اليمانية الكبرى سنة ١٩٤٦م أى بعد فترة وجيزه من تفرق حزب الأحرار .

وفى هذه الأثناء انضم الى الأحرار أحد سيوف الاسلام وهو سيف الحق ابراهيم بن الامام يحى (١) .

وبمناسبة افتتاح دار هذه الجمعية - أعنى الجمعية اليمنية الكبرى - وانضمام سيف الحق ابراهيم اليها - وهما مناسبتان وطنيتان عظيمتان - وكان من حق الشعر أن يقول كلمته فى هاتين المناسبتين ، وفى حفل الافتتاح ألقى الأستاذ الزبيرى هذه القصيدة (٢) :

(١) هو ابراهيم بن يحى حميد الدين ، ولد بصنعاء فى حجر أبيه الامام يحى ، وأخيرا خرج على والده ودعا الى اصلاح الدولة وانضم الى الأحرار ، وتلقب بسيف الحق ، وبقى على صلة بالمعارضين لحكم أبيه الى أن قتل أبوه سنة ١٩٤٨م ، فكان ابراهيم ضمن شهداء هذه الحركة بعد فشلها فقتل مسموما فى حجة .

(٢) ديوان صدة فى الجحيم ص ١٤٩ .

هاهنا الأحرار شعب يأتمر ∴ وعقول نيرات تزدهر

ومشاعيل قلوب تلتقى ∴ وبراكين شعور تنفجر

هاهنا العزم الذى لا ينثنى ∴ هاهنا البأس الذى لا يندثر

هاهنا الشعب الذى آلى على ∴ نفسه أن يحيى أو ينتصر

أمة شاءت بأن تحيا فمن ∴ ياترى يرغمها أن تنتحر

بعثت من رمسها جبارة ∴ تتنزى فى حماس مستعر

حطمت أصفادها تمشى الى ∴ حقها مشى العزيز المقتدر

هم شباب عاهدوا الله بأن ∴ يهبوا الأرواح لليوم العسر

لا يبالون بما يلقونه ∴ من صعاب وخطوب ونذر

ثبتوا للظالم العاتى كما ∴ يثبت الصدق لكذاب أشر

شهد الله علينا أننا ∴ نبتغى الحق وفيه نصطبر

ندفع الأخطار عن أمتنا ∴ ونلاقى دونها كل خطر

ونحط الصخر عن كاهلها ∴ ولو انحط علينا واستقر

تضحيات هى أدنى ماعلى ∴ كل ذى قلب وسمح وبصر

ثم يشير الى سيف الحق ابراهيم ويتمنى أن يلتقى بأمته البائسه عله يجبر بخاطرها المنكسر :

ليت سيف الحق يلقى أمة ∴ لقيت سيف ضلال وسعر

لكفى كل كئيب بائس ∴ وشفى كل فؤاد منكسر

ونجا شعب وعاشت أمة ∴ هى فى حلق المنايا تنحدر

وقد بدأت الجمعية نشاطها وأرست دعائمها ، فأنشأت صحيفة " صوت اليمن " التي كانت لسان الجمعية ومنبرها الوحيد بين وسائل الاعلام المختلفة .

وكانت الصحيفة فرصة كبرى للأحرار اذ أنهم من خلالها تمكنوا من ايصال صوتهم ونشر أفكارهم وأهدافهم ،وقد أشاد الشاعر لطفي جعفر أمان بهذه الصحيفة وحيا ميلادها في قصيدته " أنا حامي الضمير " والتي يقول فيها : (١)

حملوا مشعل الهدى لشباب ∴ مستكين في ذله وهوانه

في دياجير حرمة البلد الغا ∴ في رهيب الحجا على أحضانه

في بلاد تئن من وطأة الظلـ ∴ ـم وتدمى شعوبها من طعانه

لفها الليل في قتام الجهل فضا ∴ قت أنفاسها من دخانه

كلما هب ينشد العدل في الحكا ∴ م أعيته عقدة في لسانه

وأخو الفكر ما تحرر من غـ ∴ ـل وفي صدره أسير بيانه

زج بين السجون حسبما تهوى ∴ لسياط تحط من سجانه

عاش في ظلمة من السجن لا يبـ ∴ ـصر الا العذاب في ألوانه

ماجنى ماجنى وماقال الا الـ ∴ ـحق والحق منتهى ايمانه

(١) ديوان ليل الى متى ص ٦٧ .

راعه موطن يلطخه الجهـ ∴ ـل فحث الملا لاصلاح شأنـه

ورأى أمة يحطمها الظلـ ∴ ـم فثارت مروءة فى جنانـه

أكذا يجرم الطغاة بأهليـ ∴ ـنا ويشقى الشريف فى أوطانه

أيها العابثون بالعز مهلا ∴ ليس نصر القوى فى طغيانـه

أنظروا تزأر الجموع وتـذروا ∴ ـ جانعات ـ عرش الخنا من مكانه

فالقصيدة من أوضح وأصرح القصائد التى تنسمتها عدن فى هذه المرحلة وهى بعيدة نسبيا عن التقريرية والمباشرة اللتين اتسم بهما قدر كبير مـن الشعر الوطنى فى فترة الأربعينيات ، ولعل مرجع ذلك ما تعلمه من رومنسية لطفى أمان وتأثره بمدرسة الابداعين أثناء دراسته فى كل من الخرطـوم ولندن على ما سيأتى .

٣ - ثورة الدستور سنة ١٩٤٨م ١٣٦٧هـ :

بعد كل ماتقدم من أحداث ،وتجمعات ،وحركات ،يتضح لنـا أن الأحرار منذ خروجهم الى عدن ،واقامتهم لذلك التجمع الوطنى كـانـوا جادين فى العمل للتخلص من حكم آل حميد الدين واقامة حكم دستـورى عادل منبثق من الشريعة الاسلامية الغراء أساسه العدل والاخاء والمساواة.

ولذلك كانت كل الوسائل التى اتبعوها روافد تصب فى هذا الاتجاه فالتحركات ،والاتصالات ،وتوزيع المنشورات واعداد الميثاق المقدس ،بتلـك الصورة التى كان عليها وغير ذلك من الوسائل ،كلها كانت دلائل واضحة على

ما كان يبيته الأحرار ويهدفون اليه ، وكانت ارادة التغيير واضحة في أذهانهم وفي شعرهم منذ تجمع الأحرار عام ١٩٤٤م ، ولم تأت ثورة ١٩٤٨م ، الا نتيجة طبيعية لتلك الجهود الجبارة التي بذلوها .

وقد تقدم أن الأحرار لم يكونوا وحدهم في هذه الثورة فقد شاركتهم فئات أخرى عسكرية وقبلية وأسرية كما رأينا في الباب الأول .

غير أن الأحرار كان لهم دور الريادة في هذه الثورة وكان شعرهم وقفا عليها .

فلم يكد يتم الاعلان عن قيام ثورة ١٩٤٨ حتى طلع علينا الشاعر علي أحمد باكثير بقصيدتين يسجل فيهما أحداث وانعكاسات الثورة .

١ - الأولى جاءت عقب مقتل الامام يحيى مباشرة ، وبعد وصول نبأ قيام الثورة الى القاهرة وهي بعنوان " أمة تبعث " وقد حيا فيها الشاعر الثورة بصراحة وجرأة فقال :(١)

ملك يموت وأمة تحيا ∴ بشرى تكاد تكذب النعيا

ماكان أبعد أن نصدقها ∴ سبحان من أرد ومن أحيا

اليوم تبعث أمة أنف ∴ تبنى ليعرب قبة عليا

مؤودة ثوت الثرى زمنا ∴ سبحان مخرجها الى الدنيا

(١) شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجي ص ٢٢٩ .

شعب نضا الأكفان عنه وقد ∴ بليت فأهداها الى يحيى

أهداه أثمن ما حوت يده ∴ هل كان يملك غيرها شيا

ثم يلتفت الشاعر الى الشعب يوجهه ويرشده الى الاعمار والبناء ، واعادة حضارة الأجداد ، ومواصلة الكفاح والجد ، وأخذ الأمور بحزم ، فقد أصبح الأمر بيده فلا عذر له ان قصر أو توانى :

يا أيها الشعب الطليق أتى ∴ عهد الحياة فأحسن اللقيا

أنت ابن من شادوا حضارتنا ∴ من قبل أن نتلقن الوحيا

هيا البدار الى الفخار فقد ∴ نادى المنادى من على هيا

لا عذر بعد اليوم ان ونيت ∴ منك الخطى أو قصرت سعيا

الآمر الناهى قضى ومضى ∴ وملكت أنت الأمر والنهيا

وأخيرا يشيد بامام الدستور وقائد الثورة الامام المجدد عبد الله بن احمد الوزير الذى اختاره الثوار - على أساس من الشورى - اماما شرعيا على البلاد فيقول :

وامامك الملك الجديد على ∴ عهد من الشورى سما هديا

راع على الميثاق مؤتمن ∴ لا ميل عنه له ولا ليا (١)

هو خير من يرعى حماك ومن ∴ يهدى لمجد الدين والدنيا

(١) لعل ضرورة الوزن اضطرت الشاعر الى التقديم والتأخير فجاءت الصياغة مرتبكة فى " عنه له " .

٢ - القصيدة الثانية لباكثير في تمجيد ثورة ١٩٤٨ قبل فشلها بعنوان "اعداء الحياة" وفيها يهنئ الشاعر مدينة صنعاء بانزياح ذلك البلاء عنها ،ويطلب اليها أن تبتسم للحياة الجديدة التي أقبلت عليها بعد أن كانت في حياة مظلمة وسجن رهيب ، وكأنها كنز ثمين بيد بخيل أودعه مخبأ مظلما حتى لا يعثر عليه اللصوص .

وهذه هي القصيدة :(١)

انزاح عنك البلا والداء ∴ فابتسمي للحياة صنعاء

ابتسمي للحياة ان لها ∴ حقا أبته عليك أرزاء

واطرحي أمس البغيض فما ∴ أمسك الا ظلم وظلماء

وباب سجن شعبك داخله ∴ كما ثوى في الحظيرة الشاء

موتى من الموت بيد أنهمو ∴ لكي يذوقوا العذاب أحياء

لو استطاع الامام منهم الـ ∴ ـماء لما صح عندهم ماء

كنت ككنز البخيل أودعه ∴ في مخبأ لا تراه أضواء

امام سوء له زبانيه ∴ من آله يفعلون ما شاؤا

هم وحدهم سادة البلاد به ∴ كأنما غيرهم أرقاء

كفى بهم سبة ومنقصة ∴ أنهموا للحياة أعداء

(١) شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجي ص ٢٤٧ .

والقصيدة رغم بساطة أسلوبها ووضوح ألفاظها وتراكيبها التقريرية غير أنها تصوير مثير وحي للواقع المرير الذي عاشته اليمن في ظل حكم بيت آل حميد الدين .

ولكن سرعان ما اختفت الابتسامة من الوجوه وانقلب الفرح الى تسرع ودب الظلام على أحياء صنعاء وانزاح النور الذي كان قد ملأ شوارعها فاذا بالثورة تتقهقر الى الوراء وتكمن في ثياب زفافها بعد عشرين يوما من قيامها واذا بالظلم يعود أدراجه بعد اندثاره وتحطم قيوده .

ويشهد الشعر هذه الأحداث وتلك النكسات فلا يقف ازاءها مشدوها بل انه بحاسته الشاعره يرسم لها صورا اكثر اثارة من الأحداث نفسها ولنقرأ مثلا هذا المقطع من قصيدة الزبيري " نكسة الثورة " لنرى ما فيها من مشاعر ووجدانات مثيرة :(١)

أنا راقبت دفن فرحتنا الكبـ ∴ ـرى وشاهدت مصرع الابتسامه
ورأيت الشعب الذي نزع القيـ ∴ ـد وأبقى جذوره في الاماسه
واذا بالطبول عادت طبولا ∴ واذ بالفطيم يلفى فطامه
واذا الدستور يصرعه الهفـ ∴ ـي ويلقى كصانعيه حمامه
واذا الشعب بعد ما حطم الأصفـ ∴ ـاد عنه لم نلق الا حطامه
نحن شئنا قيامه لفخار ∴ فأراه الطغاة هول القيامه

(١) الزبيري ديوان " ثورة الشعر " ص ١١٧ .

وللزبيرى أيضا قصيدة أخرى بعنوان " شعب متربص " صور فيهـــا الآثار السلبية التى خلقتها النكسة .

فليست خسارة الشعب متمثلة فى سقوط رؤس بعض أبنائه أو عدد من خيرة أبنائه فحسب فهناك خسارة معنوية أخرى تتمثل فى أن الحاكم المستبد سيزداد عتوا وتسلطا وغرورا ، كما أن الجماهير الغافلة الساذجة الجاهلة سوف تزداد ذلا وجمودا وانخداعا .

وهذه بعض آثار تلك النكبة التى نكبها الشعب اليمنى فى نخبة من أبنائه المفكرين والشعراء .

ويقدم الزبيرى لهذه القصيدة بقوله :

" فى أعقاب ثورة ١٩٤٨ اكتسحت اليمن موجة من اليأس وركـــع الشعب أمام الطغاة ، وتكاثرت التهانى والمبايعات للجلادين ، وكـانت روح الشعب من يومئذ تستشف الواقع وتلمح ماوراءه " (١) .

وهذا مقطع من القصيدة : (٢)

من وراء الأكذوبة المعبوده .. والتهانى الذليلة الرعديده

والهتافات والضراعات للأصنـ .. ـم فى ضجة الطبول البليده

والمزاد الذى يجدد بيع الشعـ .. ـب فيه بالهيمـــة المنكـوده

(١) ديوان ثورة الشعر ص ١٩٩

(٢) المصدر نفسه .

والعهود اللاتى يكررها الطاغى ∴ كلماته ليبشرى عبيده

ورؤوس الأبطال يلهو وليد القص ∴ ـر لهوا بها وتلهو وليده

والقنوط الوحشى يفترس الأحرا ∴ ر فى ظلمة السجون البعيده

وعلى الرغم من عظم النكسة وضخامة الفجيعة وما ترتب على ذلك من آثار سلبية ، فان الزبيرى يتنبأ بأن هذه الثورة وما صاحبها من أحداث ستكون بمثابة جرس الأنذار ودرسا مفيدا فى علم الثورات ، ستكون فيه العبرة والعظة للجولات القادمة وستكون أخطاء الأحرار معالم يهتدى بها السائرون فى هذا الطريق :

ألمح الشعب قابعا يدرس الثو ∴ رة كيما يأتى بأخرى جديدة

يتحرى الأخطاء ويغفر للأحرا ∴ ر أخطاءهم ليبقوا جنوده (١)

ونمضى مع الزبيرى فى رثائه المتدفق لهذه الثورة فقد كان رحمه الله أطول الشعراء نفسا وأرقهم شعورا وأكثرهم تأثرا بأحداثها ففى قصيدته رثاء شعب ـ وهى من أطول قصائده ـ ينتقل من رثاء الثورة الى رثاء الشعب باعتبار أن نكستها هى فى حقيقتها وفى معناها نكسة للشعب .

ويبدأ الشاعر القصيدة بداية حزينة يكشف فيها عن تأثره البالغ لهذه المأساة التى أودت بحياة رجال أبطال وقضت على آمال وأحلام الشعب حتى استوى عنده النور والظلام فيقول : (٢)

(١) ديوان ثورة الشعر ص ١٢٠ .

(٢) ديوان صلاة فى الجحيم ص ١٣٣ .

ماكنت أحسب أنى سوف أبكيه ∴ وأن شعرى الى الدنيا سينعيه

وأننى سوف أبقى بعد نكبته ∴ حيا أمزق روحى فى مراثيه

وأن من كنت أرجوهم لنجدته ∴ يوم الكهريبة كانوا من أعاديه

ألقى بأبطاله فى شر مهلكة ∴ لأنهم حققوا أغلى أمانيه

قد عاش دهرا طويلا فى دياجيره ∴ حتى انمحى كل نور فى مآقيه

فصار لا الليل يؤذيه بظلمته ∴ ولا الصباح اذا مالاح يهديه

وعلى الرغم مما وصل اليه حال الشاعر والأمة التى يمثلها فلم يستسلم لليأس ولم يركن الى الضعف والدعة ، ويهرب من الواقع ، فقد قطع على نفسه وعدا - ووعد الحر دين كما يقولون - بأن يهب بقية عمره لهذا الشعب ، بل ويتمنى أن يموت وحده فداء له ، وحتى تتحقق الأمنية فقد أخذ الشاعر على نفسه ألا يسكن الا فى مقابر شعبه وألا يقتات الا من مآسى مواطنيه :

فان سلمت فانى قد وهبت له ∴ خلاصة العمر ماضيه وآتيه

وكنت أحرى لو أنى أموت له ∴ وحدى فداء ويبقى كل أهليه

لكنه أجل يأتى لموعده ∴ ما كل من يتمناه يلاقيه

وليس لى بعده عمر وان بقيت ∴ أنفاس روحى تفديه وترثيه

فلست أسكن الا فى مقابره ∴ ولست أقتات الا من مآسيه

وما أنا منه الا زفرة بقيت ∴ تهيم بين رفات من بواقيه (١)

(١) المصدر السابق ص ١٣٤ .

يقول الدكتور عبد العزيز المقالح فى تعليق له على القصيدة :

" وتحت رعب المطاردة والتشرد يكتب الزبيرى قصيدته رثاء شعب وهى من روائع وطنياته ، وقد كانت وماتزال من أشهر قصائده وأكثرها انتشارا بين المواطنين على مختلف مستوياتهم الثقافية " .(١)

ويستمر الشعر فى رثاء الثورة والشعب ومهاجمة الطغاة والظالمين فهذا الشاعر محمد حسن العمرلى أحد شعراء عدن يشنع بالظالمين وما أنزلوه بالوطنيين من سجن وتعذيب وقتل واضطهاد ، ثم يبارك مصرع الأحرار معتبرا اياهم عنوان البطولة ودليل اليقظة مشيدا بمواقفهم الصلبة فى مواجهة الموت ،وهو رثاء للثورة والثوار معا .

(٢)
هيقول العمرلى مخاطبا الامام عقب مجزرة ١٩٤٨م :

يا أيها الظالم المودى بأمته ∴ دفنت شعبا وتاريخا وأوطانا
أوغلت فى الدم كالمجنون تنهله ∴ ودست فوق ضحايا الشعب جذلانا
ان الذى فطر الأرواح ألهمها ∴ حقدا على سنن الباغى وعصيانا
والطير لا تسكن الأقفاص راضية ∴ فكيف لا تغضب الأقفاص انسانا
بوركت يامصرع الأحرار كم تركت ∴ ذكراك فى مهج الأحرار أشجانا

(١) الأبعاد الموضوعية ص ١٥٠ .
(٢) القصيدة من شعر العمرلى المخطوط وهى هنا مأخوذة عن كتاب الأبعاد ص ١٦٦ .

خططت من دمهم سفرا فكان على ∴ سفر البطولة والتحرير عنوانا

لله فى ساحة الاعدام موقفهم ∴ يواجهون عوادى الموت شجعانا

سقيا لقبر توارت فيه شمس ضحى ∴ ما كان أنفعها للحق برهانا

وأخيرا يوجه الشاعر صرخته الى الشعب المكبل بقيود سجانيه طالبا منه أن يثأر للعزة وأن يثور من أجل الكرامة وأن يعيد بناء مجده التليد واحياء تاريخيه المشرق ،فقد آن أوان الاحياء والبعث فيقول :(١)

يا أيها الشعب يامن عشت مضطهدا ∴ مكبلا بقيود الذل أزمانا

لقد تجردت من عز ومن خطر ∴ وصرت شيئا يذيب القلب أحزانا

ومات تاريخك الجلى مآثره ∴ هل آن أن تبعث التاريخ هل آنا

وفى ساحة الاعدام الرهيبة التى شهدت مصرع الأحرار ارتجل الشاعر ابراهيم الحضرانى هذين البيتين فقال :(٢)

كم تعذبت فى سبيل بلادى ∴ وتعرضت للمنون مرارا

وأنا اليوم فى سبيل بلادى ∴ أبذل الروح راضيا مختارا

وقد كانتا ترانيم الشهداء فى ساحة الاعدام فى ذلك اليوم المشئوم وكان أول من تمثل بها المناضل محى الدين العنسى ساعة نداءه الى حتفه .

(١) المصدر السابق .

(٢) هلال ناجى - شعراء اليمن المعاصرون ص ٥٨ .

ويشاء الله أن يعيش الحضرانى بعد تلك الحادثة وأن يستمر فى بكاء الثورة وشهدائها وأبطالها سنين طويلة ، حتى وهو فى السجن لم يكن يخشى الموت بقدر خوفه على الثورة حين تفقد أبطالها وقادتها ، وهذا ما قاله وهو ينتظر حكم الاعدام : (١)

حنانيك ياسيف المنية فارحمى ∴ وياظلة الموت الرؤم تقشعى

ووالله ما خفت المنايا وهذه ∴ طلائعها منى بمرأى وسمع

ولكن حقا فى فؤادى لأمتى ∴ أخاف اذا مت من موته معى

بيد أن الحكم لم ينفذ فى الحضرانى وصدر العفو عنه وخرج من السجن ، وظل يصارع الأهوال قولا وعملا ويتخذ من الثورة مادة خصبة لتسجيل أحداثها .

وبعد عام من الحادثة تذكر الشاعر تساقط رؤوس الأحرار على أيدى الجلادين فتفتقت قريحته عن هذه الأبيات : (٢)

حتام ياوطنى آراك تضام ∴ وعلى جبينك تعبد الأصنام

والام يرتفع الطغاة ويمتطى ∴ عرش التهابع معشر أقزام

وتظل ياسهد الجدود ممزقا ∴ بيد الخطوب تدوسك الأقدام

(١) هلال ناجى شعراء اليمن المعاصرون ص ٥٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٩ .

حتام يمضى للرزيئة والأسى ∴ عام ويأتى بالفجيعة عام

اليوم بالزفرات عام قد مضى ∴ ولىّ تشيع نعشه الآثام

ولّى وقد طعن السعيدة طعنة ∴ برجالها الأحرار لا تلتام

نصبت على الأعواد فيه جمهرة ∴ جثث الأسود كأنها أغنام

ثم يلتفت الى أحد أبطال تلك الثورة وقادتها وهو الرئيس جمال جميل الذى كان أحد ضحايا تلك المأساة أو الانتكاسة قائلا له :[1]

أجمال ذكرك اذ يعود يعود لى ∴ بين الجوانح زفرة وضرام

عجبا لخطبك لم ترع من هوله ∴ دول ولم تنكس له أعلام

وتهز أعواد المنابر بالأسى ∴ هزا وتسكب دمعها الأقلام

خرجوا يقودون الرئيس كأنه ∴ ملك وهم حول الرئيس سوام

أو أنه القمر المنير يزفه ∴ نحو المغيب من الظلام ظلام

شاهت وجوه الظالمين حيالـه ∴ وبدا الرئيس وثغره بسام

أجمال مابال العروبة لم ترع ∴ لما تحطم سيفها الصمام

سكتت أسود الرافدين وأحجمت ∴ حيث السكوت يعاب والاحجام

والنيل لم يظهر أساه تحسرا ∴ مما عراك ولم يضجّ الشام

(١) هلال ناجى شعراء اليمن المعاصرون ص ٥٩ .

فالشاعر هنا يتعجب كيف لم تنكس الأعلام وترتاع الدول وتهتز المنابر وتبكى الأقلام لذلك الخطب الجلل الذى فقدت فيه الأمة العربية واحدا من أبنائها المخلصين .

ثم يرسم الشاعر للفقيد ساعة خروجه الى ساحة الاعدام صورة عجيبة شبيهة بصورة أبى طاهر بن بقية عند أبى الحسن الأنبارى (١) ، فما الرئيس هو المقود بل هو ملك وهم من حوله سوام ، بل هو قمر منير يحوطه الظلام من كل مكان . •

وهناك مشهد آخر من مشاهد المسرحية أو حادثة أخرى من حوادث المأساة يتخذها الحضرانى مادة خصبة لشعره الوطنى .

الحادثة تتلخص فى أن الشهيد عبدالله بن محمد الوزير (٢) ، كان يساق الى الموت وأبوه ينظر اليه ، فالتفت الشاب الى أبيه معللا ومواسيا اياه بالصبر آملا أن يتم لقاؤهما هناك فى الجنة " .

(١) حادثة أبى طاهر حادثة مشهورة فى كتب الأدب والذى جعلها كذلك هو الشاعر أبو الحسن الأنبارى فى أبياته المشهورة والتى يقول فيها :

علو فى الحياة وفى الممات ٠٠ لحق تلك احدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا ٠٠ وفود نداك أيام الصلات
مددت يديك نحوهم احتفاء ٠٠ كمدهما اليهم بالهبات

وهى صورة غريبة حقا فقد جعلت عضد الدولة الصالب يتمنى أن يكون هو المسلوب لينال هذا الشرف العظيم ولا شك أن الحضرانى قد تأثر بهذه الصورة وصورته تمتاز بالسخرية واحتقار اعداء الممدوح .

(٢) محمد الوزير هذا غير عبدالله بن احمد الوزير قائد الثورة وامام الدستور وكلاهما من شهداء ثورة ١٩٤٨م ومن أسرة واحدة .

فأثارت هذه الواقعة شاعرية الحضرانى بهذه القصيدة (١) :

عليك والا فالبكاء حـــرام ∴ وفيك والا فالرثـــاء أثـام

لأجلك سالت فى المآقى دموعها ∴ وهل زفير فى الحشا وضرام

وناح على فرع الغصون مطـوق ∴ وسح بهتان الدموع غمـام

وبعد أن يعدد قافلة الشهداء من آل البيت أجداد المرثى يصـور المشهد الذى ودع فيه الشهيد الشاب الحياة تصويرا رائعا فيقول (٢) :

فما خطرت فى باله غير كلمـة ∴ تقاصر عنها للمقول كـلام

أبى لا تخف واصبر فسوف يضمنا ∴ جميعا بدار المتقين مقـام

وسار عليه من "على" جلالـه ∴ تلوح ومن سيما "الحسين" وسام

هناك ثوت فى كل قلب كـآبـة ∴ وفارى أجفان العيون منـام

وناح على النفس الزكية مصحف ∴ وحن الى الليث الهصور حسام

لئن فارق الدنيا هلالا فنـوره ∴ لعمرك فى أفق الخلود تمام

الى الخد يازين الشباب فانما ∴ هو الحزن خلف والسرور أمام

يحييك من آبـائك الغر عـالـم ∴ ويلقاك بالوجه البشوش امـام

ومن أشهر القصائد الوطنية التى قيلت بعد حركة ١٩٤٨ هذه القصيدة للشاعر احمد عبد الرحمن المعلمى وكان ممن اصطلى بنار هذه الحركـة ،

(١) هلال ناجى شعراء اليمن المعاصرون ص ٦١ .

(٢) المصدر السـابق ص ٦٢ .

والقصيدة بعنوان " سلوا حجه " ومطلعها (١) :

تصفحت تاريخي فلم ألق صفحة .·. أراني عن عيش بها كنت راضيا

والقصيدة تصوير حزين للمآسي والنكبات التي أصابت الأحرار في سجون مدينة حجة حتى ذاقوا الويل وتمشقوا الموت :

سلوا حجة عني محى الله سجنها .·. وان شاء بعد السجن هدّ المبانيا

لقد ذقت فيها الويل أسود قاتما .·. وشيب فودي (٢) هولها وفؤاديا

تمشقت فيها الموت بل كنت قيسه .·. وفيها تراءت لي القبور غوانيا

يمر نهاري آيسا من سلامتي .·. وان جاء ليلي لم يكن قط راضيا

لحى الله قومي .. لا ولكن هداهم .·. وان من هم كابدت أضعاف مابيا

فما شوهوا هذي الحياة تعمدا .·. ولكن جهدا ثم نجدا ووادييا

ثم ينسى الشاعر ما أصابه وزملاءه من أهوال التعذيب ليسجل مآسي وأهوال أمته ووطنه ، ويتمنى أن يرى الشعب اليمني وقد دخل ميدان الحضارة والرقي من أوسع أبوابه ، وأن يرى شباب بلاده في ساحات النضال وميادين الكفاح أسودا ضواريا على أعداء الأمة فيقول :

(١) من الأدب اليمني للشامي ص ١٤٨ .

(٢) الفود معظم شعر الرأس مما يلي الأذن .

أرى الناس في الدنيا كراما كأنهم ... يعيشون في الفردوس الابلاديا
وقد طمسوا أشقى الورى من لفاتهم ... وعنها أقاموا في اللفات يمانيا
الا ليت شعري هل أرى لي أمة ... وشعبا بميدان الحضارة جاريا
وهل أرى شبان البلاد اذ الفدى ... أهاب بهم يوما أسودا ضواريا
فكم ضم منهم سجن " نافخ " (١) زمرة ... لقد بذلوا حتى النفوس الغواليا
وأدوا الى الشعب اليماني رسالة ... سيبقى لها التاريخ في الأرض راويا

وهذا شعر منسجم كما يقول الأستاذ الشامي " يتمازج بالأسى في وداعة وعمق " (٢) على ما أصاب اليمن من تخلف وشقاء .

وللأستاذ الشاعر " المعلمي " عشرات القصائد من وحي السجون في حجة وغيرها ، غير أنها لم تجمع في ديوان حتى الآن وأرجو ان يتيسر ذلك قريبا . وخاصة أن هناك اهتماما كبيرا يقوم به مركز البحوث في جامعة صنعاء .

ومن أعماق سجون " حجة " أيضا يرسم لنا المؤرخ الشاعر عبد الله الشامي صورة واضحة عن الظروف والأحوال التي سادت البلاد عقب حركة ١٩٤٨م وعن عزم الأحرار واصرارهم - رغم صعوبة الظروف - على مواصلة

(١) سجن نافخ أحد السجون في مدينة حجة التي زج فيها الأحرار عام ١٩٤٨ وكان أشد ظلاما واكثر تعذيبا وكان الشاعر احمد المعلمي واحدا من نزلائه .

(٢) من الأدب اليمني للشامي ص ١٤٩ .

الكفاح والسير قدما نحو الغاية السامية التى آمنوا بها ،وهى تحرير البلاد من الاضطهاد التى تعانيه ،وحينئذ سيعلم الجلادون أن الشعب مهما يتراخ ويخضع فسيكون حتفهم على يديه .

ويقدم الشماخى لمقطوعته الوطنية التى قالها بهذه المناسبة بمقدمة مستوحاة من المقطوعة نفسها فيقول :(١)

ان فشل الثورة وما وقع فيه قادتها وشبابها من سجن وقتل لم يسلب قادة الثورة ايمانهم بنظريتهم وعدالة قضيتهم ،وقد أقلقهم ما وقعت فيه اليمن نتيجة التخطيط الناقص للثورة ثم ترك الحزم بعد الثورة ،وراح المصير القاتم يرقص بأشباحه المخيفة أمام أفكارهم وفى ضمائرهم .

ان تصور هذا المصير انساهم فشل الثورة ،والسجن وأهواله ، وأسرهم المحرومة المشردة ،والسيوف المسلطة على رقابهم ، فراحوا يفكرون فيما يجنب الشعب هذا المصير .

وهذه هى المقطوعة التى نلمس منها هذا الشعور :(٢)

ماذا وراءك أيها الأسوار ∴ قدر يجن وأمة تتنهار

الجهل أشقاها وعن أبوابها ∴ صرف الحياة ونورها اعصار

(١) اليمن الانسان والحضارة للشماخى ص ٢٧٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٧٤ .

فاستسلمت عن طيبة لعداتها .. وهنا النصوح بأمرها يحتار

لا السجن والتقتيل يرهب عزمه .. والشعب فيه للمصير خيار

وآراك ياشعبي الخيار سلبته .. فعلى مسيرك يحكم الجزار

هذا الذي في السجن أقلق خاطري .. وأنا عليك وان جفوت أغار

فلأعلن مع الرفاق لغاية .. هي أن يحرر شعبي الأحرار

من هاهنا من سجن" نافخ" نهتدي . فالسجن تهدم سوره الأفكار

ولسوف يعلم احمد وسيوفه .. أن الشعوب بكفها البتار

فما أجمل هذا الأسرار وأجمل منه أن سجينا يتحدى ساجنيه انه يراهن على وضوح الرؤية وصدق العزيمة وقوة الشعور لدى هؤلاء الأحرار فلم تلن لهم قناة رغم ماهم فيه من قهر واذلال .

على أن هناك عشرات القصائد قيلت في هذا الحدث تمجيدا ورثاء ومواساة واسرارا وسأختم هذه النماذج التي ذكرتها هنا بهذا المقطع للشاعر محمد سعيد جراده والذي يتحدث فيه عن هذا الجرح الدامي الأليم الذي أدمى الشعب اليمني في قلبه النابض وضميره الحيّ ، ويشجب تلك الأعمال الارهابية التي اعقبت انتكاس الثورة اليمنية الأولى في العصر الحديث .

(١)

وهذه هي الأبيات :

سجل مقالك يا يراع وبشـــــه ∴ نورا اذا ماشئت أو نيـــرانا

وانثر على أحداث أمة يعرب ∴ عقدا من الأشـواك أو تيجانا

صور لها الماضي التي كانت به ∴ مثلا وكان له الزمان لسانـا

ماذا دهى قحطان في أبنائها ∴ هل خانت الاحساس أم هل خانا

باتوا حيارى يهمسون بحظهـــم ∴ في عالم منح الجمال بيانا

ضربت يد الطغيان حول وجوههم ∴ سورا أشد على الجحيم هوانا

فرد أهاض جناح شعب لم يكن ∴ لولا الظلام ليهمل الطيرانـا

لغة السلاسل والقيود أعدها ∴ طرقا يصون العرش والسلطانا

ياويحة جلب الشقـــاء لأمـــة ∴ منحته من أشلائها الاحسانا

رد القرون المظلمات أمامهـا ∴ كي تحجب التاريخ والأوطانا

فالشاعر يخاطب القلم ليسجل هذه الأحداث ،أحداث أمة يعـــرب التي نكبت في أبنائها الأحرار المستنيرين ،وقد ضرب الطغيان حولهـــم سورا من القهر والاذلال ،فهذا الطغيان المتمثل في فرد لا يعرف الا لغة السلاسل والقيود يصون بها عرشه ويحمي كرسيه حتى ولو أدى ذلك الـــى شقاء الأمة وبؤسها وجهالتها .

(١) مجلة اليمن الجديد العدد ١١ سنة ١٩٧٣م .

والقصيدة من أحسن القصائد الوطنية حماسا وصدقا وسلاسة ألفاظ وقوة معان ،وهذه من أهم مقومات الشعر الوطني عند كبار الشعراء (١) .

٤ - الشعر وقضية الجنوب المحتل :

ترجع قصة الاحتلال الانجليزي لجنوب اليمن الى أواخر الثلاثينيات من القرن التاسع عشر الميلادي وكانت سنة ١٨٣٩ م هي بداية الاحتلال الانجليزي لعدن والمحميات كما أسلفنا .

ولم يكن العثمانيون ولا العرب جادين في مقاومة الانجليز واخراجهم من عدن ،وخاصة أن بريطانيا كانت آنذاك الدولة العظمى التي لا تغيب عنها الشمس ،ولهذا لم يطمع أحد في مقاومتها .

أما اليمن الشمالي فقد عرفنا أنها كانت في حروب مستمرة مع الأتراك حتى تحقق الاستقلال في بداية هذا القرن ، أما بعد الاستقلال فلم يكن في حكامها وزعمائها من تؤهله طموحاته وقدراته لتزعم مثل هذه القضية الوطنية الحساسة . ولهذا كانوا أهون من أن يفكروا مجرد التفكير في قضية تحرير الجنوب المحتل .

أما أبناء الجنوب أنفسهم فلم يدر في خلد سلاطينهم وأمرائهم أن يقاوموا الاستعمار وهو الذي يدر عليهم مرتبات شهرية وسنوية يقبضونها مقابل

(١) الا أن في البيت السادس والسابع شيئا من الارتباك في الصياغة وترتيب الأبيات .

هذه الخيانات ، أما سائر أفراد الشعب فهم مغلوبون على أمرهم وهم كما قال القائل :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم . .

ولا سراة اذا جهالهم سادوا

لهذا كله طالت فترة الاستعمار فى الجنوب اليمنى بما يزيد على ١٣٠ سنة .

ولم يبدأ التفكير الجاد فى قضية تحرير الجنوب ذلك الجزء الغالى من الوطن الا عقب ظهور الحركة الوطنية فى شمال البلاد ومن ثم كان لهذه القضية نصيب وافر من الشعر .

صحيح أن هناك أصواتا كانت تنادى بالاستقلال فى أوائل العشرينيات من هذا القرن ولكنها كانت أصواتا خافتة ، كان الدافع لها ما ظناه من قبل من أن الامام يحى - بعد استقلاله بحكم الشمال - كان مرشحا لتحرير الجنوب ولذلك سمعنا مثل هذه الأصوات .

فالشاعر عبد الرحمن السقاف كان من الشخصيات المناوئة للاحتلال وكانت له آمال عريضة فى الامام يحى باعتباره رمزا للقوى الوطنية القادرة على تحرير الجنوب .

ولهذا نجد اماميات كثيرة فى شعر السقاف منها (١) :

(١) الأبعاد الموضوعية ص

دعونا بيحى فى الخطوب ومن دعا ∴ بيحى لخطب ناله الفتح والنصر

نناديه عن بعد ولكن سمعه ∴ كسمع أبى اسحاق ليس به وقر

(١)
ومنها :

سأرشد أمتى وأدل قومى ∴ فهم عما يراد بهم نيام

الى م يسكتون على اضطهاد ∴ فان سكوتهم والله ذام

وليس بواقع الطغيان عنها ∴ ودافع بغيها الا الحسام

وحسام الامام هو المراد هنا لمثل هذه الخطوب والنوازل ، لكن الامام لم يكن ليسمع مثل هذه النداءات المتوالية حتى يفكر فى قضية الجنوب.

لذا اضطر الشاعر السقاف الى أن ينتقل الى صنعاء ليكون قريبا من الامام علّه يسمع صوته ويلبى نداءاته ونداءات شعب الجنوب التى تدعوه الى انقاذهم من مخالب المستعمر البغيض وأنيابه وفى ذلك يقول :(٢)

أتيناك والأكباد حرى فأثلجت ∴ ظلامتكم من لاعج الهم واللفح

وحاشاكم أن تهملوا ثأر جاركم ∴ ومحسوبكم بل وابن عمكم اللّحم (٣)

(١) الابعاد الموضوعية ص ٤٥٥ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) اللحم : لاصق النسب كناية عن شدة القرابة .

ورغم هذا القرب والتصميم من أبناء الجنوب على لسان شاعرهم الا أن الامام لم يحرك ساكنا ولم يعر القضية أدنى اهتمام ،ومن ثم خابت الآمال وخفتت الأصوات .

ولكن الركود لم يدم هذه المرة طويلا فسرعان ما نشأت الحركة الوطنية فى شمال البلاد ،وكان هدفها تحرير اليمن شماله وجنوبه من الاستعمار والاستبداد ومخلفاتهما ، وقد شغلت هذه القضية قادة الحركة الوطنية وشعراءها مثلها مثل قضية الامامه سواء بسواء فكلاهما سعد بغى وقهر وبلاء من تفاوت نسبى فى الأهداف والأسباب .

وقد أخذت الحركة الوطنية على عاتقها محاربة الظلم والاستبداد بمختلف صوره وأشكاله ،ولم تفرق بين مرتكبيه سواء كانوا من داخل البلاد أو من خارجها :

سيان من جاء باسم الشعب يظلمه ∴ أو جاء من لندن بالبغى يمنيه

حجاج حجة باسم الشعب أطرده ∴ وعنق جون بول باسم الشعب ألويه (١)

أحارب الظلم مهما كان طابعه الـ ∴ براق أو كيفما كانت أساميه (٢)

(١) جون بول قائد وسياسى بريطانى ،وهو هنا رمز الاستعمار الانجليزى .

(٢) ديوان الزبيرى سلاة فى الجحيم ص ١٤٤ .

بيد أن موقف الشعراء لم يكن على درجة واحدة من القوة والوضوح ، فبعض هؤلاء الشعراء كان صريحا فى مهاجمة الاستعمار وفضح أساليبه وكشف دسائسه المخزية .

ومن أصرح هؤلاء الشاعر الأستاذ محمد محمود الزبيرى الذى شجب الاستعمار الانجليزى القائم على أرض الجنوب يسفك دماءنا ويمتص خيرات بلادنا ، ويتساءل الشاعر لم وكيف نصبر على هذا الاضطهاد ؟ أما آن لنا أن نتحد ونرفع عنا الضيم ونطرد المغتصب من أرضنا ؟

نجد هذه المعانى وغيرها فى قصيدة " فى سبيل فلسطين " ومنها (١) :

ما للدماء التى تجرى بساحتنا ∴ هانت فما قام فى انصافنا حكم
ما للظلوم الذى اشتدت ضراوته ∴ فى ظلمنا نتلقاه ونبتسم
نرى مخالبه من جرح أمتنا ∴ تدمى ونسعى اليه اليوم نحتكم
متى يرى الانجليزيون ذمتنا ∴ كذمة حقها ترعى وتحترم
فيا بريطانيا عودى بمخمصة ∴ ان المروءة لا شاء ولا نعم
ان المروءة جسم ان يئن به ∴ عضو تداعت له الأعضاء تنتقم
ان يضطهد بعضه فالكل مضطهد ∴ أو يهتضم جزؤه فالكل مهتضم
أتخرجون كماة العرب ويحكم ∴ من أرضهم وهم الأبطال والبهم (٢)

(١) المصدر السابق ص ٢٢ .
(٢) البهم : جمع بهمة وهو الشجاع الذى لا يهتدى من أين يؤتى القاموس مادة (بهم) .

الخ القصيدة . . وفيها تفصيل واف لاعمالهم الوحشية المرذولة كالخداع والنفاق والاستهانة بالبشر وغيرها مما يعد جزءا من أخلاقهم وأسا من أسس حياتهم .

وعلى المنوال نفسه من الصراحة والوضوح تناول هذه القضية الشاعر عبد الله البردونى فى قصائد كثيرة من شعره :

ففى قصيدته " شمسان " يتألم الشاعر لما أصاب أهله وعشيرته فى أرض الجنوب على أيدى الغزاة المحتلين ، وما كان هذا ليقع لو أن اليمنيين تذكروا تاريخهم المجيد واهتدوا به أو ثأروا للكرامة ونفضوا عنهم الذل الذى أصاب أمتهم ، وأزاحوا عن طريقهم الأنذال والأوغاد عملاء الاستعمار واتحد صرواح وشمسان فى رد كيد الأعداء (١) .

والقصيدة طويلة وهذه بعض أبياتها (٢) :

حرق الجنوب قذائف فى مهجتى ∴ تغزو الحدود وتحرق الأسدادا

وحدى وفى أرض الجنوب عشيرتى ∴ تتطلب السقيا وترجو الزادا

وتسير فى الأصفاد تائهة الخطى ∴ تستنجد الأغوار والأنجادا

فمتى تحرق بالدما أصفادها ∴ وتبيد من صنعوا لها الأصفادا

(١) صرواح وشمسان جبلان شامخان فى اليمن ، الأول فى الشمال والثانى فى الجنوب وهما هنا رمز للوحدة بين الشطرين .

(٢) ديوان فى طريق الفجر ١ / ٦٠٣ من مجموع اعمال الشاعر .

دعني ألمها في القيود لعلهـا ∴ تتذكر الآبـاء والأجـدادا

ولعلها ترنو الى تاريخنـا ∴ فترى الفتوح وتعرف القوادا

أدنى المواطن موطن ان هزه ∴ جرح الكرامة للصراع تصادى

وأذل من في الأرض شعب يجتدي ∴ مستعمرا ويؤله استبدادا

في الناس أنذال وأوغد أمة ∴ من ولت الأنذال والأوغادا

صرواح ياشمم البطولة لم يزل ∴ شمسان يسطع باسمك الأطوادا

وفي احدى القصائد المدحية للشاعر يتهدد المستعمر الغاصب متوعدا اياه بأن هناك يوما ستشهد فيه أرض الجنوب صراعا داميا بين المواطن الأعزل ومدافع الظالمين ،وأن الأمة اليمنية أمة شامخة بأنفها متمرسة على سحق الطغاة :

فيقول في قصيدته الوطنية " عيد البلوس " (١) :

بين الجنوب وبين سارق أرضه ∴ يوم توفره الدماء وتخلد

الشعب أقوى من مدافع ظالم ∴ وأشد من بأس الحديد وأجلد

ياويح شرذمة المظالم عندما ∴ تطوى ستائرها ويفضحها الغد

وغدا سيدرك المجد أنا أمة ∴ يمنية شما وشعب أمجد

وستعرف الدنيا وتعرف أنه ∴ شعب على سحق الطغاة معود

فليكبت المستعمرون بغيظهم ∴ وليخجلوا وليخسأ المستعبد

(١) المصدر نفسه ص ٣٦٦.

ويبدو أن مثل هذه القصائد الحماسية والصريحة هي التي ألهبت أفئدة أبناء اليمن وخصوصا في الجنوب ودفعت بالعمل الوطني خطوات نحو الأمام .

وكان العمل الوطني في الجنوب قد بدأ أواخر الخمسينيات عقب المعاهدة التي كونت بريطانيا بموجبها ماسمي آنذاك باتحاد الجنوب العربي لتعزيز وجودها في المنطقة بعد حرب السويس سنة ١٩٥٦م .(١)

وما من شك أن لشعراء الجنوب دورا بارزا في اذكاء روح المقاومة الوطنية هناك اما بالتصريح ان أمكن ، وغالبا ماكانوا يلجأون الى التورية والتلميح والرمز ولاسيما في فترات العنف وتأزم الأمور ، وزيادة الاضطهاد الاستعماري .

فهذا الشاعر محمد عبده غانم ينشئ قصيدة مطولة بعنوان " قصة الأمواج " يستعرض فيها - في أسلوب تاريخي مثير قصة صراع الشعب اليمني مع أعدائه المستعمرين من فرس وأحباش وغيرهم ، وبالطبع فالشاعر لا يقصد الفرس والأحباش الذين كانوا في قرون خلت ، وانما يعني ذلك الاستعمار البغيض الجاثم على أرضه ووطنه .

(١) القاموس السياسي لأحمد عطية الله ص ٣٧٦ ط ١٩٦٨م ، وشهادتي للتاريخ لعبد القوي مكاوي ص ٧٢ .

(١)

وهذه بعض أبيات تلك القصيدة :

جاءوا لذل العرب فى أوطانهم ∴ فلقوا الفداة مطية العدوان

لم تغن عنهم قوة وصلابه ∴ فالحق فوق صلابة العبدان

والنصر من حظ الضعيف اذا غدا ∴ متسلحا بالصبر والايمان

قد آن أن تصفوا البلاد من الأذى ∴ ويعيش فيها أهلها بأمان

قد آن أن يحمى حماها سيد ∴ من حمير الغراء أو كهلان

فهذا الرمز التاريخى وما يذكر به من آلام هو فى الحقيقة تعريض بالانجليز الذين كانوا يتحكمون حينها فى مصائر أحفاد سيف بن ذى يزن كما تفيد القصيدة وهو ما هدف اليه الشاعر .

وقد سلك هذا المسلك الرامز البعيد عن الصراحة والوضوح الشاعر على محمد لقمان فى قصيدته " عدن " التى اتبع فيها أسلوبا غزليا فى مخاطبة هذه المدينة المنكوبة بالاحتلال الانجليزى .

واذا كان غانم قد أضفى على وطنياته ثوبا من التاريخ ، فان لقمان كان أبعد رمزا حينما أخضع الغزل للسياسة وأخفاها تحت ستار الحب .

(١) ديوان على الشاطىء المسحور لمحمد عبده غانم ص ٨٥ .

(١)

يقول الشاعر مخاطبا المدينة المذكورة :

خطرات قدك أم رماح أبيـــك ∴ مزقن قلب العاشق المنهـــوك

نشر الصبا في مقلتيك شعاعـــة ∴ نشرت ضياء الحب في واديـك

يابنت معتنق الصوارم والقنـــا ∴ ثـا لله ماهذا الفليظ أبـــوك

ماأنت الا بسمة فـي نورهـــا ∴ عذراء خلد كالرجاء ضحـــوك

أيقظت وجداني وتلك كريمـــة ∴ ونشأت فوق ترابك المبـــــروك

بيد أن التأثر قد بلغ بالشاعر مبلغه واستولت عليه عاطفة الحـــــب الوطني فاذا به ينسى نفسه ويخلع عن وجهه رداء الخوف وعن شعره قنـــاع الرمز فيصرخ قائلا :

وطن عزيز أرضه وســـــــاؤه ∴ جعل النجوم تـــود لو تحكـيك

واذا تجاهلـــك اللئام أمضني ∴ نكد الضنى من بـــأس مازعمـــوك

قلمي تسهده الشجون فينبـــري ∴ بصواعق حـرى لمـــن جهلـــوك

يهتز ثم يصيـــر مثـــل مهنـــد ∴ يستلهم الاعجاب مـــن ماضيـــك

أيكون حظ الأغبياء تحيـــــة ∴ تذر الشقاوة من نصيب بنيـــك

لما صرخت دوى الفضاء وردد ت ∴ تلك الجبال صـــداى لا أهلـــوك

عربية الأجداد أيـــن عـــروبـــة ∴ كانت من الشـر المقيـت تقيـــك

دك الضلال بناءها فأضاعهـا ∴ يا للرجال لضـائـع منهـــــوك

(١) ديوان الوتر المغمور لعلي محمد لقمان ص ٦٩

وفى هذه الأبيات يستنكر الشاعر التخاذل العربى الذى لم يلب صرخة شعب الجنوب ، كيف وقد دوى الفضاء وردد ت الجبال أصداء تلك الصرخات العالية .

وقد كان الشاعر محمد سعيد جراده أقوى الأصوات الشعرية فى مهاجمة الاستعمار وقصائده فى هذا المضمار اكثر وضوحا ، وأبدع أسلوبا وأشد سخرية ، ولا أدل على ذلك من قصيدته الميمية التى يقول فيها (١) :

أرض وفيها طعنة مسمومة ∴ تدمى فؤاد الشاعر المتألم

فيها القرائصة اللئام صلاتهم ∴ بشريعة الغابات لم تتصرم

حمر الوجوه مشوهوت كأنما ∴ نبتت جسومهم بأرض جهنم

الى آخر القصيدة وفيها أشد هجوم وأعنفه على الاستعمار الانجليزى بل لقد رسم الشا عر صورة بشعة للاحتلال ـ قوانين وبشرا ـ صورة تتقزز منها النفوس فشريعتهم شريعة الغاب وصورهم مشوهة كأنهم من نبات جهنم .

ومهما يكن من أمر فان نجاح الحركة الوطنية فى شمال البلاد ، وقيام ثورة سبتمبر ١٩٦٢م قد ألهب حماس المواطنين فى الجنوب وتاقوا الى التحرير وبمساعدة الثورة فى الشمال بدأ الجنوبيون عملهم الوطنى وأخرجوه الى حيز الوجود واتخذوا فيه قرار بدأ العمل المنظم فى ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٣م أى بعد قيام ثورة سبتمبر ١٩٦٢ بعام واحد .

(١) شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجى ص ١٥٠ .

ويصرف النظر عن الخلافات السياسية والصراعات الحزبية التى حدثت بعد ذلك فى صفوف الحركة الوطنية فى الجنوب فالذى يعنينا فى هذه الدراسة هو أن الشعر كان أحد الروافد الأساسية التى أشعلت فتيل الثورة وحركت الجماهير نحو الفداء بالدم وهو أغلى ما يملكون ففى هذه الأثناء يكتب الشاعر عبد الله البردونى قصيدة بعنوان " أخى يا شباب الفدن فى الجنوب " .

وهى قصيدة حماسية لاهبة ولها معان تختلى كالبركان فى نفوس الشباب بدأها بقوله (١) :

أفق وانطلق كالشعاع الندى ∴ وفجر من الليل فجر الغد

وثب يابن أمى وثوب القضا ∴ على كل طاغ ومستعبد

وحطم ألوهية الظالمين وسيطرة الغاصب المفسد

وقل للمضلين باسم الهدى ∴ تواروا فقد آن أن نهتدى

ويمضى الشاعر فى توجيه الشباب الى الطرق والجسور التى يعبرون عليها الى العزة والكرامة والمجد والسؤدد .

فالتضحية والفدن ومسارعة الأهوال بشجاعة وحزم كل ذلك من أسباب الخلود والرفعة والشرف والمجد ، ومن لم يمت فى سبيل الله مات على فراشه راغما .

(١) ديوان البردونى فى طريق الفجر ص ٢٧٣ .

على أن هذه الأساليب لا ينخدع بها الا ضعاف النفوس أو العملاء المستفيدون من وجود الاستعمار ، فيغريهم بما يسيل به لعابهم ويوقعهم وأمتهم بما هو أدهى وأمرّ من الاستعمار وهو الخيانة !

بيد أن الشعر فطن لهذه الخدعة ولم يقف منها موقف المتفرج أو المهادن بل فضحها وعراها فى صورة أشخاصها عملاء الاستعمار والموالين له من أبناء البلاد .

فهذا الشاعر محمد سعيد جرادة يخاطب هؤلاء العملاء بلهجة حادة وسخرية مرة قائلا لهم : " لقد هادنتم المستعمر وصمتم عن أعماله الوحشية دهرا طويلا فلما جاء دوركم لتتكلموا وتعلنوا رأيكم ، أتيتم بما هو أشد خطرا على أمتكم ووطنكم ، لقد أخمدتم حماس الجماهير بتصريحاتكم العميلة (١) وأطلتم بذلك فترة الاحتلال ، وهذا ماتصوره لنا مقطوعة جرادة (٢) هذه :

انواب البلاد لقد حفرتم ∴ بتصريحاتكم للشعب قبرا

عرفنا صمتكم دهرا فلما ∴ نطقتم وكان النطق كفرا

صببتم فى قلوب الشعب ثلجا ∴ وكان شعوره لهبا وجمرا

(١) يبدو أن النواب كانوا قد أيدوا خطة الانجليز فى عقد معاهدة انشاء اتحاد امارات الجنوب العربى المعروفة ، وقد تبين أن هذه المعاهدة كانت خدعة من خدع الانجليز التى تخدم مصالحهم .

(٢) شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجى ص ١٥٢ .

أتاكم زائر لم يـدر يـومـا ∴ بأن لشعبكم خطـرا وقـدرا

ولم يحسب لأمتكـم حسابـا ∴ ولم يخطر لكم فى الذهن ذكرا

وساء لكم بجـد أو بهـزل ∴ كشيخ يسـأل الأطفال أمرا

ألا ما تطلبون فهل أجبتـم ∴ أجل لكن بما أخزى وأزرى

وقلتم ان الشعـب شعـب ∴ يسرى فى القيد مكرمة وفخـرا

والمقطوعة من أروع شعر جراده سواء من حيث الصياغة والاحكام أو من حيث تلاحق الأنفاس وترابط الأفكار .

غير أن أسلوبها فى سرد الأحداث والملابسات أسلوب صحفى قائم على السخرية اللاذعة ،وهى شبيهة من هذا الوجه بالشعر الهجائى .

أما الشاعر ادريس احمد حنبله وهو من شعراء الجنوب أيضا ، فقد وقف بحزم وصلابة فى وجه عملاء الاستعمار باعتبار أن الاستعمار لا ينشب أظفاره الا بواسطة عملائه فى الشعوب المستعمرة أصحاب المصالح والأهواء .

ففى قصيدته " صوت الضمير " يقول حنبلة :(١)

قل للعميل محنط الأفكـار ∴ مهلا فصوت الشعب كالاعصـار

صوت يطيح بكل وضع فاسـد ∴ ينهى عهود مذلـة وصغـار

صوت كقصف الرعـد الا أنـه ∴ يسرى بنا للقلـب كالتيـار

صوت العياة لكل شعب مؤمـن ∴ بمبادىء الأشـراف والأحـرار

(١) ديوان خلف القضبان القصيدة الأولى .

وفى قضية اتحاد امارات الجنوب العربى يشن حنبلة حملة شعواء على العملاء داعيا اياهم الى الوقوف ضد هذه الخدعة الاستعمارية

يقول حنبله فى هذا الموقف مخاطبا العملاء :

ماذا بصمت فتلك صك جريمة ∴ شنعاء فيها مكمن الأخطار
بمت القضية بالنقود وجئتنا ∴ بوريقة من صنع الاستعمار
وأتيت تهرف بالوعود معددا ∴ حسناتها بوقاحة وبشنار
ياليت أمك لم تلدك وليتها ∴ ماتت بعسر ولادة لحمار

وبعد هذا الهجاء المقذع للعملاء أخذ فى ترديد أقوالهم والرد عليها لكى يدحض حجتهم التى يتذرعون بها بعد توقيعهم على تلك المعاهدة المشئومة ويذكرهم بأن المعاهدة أوالاتحاد الذى خدعهم الانجليز باقامته انما هو خزى وعار وجريمة ولعنة للعابثين فى حق الشعوب .
وهذا ما يتحدث عنه ادريس فى هذه الأبيات :(١)

قالوا القواعد للدخيل ضرورة ∴ قلنا الدمار لنا وأى دمار
قالوا الرخاء فقلت تلك خديعة ∴ مقصودة فى سرها المتوارى
ان الرخاء رخاء شعب كامل ∴ لا حفنة مشبوهة الأوطار

(١) ديوان خلف القضبان لأدريس حنبله .

فالاتحاد جريمـــة موصومـــة .. بالخزى والأثـــام والأوزار

فى كل حرف لعنـــة أبديـــة .. للعابثين بشعبنا الجبـار

ميون أو كمـران أو أشباههـا .. سلخت وتلك مشيئة الجـزار (١)

وهكذا تولى الشعر مهاجمة المستعمر وفضح عملائه وترشيد الحـركـة الوطنية الى أن تم الجلاء وانسحب الاستعمار من جنوبنا اليمنى الى غيـر رجعة .

وهنا يسجل الشعر يوم الجلاء ونردد مع الشاعر عبد العزيز المقالح هذه المقطوعة من الشعر المرسل :

" هذا هو الجلاء " :

فلتكتبوا على النجوم فى السمـاء ..

قصتـه

قصة زحفنا الطويل

لتكتبوا قصة كل الشهداء

لتحفروا على صحائف الأحداث .. فى القلوب

حكاية الأبطال فى الجنوب

لكى تمدنا بالحب والضياء

لكى تظل فى حياتنا اغنية انتصار

تحملها الجدات فى غد

حفية التذكار من دار لدار (٢)

وتم الجلاء وتحرر الجنوب عام ١٩٦٧م كما أسلفت بعد خضوع دام ١٣٠ سنة تقريبا .

(١) ميون وكمران أسماء بعض المناطق اليمنية التى سلخت عن اليمن بموجب هذه المعاهدة .

(٢) ديوان " لابد من صنعاء " ص ٧٧ .

٥ - ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م :

تمهيد :

جاءت ثورة ١٩٦٢م تتويجا لعدة ثورات وانتفاضات وتمردات شعبية. فعقب نكسة الثورة الأولى ثورة ١٩٤٨ وسجن روادها وشبابها وتشريدهم وقتلهم ازداد العمل الوطني تحفزا وقوة وتماسكا ، فقد اكتشف الشعب أن له قضية واستعشر امكان التغيير ، وبدأ العمل الوطني يتحرك من جديد ويهيء لثورة أخرى فسجناء حجة كانوا يعملون من موقعهم ،وهناك مجموعة أخرى من الأحرار كانوا في عدن ،ومجموعة ثالثة كانوا في داخل اليمن ، وكل مجموعة تعمل وتحرك العمل الوطني من موقعها .

وهناك الزبيري الذي كان محكوما عليه بالاعدام فلجأ الى باكستان ثم الى القاهرة ،وكانت قصائده وكلماته ترسل من هناك وتُوزع بصفة سرية كمنشورات .

وهكذا ظلت الحركة تتنامى وتتفاعل يوما بعد يوم ،حتى تمكن المعارضون من كسب ثقة الشعب وتعاطفه معهم ،ولم تمض سوى سبع سنوات على قيام الثورة الأولى حتى قامت الثورة الثانية في ١٩٥٥م ،وقد اشترك فيها عنصر من الجيش وعنصر من القبائل ولم تستكمل الثورة عناصر تركيبها فأخمدت في مهدها ولحقت بأختها ،ولهذا لم يعلن معظم الأحرار تأييدهم لها حفظا

لكيان الحركة الوطنية وحفاظا على شبابها من القتل والتشريد ، لذا كانت خسائرها هنا أقل بكثير من خسائرها فى ١٩٤٨م .

ومن ثم لم يكن للشعر الوطنى دور فى الاشادة بها أو بزعمائها أو فى ابراز وجهها المشرق أو حتى فى دوافعها .

بيد أن روح الثورة صارت مألوفة وسرت فى قلوب المواطنين ودمائهم ومضت الحركة الوطنية فى طريقها ترسم الخطط وتتجاوز العقبات الواحدة تلو الأخرى .

ومن هنا كانت وظيفة الشعر التبشير بثورة جديدة ومباركة الصحوة التى بدأت تعطى بعض ثمارها فى صورة انتفاضات شعبية ومظاهرات طلابية وغيرها .

ففى أثناء سفر الامام احمد الى روما للاستشفاء جرت انتفاضة شعبية عظيمة ، قطع اثرها الامام رحلته العلاجية ورجع مسرعا الى البلاد ليقوم باخماد هذه الانتفاضة .

ومن وحى ذلك التمرد كتب الشاعر الأستاذ الزبيرى قصيدة بعنوان " بوادر ثورة " قال فيها :(١)

(١) ثورة الشعر للزبيرى ص ١١١ .

الملايين العطاش المشرئبه ∴ بدأت تقتلع الطاغي وصحبه

سامها الحرمان دهرا لا يرى الـ ∴ ـغيث الا غيثه والسحب سحبه

لم تنل جرعة ماء دون أن ∴ تتقاضاه بحرب أو بغضبه

ظمئت في قيده .. وهي ترى ∴ أكله من دمها الغالي وشربه

ليت شعري أي شيء كان يخشا ∴ ه في دنياه لو هادن شعبه

هاهو الشعب صحا من خطبه ∴ بينما الطغيان يستقبل خطبه

وعلى اثر ذلك التمرد قطع الامام رحلته - كما قلنا - وعاد لاخماد التمرد ولم يكد يصل الى الحديدة حتى تسابقت الجماهير لاستقباله وامتصاص غضبته .

وما ان وصل الموكب واستقر المقام بالامام حتى أشرف على الجماهير المحتشدة " وألقى خطبته النارية الذي أرعد فيها وأبرق وتهدد بأنه سيهشم بمعوله أنوفا متغطرسه فاسده - كما قال - ويشدخ بصرامة رؤوسا هدامه " (١) وتحدى المناوئين له والذين تشير أصابع الاتهام أنهم كانوا وراء التمرد وقال : " هذا الفرس وهذا الميدان ومن كذب جرب " (٢) وهي عبارة مشهورة عن الامام ،وكان لخطبته هذه دوي في صفوف المواطنين وانتشرت انتشار النار في الهشيم كما كان لها رد وفعل متباينه وقال فيها الشعر

(١) اليمن الانسان والحضارة ص ٣٠٨ .

(٢) نفس المرجع ص ٣٠٩ .

كلمته الصريحة ، فقد أنشأ الزبيرى رحمه الله قصيدته المنبرية المشهـــورة بعنوان " خطبة الموت " والتى كانت بمثابة رد على تلك الخطبة وتحـــد لمضمونها وقد قدم لها الزبيرى فى ديوانه بهذه المقدمة :

" عندما كان الامام احمد فى روما .. اندلعت أحداث ثورية فـــى أنحاء اليمن وانطلق الشعب ـ .. يتلمس كرامة محتده ويخطى أعيانا فيمارس التعبير عن آدميته بأساليب تلقائيه مرتجلة .. توحى بسخط عميق . والى جانب الأحداث كان هناك تجمعات على مستوى الزعامات القبلية لـــم يسبق لها نظير .

وتلك تجربة قصيرة اكتشف الشعب فيها وجوده فجن الطغاة

واستعادوا الامام من روما باعتباره رمزا للرعب ووسيلة لالغاء الوجود الشعبى فما كاد يصل الى الحديدة حتى ألقى على الشعب خطابا متوعدا هـــدد فيه بقطع الرؤس . .وطالب أن يبارزه ان أراد وتلك هى التحية على طريقـــة الطغاة " (١) .

والقصيدة سخرية لاذعة بهذا الموقف المشين الذى وقفه الامام مـــن شعبه ،وتبدأ بهذا المقطع (٢) :

(١) ديوان الزبيرى ثورة الشعر ص ١٣٤ والغرض من نقل هذا الجزء من مقدمة القصيدة هو توضيح بعض الظروف والملابسات التى أشار اليهـا الشاعر فى قصيدته .

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٦ .

خطبة الموت فاسمعوها وطيروا ∴ فرحا وارقصوا لصوت المنيه

أنتمو فى استقبال موكب جـــزا ∴ ر فمدوا رقابكم للتحيـــة

صدئت مدية الاسام فاستمـــــ ∴ ـنح ايطاليا مدى بابويـــه

أنهك الذبح سيفه فأتـــانـــا ∴ بسيوف معـــارة أجنبيـــــه

وبعد هذا التقديم التهكمى الساخر الحزين يقارن الشاعر بيـــن طغاة الأرض القدامى والمحدثين مستنكرا الجرائم التى اندلعت فى بعض أحياء صنعاء مقارنا بينها وبين حريق روما فى عهد نيرون وحريق القاهـــرة فى عهد فاروق مشيرا الى أن هذه الجرائم من تخطيط أيد خفية لا ترتبط بالعمل الوطنى المخلص بأى وجه من الوجوه .

ويسبل الشاعر الستار على كل تلك الحوادث المفتعلة والقضـــايـــا الطارئة ليعيد الى اذهاننا القضية الرئيسية التى تشغل بال المواطـــن اليمنى وهى قضية الشعب وحريته وتمكينه من الحكم والمشاركة فى حل مشكلاته واسترداد حقوقه المسلوبه كالحرية والعزة والكرامة وغيرها . وهى حقـــوق يفرضها الدين ، وتؤيدها طبائع الأشياء وحقائق التاريخ ، فالشعب اليمنى يمزج بين مبادئ الدين والجذور التاريخية العريقة ، فلن تفزعه التهديدات ولا القتل والتشريد ، وسيأتى اليوم الذى يغضب فيه الشعب غضبته الأبية فى عزم واصرار ليقتلع الطغيان من جذوره .

يقول الزبيري مخاطبا الامام :[1]

أطلق الشعب من أسـار ومكنـه من الحكم في الخطوب العصية
وأعطـه حـقه وردّ اليـه ∴ دون بطء حياتـه الملغيـه
ليس في الدين أن نكون بـلا ∴ رأى ولا عـزة ولا حـريـه
طبع الله في جوانحنا البأس ∴ وسوى لنـا الأنوف الحميـه
وجرى روح اللـه عبر خلايـا ∴ نا مزيجا بـروحنـا الوطنيه
نحن شعب من النهى مبادي ∴ نا ومن حمير دمانا الزكيـه

* * *

وتوعد ماشئت واقتـل ودمـر ∴ واستعـن بالجحافل الدوليه
لن يوقيك غضبة الشعب الا الشعـب ان سرت في الطريق السويه
نحن قوم لا تحمل السيف أيدي ∴ نا ولا خنجرا ولا بندقيه
غير أنا عزم نسير كعـزم اللـه في دربنا ونمضي مضيـه
نتحدى الأسطول في البحر والجحـفل في البر بالحقوق الجليه
ونهز المعاقل الشم بالآي ∴ دى العرايا والدرة المعريه
ضربة من ارادة الشعب بالسو ∴ ط تذل القنابل الذريـه

(١) ديوان ثورة الشعر ص ١٤٦ .

وتلاحقت الأحداث الوطنية تترى فقد أعقب هذا الحادث واعلان الامام احمد تحديه لارادة الشعب فى خطبته العنترية المشار اليها آنفا اعقبه حادث آخر أشد منه تأثيرا وهو حادث تمرد قبائل حاشد وبكيل وراح ضحيته مجموعة من رؤساء القبائل وعلى رأسهم الشيخ حسين الأحمر وابنه حميد الأحمر والشيخ ناجى الشائف أحد مشائخ الجوف وآخرون (١) .

وظهرت ردود فعل شعبية ازاء هذه الحادثة وسجل الشعر كلمته الى الأجيال على لسان العضرانى الشاعر حين اتخذ من هذه الحادثة موضوعا لقصيدة من شعره الوطنى والحادثة كانت سنة ١٩٥٩م.

يقول العضرانى (٢) :

أين مضى السؤدد والمفخر ∴ وأين أين الملك ياحمير

وكيف ذل العرش من بعدما ∴ دان له الأسود والأحمر

أين أسود من بنى يعرب ∴ زهابها " غمدان والتعكر (٣)

وأسد غاب فى ذرى ناعط ∴ ومفخر فى خمر يهر (٤)

والعرش أين العرش فى " مأرب " (٥) ∴ وحوله أسد وغى تزأر

(١) اليمن الانسان والحضارة للشماخى ص ٣١٠ ومابعدها .

(٢) شعراء اليمن المعاصرون ص ٦٢ .

(٣) غمدان والتعكر قصران من قصور التابعة لازالت آثارهما الى اليوم .

(٤) ناعط وخمر موضعان من مواضع حمير فى شرق اليمن .

(٥) مأرب مدينة مشهورة فى جنوب شرق اليمن كانت عاصمة السبئيين وفيها سد مأرب المشهور .

كأنما " الخضراء " من بعدهم ∴ وقد تولى عيشهـا الأخضر

سفينة قد مات ربانهـا ∴ أو غابة فارقهـا القسور

بكى لها " حسان " (١) فى قهره ∴ وضج حزنا " تبع " (٢) الأكبر

على أن الأحداث التى سبقت الثورة وكانت بمثابة التمهيد أوالتحضير لقيامها ، كان منها ماهو بتدبير ومباركة الحركة الوطنية ومنها ماكان تصرفات فردية ، وكلها أدلة على نقمة الشعب وشوقه الى التغيير .

وكان آخر تلك التحركات الوطنية المظاهرات الشبابية التى قام بهـا الطلاب فى صفر سنة ١٣٨٢هـ .

ولم يفت الشعر الذى كان يتابع الأحداث ويسجلها أن يسجل هذه الحادثة والتى كانت على أبواب الثورة .

ففى قصيدة البردونى " الطريق الهادر " والتى أنشأهـا بهذه المناسبة صور فيها الشاعر الحادثة على أنها صوت هدير الجماهير الزاحفة على ما تبقى من معاقل وقواعد الامام .

(١) حسان هو بن أسعد الحميرى من ملوك التبابعة فى اليمن عاصمته " مأرب " وكان أول من كسا الكعبة ، عاش فى القرن الرابع قبل الميلاد ، أنظر الاعلام ٢/ ١٧٥ .

(٢) واسمه شمر يرعش آخر تبابعة اليمن فى الجاهلية وأعظمهم ملكـا وأكثرهم غارات عاش فى القرن الرابع قبل الهجرة انظر الأعلام ٣/ ١٧٦ .

(١)
وتبدأ القصيدة هكذا :

هتاف هتاف وساج الصدى ∴ وأرغى هنا وهنا أزبدا

وزحف مريد يقود السنا ∴ ويهدد العمالقة المردا

تلاقت سواكبه موكبا ∴ يمد الى كل نجم يدا

عمائمه من لهيب البروق ∴ وأعينه من بريق الفدا

أفاق فناغت صبايا منى ∴ على كل أفق صبا أغيدا

وفي القصيدة تنويه بأن هذه المظاهرة الشبابية ليست سوى رد وانذار على ذلك التحدي الذي أطلقه الامام احمد بعد عودته من روما واشارة الى فجر جديد خصب سيولد بعد أن ينتزع الشعب حريته وكرامته .

وماهذا الهتاف الذي نسمعه الا ترديد لأنفاس الشعب التي تنادي بسقوط الذئاب واختفاء راية الغاب .

هو الشعب طاف بانذاره على من تحداه واستعبده

وشق لحودا تعب الفساد ∴ وتنجر تبتلع المفسدا

وأوما بحبات أحشائه ∴ الى فجره الخصب أن يولدا

أشار بأكباده فالتقت ∴ حشودا مداها وراء المدى

وزحفا يجنح درب الصباح ∴ ويستنفر الترب والجلمدا

(١) ديوان البردوني ١ / ٤٠٠ .

وينتزع الشعب من ذابحيه ∴ ويعطى الخلود الحمى الأخلدا

ويهتف يا شعب شيد على ∴ جماجمنا مجدك الأمجدا

* * *

ودوى الهتاف :اسقطوا يا ذئاب∴ ويا راية الغاب ضيعى سدا

وكر شباب الحمى فالطريق ∴ ربيع تهادى وفجر بدا

ومر يضىء الحمى كالشموع ∴ يضىء توهجها معبدا

ويخشى على الظلم أبراجه ∴ فيرزن به ويما شيدا

ويكسر فى كف طاغى الحمى ∴ حساما بأكباده مغمدا (١)

وقد كانت القصيدة تقريبا من آخر الأعمال الأدبية تبشيرا ببزوغ فجر جديد وكان ذلك قبل الثورة بفترة وجيزه ،وكأن الشعر كان قد تنبأ ببزوغ ذلك العهد بل كل الظواهر كانت تدل على قرب نهاية بيت حميد الدين وبزوغ نجم الثورة .

ولم يطل الوقت كثيرا حتى حدث ما تنبأ به البعض وأصبح حقيقة واقعة بعد أن كان حلما فى قصائد الشعراء وأمنية فى أحلام المصلحين .

وهكذا جاءت ثورة ١٩٦٢م ١٣٨١ هـ تتويجا لأعمال حركة وطنية اصلاحية شاملة امتدت على مدى مايزيد على عشرين سنة سالت خلالها دماء ،

(١) ديوان البردونى فى طريق الفجر ص ٤٠٢ من مجموع الدواوين .

وتمزقت أشلاء ، وسقطت في أثنائها قوافل من الضحايا ، ولهذا كانت هذه الثورة نقطة تحول في تاريخ اليمن المعاصر ، ومن ثم استحقت ذلك النتاج الأدبي الهائل ولا غرو أن تسيل الأقلام بعشرات القصائد ومئات الأبيات اما اشادة بها أو تصحيحا لمسارها أو مقارعة لخصومها او رثاء لضحاياها وأبطالها .

فمنذ اليوم الأول لانطلاق الثورة وهو اليوم السادس والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٦٢م طلع علينا الشاعر محمد الشرفي بقصيدة تحت عنوان " أنا الشعب " (١) يقول فيها :

أنا الشعب زمجرة من رعود ∴ وأنشودة من شفاه الخلود

اذا احتدمت ثورتي فالطغاه ∴ بقايا رماد على كل بيد

أخمد جرحي بجرح جديد ∴ وأمضي لارساء فجر جديد

خبرت الرزايا وخفت الصعاب ∴ وجزت الحتوف وصمت اللحود

ولقنني الدهر من بطشه ∴ معاني الطموح ويأس الصمود

وعرفني من أنا فانتفضت ∴ وحطمت سجني وقيد ركودي

وألهبت عزمي بحمر الجراح ∴ وأشعلت حقدي بعزمي الحديدي

وأوأت للشهب أن تستريح ∴ وترقب مني اجتياح السدود

(١) ديوان أغنيات على الطريق الطويل ص ٣٧ .

وأن تنظر اليـــوم ما أبتـــغى ∴ لنفسى من المجد رغم القيـود
وما أصنع اليوم من معجزات ∴ تنوء بأعبائهـــن جـــــدودى
فحسبى انحناء لسوط اللصوص ∴ وحسبى رضوخا لحكم العبيد
فلا الصمت من خلقى لا ولا ∴ سجود الجباه طبيعة عودى

ولم يتوقف الشعر عن مسايرة الثورة خطوة وخطوة ، فقد عاشها أحلاما وغذاها طفلة وأقام تعثراتها أثناء سيرها كما رأينا ، وها هو اليوم يعيشها حقيقة واقعة ، وأمرا مسلما مشرقة الوجه ناصعة الجبين ويشارك الشعـــب فرحته يوم ميلادها وقد توثبت روحه وشع أنفه وثار الدم فى عروقه واحمـرت عيناه ، فيخرج شاعرنا البردونى فى هذا اليوم الأغر الى شوارع صنعاء فيلمس هذه المعانى فى حركات المواطنين وهمساتهم ويقرؤها فى نواصيهم ، فاذا به يصوغ هذه المعانى شعرا ويصورها تصويرا بديعا فيقول : (١)

لن يستكين ولن يستلـم الوطن ∴ توثب الروح فيه وانتفى البـدن
أما ترى كيف أعلى رأسه ومضـى ∴ يدوس أسنامه البلهـا ويمتهـــن
وهب كالمارد الغضبان متشحـا ∴ بالنار يجتذب العليا ويحتضـن
فزعزت معقل الطغيان ضربتـــه ∴ حتى هوى وتساوى التاج والكفن
وأذن الفجر من نيران مدفعـه ∴ والمعجزات شفاه والدنـا أذن

(١) ديوان البردونى ١/٥٥٩ من مجموع الدواوين ديوان فى طريق الفجر .

تيقظت كبرياء المجد فى دمه .. واحمر فى مقلتيه الحقد والاحن

ياصرعة الظلم شق الشعب مرقده .. وأشعلت دمه الثارات والضغن

هانحن ثرنا على اذعاننا وعلى .. نفوسنا واستثارت أمنا "اليمن"

وكان رجال حركة الدستور أكثر استبشارا بثورة ١٩٦٢م يوم ميلادها فهذا الشاعر احمد المعلى أحد ثوار ١٩٤٨م وعلم من أعلامها يشيد بالفجر الجديد الذى انبعث بانفجار الثورة ويعتبر ذلك مفخرة من مفاخر الشعب اليمنى الأبى الذى قدم التضحيات وأراق الدماء من أجل مجده وكرامته ويشهد لهذه التضحيات ذلك التاريخ العريق والمجد التليد .

وهذه مقطوعة من احدى قصائده التى حيا بها ثورة ١٩٦٢م : (١)

طلع الفجر وهذا نوره .. يغمر الشعب فما أبهى سناه

قد غسلنا بدموع ليله .. ودم زاك وشيعنا خطاه

وبعثنا مجدنا من قبره .. وتوحدنا لكى نحمى حماه

نحن شعب يمنى واحد .. ماوهى عزما ولا خارت قواه

ضمنا فى الأرض هذى موطن .. خصه الله بخير وحباه

نحن شعب قد تعاهدنا على .. سحق من يغشى لعدوان ثراه

شعبنا شعب أبى ناهض .. وسلوا التاريخ عن ماضى علاه

(١) من الادب اليمنى لأحمد الشامى ص ١٥٠ .

ولم يكن بدعا أن يبارك الشعر الثورة ويمجدها ، فقد كانت حدثا تاريخيا هاما فى حياة الشعب اليمنى المعاصر ، وكان لها صدى واسع على جميع المستويات الشعبية والرسمية .

فمن البدهى اذن أن يهتم بها الشعراء والأدباء وأرباب البيان واذا كان عهد ما بعد الثورة يقسم من الناحية التاريخية الى فترات ثلاث هى :-

١ - فترة الحرب واحتدام الصراع .

٢ - وفترة الاستقرار النسبى التى رافقة مرحلة المصالحة الوطنية .

٣ - وفترة الاستقرار الكلى بعد ذلك .(١)

فان بعض الدارسين لأدب مابعد الثورة يقسم شعر هذه المرحلة أيضا الى فترات ثلاث هى :-

١ - فترة اجترار لشعر ماقبل الثورة بخصائصه الشكلية والمضمونية .(٢)

٢ - فترة المراجعة والتخصيب ، وفيها بدأت الأصوات الجديدة فى الظهور .

٣ - فترة التفجر الراهن وفيها وصل الشعر المعاصر فى اليمن مرحلة من النضج النسبى .(٣)

(١) سبق الحديث بالتفصيل عن أحداث الثورة فى العامل السياسى من الباب الأول .

(٢) بمعنى أن هناك فترة انتقال بين خصائص شعر ماقبل الثورة - والذى كان يفرضه الوضع القائم والظروف الصعبه التى عاشها الشعراء - وشعر مابعد الثورة بما يحمل هذا العهد من انفتاح وحرية وانطلاق اذان هذه الفترة الانتقالية قد تكون ضرورة للتكيف مع الوضع الجديد .

(٣) الأبعاد الموضوعية والفنية د . عبدالعزيز المقالح ص ٢٩٣ .

على أن الشعر اليمنى ليس كله خاضعا لهذه الفترات الثلاث ، ففترة الحرب التى استمرت أكثر من خمس سنوات لم تكن كلها فترة اجترار ، فهناك شعراء كانوا قد تجاوزوا شعر الايقاظ الجماهيرى والاحتجاج والتمرد فكان شعرهم شعر مقاومة وثورة شاملة حتى على الوضع الجديد أحيانا لتصحيح مسار الثورة وحمايتها من الانزلاق والانحراف والوقوع فى الحمأة التى تردت فيها بعض ثورات العالم العربى فى تاريخه الحديث .

فالزبيرى مثلا أدرك أن هناك مؤامرة للانحراف بخط الثورة عن مسارها الصحيح ، واعادة اليمن الى ماكانت عليه قبل عام ١٩٦٢م مع تغيير شكلى فى البناء الخارجى فوقف ضد تلك المؤامرة بحزم ، فالمحافظة على حقوق الشعب ورعاية مصالحه تقتضى المحافظة على ثورته ومبادئها وأهدافها المرسومة .

ومن هذا المنطلق جاءت قصيدته السينية المشهورة والتى يقول فيها : (١)

ما أشبه الليلة الشنعاء بهارحة ∴ مرت وأشنع من يهوى وينتكس

كأن وجه الدجى مرآة كارثة ∴ يرتد فيها لنا الماضى وينعكس

وكل من رام قهر الشعب متجه ∴ لها يريد الهدى منها ويقتبس

يقلدون أفاعيل الامام فلو ∴ رأوه يرفس من سرع به رفسوا

(١) من الأدب اليمنى للشامى ص ١٠٧ .

هذى القوانين رؤياه تعاودهم ∴ قد ألبسوها نفاق العصر والتهسوا

روح الامامة تسرى فى مشاعرهم ∴ وان تغيرت الأشكال والأسس

متى حكمتم بقانون وقد قتل الـ ∴ آلاف أو سحقوا كالدود أوكنسوا

عار على صانع القانون يكتبه ∴ وحكمه فى بحار الدم منغمس

كفى خداعا فمين الشعب صاحية ∴ والناس قد سئموا الرؤيا وقد يئسوا

لم القوانين فن الموت فى يدكم ∴ والحقد رائدكم والحق مرتكس

وأنتم وعودة للأمس قد قهر الطغاة فيكم وعادوا بعد ما اندرسوا

وأنتم طبعة للظلم ثانية ∴ تداركت كل ماقد أهملوا ونسوا

والظلم يعلنه القانون نفهمه ∴ ظلما وان زينوا الألفاظ واحترسوا

يلفقون قوانين العبيد لنا ∴ ونحن شعب أبى مارد شرس (١)

وقل مثل ذلك فى الفترتين التاليتين ، فالفترات الأدبية كانت متداخلة الى حد كبير .

واذا كان عطاء شيوخ الشعراء قد نفد أو قل فان شعر الشباب ظل يمد عهد الثورة بكل أبعاده ومراميه بعطاء ممتع ، اذ أن الشعر ماهو الا صورة عاكسه للواقع الذى تعيشه المجتمعات البشرية .

(١) تعرضت هذه القصيدة للتشكيك والانكار من قبل بعض شعراء اليمن بدعوى عدم انتمائها الفكرى واللغوى الى شعر الزبيرى وهذا التشكيك لا يثبت أمام شهرتها وانتشارها واثبات الثقات من أدباء اليمن لها ويبدو أن ذلك التشكيك كان ممن حلقة تآمر رهيبة استهدفت حياة وشعر الزبيرى معا .

(١)

ففى قصيدة " أرضى السعيدة " للشاعر محمد الشرفى والتى قالها بعد مرور شهرين من قيام ثورة سبتمبر - فخر واعتزاز بهذا النصر الذى حققه الشعب اليمنى ، وبالنشوة التى استعاد بها شموخه وإباءه وبسمته وكرامته ، ومسح بها الحزن والكآبة من وجهه :

اشمخى ياسعيدتى فى علاك ∴ وامرحى كالعروس فى دنياك

وارفعى صوتك الشموخ وشدى ∴ نحو هام السماء بيض منساك

واملأى سمع البرية بالشد ∴ و وغنى كما يشاء صباك

طالما عشت فى دياج من الذ ∴ ل وسوط الطغاة يلجم فاك

وعبرت السنين فى زحمة الليـ ∴ ـل وخضبت بالدماء ثراك

ودروب النضال تنشق بالمو ∴ ـوت وتنجر بالجراح خطاك

وحسام الطغاة يفرش درب الفجـ ∴ ـر بالنور من زكى دماك

والردى مشرع بكل طريق ∴ جاثم فى مخالب السفاك

فاشمخى ياسعيدتى وارفعى الـ ∴ رأس فقد ذاب فى اللهيب دجاها

ويقول ... :

استعاد الحزين بسمته النشـ ∴ ـوى وشعت احلامه البسامه

فامرحى ياسعيدتى واملأى الدنيـ ∴ ـا نشيدا مضمخا بالكرامة

(١) ديوان أغنيات على الدرب الطويل ص ٧٤

وارقصي فرحة ودقي طبول الفخـ ∴ ـر وامضي على دروب السلامه

قد اعاد الحمى أزمـة دنيـا ∴ ه وعادت الى بنيه الزعـامـه

الى آخر القصيدة التى خاطب بها الشاعر الأرض السعيدة " اليمن " لتمرح وتدق طبول الفخر بما حققته من نصر بقيام ثورتها الظافرة .

وهناك شاعر آخر هو الشاعر " عبده عثمان " لم ينس وهو يشيد بالثورة ويعيش أيامها البيضاء ويهنئ الشعب بانتصارها أن يحذره من مغبـة التهاون فى حمايتها مما قد يصيبها أو يمكر صفوها من مؤامرات قائلا له :(١)

ان الحريق على الأبواب مشتعل ∴ والريح من خلفه تعوى أيا "نقم"(٢)

أثورة تنتهى والشعب صانعهـا ∴ والشعب من طبعه يعلى لمن ظلموا

محـددا زمنـا يأتى لصيحتـه ∴ فيه لمن جهلوا أوسهم صمـوا

وفى غد سنرى للشعب محكمـة ∴ وشعبنا عارف من سوف يتهـم

فقد كان عبده عثمان أبعد رؤية وأوسع ادراكا لما ينتظر الثورة من محن وعقبات .

(١) ديوان " مأرب يتكلم ص ٤٦ .

(٢) جبل عال مطل على مدينة صنعاء .

غير أن قناعته بأصالة الثورة واعتمادها على قاعدة شعبية عريضة ذات أهداف ، جعله يتفاءل بانتصارها مهما تبلغ ضخامة العقبات التي توضع في طريقها ، وهذا ما أكدته الأيام وأبرزته الأحداث التي وقعت بعد ذلك على الساحة اليمنية اذ سقطت الضحايا وأريقت الدماء بين الاخوة واستنكر الشعر هذه الأحداث الدامية بين المواطن وأخيه مهما تكن المبررات أو القناعات واستنطقت تلك الأحداث أرباب الأفكار والأقلام وذوي الفصاحة والبيان وهنا قال الشعر كلمته ، فاذا بالبردوني يروي لنا قصة تلك الأحداث في قصيدته " كلمة كل نهار " (١) يقول فيها : (٢)

وذات يوم رهيمي الضحى نبحت "صنوان" عاصفة تعوي وتنفجر
من ذا أهاج رماد الأمس فاشتعلت ∴ في أعين الريح من ذراته شرر
أهذه الحرب يا تاريخ كيف ترى ∴ من خلف جنات عدن أو مأت سقر
ومرعام جحيمي روائحه ∴ دم بحشرجه الأحداث متزر
ودب ثان خريفي المدى قلق ∴ يفني ويفني ويحيا وهو ينتحر
وطال كالسهد حتى انهد في دمه ∴ تثاءبت من بقايا وجهه الحفر
وغاب خلف الشظايا فابتدت سنة ∴ تعمى النار ثديها وتعتصر
فأجهد الموت شدقيه وقهقته ∴ حتى تجلمد في أنيابه الضجر
وقال كل نهار لن تنال يد ∴ من ثورة مات في ميلاد الخطر

(١) ديوان مدينة الغد ٢/ ٩٨ من مجموعة دواوين البردوني .
(٢) صنوان منطقة بشمال صنعاء .

وتلاحقت أحداث الثورة والشعر يتابعها باهتمام ويرصدها بحرارة لعل يكون فى رصدها عبرة للأجيال القادمة .

ففى أوائل ١٩٦٥م استشهد الأستاذ محمد محمود الزبيرى فى ظروف غامضة تاركا البلاد تغلى كالمرجل فى خضم من الأحداث السياسية والحروب الأهلية .

قضى الزبيرى نحبه وهو يبحث عن حلول سلمية تجنب الشعب مخاطر الطريق واراقة الدماء .

وسجل الشعر الحادثة فى عدد من القصائد نكتفى منها بقصيدة المقالح " رسالة الى الزبيرى " التى ضمنها هموم وأحزان الشعب الذى أفنى الزبيرى عمره كله فى خدمته .

وهذه بضعة أبيات من القصيدة : (١)

دمعى على البلد مهدور مهدور ... وصوته كالصدى المهجور مهجور

أبكى اعضو جدار الليل منطفئا ... فى غربتى تتخطانى الأعاصير

وحين لا الدمع تشفينى صفائحه ... ولا تغيب عن العين الدياجير

أعود للكلمات الشعر أسألها ... عطفا وفى رئتى للحزن تنور

تصدنى فى حنان ثم تمنحنى ... نشيدها وهو منظوم ومنثور

أرتاد عالم حتفى غير مكترث ... وفى فمى من أبى الأحرار تبشير (٢)

(١) ديوان هوامش يمانية ص ٤٩٥ من مجموع دواوين الشاعر .

(٢) ابو الأحرار لقب اشتهر به الأستاذ الزبيرى .

ولكن الأحداث تبلغ أوج عنفوانها فى أواخر الستينات ، لقد شدد الملكيون حصارهم على صنعاء ، وكادت صنعاء تسقط فى أيديهم ، بيد أن الجمهوريين من جانبهم زادت عندهم حدة المقاومة وتكاتفوا ونحو الخلافات الحزبية جانبا (وكان شعارهم " الجمهورية أو الموت ") (١) فكانت حرب " السبعين يوما " التى وضعت حدا للمأساة والحروب الأهلية فى اليمن .

وقد أبلى فيها الجانبان بلاء عظيما وأبديا من الشجاعة والصمود الشىء الكثير غير أن المعركة حسمت لصالح الجمهوريين اذ أن الجمهورية كانت مطلبا جماهيريا عاما ، ولهذا وقفت معظم الجماهير مناصرة ومؤيدة للقوى المدافعة عن الثورة والجمهورية ، وقدمت تضحيات باهظة فى سبيل ذلك .

ومن ثم كانت هذه الحرب مجالا خصبا ومصدر الهام للابداع الشعرى وخاصة أن الشعر كان فى المعركة يلهب حماس المقاتلين ويشد أزرهم ويضمد جراحهم ، وهذه ثلاثة قصائد لثلاثة من شعراء الثورة .

١ - لنستمع أولا الى الشاعر عبده عثمان وهو يناجى بكلماته الملتهبة الشعب المعلم الصامد قائلا : (٢)

(١) الأبعاد الموضوعية للمقالح ص ٣٠٦ .

(٢) ديوان فلسطين فى السجن ص ٤٩ .

علمتني كيف أسير للأمام . .

كيف الوقوف ساعة السقوط في الظلام

زودتني بكتب تفسر الأيام

وكيف تصدق الأحلام

مددت لي وقت السكوت والكلام

والصحو والمنام

منحتني كل الشقاء والسعادة

علمتني أن اكتب القصيدة

لمرة أو مرتين أو ثلاث

احببت شوق الانتظار

والسير حتى الانتصار

وكان مما تعلمه الشاعر من الشعب - وهو يخوض المعركة الحاسمة لاقرار المصالحة الوطنية - الصمود والثبات في المحن والخطوب :

(١)

ياوطني ماأروع الصمود في "عيبان"

والشمس في صنعاء والنهار

والشعب في الشموخ عندما يطاول الجبال

وعندما رياحه كعاصف جبار

أتت على مراكز العدوان والحصار

(١) عيبان جبل مطل على صنعاء.

هذا هو الشاعر عبده عثمان الذى خاض المعركة ورأى البطولات التى قدمها الشعب فى حرب السبعين وخرج منها بدروس وعبر ماكان ليستفيدها لو كان بعيدا عن المعركة :

تعلم معانى الصمود فى المعارك

وتعلم معانى الثبات فى المحن

وتعلم معانى الصبر حتى النصر

وتعلم الشقاء والسعادة

بل وتعلم كيف يكتب القصيدة .

٢ - اذا كان عبده عثمان قد تعلم كل ذلك من المعركة فان شاعرا آخر من شعراء جيله يتمنى لو أنه كان واحدا من أولئك المقاتلين ، أو أنه كان جسرا يعبرون عليه أو حتى صخرة تقيهم الأعداء ،لقد أعاد أولئك المقاتلون الأمل الى شعبنا وكان لهم فضل حماية الثورة من السقوط والمحافظة على مكاسبها من الانهيار ذلك هو الشاعر عبد العزيز المقالح فى قصيدته " الابطال والسبعون" والتى يقول فيها :(١)

ودت لو كنت الطريق يعبرون فوقه الى الجبل

لو كنت صخرة تحمى صدورهم من الأعداء

(١) ديوان لابد من صنعاء ص ٢٧ من مجموع دواوينه .

لو كنت لقمة أو شربة من ماء

لو كنت غيمة تمر فوقهم أو قطرة من طل

لو كنت واحدا منهم أموت أو أقتل

أولئك المناضلين

أولئك المقاتلين

من زرعوا الشمس على سمائنا

وثبتوا النجوم والأقمار

وثبتوا النهار

على طريق أيلول العظيم[1]

أشعلوا الشباب أحرقوا الأعمار .

على أن هناك فرقا واضحا فى التصوير والأسلوب بين القصيدتين فتصوير عبد، عثمان صادر عن حضور ومشاهدة ، فهو الى الواقع أقرب منه الى الخيال الشعرى ، أما تصوير المقالح فيقوم على السماع والقراءة والخيال .

أما الأسلوب : فأسلوب عبده عثمان ايجابى مبنى على الاعتـــــزاز والشعور بالقوة والكرامة .

أما أسلوب المقالح فقائم على الندم والشعور بالتقصير ، ولهذا يتمنى لو أنه قدم شيئا فى هذا العمل الوطنى المخلص .

(١) اشارة الى ثورة سبتمبر ايلول ١٩٦٢م .

٣ - وهناك نموذج ثالث لشعر حرب السبعين قدمه الشاعر محمد الشرفى تحت عنوان " صنعاء عام ١٩٦٧ وحصار السبعين "

وهى قصيدة قصيرة المقاطع أقرب الى الأسلوب النثرى منها الى الشعر .

ولهذا فهى أقل تصويرا وأضعف أسلوبا من قصيدتى عثمان والمقالح وتدور جل معانيها فى أن قمم الجبال المشرفه على صنعاء غدت متارس ومعاقل للصمود والدفاع عن الثورة .

فهناك رؤوس وزنود تتساقط ودماء تسيل على هذه القمم .

وهذا الصراع القائم هناك ، هو بين النور والظلام ، بين الصبح المشرق والليل المعتم ، ولكن النصر فى النهاية للنور ، وعندئذ سيصحو الزمن ويسمع ماهى اليمن وكيف كان ماضيها

وهذا جزء مما تحكيه لنا قصيدة الشرفى المذكورة والتى يقول فيها : (١)

من صنعاء الثورة . .

أكتب تاريخ بلادى الحرة

من " نقم " يلوب بالريح والاعصار

من " عيبان " الصامد فى وجه الاخطار

(١) ديوان أغنيات على الطريق الطويل ص ٦٣ .

من قمم ترسس للشعب الدامى فجره

تصنعه

ترضعه من جراح الثوار

ثوار بلادى

من صنعاء والآمال

ترسمها للأجيال الحيرى أبطال

جرح يتألق

وزنود صامدة تتحرق

ودماء تنساب على الدرب مشاعل

وضحايا تتهادى

وجباه تساقط كالقدر النازل

من كل مقاتل

تتواثب فى زنديه الأجيال

* * *

وصباح ينشق

وظلام بالنور الضاحى يشرق

يهوى ببقايا الأذيال

يقف التاريخ

ويصحو الزمـــن

واليمن المعلاق هو اليمن

ملء الأسمـــاع

ملء الدنيا الحرة

وهذه القصائد الثلاث كلها تصب فى بوتقة واحدة وتتحدث عن موضـــوع واحد وهو " حرب السبعين يوما " غير أن هناك اختلافا فى طريقـة الأداء وأسلوب التعبير ، وهى تختلف من شاعر لآخر كما أسلفنا .

فأسلوب عبده عثمان قوى ومتحمس كانت تقتضيه ضرورة وجوده على ساحة المعركة ، أما المقالح فقد تناول الموضوع بطريقه وجدانية قريبة من طريقـة الرومنسية ، أما الشرفى فـتناول الموضوع - كما قلنا - بطريقة أقرب الـــى النثرية ، فيها عدد من التشبيهات والاستعارات ولا تخلو من بعض الصـور الشعرية المعبرة .

وبعد هذا الحدث العظيم انتهت تقريبا مرحلة الحرب الأهلية وبدأ عهد الاستقرار والهدوء النسبى والمصالحة الوطنية ، واستقرت الثـــورة وأصبحت هى الممثل الشرعى للشعب اليمنى فى نظر الجميع .

وما ان انتهـت الحرب الأهلية حتى بدأت حرب من نوع آخر هـــى حرب الأفكار وللشعر من تلك الأفكار موقف .

فهناك موجات ارتداد ومحاولات للانحراف سرت في صفوف المواطنين وكان وراء هذه المحاولات أحزاب ومؤسسات ، وأحيانا دول ، وكانت تلك الأفكار ومن يحملها من الأحزاب قد تسربت الى اليمن قبل الثورة بواسطة بعض المبتعثين الى الخارج ، ثم نشأت وترعرت في ظل الثورة وظروف الحرب التي عاشتها ، اضافة الى استغلال مبدأ الحرية الذي هو هدف من أهداف الثورة .

غير أن الحروب والأحداث لم تمكن أولئك من الاصطياد في الماء العكر لأن الجهود كانت كلها منصبة على الدفاع عن الثورة والجمهورية

وهنا بدأ الشعر يصحح المفاهيم وينذر المتآمرين بأن الشعب لهم بالمرصاد ، لقد خاض المعارك وقدم التضحيات لكي يرى النور ويبلغ المجد الذي رامه وسعى اليه .

على أن الشعب سوف يضرب بيد من حديد كل من وقف في طريقه أو صده عن بلوغ هدفه ، لذا يجب أن يعي الجميع هذا الدرس البليغ قبل فوات الأوان فالشعب قد فتح عينيه ولن تنطلي عليه الحيل أو الضلالات.

وهذا ماحاول معالجته الشاعر حسن بن يحي الذارحي في قصيدته " مع الشعب ضد مخاطر الأحزاب العميلة " والتي يقول فيها : (١)

(١) ديوان من صرخات الايمان ص ٩٣ .

نحن شعب خاضها معركة ∴ ليرى النور مشعا بالحياه

خاب من حاول يوما صده ∴ عن بلوغ المجد عن نيل مناه

خاب من أسرف في حرمانه ∴ وشرى بالثمن البخس شقاه

انه الشعب عنيد صامد ∴ للذى يبغى ازداره وأذاه

انه الشعب سيمحو أظلما ∴ تحجب النور وتأبى أن يراه

انه الشعب سيلغى واقعا ∴ صور المأساة فى كل اتجاه

فليع الدرس بليغا سارق ∴ سيرى فى ساحة العدل جزاه

وعيه أعمق من تضليلهم ∴ رغم ما ينشر بالافك عداه

انهم تجار شر وهوى ∴ عملاء للذى راموا شراه

فسلوا عنهم سفارات لها ∴ من قوى الأحزاب جند ودعاه

والقصيدة فى مجملها تبين حقيقة الأحزاب الالحادية وتحذر منها الشعب اليمنى وتبين له خطرها وتكشف عن مخططاتها :

قيم الأخلاق فى مفهومهم ∴ من أساطير حكت عنها الرواه

أحدثوا شرا وخيما أمره ∴ ماضى فى دربه غير الجناه

أيها الشعب اكتسح شرذمة ∴ تهذر الشر لتجنى من رواه

فاحذر الأحزاب واهدم كيدها ∴ قبل أن تندم ياشعب الأباه[1]

(١) ديوان من صرخات الايمان ص ٩٣ .

وعلى أى حال فخطر الأحزاب المنحرفة وما تسببه من كيد وبـــلاء وما ينتج عنها من تناحر غير خاف على المواطن العربى عموما ، والأمثلة من واقعنا المعاش كثيرة ليست بحاجة الى بيان غير أن الجدير بالملاحظة أن هذه الأحزاب قد لا ينتمى الكل مواطن ، فالأجسام والوجوه عربية والأسماء اسلامية وعربية كذلك ، وعمل الأحزاب سرى ومنظم وعندها القدرة على التكيف مع الواقع ومعايشة المجتمع ، ولهذا يستشرى أمر تلك الأحزاب دون أن تشعر بها المجتمعات ، ويحتار المواطن فى الحكم فلا يتخذ موقفا معينا تجاهها .

وفى قصيدة " الغزو من الداخل " للأستاذ عبد الله البردونى تصوير رائع لتلك الحيرة وذلك التذبذب الذى يصيب المواطن دون أن يجـــد تفسيرا لحيرته وتذبذبه وموقفه المتخاذل من هذه الأحزاب ، تقول القصيدة (١) :

فظيع جهـــل مايجـــرى ∴ وأفظع منه أن تـــدرى

وهل تدرين ياصنعـــاء ∴ من المستعمر الســـرى

غزاه لا أشـــاهدهـــم ∴ وسيف الغزو فى صدرى

فقد يأتون تهفـــا فـــى ∴ سجائـــر لونها يغـــرى

وفى ســـروال استـــاذ ∴ وتحت عمـــامة المقـــرى

وفى أقـــرا ى منسـخ الحمل ∴ وفى أنبـــوبـــة الحبـــر

(١) ديوان " السفر الى الأيام الخضر " ٢ / ٣٥٥ من مجموع دواوين الشاعر .

ويستخفون فى جلـــدى ∴ وينسلون من شعـــرى

وفوق وجوههم وجهـــى ∴ وتحت خيولهم ظهـرى

غزاة اليـــوم كالطاعـــون ∴ يخفى وهو يستشـــرى

وعلى الرغم من وضوح القصيدة وبراعة تصويرها للأوضاع المتردية فى البلاد الا أن فيها من التعتيم والابهام ما يصعب معه تحديد هوية أولئك الغـــزاه الذين عناهم بقوله فى القصيدة نفسها :

ترقى العار مـــن بيـــع ∴ الى بيـــع بلا ثمـــن

ومن مستعمـــر غـــاز ∴ الى مستعمر وطـــنى

فالقصيدة سيف ذو حدين تخدم أكثر من جهة ، ولهذا استغلتهـــا القوى المتصارعة فى البلاد كل فى صلحتها وفسرتها تفسيرا يخدم غرضهـا ووجهتها ضد خصمها ودفعت بها فى نحره .

ولعل هذا ما أراده الشاعر وهدف اليه لكى يسلك العصا من الوسط كما يقولون وحتى لا يتهم بالعمالة لهذه الجهة أو تلك .

وخلاصة القول أن الشعر قد ساير الأحداث الهامة فى حياة الشعب اليمنى ورصدها بأمانة وعمق وبين سلبيات وايجابيات كل منها فى حياة المواطن فدعا الى الايجابيات وحذر من السلبيات .

وقد عالج الشاعر اليمنى تلك الأحداث بصراحة ووضوح فى معظـــم الأحيان ، وبغموض وتورية وتلميح فى حالات قليلة ، كما رأينا فيما مر معنا من صفحات .

" المبحث الثاني "

" الشعر الاسلامي "

تمهيـــد :

كان الشعر قبل الاسلام ديوان العرب وسجل أعمالهم ووسيلتهم الدعائية فى الحرب والسلام .

فلما جاء الاسلام لم يهمل هذه الوسيلة من وسائل الاعـــلام والدعاية ،بل اهتم بها وجعلها احدى وسائله فى الدفاع عن مبادئه وأخلاقه ومحاربة اعدائه .

" وأحل الرسول صلى الله عليه وسلم الشعراء مكانا بارزا فـى الاعلام الاسلامى ، فأدى الشعراء الرسالة التى أنيطت بهم ، فتصدوا لشعراء المعسكرات المناوئة للدعوة أنذاك ،من مشركين ويهود ومنافقين وغيرهم "(١) .

وهكذا استمر فريق من الشعراء على مرّ العصور الاسلامية دعاة هداة مصلحين يصارعون الظلم ويكافحون الطغيان ،ولم يخل أى عصر من تلك العصور من الفئة التى تحمل راية الاصلاح وتتبنى القضـايـا الاسلامية .

ففى العصر الاسلامى الأول حيث كانت قيادة الدعوة فـى يـدى الرسول صلى الله عليه وسلم كان حسان وكعب وابن رواحه هـــم شعراء الدعوة الاسلامية الذائدين عن حماها .

(١) شعراء الدعوة الاسلامية لأحمد عبد اللطيف الجدع ١/ ٥ .

وفى العصر الأموى تعددت الأحزاب وكان كل حزب يدعى أنه حامى حمى الدعوة الاسلامية ، ويتعدد هذه الأحزاب تعددت مناحى واتجاهات الشعراء فكان لكل حزب شعراؤه الداعون اليه والمدافعون لخصومه وقل مثل ذلك فى العصر العباسى والعصور التالية له .

وكان الاسلام مظلة تلك الأحزاب والدعوات جميعا ، كما كان الشعر لسانها كذلك .

وجاء العصر الحديث يحمل الينا تيارات متعددة ، واتجاهات مختلفة سياسية واجتماعية وغيرها .

ونظرا لهذا التعدد فقد تعددت أيضا اتجاهات الشعراء المعاصرين وولاءاتهم .

وكان من البدهى أن يكون الاسلام واحدا من تلك الاتجاهات فالأسلام هو الدين الذى تدين به كافة الشعوب العربية والاسلامية والشعر كما هو معروف ابن بيئته والشاعر لسان مجتمعه .

ومن ثم كان لهذا الاتجاه أدباؤه وشعراؤه المختصون باثرائه كالرافعى (١) ، واحمد محرم (٢) ،

(١) هو مصطفى صادق الرافعى أديب اسلامى معروف عاش بين سنتى ١٨٨٠ - ١٩٣٧م .

(٢) احمد محرم شاعر اسلامى معاصر صاحب الالياذه الاسلامية ، ولد فى مصر سنة ١٨٧٧م وتوفى سنة ١٩٤٥م . انظر التعريف به ص من هذه الرسالة .

ومحمود غنيم[١] ،وعمر بهاء الدين الأميري[٢] ،ووليد الأعظمي[٣] ،وعلي احمد باكثير[٤] وآخرين .

أضف الى ذلك أن كبار الشعراء المعاصرين قد أثروا هذا الاتجاه ثراء عظيما كما هو معروف عند شوقي وحافظ وأضرابهم .

ولما كان المجتمع اليمني من أكثر المجتمعات العربية تمسكا بالعقيدة وارتباطا بالاسلام وتعاليمه ،فمن البدهي اذن أن يكون هناك تيار اسلامي قوي في محيط الشعر .

ومن ثم رأينا هذا التيار متغلغلا في صفوف الشعراء متمكنا من مشاعرهم ووجداناتهم ظاهرا على تعبيراتهم وألفاظهم ،ولا سيما الجيل الأول من شعراء عصر النهضة ورواد الحركة الأدبية كما سيتضح لنا في النماذج القادمة ان شاء الله .

(١) محمود غنيم شاعر اسلامي من مصر عمل في مجال التعليم توفي سنة ١٩٧٢م .

(٢) عمر بهاء الدين الأميري شاعر اسلامي من حلب في سوريا عمل سفيرا لبلده في باكستان ثم مدرسا في جامعة محمد الخامس في المغرب ولا يزال له ديوان " مع الله " .

(٣) وليد الأعظمي شاعر اسلامي من العراق نذر شعره كله لخدمة الاسلام من دواوينه ،الزوابع ،وأغاني المعركة ،والشعاع ولد سنة ١٩٣٠م .

(٤) ستأتي ترجمته في تراجم الشعراء اليمنيين في نهاية الرسالة .

ولعل تعدد التيارات الفكرية فى الشعر اليمنى هو الدافع الاساسى فى وجود تيار اسلامى له كيانه المستقل ودوافعه الخاصه ومميزاته الظاهرة.

بيد أن هذا التيار لم يفرد بدراسة خاصة ولم تجمع نماذجه فى صفحات مستقلة فى أى من الدراسات التى عنيت بالشعر اليمنى المعاصر وهذه الدراسات مع قلتها لم تشر حتى اشارة عابرة الى الاتجاه الاسلامى فى الشعر اليمنى(١).

المراد بالشعر الاسلامى :

الشعر الاسلامى هو كل شعر بعثت عليه العاطفة الدينية وغذته المعانى القرآنية وأضاء جوانب من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو غيرهم من أعلام الاسلام ودعاته ،وكذلك ماكان منه تفسيرا للكون والحياة والانسان من منطلق اسلامى فيشمل الالهيات والمناسبات ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة وغيرهم بمعان اسلامية كالجهاد والاخلاص والتقوى والصبر والثبات ونحوها .

(١) سبق أن قلت فى المقدمة أن هناك كتابين فقط من الكتب والدراسات التى عنيت بالشعر اليمنى - هى التى درست الشعر اليمنى على أساس منهجى وهما كتاب الشعر المعاصر فى اليمن لعز الدين اسماعيل ،وكتاب الأبعاد الفنية والموضوعية لعبد العزيز المقالح ولكن من وجهتين مختلفتين كما سبق ،ولم يشر أى من الكتابين الى شىء من نماذج هذا الاتجاه .

ومن الشعر الاسلامى كذلك ذلك النوع من الشعر الذى يخدم أغراض الدعوة الاسلامية وأهدافها ويشيد بمبادئها وينافح أعداءها ويرد مكائدهم ويكشف مثالبهم .

هذه بعض المعانى التى تدخل فى دائرة التعريف بالشعر الاسلامى وللشعر الاسلامى معان أوسع مما ذكرت .

غير أنه لا يدخل فى هذا التعريف ذلك النوع من الشعر الداعى الى محاربة الظلم تحت مظلات وأسماء غير اسلامية كالاشتراكية ونحوها ولا يدخل فيه كذلك الشعر الذى يهدف الى انحلال الأخلاق ، ويدعو الى الفساد الاجتماعى وارتكاب بعض المحرمات كالدعوة الى السفور وشرب الخمر واثارة الغرائز ونحو ذلك مما لا يمت الى سلوك الاسلام ومبادئه بأية صلة .

وقد يدعى البعض أن الشعر اليمنى كله شعر اسلامى باعتبار أن قائليه كلهم مسلمون ، وهذا غير صحيح فلم يقل أحد باسلامية خمريات وغزليات أبى نواس ولا زندقة بشار ولا هجائيات السيد الحميرى ولا فخريات نشوان رغم أنهم مسلمون وعاشوا فى عصور اسلامية معتبرة .

ولعل أهم وأبرز المعانى الاسلامية الملموسة فى الشعر اليمنى المعاصر هى : الدعوة الى الاصلاح من خلال وضع برنامج عمل وثيق الصلة بالاسلام ومحاربة الظلم والطغيان والتعسف والارهاب وغيرها من المعانى التى يحاربها القرآن وكذلك الاهتمام بالقضايا الاسلامية المعاصرة والمناسبات الدينية والاجتماعية ونحوها .

١ - الدعوة الاصلاحية المعاصرة :

كانت الأوضاع فى اليمن فى الثلاثينيات من هذا القرن قد تردت ترديا خطيرا ، فالوضع السياسى فى غاية الجمود ، والوضع الاقتصادى والثقافى فى أقصى درجات الركود والوضع الاجتماعى فى أدنى درجات الانحدار والهبوط .

وفوق ذلك كله كانت تسيطر المشكلات والأحداث التى تفلى بها المنطقة ، وكانت هذه الاحداث تنمو نموا سريعا وتكاد تلتهم كل شئ أمامها .

وفى هذه الأثناء نشأت دعوة اصلاحية منبثقة من مبادئ وقيم وتشريعات الاسلام .

وقد بدأ هذه الدعوة القاضى الأديب الشاعر محمد بن محمد زبارة ، فقد وجه وهو بمصر رسالة شعرية مكونة من أربع صفحات ، تحت عنوان " الدين النصيحة " وفيها تذكير بميثاق الله ، والتأسى برسول الله والتحذير من التفريط بحقوق المسلمين ، ونحو ذلك من الموضوعات ، وهذا تجسيد لأوضاع البلاد فى الثلاثينيات وما يعانيه الشعب من فقر وجهل واذلال وسلب وغيرها من الأمراض الاجتماعية . فكان الشعر الاسلامى هو أداة النقد ووسيلة الاصلاح .

ومن هذا المنطلق كانت هذه القصيدة أعنى قصيدة " الدين النصيحة " وهى طويلة ومتعددة الموضوعات ، وسأكتفى منها بالمقطوعة

التالية التى تنهى عن الظلم واستباحة حقوق المسلمين ، وتدعو الى التراحم والتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام فهم سلف هذه الامة وأكرم أجيالها ، ثم تدعو الى العدل الاجتماعى واعطاء المؤمنين مستحقاتهم المالية ، ففيهم الفقير والمسكين والأرملة وابن السبيل وغيرهم من ذوى الحاجات . وفيها يقول : (١)

تناهوا تناهوا عن عموم التظالم ∴ وتهوين أمر الظلم من كل ظالم
وجعل حقوق المسلمين مباحة ∴ لقاض وسجان وجند وخادم
وتهجين من لله قال مناصحا ∴ قضى ربنا تحريم كل المظالم
ألا وارحموا كى ترحموا فهذا أتى الـ ـحديث عن المختار صفوة هاشم
وأدوا لكل المسلمين حقوقهم ∴ كما حكم الجبار أحكم حاكم
فكم من فقير مؤمن ومجاهد ∴ تقى وبر مستكين وعالم
وأرملة وابن السبيل ونحوهم ∴ حقوقهم بالذى ألزم لازم
فما الخير الا بالتأسى بأحمد ∴ وبالآل والأصحاب أهل المراحم
هم سلف الخير الكرام وأنتم ∴ لهم خلف لا تقتدوا بالأعاجم
فما الله لا والله عنكم بغافل ∴ ولكنه يملى لطاغ وغاشم
فكم ناصح فى عصرنا مرشد لكم ∴ الى الرفق والانصاف فى كل لازم

(١) القصيدة مخطوطة وقد نشرها المقالح فى صحيفة ٢٦ سبتمبر عدد (٢٢) فى ٢٤/٢/١٩٨٣م .

ولا تجهلوا نظم الأمير محمد[1] .. بسماعا ، لمن فى عصره المتفادم

والقصيدة بأسلوبها هذا قد أحدثت أصداء عظيمة لدى فئات الشعب ، واستقبلها عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء استقبالا مهيبا وألهبت فى نفوسهم مشاعر الألم والاحساس بالمسئولية والشعور بالتقصير فى النصح والارشاد والسكوت على الظلم ، ولهذا سارعوا الى تلبية صداها وتأييد ماجاء فيها من انكار لأنواع المظالم التى يعانى منها هذا الجزء من الوطن الاسلامى الكبير ، ومن ثم جاءت قصيدة العلامة الأديب الشاعر احمد عبد الوهاب الوريث صدى لقصيدة زبارة " وقد أسماها واختار لها العنوان التالى : " صدى صوت مفكر اليمن صاحب الفضيلة السيد محمد بن محمد زباره "[2] .

وتبدأ القصيدة بتقدير شجاعة العلامة صاحب الصوت الأول فى الدعوة الاصلاحية ، فقد كان زبارة ومن بعده الوريث ثم من تلاهما بعد ذلك من العلماء وزعماء الحركة الاصلاحية يطالبون بتطبيق الشريعة الاسلامية فى كافة مناحى الحياة ، ومن خلال ذلك تصلح أوضاع البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها .

(١) هو محمد بن اسماعيل الأمير الصنعانى صاحب كتاب سبل السلام أربعة أجزاء وله ديوان مطبوع معظمه فى النصح والارشاد لأمراء وحكام عصره وفيه أمر بمعروف ونهى عن منكر ، عاش بين سنتى ١٠٩٩ - ١١٨٢ هـ وهو عالم ومجاهد وشاعر من مشاهير عصره من علماء القرن الثانى عشر ديوانه مطبوع فى القاهرة سنة ١٩٦٤م .

(٢) صحيفة ٢٦ سبتمبر عدد ٢٣ فى ٣/٣/١٩٨٣م فى دراسة عن الشاعر الوريث للاستاذ الدكتور عبد العزيز المقالح .

ثم اتجه الأستاذ الوريث الى الشعب يطلب منه الاستجابة لهذه النصيحة وتقديرها حق قدرها ففيها الخير له فى الدنيا والآخرة .

فصاحب النصيحة عالم جليل ومن دعاة الخير والاصلاح وبالاضافة الى ذلك فقد طاف ببعض بلدان العالم الاسلامى ورأى فيها أسباب السعادة وعوامل النهضة والبقاء فخرج بنتيجة حتمية هى أن فى الأسلام وتطبيق أحكامه أسباب العزة والكرامة فى الدنيا والآخرة .

ومن ثم أراد أن ينقذكم مما أنتم فيه من شر وبلاء .

ونكتفى من قصيدة الوريث بهذه الأبيات :

فسمعا بنى الأوطان دعوة ناصح

الى الخير يدعوكم ورفع المظالم

الى الدين والدنيا الى العلم والبقا ∴ الى المجد والملك الكثير المغانم

تنائى عن الأهلين والدار حسبه ∴ وطوف فى انحاء تلك العواصم

لينقذكم من حفرة قد هويتم ∴ اليها فسامتكم شديد القواصم

تعالوا اليه يلق درسا عليكم ∴ يعرفكم منه جدير اللوازم

هلموا بنا ننهض بواجب قطرنا ∴ علينا ونستكشف نفيس المناجم

ونستصرخ الكتاب كى يسمحوا لنا ∴ بنصر على استبداد أهل الجرائم

كانت هذه القصائد وأمثالها بداية الصحوة فى شعر اليمن المعاصر الصحوة بكل جوانبها الصحوة الفكرية والصحوة الوطنية والصحوة الاسلامية وغيرها .

ونواصل الآن سيرنا مع الصحوة الاسلامية فى شعر اليمن المعاصر فقد أعقب تلك القصائد الاسلامية لزبارة والوريث وأضرابهما ، صدور مجلة " الحكمة " التى أشرف عليها الوريث كما سبقت الاشارة الى ذلك مرارا وكانت هذه المجلة - بفضل الوريث وزملائه - لسان حال الحركة الاصلاحية التى تمثلت فى علماء وشعراء وقضاة بدافع الصدق والاخلاص والرغبة فى تنقية الاسلام من صفات الجمود والتخلف والتعصب التى لحقت به من جراء تصرفات بعض المسئولين فى الحكم آنذاك وعمالهم . وكذلك تمثلت هذه الحركة الاصلاحية فى تجمعات اسلامية صغيرة مثل :

أ - هيئة النضال بصنعاء التى أنشأها العالم المجاهد والمفكر الأديب الشاعر أحمد بن احمد المطاع ويقال (ان الجمعية كانت على صلة ما بالقيادات الاسلامية الواعية كالملك عبد العزيز والأخوان المسلمين بمصر)[1] .

ب - جمعية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والتى أنشأها مجموعة من الشباب اليمنيين فى القاهرة لتكون نواة للعمل الاسلامى وبدأت نشاطها هناك فى مصر وبعد عودة الزبيرى الى اليمن بدأ اتصالاته فى مد نشاطها داخل البلاد ، وقام الزبيرى بهذا الخصوص ،

(١) اليمن الانسان والحضارة للشماحى ص ٢٠٠ ويذكر الشماحى أن المطاع كان موفدا من هيئة النضال الى الملك عبد العزيز عام ١٣٦٥هـ وقد سلمه رسالة من عبد الله الوزير وأبدى الملك عبد العزيز اعجابه بالهيئة لارتباطها باحياء تعاليم الكتاب والسنة ص ٢٠١

بتقديم برنامج الجمعية الى الامام ، والبرنامج يقع في ٢٢ صفحة ويحتوى على مقدمة و (٣٧) مادة تحت عنوان " ماذا نريد أن نفعل " جميعهـــا تدور حول التمسك بالاسلام الصحيح والدعوة الى تطوير جميع مرافق البلاد المالية والصناعية والادارية (١) ، وكانت الجمعية على صلة وثيقة بهيئة النضال وبعض الشخصيات الاسلامية من أمثال العلامة محمد ابو طالب الخطيـب (٢) وقد لازمه الأستاذ الزبيرى حتى سجنا معا بسبب نشاطهما الاصلاحى .

كانت هناك تجمعات اصلاحية أخرى في تعز واب بقيادة الأستـاذ قاسم غالب والشيخ عبد الوهاب نعمان وغيرهما . وكانت هذه التجمعات كلها روافد تصب في نهر الحركة الاصلاحية الشاملة التي تمثلت في التجمع العام لعلماء وشعراء وأدباء اليمن عام ١٩٤٤م في عدن .

ومن خلال هذا التجمع انطلق صوت الشعر بروح اسلامية وثابـــه ونفس كريمة معطاء وقلب مملوء ايمانا وصدقا .

كان التجمع مزيجا من الوطنية المتحمسة والتدين الواعى والفكـــر المستنير .

(١) سيد مصطفى سالم ، مجلة الحكمة وحركة الاصلاح ص ١٨٤ ، والزبيرى أديب اليمن ص ١٦١ للعمرانى ، واليمن الانسان والحضارة للشماحى ص ٢٠٠ .

(٢) أحد علماء صنعاء المشهورين في أوائل الأربعينات وكان على خلاف مستمر مع الأئمة حول الوضع في اليمن وكانت خطبه حماسية رنانـــه وعنيفه ضد الأئمة .

ولهذا كان نتاجه شعرا اسلامى النزعة ،صادق الاحساس ،قـــوى الشعور ، عميق الفكر سريع التأثير تغلب عليه الروح الوطنية ،ويمتـــــاز بوضوح الرؤية ،ولم يكن هناك أى فارق فى هذه الفترة عند هؤلاء الشعراء بين النزعة الوطنية والروح الاسلامية العالية .

اذ لم تكن الوطنية قد تبلورت وصار لها هذا المفهـــوم الحديـــث المعروف عند الناس اليوم .

فقد كان مفهوم الوطنية آنذاك مفهوما شاملا لمعان كثيرة تدخـــل تحت هذه اللفظه كما مر معنا فى المبحث السابق .

ومن ثم لم يجد الشاعر أى صعوبة فى طرق كل الاتجاهات ، فلـــم يكن هناك تباين بين هذه الاتجاهات الا فى مظاهرها السطحية ،اما فى الواقع فانها مراحل متداخلة تسودها روح واحدة وغاية واحدة .

ومن هذا المنطلق يمكننا القول بأن شعر مرحلة الثلاثينيـــــات والأربعينيات بكاملها فى معظمه شعر اسلامى النزعة والثقافة والهدف .

واذا نحن سألنا أنفسنا عن سر هذه النزعة وماهى جذورها الأولى التى كونت هذا الاتجاه الاسلامى فى شعرنا المعاصر .

لو سألنا أنفسنا هذا السؤال لألفينا أنفسنا مضطرين الى مراجعة الخصب الفكرى الذى شهده القرن الثانى عشر الهجرى ،حيث كانت هناك حركة علمية وأدبية وشعرية واسعة النطاق ممثلة فى :

الأمام المقبلى (١) (١٠٤٧ - ١١٠٨ هـ)

والأمير الصنعانى (٢) (١٠٩٩ - ١١٨٢)

والعلامة عبد الله بن على الوزير (٣) (١٠٧٤ - ١١٤٧هـ)

والأمام الشوكانى (٤) (١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ)

والأمام عبدالله الجلال (٥) (المتوفى سنة ١٢٤٢هـ)

ولم يكن هؤلاء الأئمة الأعلام علماء فحسب بل كانوا أدباء وشعراء مرموقين فى عصرهم وكان لكتبهم العلمية والأدبية ودواوينهم الشعرية أثر بالغ الأهمية فى الحركة الأدبية المعاصره .

ومن تلك الكتب اكتسبت الحركة الفكر الاسلامى الواعى كما سنرى ذلك من خلال عرض النماذج الشعرية المعاصرة .

فالشاعر القاضى زيد بن على الموشكى المتوفى سنة ١٩٤٨ م من مشاهير العلماء ودعاة الاصلاح ومن المشاركين فى دفع الحركة الوطنية والأدبية الى الامام ،وله مواقف فى الجهر بكلمة الحق ومحاربة الطغيان وكان ينطلق فى مواقفه تلك من منطلق اسلامى صلب لا مواربة فيه ولا مجاملة .

(١) هو صالح بن مهدى المقبلى ، أنظر ترجمته فى البدر الطالع للشوكانى ١/٢٨٨ .

(٢) هو محمد بن اسماعيل الأمير وستأتى ترجمته فى ملحق التراجم .

(٣) عالم مشهور وشاعر مجيد صنعانى المولد والنشأة ترجم له الشوكانى وأشار الى ان شعره مجموع فى ديوان وله مؤلفات أخرى منها "طبق الحلوى " فى التاريخ .

(٤) هو محمد بن على الشوكانى أنظر ترجمته فى ملحق التراجم .

(٥) الامام عبدالله بن على الجلال من كبار علماء اليمن فى القرن الثانى عشر ترجم له الشوكانى فى البدر الطالع وقال ان له شعرا بديعا وله عدد من المصنفات.

ومن ثم وقف فى وجه ولى العهد لما أراد أن ينتقم من العلمـــاء بدعوى انحرافهم عن الدين ، ويرتكب أعظم الجرائم باسم الدفاع عن الاسلام ، فقال الموشكى مخاطبا اياه :(١)

تخاصمنا بالدين والدين موجع ∴ لأنك قد أدميت مهجته عـــدا
قضى باحترام المال والعرض والدما فلم تجد الا الخلاف لـــه ردا
ومازلت فى توسيع دائرة الهـوى ∴ ملحا الى أن جزت فى فعلك الحدا
والا فهل ظلم النساء وهتكهـا ∴ حلال ولـو فى دين من يعبد الصلدا
أتقضى طواغيت بهدم بيوتهـا ∴ وترويعها والدمع يستعطف الجندا
ويرضى لك الدين الحنيف وربـه ∴ تصد النسا عن قوت أطفالها صدا
وتهدم عن مرأى الديانة دورها ∴ ومن حولها الأطفال يبكونها وجدا
فلو فتشوا عن هيكل الطهر احمد ∴ لقوا وجهه مما فعلت بهم يندى
وان قلوب الناس أضحت مريضـة ∴ لأنك حطمت الديانة والمبـــدا

فالأبيات فى جملتها ابراز نظرة الاسلام فى حفظ الأموال والأعراض واحترام الحقوق والرحمة بالضعفاء من النساء والأطفال وعدم ظلمهم فان ذلك مما يتنافى ومبادئ العدالة التى جاء بها محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك كله بدافع الحرص والغيرة على الاسلام ومبادئه كما يوضح ذلك فى بيت آخر من قصيدته النونية :

(١) شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجى ص ١٨

أما فيكم من غيرة وحميـــــة ∴ على الدين والأرحام والأرض والأبنا (١)

وفى الاجتماع الأول لأول تجمع يمنى يلقى الشاعر الأستاذ محمـــد محمود الزبيرى قصيدة وطنية عظيمة ذات دلالات اسلامية عميقة وروح دينية عالية وفيها يدعو الى التراحم واتحاد القلوب واليقظة والعزة وكلها معـــان اسلامية كان الاسلام أول من دعا اليها .

وفى ختام القصيدة نوه الشاعر بقرب نهاية الظلم وغلبة الحق الذى اتحدت عليه وأظهرته أنات المساكين ، وآهات المظلومين . ودعا صراحـــة الى الاتحاد والاعتصام بحبل الله فهو الطريق الوحيد لازالة الظلـــم والانتصار على القهر :

ان الأنين الذى كنـــا نردده ∴ سرا غدا صيحة تصغى لها الأمم

والحق يبدأ فى آهات مكتئـب ∴ وينتهى بزئير مـــلؤه نقـــم

جودوا بأنفسكم للحق واتحدوا ∴ فى حزبه وثقوا باللـــه واعتصمـوا

لم يبق للظالمين اليوم من وزر ∴ الا أنوف ذليـــلات ستنحطـــم (٢)

وفى افتتاح الجمعية اليمانية الكبرى عام ١٩٤٦م يؤكد الزبيـــرى هذه المعانى بأسلوب اكثر روحانية وأقوى عزيمة وأشد ثباتا وأعظم تضحية .

(١) شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجى ص ١٨ .

(٢) ديوان الزبيرى " صلاة فى الجحيم " ص ١٣١

فالشباب الذين دعاهم فى القصيدة السابقة الى الاتحاد والاعتصام بحبل الله قد عاهدوا الله على التضحية بالأرواح فى مواجهة المصاعب والخطوب ،وعلى الثبات الصادق الذى لا تزعزعه قوة الظالمين ولا تهزه اغراءاتهم المادية التى يسيل عليها لعاب البشر عادة ،يقول الزبيرى : (١)

هم شباب عاهدوا الله بأن ∴ يهبوا الأرواح لليوم العسر

لا يبالون بما يلقونه ∴ من عصاب وخطوب ونذر

ثبتوا للظالم العاتى كما ∴ يثبت الصدق لكذاب أشر

حقروا أمواله وهى التى ∴ لم يكن يحسبها أن تحتقر

شهد الله علينا أننا ∴ نبتغى الحسن وفيه نصطبر

وانطلاقا من حرص هؤلاء المصلحين على وحدة الكلمة وتجميع القوى والطاقات فقد رأوا أن هناك مرضا يتمثل فى التفاوت بين المواطنين وتقسيمهم الى سادة وقبائل كما تقدم .

مثل هذا التفريق كان موضع اعتراض الاسلام ففى القرآن الكريم يقول الله تعالى " ان أكرمكم عند الله أتقاكم " (٢) وقال النبى صلى الله عليه وسلم " لا فضل لعربى على عجمى ولا أبيض على أسود الا بالتقوى " .

(١) ديوان الزبيرى " صلاة فى الجحيم " ص ١٥٠ .

(٢) سورة الحجرات آية ١٣ .

لكن الأئمة شجعوا تلك الفرقه بل وشجعوا الفرقة المذهبية أيضا فجعلوا لبعض المواطنين مزايا لم تكن للبعض الآخر .

وازاء هذا الوضع لم يجد المصلحون بدا من محاربة هذه الأمراض التى تفت فى عضد المجتمع وتشتت القوى الاسلامية وتقلل من هيبتها فكان الشعر من أهم أسلحة دعاة الاصلاح فى محاربة عوامل الفرقة بنوعيها العنصرى والطبقى .

نحن شعب من النبى مبادينا ∴ ومن حمير دمانا الزكية
مل أعراقنا اباء ومجد ∴ وطموح الى العلى وحميه
أرضنا تدعى الطغاة الألى ∴ سادوا علينا بالفرقة المذهبية
وبنو هاشم عروق كريمة ∴ ت لنا من جذورنا اليعربية
انهم اخوة لنا غير أسيا ∴ د علينا فى عنصر أو مزيه
أرضنا ارضهم تقاسمنا نحـ ∴ ـن واياهم العلى بالسويه
والمزايا فى الشعب للبعض دون البعض سم الأخوة القوميه
ليس فى الدين أن نكون بلا رأ ∴ ى ولا عزة ولا حريه (١)

فالأبيات كما هو واضح دعوة جريئة الى نبذ الخلافات المذهبية ، وترك العصبية العرقية ، فالمسلمون سواسية كلهم لآدم وآدم من تراب . وفى البيت الأخير تجديد لمبدأ اسلامى عظيم وهو مبدأ الشورى الذى كان

(١) ثورة الشعر " ديوان " للزبيرى ص ١٧٦

حلم دعاة الاصلاح وهدفهم الأول فى اقامة حكم اسلامى شورى يضمن حرية الفرد وسلامة المجتمع ، كما هو موضح فى الميثاق المقدس الذى صدر قبيل ثورة ١٩٤٨م - ١٣٦٧ هـ .(١)

وقد وقع هذا الحدث موقعا حسنا فى نفوس بعض الاسلاميين فى العالم الاسلامى فأبدوا تأييدهم وتعاطفهم مع حركة ١٩٤٨م كما عرفنا .

وكان الشعر يبارك ذلك ويؤيده كما سنرى فى مدائح ومراثى الشعراء اليمنيين للقادة المصلحين فى العالم الاسلامى كالامام الشهيد حسن البنا والفضيل الورتلانى والأستاذ أبو الحسن الندوى وغيرهم .

هذا وفى الوقت الذى كانت الحركة الاصلاحية تهتم فيه بمحاربة الظلم والاستبداد وتدافع عن حقوق المظلومين كانت كذلك تهتم بالفضائل وتحرص على اشاعتها بين الناس ، على أساس أن تلك الفضائل جزء من الاسلام .

ولما كان العفو من القيم الاسلامية الرفيعة فقد عالجه الاستاذ الشاعر احمد محمد الشامى معالجة تاريخية فى قصيدته " الاسلام والعفو " وقد اتخذ الشاعر من بعض مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم التى ضرب فيها عليه الصلاة والسلام المثل الأعلى فى العفو - مادة خصبة فى الحث على

(١) نص الميثاق بكامله فى كتاب الشماخى " اليمن الانسان والحضارة " ص ٢١٠ .

تلك الفضيلة والدعوة اليها ، فهى فضيلة انسانية قبل أن تكون اسلامية وفى قصص بعض الأنبياء كآدم وذى النون وأيوب وغيرهم ما يدعو الى التأمل والاعتبار .

والقصيدة وحدة متكاملة فى معالجة الموضوع ، ولهذا سأنقلها كاملة هنا : (١)

بنى يعرب هذى شريعة أحمد ∴ وهذى قوانين الهدى والفضيلة
لقد قام فى البيت العتيق وحوله ∴ رؤوس الأعادى من صناديد " مكة "
فقال ألا تدرون ما أنا صانع ∴ بكم وقد كنتم عداء لدعوتى
وأخرجتمونى من بلادى مشردا ∴ وجرعتمونى بالأذى كل غصة
وها أنتم فى قبضتى ، ورؤوسكم ∴ تطأطىء اذعانا لصادق صولتى
فقالوا أخ لا يقطن الحقد قلبه ∴ سيضفى علينا كل عطف ورحمة
فيا لجلال الوحى ، ها هو صوته ∴ تهز مثانيه كيان " الجزيرة "
يخاطب من كانوا قذى فى جفونه ∴ ومن هتكوا هزؤا به كل حرمة
ومن ناصبوه الشر ظلما وألبوا ∴ عليه جنود البغى من كل وجهة
عفا الله عنكم فاذهبوا اين شئتم ∴ جزاؤكم صفحى ، وأخذى بالتى (٢)

(١) ديوان من اليمن ص ١٠٨ .

(٢) هذه خلاصة لخطبته صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة والتى عفى فيها عن المشركين بعد تمكنه منهم وقدرته عليهم .

وكعب اتاه خائفا فأجاره ∴ وبايع "هندا" بل وقاتل "حمزة" (١)

وما كل ذى لب بعيد عن النوى (٢) ∴ ولو كان ما احتاج الورى للنبوة

يرى الله هذا الخلق والنقص عنصر ∴ يذكر من يهفو بضعف الخليقة (٣)

وآدم وهو الأصل مال بطبعه ∴ هوى ضعفه فاجتره للبلية

عصى ربه ثم ارعوى فأقاله ∴ وتاب عليه غافرا كل زلة

وذو النون "(٤) لبى صوته وهو يائس ∴ وفرج عنه كل هم وظلمة

"وأيوب"(٥) آواه وداوى جراحه ∴ وكشف عنه كل ضيق وكربة

خذوا سنة القرآن للخلق فالهدى ∴ سالكها يفضى الى خير شرعة

يعم بطامى عفوه كل تائب ∴ وتلك لعمر الله أجمل سنة

والقصيدة بهذا الأسلوب أشد تأثيرا وأدعى الى التأمل والاتعاظ فيما لو اتبعت طريقة النصح والارشاد المباشرين .

(١) "كعب" هو ابن مالك الشاعر المعروف صاحب قصيدة البردة الشهيرة وكان هجا الرسول صلى الله عليه وسلم فأهدر الرسول دمه فجاء معتذرا فعفا عنه وألبسه برده .

و"هند" هى بنت عتبة بن ربيعة زوج أبى سفيان قتل أبوها وأخوها فى بدر فلاكت كبد سيد الشهداء فى أحد بعد قتله وكانت وعدت قاتله بالعتق ان هو قتله فلما أسلمت بايعها رسول الله رغم فعلتها الشنيعة .

و"حمزة" هو ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله وحشى يوم أحد .

(٢) النوى التحول والانتقال من حال الى حال أو من مكان الى مكان .

(٣) اشارة الى قوله تعالى "وخلق الانسان ضعيفا" .

(٤) ذو النون يونس بن متى عليه السلام وقصته معروفة فى القرآن .

(٥) أيوب النبى عليه السلام ابتلاه الله فصبر ففرج الله عنه وشفاه .

والمهم فى الأمر أن هذه الدعوة الاصلاحية قد حمل لواءها علماء أفاضل ومعظمهم شعراء مبرزون فى الشعر ، ومن ثم كان لهذه الحركة تأثير بارز فى الهام الشعر تلك المعانى الاسلامية الواعية .

٢ - القضايا الاسلامية :

منذ أوائل هذا القرن والعالم الاسلامى يضج بالقضايا والمشكلات والأحداث منها الاقليمية ومنها القومية ومنها الاسلامية العامة ، وكان لكل نوع من هذه القضايا شعراؤها .

فكان الشعر العربى عامة موزعا بين قضايا اقليمية تخص كل بلد على حدة وقضايا قومية تهم العالم العربى وقضايا اسلامية تشمل العالم الاسلامى كله .

وهكذا كان شعراء اليمن فقد كان أكثر اهتمامهم بالقضية الوطنية الكبرى قضية الاستعمار فى جنوب الوطن والاستبداد والتخلف فى شماله كما سبق ، والى جانب ذلك كان لهم اهتمامات كبيرة بالقضية القومية فى مصر والشام والعراق والمغرب وكل جزء من أجزاء الوطن العربى . كما سيأتى .

ومع ذلك كله وبدافع من الوازع الدينى والوعى الاسلامى فقد اهتم الشعراء اليمنيون بالقضايا الاسلامية المعاصرة .

وأهم قضيتين شغلتا العالم الاسلامى فى أواخر الأربعينيات وما تلاها هما :

١ - قضية فلسطين والاحتلال الصهيوني لها عام ١٩٤٨م .

٢ - قضية دولة اسلامية ناشئة هي باكستان التي انفصلت عن الهند عام ١٩٤٧م .

١ - قضية فلسطين :

ففلسطين وهي أرض النبوءات ومسرى الأنبياء وتضم في جنباتها ثالث الحرمين الشريفين " القدس الشريف " وقد بذل المسلمون دماء غالية لتطهير هذا المسجد الشريف من رجس الشرك والوثنية والصليبية واليهودية جميعا وتم لهم ذلك مرتين في التاريخ الاسلامي .

كانت الأولى في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام ١٥ هـ وظل في أيدي المسلمين عدة قرون ثم احتله الصليبيون عام ٤٩٢ هـ - ١٠٩٩ م (١) وظلوا فيه قرابة مائة عام ، ثم أخرجهم منه السلطان الأيوبي صلاح الدين (٢) ، واستمر في أيدي المسلمين الى العصر الحديث حتى نشأت هذه القضية فكانت قضية المسلمين الأولى .

ومن ثم كانت مثار اهتمام كافة الشعراء العرب والمسلمين باعتبارها قضية قومية عند ناس وقضية اسلامية عند آخرين وقضية عربية اسلامية عند الأكثرين .

(١) كانوا خلالها في حروب دائمة مع المسلمين ولم يستقر لهم قرار حتى أخرجوا من القدس عام ٥٨٨ هـ ١١٩٢ م .

(٢) أنظر البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ١٥٦ و ٣٤٨ وما بعدها وتاريخ الاسلام لحسن ابراهيم ٤/ ٢٤٥ وما بعدها .

ومن هذا المنطلق جاء اهتمام كثير من شعراء اليمن المعاصرين بقضية فلسطين فالشاعر محمد محمود الزبيري قصيدة بعنوان " في سبيل فلسطين " تعد دعوة صارخه الى قادة العرب والمسلمين جميعا للنهوض واليقظة لحماية حقوقهم المسلوبة كي يشعر اعداء الأمة الاسلامية أن هناك أمة تستحق الحياة وتستوجب النظر اليها بعين الاعتبار ،وحينئذ لن يضيع حق وراءه أمة أبية ترى العزة والكرامة جزءا من دينها وعقيدتها وتتسابق الى الموت والشهادة أعظم من تسابق أعدائها الى اقتسام الغنائم .

(١)
تقول المقطوعة :

يا قادة العرب والاسلام قاطبة ٠٠ قوموا فقد طال بعد الصبح نومكم
شيدوا لنا في سموات العلى حرما ٠٠ نطوف حول ثريـاه ونستلم
متى يرى الانجليزيون ذمتنا ٠٠ كذمة حقها ترعى وتحترم
حتى متى نشتكي منهم ونسألهم ٠٠ رفع العذاب فما رقوا ولا رحموا
هم يدركون بأنا خاضعون لهم ٠٠ من ذلنا رغم ما جاروا وما ظلموا
لا نستحق حياة غير ما وهبوا ٠٠ ولا ننال حقوقا دون ما حكموا
لهم علينا قوانين وليس لنا ٠٠ الا الرضوخ لما قالوا وما التزموا
أنى يضيع حق دونه أمم ٠٠ أبية دينها الاقدام والشمم

(١) ديوان صلاة في الجحيم ص ٢٣ ٠

وكيف نخشى الردى والموت شيمتنا .. ونحن قوم على الآجال نزدحم

اذا تناسى الأعادى هول نجدتنا .. جئناهم بقلوب ملؤها نقم

فالأبيات تجمع الى سلاسة الألفاظ اتقاد الحس والتهاب المشاعر الدينية والتطلع نحو المعالى كل ذلك بأسلوب استنكارى ساخر نابع من روح الاسلام ، وللشاعر أيضا قصيدة أخرى تحدث فيها عن البلاد الاسلامية المنكوبة ،وقد خص فلسطين الجريحة بمقطوعة تحدث فيها عن هذا الجزء من الوطن الاسلامى بأسلوب حزين يفتت الأكباد ويدعو الى الأسى ،أحقا أن ذلك الجزء الغالى قطع من الجسم الاسلامى الكبير، وهل من العدالة أن يقر اللص الغاصب ويطرد صاحب الحق عن حقه ، والجواب نعم لأن هناك قوتين هما اللتان تحكمان قوانين العصر وسادته وهما النقود واليهود .

وينتهى الشاعر الى نتيجة طبيعية ، وهى أن نضال الشعوب وجهادها وتقديمها الضحايا ،لن يذهب سدى ،بل ان أنفاس الشعوب الأسيرة المهضومة كافية فى اقلاق راحة الظالم وزعزعة أمنه، وهذه هى المقطوعة : (١)

وفلسطين ذلك الوطن الغالى .·. لى أحقا قد اضمحل وجوده

قطعوا شلوه وقالوا مصاب .·. فادح ينبغى لنا تضميده

(١) مجلة " المسلمون " السنة الأولى العدد ٨ ص ٩٢ - ٩٥ الصادرة فى شوال ١٣٧١هـ ١٩٥٢م ، ونشرت مؤخرا فى كتاب " شعراء الدعوة الاسلامية " ٤٦/١ لأحمد الجدع وحسنى جرار .

كلما أوجسوا من الشعب خوفا ∴ سلموا أمره الى من يبيده

أمن العدل أن يقر ويستبـ ∴ ـقى على الغصب كل لص يجيده

يطرد الشعب من حماه ويستا ∴ ـثنى اليه من كل شعب طريده

لم يدمر هى قوانين هذا العصـ ـر الا نقوده ويهوده

سوف يحيا برغمهم مرة أخـ ∴ ـرى وان طال نومه وركوده

سوف يبنى الشعب الجديد ضحايا ∴ ه وتستنبت الحياة لحوده

نحن نبغى الفداء فما حجة الباغى علينا ماوعده وما وعيده

لو رأى أنفس الشعوب ∴ لاقشعرت سجونه وقيوده

والقصيدة فى جملتها حديث عن عالم الاسلام وقضاياه فى باكستان وكشمير وأندونيسيا والمغرب ،وهى من اكثر القصائد الاسلامية حماسا فى الشعر اليمنى المعاصر وأكثر تفاعلا مع قضايا وأحداث العالم الاسلامى وتطلعا الى يقظته ونهوضه .

٢ - قضية باكستان :

كانت أرض باكستان جزءا من دولة الهند الوثنية التى تضم خليطا من البشر وعددا من الأديان ،ويشكل المسلمون هناك رغم كثرة عددهم أقلية اسلامية بالنسبة لمجموعة سكان الهند ، ونبغ من بين المسلمين الشاعر الفيلسوف المسلم محمد اقبال ، ويعتبر من أوائل من نادوا بفكرة استقلال المسلمين عن دولة الهند واقامة حكومة خاصة بهم ،وقد عمل جادا حتى

نشر هذه الفكرة بين المسلمين فأصبحت بعد ذلك مطلبا اسلاميـــــا للمسلمين الهنود الذين يزيد عددهم على ١٥٠ مليون نسمة (١) .

وأخيرا تحقق هذا الحلم الذى ظل يراود المسلمين فى الهنـــــد عشرات السنين واستقل المسلمون وشكلوا دولة باكستان الاسلامية ، وكانت تضم قبل الانفصال الأخير عام ١٩٧١م باكستان الغربية و "بنغلاديش" وكانت هذه الدولة الفتية عند قيامها عام ١٩٤٧م محط أنظار المسلميـن ومعقد آمالهم .

ولهذا بوأها الشعراء العرب مكانا بارزا فى شعرنا العربى المعاصر وأشاد بها المفكرون والكتاب باعتبارها حلما من أحلام المسلميـن قـــد تحقق .

وقد شارك الشعراء اليمنيون فى ابراز هذا الحدث الاسلامى العظيم الذى أثلج قلوب المسلمين وأراح ضمائرهم عقب النكبات التى لحقت بهـم على امتداد الفترة الماضية .

فهذا الشاعر محمد عبده غانم يحتفى بميلاد باكستان احتفاء أهلهـا بها ويشارك شعب الباكستان تلك الفرحة وذلك الاستقلال الذى تنظر اليه

(١) انظر الموسوعة العربية الميسرة ص ١٨٣ ، وفلسفة اقبال ص ٣٥ للأعظمى وحاضر العالم الاسلامى ترجمة عجاج نويهض ٤ / ١٧٧ .

أمم الأرض - بما فى ذلك المسلمين - نظرة اعجاب واكبار ، وخصوصا أنها فى ظل زعامة قائد عظيم ومفكر كبير قوى الشخصية متين الخلق شهم المروءة كريم الأصل ثابت الخطوات ، رائده الصدق ، يدور مع الحق حيث دار ذلك هو القائد محمد على جناح ، وهذه هى تحية غانم لدولة باكستان فى العيد الأول لاستقلالها (١) :

اليوم يومك باكستان فاغترفى ∴ من منهل بالنمير العذب سيال
هذى الشعوب شعوب الأرض قاطبة ∴ ترنو اليك بطرف المعجب الكالى
شقى طريقك فى ظل " الجناح " فما ∴ خابت بلاد لها من ظله والى (٢)
زعيم شعب عظيم فى زعامته ∴ مؤيد بالعجى والعلم والمال
وبالمتانة والأخلاق تعرفها ∴ فى وجه شهم كريم العم والخال
الصدق مبدؤه والحق رائده ∴ مهما تقلبت الدنيا بأحوال

وربما كان الزبيرى أكثر الشعراء اليمنيين تفاعلا مع القضية الباكستانية وانفعالا بها وبمبادئها الاسلامية وخاصة لأنه عاش سنواتها الأولى هناك وشاهد أحداثها عن كثب ورأى تفاعل الشعب الباكستانى بها ، ومن ثم جاء وصفه لتلك الأحداث دقيقا وتأثره بها نابعا من الروح الاسلامية والأخوة الايمانية .

(١) ديوان موج وصخر ص ٥٧ .
(٢) محمد على جناح زعيم باكستانى ورائد الاستقلال فيها .

وللزبيرى قصائد عديدة قالها تخليدا لاستقلال باكستان وقائدها محمد على جناح أو غير ذلك مما يتصل بقضية باكستان كقضية اسلامية بحته ،اكتفى منها بالنماذج التالية :

١ - القصيدة النونية الشهيرة ومطلعها (١) :

اليوم ولى بباكستان ماضينا ∴ نحس وقع خطاه فى مغانينا

وفى القصيدة تمجيد وتخليد لأرواح الشهداء الذين قدموا أنفسهم راضين لتحيا الأجيال من بعدهم حياة اسلامية كريمة ، لقد أكلت القبور ملايين من أولئك الشهداء أيام احتدام الصراع مع الانجليز من ناحية ومع الهندوس عباد البقر من ناحية ثانية ،ومع ذلك فلم يرضى المسلمون أن يذلوا لأصنام ،وقد جعل الله لهم العزة والكرامة فى الاسلام ،لم يرضى المسلمون ذلك ولو كان فيه ما فيه من التضحيات . ان فى دينهم مايدعو الى العزة والمنعة ، وفى تاريخهم من الأمجاد مايدفع الى التضحية والاستماته فى سبيل الله الذى بيده مقادير السماوات والأرض وقد وعد المؤمنين بالعز والتمكين ان هم استقاموا على أمره وأقاموا فرائضه .

يقول الزبيرى :

ماأكرم الشهداء الطهر اذ وهبوا ∴ لنا الحياة وذاقوا الموت راضينا

أيام كان الصراع المر يطعم أفـ ∴ ـواه القبور ملايينا ملا بينا

(١) ديوان سلمة فى الجحيم ص ١١٠ .

وكان روح كتاب الله يبعث جنـ ∴ ـد الله للموت يباهين زاهينـا

أبى لهم دينهم أن يتركوا بقرا ∴ تحو السماوات أو تلغى النبيينا

وأن يذلوا لأصنام وقد جعل الـ ∴ اسلام عزتهم فى دينهم دينـا

وأن يضنوا بأرواح معذبـة ∴ لكى يعيشوا عبيدا مستضامينـا

وأن يسيروا ،وهم أسد ،زعانفة ∴ وأن يكونوا وهم كثر ، قليلينـا

وأن تضيع قوى الروح التى صنعت ∴ فى ألف عام لهم صنعا وتكوينـا

أو يأخذوا من يد الرحمن ماوهبـت من الكنوز فيعطوها الشياطينا

لما وفوا بعهود الله واتحـدوا ∴ على الكفاح وعاشوا مستميتينـا

هب " الجناح " فلباهم وطار بهم ∴ الى معاقلهم غرا ميامينـا

أراهم آية اللـه التى كتـب ∴ للمؤمنين بهـا عزا وتمكينـا

والأرض لله لا يلقـى مقادتها ∴ للعاجزين ولا يعطى الأذلينا

أنها من أروع قصائد الشعر الاسلامى المعاصر روحانية وطهرا اذ أنها تعيد للمسلمين ثقتهم بأنفسهم وبدينهم وتدفعهم الى التضحيـة والجهاد وتغرس فى نفوسهم معانى الشرف والعزة والقوة والمنعة .

٢ - وفى عيد ميلاد القائد الباكستانى محمد على جناح عام ١٣٧١ هـ ينشى " الزهيرى قصيدة عصماء بتلك المناسبة أشاد فيها بقيادة ذلك القائد الفذ وحنكته وشجاعته الذى انتشل أمته من تلك الظلمـات التى كانت أمم الهند غارقة فيها ، وأخرج منها أمة طموحا سوثبـه الى المعالى مجاهدة قوية ،

وهذه بعض أبيات تلك القصيدة (*) :

وعاش " جناح " فى السماء معلقا ∴ طموحا الى عليائها متوثبا

يكاد اذا ما احتك فى النجم يشعل ∴ السهى كثقاب من ثقاب تلهبا

يكافح أعداء ويصنع أمة ∴ ويقتاد آسادا وينجب أعقبا

يقولون غالى فى الطموح وما درروا ∴ بأن له قلبا من الأرض أرحبا

يفكر فيما لا يفكر قومه ∴ به ويريهم أبعد الأمر أقربا

ويشعل فيهم من حماس يحسه ∴ لرأى له لم يفقهوا منه مطلبا

وأثقل أعباء العلى خلق أنفس ∴ تضحى لأمر لا يزال مغيبا

فالقصيدة من روائع الزبير ومن اكثرها دلالة على فكره الاسلامى عمقا وشمولا وفيها من قوة الأسلوب وجمال الألفاظ وسمو المعانى وجدتها أحيانا ما يجعلها من مختارات الشعر العربى المعاصر ، فالبيت الذى قبل الأخير مثلا رغم أن معناه مأخوذ من قول " قريظ بن أنيف " (١) :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ∴ فى النائبات على ما قال برهانا (٢)

الا أن الشاعر استغل المعنى استغلالا جيدا فى الرفع من شأن الممدوح وجعله قائدا فذا وشخصية مؤثرة وقادرة على خلق الطاعة فى الجنود وتنفيذ الأوامر دون نقاش ثقة منهم بعظمة قائدهم وسداد رأيه .

(١) أحد رجالات بنى المنبر احد القبائل العربية قال التبريزى فى شرح الحماسة ١ / ٣ وهو شاعر اسلامى ولم يوجد له ترجمة فى معاجم الأدباء .

(٢) شرح الحماسة للتبريزى ١ / ٥ .

(*) ديوان صلاة فى الجحيم ص ١٢٧ .

أما البيت الأخير فيتضمن معنى اسلاميا عاليا يبدو أنه من مبتكرات الزبيري في الشعر المعاصر فلم يفطن اليه فيما أعلم أحد من الشعراء وقد أوجزه في أخصر لفظ ولكي نوضح هذا المعنى نحتاج الى عدد من الأسطر.

فالشاعر يريد أن يقول : ان من أصعب الأمور وأثقل التبعـــات - لادراك المعالي وبلوغ المجد والسؤدد - بناء النفوس وتربية الأجيال تربية اسلامية ترفعها الى مقام التضحية والفدى وتقنعها بما أعده الله لها وهو أمر لا يزال غيبيا بالنسبة لنا كبشر ،وخصوصا اننا ميالون بطبعنا الى القريب العاجل وايثاره على البعيد الآجل .

٣ - وهناك نموذج ثالث من شعر الزبيري الاسلامي ألقاه في مؤتمر اسلامي حاشد في باكستان ضمن قصيدة " عالم الاسلام " (١) التي تعد شعلة من الحماس الاسلامي وقد تعرضت لكثير من قضايا العالم الاسلامي الرئيسية في حينها ،وكان استقلال باكستان احدى تلك القضايا كما أن مشكلـــة كشمير هي الأخرى من أهم القضايا التي اهتم بها الشاعر في قصيدتـه المذكورة ففيما يخص باكستان دعا الشاعر المؤتمرين الى تأييد الشعـــب الباكستاني في قضيته العادلة والوقوف الى جانبه فهو جزء من العـالـم الاسلامي ، فأي كيد له انما هو كيد للعالم الاسلامي كله .

وأرض كشمير جزء من أراضي باكستان يشهد بذلك الضحايا التي قدمها المسلمون في سبيل تحرير هذا الجزء من قوى الاستعمار والوثنية .

(١) القصيدة ليست في الديوان المطبوع ،وقد نشرتها مجلة " المسلمون " المصرية في سنتها الأولى العدد (٨) ص ٩٢-٩٥ لسنة ١٩٥٢م.

يا ضيوف الاسلام فى شعب باكستان حى عليكم تأييده

أنتم ذخره وأنتم أمانيه الغوالى وشدوه ونشيده

فى يديه حق فلا تخذلوا الحق وأنتم حماته وجنوده

أمره أمركم لكم منه ماكان سواء نحوسه أو سعوده

فاحذروا أن تحايدوا ان هذا الشعب منكم يكيدكم من يكيده

أرض كشمير أرضه والثرى الطاهر فيها آباؤه وجدوده

صنعوا من دمائهم ذلك الوادى فمنها أفوافه وبرود

ليس يخلو من عرفهم فى ثرى كشمير لا ورده ولا عنقوده

لو تقام الفتوى لأيد باكستان حتى أوثانه وهنوده

سند المسلمين فيه الضحايا ∴ وشهود العدو فيه نقوده

مارأينا الأوطان تشرى بمال ∴ انما يملك التراب شهيده

وقد طوف الشاعر عبر هذه القصيدة فى أجزاء كثيرة من العالم الاسلامى كما أشرت من قبل وختمها بهذه الأبيات :

عالم واحد وان زعمته ∴ ألف شعب ثغوره وحدوده

عالم مسلم عنيد فلا ∴ تهنيده ممكن ولا تهويده

سوف يبقى حقيقة الأرض ∴ ثم يفنى عدوه وحسوده

وللشعر اليمنى مشاركة فعالة فى أهم قضايا وأحداث العالم الاسلامى من أقصاه الى أدناه ولم يكن بمنأى عن هذه الأحداث رغم ماكانت تعانيه البلاد من تخلف وقهر وجهل .

فلم تكن هذه المعاناة بقادرة على ابعاد الانسان اليمنى أو الشاعر اليمنى عن الساحة الاسلامية التى غذته بالأفكار والمبادئ والمثل العليا على مدى ثلاثة عشر قرنا من الزمن .

فلا غرو اذن أن تحتل القضايا الاسلامية الكبرى مكانة مرموقة فى الفكر اليمنى شعرا ونثرا .

٣ - المناسبات الدينية :

المناسبات الدينية هى احدث الروافد التى يتكون منها الشعر الاسلامى فى شعر اليمن المعاصر كما هو الحال فى الشعر العربى عموما .

فالى جانب الدعوات الاصلاحية والقضايا الاسلامية المتعددة التى كانت موضع اهتمام الشعر اليمنى - نجد أيضا شعرا اسلاميا يشيد بفضائل الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاته الحميدة وأخلاقه الرفيعة ودعوته وجهاده ويدعو الأمة الى الاقتداء به ويحذرها من مخالفته عملا بقوله تعالى (١) " فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنه أو يصيبهم عذاب أليم " .

ولعل من أهم المناسبات التى استغلها الشعراء فى هذا السبيل هى مناسبة ذكرى مولد النبى صلى الله عليه وسلم وقصائد هذه المناسبة فى الشعر اليمنى المعاصر كثيرة ومتعددة الأساليب نكتفى منها بالنماذج التالية :

(١) سورة النور .

(٢) لم يكن الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم من الأعياد المشروعة فى الاسلام كعيد الأضحى وعيد الفطر ولم تكن مأثورة أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن صحابته الكرام سلف هذه الامة ويسعنا ماوسعهم ، غير أنها أصبحت من الأمور المعتادة فى بعض البلاد =

١ ـ فالشاعر احمد محمد الشامى له قصيدة بعنوان " محمد رسول الله "
أنشدها فى حفلة لذكرى المولد النبوى بعدن عام ١٩٤٤م بين فيها
حال البشرية قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وما كانت تعانيه من آلام
الجهل والظلم والبؤس والشقاء فجاءها محمد صلى الله عليه وسلم هاديا
ومرشدا ، شعاره العدل والشورى والمساواة بين أبناء البشر فى الحقوق
والواجبات وناال عليه الصلاة والسلام فى سبيل ذلك أنواع الأذى فصبر
واحتسب ذلك لله وثبت كالطود العظيم فكان جزاؤه النصر والعزة والتمكين
فى الدنيا والثواب والحمد فى الآخره (١) :

يامنقذ الانسان من آلامه .. بالخير والحق الذى يهواه
الكون كان بجهله فى ظلمة .. انسانه لا يستبين خطاه
ضلت مسالكه على رواده .. فتعثروا متسكعين وتاهوا
قد كنت مرشده الأمين الى الهدى ودليل حائره وكنت سناه
وأبنتها سمحاء لا عوج ولا (٢) أمت ولا ظلم ولا اكراه
العدل والشورى شعار دعاتها .. والحق فيها لا يباح حماه
والناس فى دستورها الاعنصر .. يسمو بفرد منهم أوجاه
والأمر لا ارث يوزع أسهما .. فيناله السفهاء والأشباه

= الاسلامية ، ومن هنا فلا أرى مانعا من استغلال مثل هذه المناسبة فى تذكير الأمة بأمجادها وارشادها الى مافيه صلاحها ودعوتها الى الخير وتحذيرها من المخالفات على ان هذا لا يكون احتفالا بذكراه صلى الله عليه وسلم بقدر ماهو دعوة الى الاقتداء به والعمل بسنته عليه الصلاة والسلام .

(١) ديوان من اليمن ص ١٤ .

(٢) الأمت العوج كما فى القاموس .

والمال كسب لا يضر وربه ∴ يشقى به الا اذا زكاه

أوذيت لما قمت تدعو صابرا ∴ الله محتسبا تريد رضاه

وثبت كالطود الأشم وهكذا الرجل العظيم ثباته سيماه

وصبرت تستلقى الحوادث باسما ∴ والصبر تحمد فى الورى عقباه

صفحا رسول الله انا معشر ∴ عادوا عن الحق القويم وتاهوا

لو قمت راعتك الحياه وظلمها ∴ والأرض والعيش الذى تحياه

زندیقها نبراس كل فضيلة ∴ وجهولها المتعبد الأواه

وسفيهها اللبق الذكى ولصها الـ ـحامى الأمين وناسها الأشباه

كنا هداة العالمين شعارنا الـ ـحق القراح وهديه وسناه

واليوم لو بعث النبى لراعه ∴ أنا أضعنا دينه وهداه

فالقصيدة دعوة الى الحق والخير والاستقامة على هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم والعودة الى تاريخنا وأمجادنا لكى ترتفع راية العرب والمسلمين خفاقة كما كانت ،وهذه كلها معان اسلامية صحيحة .

وبهذا الأسلوب يكون مثل هذا الاحتفال بذكرى المولد النبوى احياء لشعائر الاسلام وبعثا لمبادئه وأخلاقه فى نفوس المسلمين ومحاربة الظلم والجهل والزندقة والانحراف والفساد وغيرها من الأمراض الفتاكه التى تعج بها المجتمعات الاسلامية اليوم .

٢ - وللاستاذ البردونى بهذه المناسبة قصيدة بعنوان " بشرى النهوة " ألقاها فى الحفل الذى أقامته وزارة التربية والتعليم عام ١٣٧٩ هـ وفيها يشيد بالنور الذى جاء به محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ويندد به الظلمات وأعزى به الظالمين والطغاة الذين اغتموا لبعثته صلى الله عليه وسلم كما يغتم اللصوص عند سطوع الكواكب السارية والأقمار المشرقة كما يقول الشاعر :(١)

وفاض بالنور فاغتم الطغاة به ∴ والليل يخشى سطوع الكوكب الساري
والوعى كالنور يخزى الظالمين كما ∴ يخزى لصوص الدجى اشراق أقمار
نادى الرسول نداء العدل فاحتشدت ∴ كتائب الجور تنضى كل تيار
كأنها خلفه نار مجنحة ∴ تعدو وقدامه أفواج اعصار
فضج بالحق والدنيا بما رحبت ∴ تهوى عليه بأشداق وأظفار
وسار والدرب أحقاد مسلخة ∴ كأن فى كل شبر ضيغما ضارى
وهب فى دربه المرسوم مندفعا ∴ كالدهر يقذف أخطارا بأخطار
فأدبر الظلم يلغى هاهنا أجلا ∴ وهاهنا يتلقى كف جفار
والظلم مهما احتمت بالبطش عصبته ∴ فلم تطق وقفه فى وجه تيار
مضى الى الفتح لا بغيا ولا طمعا ∴ لكن حنانا وتطهيرا لأوزار
فأنزل الجور قهرا وابتنى زمنا ∴ عدلا تدبره أفكار أحرار

(١) ديوان فى طريق الفجر ص ٥٠٧ من مجموع دواوين البردونى .

وهكذا تمكن الشعر من خلال هذه المواقف التاريخية ونبش الماضي من اثارة المشاعر والأحاسيس بمشكلات وقضايا معاصرة يعاني منها المجتمع فالظلم هو الظلم ومهما تطل فترة رواجه فان مصيره الى الزوال والانهيار " فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض "(١) .

فالظلم الذي كان سائدا قبيل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لم يثبت أمام الحق والعدل والحنان والطهر الذي نزل بها القرآن .

وهكذا الظلم السائد اليوم فنهاية الظالمين واحدة على مدى التاريخ .

٣ - وبالمناسبة نفسها نستمع الى هذا المقطع من قصيدة دالية للأستاذ محمد سالم البيحاني ألقاها في جامع العسقلاني بعدن عام ١٣٧٠هـ بين فيها حال العالم قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، فالروم في الشام والقياصرة في فارس يتحكمون في مصائر الشعوب ، والعرب أمة جاهلة لا تفقه من أمرها شيئا ، غير أنها ترسف في حماقاتها وضلالاتها تعبد الأشجار والأحجار وتئد البنات وتستعد للغارات فيما بينها ، حتى جاء النور الساطع الذي بدد الظلمات ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذه مقطع من القصيدة :(٢)

ياليلة ولد النبي محمد .. في صبحها طابت وطاب المولد

ذكرى مواليد الرجال وموتهم .. تبلى وذكرى أحمد تتجدد

(١) سورة الرعد آية ١٧ .

(٢) ديوان العطر اليماني من أشعار البيحاني ص ٥٠ .

من أجل أن الناس في ظلماتهم ∴ يتخبطون فجاء هذا المرشـــد

والأرض ترسف في القيود وقيصر ∴ في الشام يطلق تارة ويقيـــــد

والفرس تفترس البلاد وأهلهـــا ∴ والناس تحت سرير كسرى تسجد

والدين دين المشركين وجاهل ∴ متنصر أو غـــادر يتهـــــود

والنار والأشجار والأحجار والأفـــــلاك من دون المهيمـن تعبـد

والظلم والظلمات والطغيان في ∴ طول البلاد وعرضهـــا يتصعد

والكون ينتظـر الخلاص بأحمد ∴ والكتب تخبـر بالنبي وتوعـد

فاذا بنور ساطع من مكـة البـــ ∴ ـلد المقـدس للظـلام يبـدد

فهذا شعر اسلامي واضح الدلالة خطابي الأسلوب ألفاظه وتراكيبه كلها تدل على أن وراءها شاعرا اسلاميا مخلصا لدينه وعقيدته ، وهكذا كان البيحاني رحمه الله .

هذا قليل من كثير من القصائد اليمنية في ذكرى المولد النبوي أكتفيت بها وأعتقد أنها مفيده في الدلالة على أهمية شعر المناسبات الدينيـــة باعتباره ملمحا من ملامح الاتجاه الاسلامي في شعرنا المعاصر .

* *

المناسبات الاجتماعية :

المناسبات الاجتماعية ظاهرة استغلها الشعراء فى خدمة كافة الاتجاهات والتيارات السياسية والدينية ، ولعل أبرز المناسبات أو الأغراض فى خدمة الاتجاه الاسلامى فى الشعر اليمنى المعاصر ظاهرة التأبين أو الرثاء .

فالموت - كما نعرف - أشد تأثيرا على النفوس وأدعى الى الاستقامة والالتزام والاخلاص .

على أن فى وفاة أو استشهاد علم من أعلام الاسلام أو زعيم من زعماء الدعوة والاصلاح أطيب مناسبة للدعوة الى الاقتداء بهم ونشر مآثرهم وتتبع سيرهم والسير على منهاجهم ، ولا سيما اذا شارك الشعر فى تخليد ذكراهم وتمجيد أعمالهم .

ويحتل شعر الرثاء فى الشعر اليمنى المعاصر مكانة مرموقة اذ كان يتخذ وسيلة لتأبين الشعب والدعوة الى اصلاح الوضع الى جانب تأبين الفقيد .

وشعر الرثاء فى اليمن - فى معظمه - شعر اسلامى اذ أنه يمجد فى المرثى صفات اسلامية عالية كحسن الخلق والدعوة الى الخير والعفة والنزاهة ومحاربة الظلم والابتعاد عن الذنوب والآثام والتشنيع على اعداء الاسلام فى محاربتهم للدين ودعاته ومرشديه الى غير ذلك من المعانى الاسلامية

التى كان يتحلى بها المرثيون ، وهذه بعض نماذج الرثاء فى شعرنا اليمنى المعاصر وهى - كما قلنا - من صميم الشعر الاسلامى فكرا وتعبيرا .

١ - ففى عام ١٩٤٠م انتقل الى رحمة الله الأستاذ المجاهد احمد عبد الوهاب الوريث صاحب مجلة الحكمة فرثاه الشاعر احمد محمد الشامى بقصيده همزيه كانت من أوائل محاولات الشامى الشعرية وكان الوريث واحدا من رواد الفكر الاسلامى المعاصر فى اليمن وزعيما من زعماء حركة الاصلاح الحديثة ولهذا جاءت المرثاة معبرة عما يجيش فى صدور وضمائر اليمنيين جميعا نحو هذا الفقيد الغالى .

(١)

وهذه بعض أبيات المرثاة :

يابن الوريث عن الشمس ∴ سر هالك الرثاء

لو استطاعت أبانت ∴ عن حزنها الفصحاء

كانت اليك تولى ∴ وجوهها الضعفاء

والظالمون يخافو ∴ ن منك والسفهاء

وكنت تزحف ثبتا ∴ وفى يديك اللواء

بحكمة واتزان ∴ وحولك الأوليا ء

تدعو الى كل خير ∴ كما دعا الأنبيا ء

(١) ديوان " من اليمن " للشامى ص ١٩٠ .

واليوم قد خمد الصو .. ت واستحال الضياء

يابن الوريث ابتهال .. صلاتك والدعاء

فى الخلد فانعم سعيدا .. لنا سيبقى الشقاء

والأبيات على الرغم من بساطة تعبيرها وضعف تراكيبها الا أنها تحمل أفكارا سامية ومعانى ذات دلالات مؤثرة وهى تؤدى الغرض منها بين عامة الناس على خير وجه ويكفى أن نعلم أن الوريث ظل وفيا لشعبه وأمته طيلة حياته ومات شاهرا قلمه داعيا الى الخير ومحاربا لنوازع الشر .

٢ - وبعد سنوات قليلة من وفاة الوريث فقدت اليمن علما آخر من أعلام نهضتها ورمزا من رموز العفة والنزاهة والبعد عن الحرام هو القاضى يحيى بن محمد الأريانى رئيس الاستئناف ،وقد توفى فى عام ١٣٦٢هـ ١٩٤٥م وكانت اليمن آنذاك تمر بظروف قاسية فهى بحاجة الى رجال مثل الفقيد فى علمه وعمله وترفعه وطهره وبعده عن التضليل والتزوير .

وقد رثاه الأستاذ محمد محمود الزبيرى بقصيدة تعد من روائع شعر الأربعينيات معانى وصياغة وألفاظا ،ومنها نختار هذه الأبيات : (١)

(١) ديوان صلاة فى الجحيم ص ٨٣ .

يحمى مصابك هذا الشعب وانحطمت ∴ قواه وهو لعمرى فيك معذور

علمته الخلق الأسمى وكنت له ∴ كصحف فيه تحذير وتبشير

نزهت نفسك عن سحت قد انغمست ∴ فيه الأكف الأثيمات المشاهير

يرون قطع يمين اللص جائحة ∴ وحظ أيديهم لثم وتوقير

ذنب الصعاليك مخزاة ومعصية ∴ وذنبهم فيه تهليل وتكبير

لا يؤخذون بما غلوا وما اختلسوا ∴ كأنما العلم للاجرام تحرير

لله أنت ظلمت المجد فاجتمعت ∴ أطرافه واستقاه منك تامور

وهام فيك هياما لا هدوء له ∴ كأنه فيك محصور ومقصور

بنيت جنة عدن بالعفاف وقد ∴ تبنى جهنم للناس الدنانير

والعلم ان لم يطهر قلب حامله ∴ من الهوى فهو تضليل وتزوير

والقصيدة تهدف الى أكثر من غرض فبالاضافة الى كونها تأبين للفقيد فهى ابراز لمحاسن الاسلام وفضائله فى محاربة السحت والرشوة وأكل حقوق الآخرين بغير حق كما أنها دعوة الى العمل بالعلم وتهذيب النفوس به .

وفوق هذا وذاك فالقصيدة تصوير حى للوضع المتردى الذى يسود البلاد وهى جزء من الوطن الاسلامى الذى يفترض أن يسوده العلم والحضارة والغنى بدلا من الجهل والتخلف والفقر.

ولم تكن مرثيات شعراء اليمن الاسلامية قاصرة على علماء اليمن ورجالاتها الفكر فيها فحسب بل انها شملت علماء الاسلام ورواد الفكر الاسلامى المعاصر

فى بقاع شتى من العالم الاسلامى من أمثال الشهيد حسن البنا فى مصر والأستاذ أبى الأعلا المودودى فى باكستان . والأستاذ الداعية الفضيل الورتلانى فى الجزائر وغيرهم ،فقد أشاد الشعر اليمنى بجهاد هـــؤلاء ونوه بجهودهم فى سبيل أعلاء كلمة الله والدين .

ولما كان الامام الشهيد حسن البنا هو رائد الصحوة الحديثة فى العالم الاسلامى وبانى مجدها فقد كان لاستشهاده عام ١٩٤٩م صدى واسع على مستوى العالم الاسلامى والدولى بلـــه عن العالم العربى ،وكان حادث اغتياله من أبرز أحداث العالم العربى فى أواخر الأربعينيات ، وقد انعكست أصداء ذلك الحدث على الشعر العربى عموما وتغير مجرى الأحداث بعد ذلك ، وكان لشعراء اليمن من ذلك نصيب :

٣ - ففى الذكرى الثالثة لاستشهاد الامام حسن البنا تجود قريحـــة الشاعر احمد الشامى بقصيدة من أروع قصائد الشعر اليمنى حينذاك وأقدرها على التصوير والبيان وأقواها حجة وبرهانا .

(١)

والقصيدة طويلة وهذه بعض أبياتها :

يا يراع أصـــخ لذكـــرى امـــام ٠٠ عاش مستبسلا ومات شهيـــدا

جسمته ارادة اللـــه للحـــق ٠٠ مثالا وقائدا صنـــديـــدا

كان صوتا علـــت به دعوة الديـــ ٠٠ ـن تشـــجى وتفرى السدودا

(١) ديوان من اليمن ص ١٨٦ .

صوت حر تفزعت خيفة منه عسرو ∴ ش وأوشكت أن تميـــــدا
صوت هدى أصغت اليه البرايـا ∴ تستقى منه حلمها المنشودا
فجرته السماء ينبوع نـــــور ∴ لبنى الأرض لم يزل مـــوردا

خنقته يد الضـــلالـــة غـــدرا ∴ فهوى سافر الجلال حميـدا

يالها من جريمـــة لغشـــــوم ∴ كان للبغى والضلال عميـدا

نصبته ارادة الشـــر للاســـلا ∴ م فخا يطارد التـوحيـــدا

فتمطى على العقـــول ظلامـــا ∴ وتصـدى على المحارم سيـدا

وتحدى ارادة الشعب والديـ ∴ ـن وغل النهى وأدمى الجلودا

حطمت خسة الطواغيت سيفـــا ∴ كان فى مهجة الخنا مغمودا

وأراقت دمـــا زكيـــا وأبلـــت ∴ مقولا صارما ورأيـــا سديـدا

فتذكر الشاعر للامام حسن البنا لم تكن وراءه دوافع قومية أو اغـــراض سياسية ،لقد كان حسن البنا بحق هو رجل هذه المرحلة يشهد بذلك أصدقاؤه وخصومه على السواء ، كان داعيا اسلاميا ناجحا ومرشدا ربانيـا ملهما ،ومن هنا جاءت قصيدة الشامى تحمل بعض سماته التى كانت مثـار اعجاب كثير من الشعراء والكتاب فى العالم الاسلامى .

٤ - وتمضى الأيام والسنون فتعاودنا ذكرى الاغتيال والاستشهاد ولكنـه هذه المرة على أرض اليمن نفسها واذا باليمن تفجع فى واحد من أعز أبنائها انه الأستاذ الشهيد محمد محمود الزبيرى شاعر اليمن وأبـو الأحرار.

كان الزبيرى عالما من علماء الأسلام قضى حياته داعيا ومجاهدا فى سبيل الاسلام ورفع مستوى العالم الاسلامى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وتبنى قضايا اسلامية ودعا الى نصرتها كما رأينا من عمل فى قضية باكستان وكشمير وغيرهما .

وكانت قضية اليمن شماله وجنوبه تجرى فى عروقه ودمه ،وكان هدفه الأول من محاربة الامامة اصلاح وضع اليمن عن طريق الاسلام الصحيح الذى جاء به القرآن وشرحته سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،الاسلام الذى هو قول وعمل وعلم وحضارة وتقدم ورقى وحرية وشورى ،وبهذا تمكن الزبيرى ورفاقه من تقويض أركان الامامة التى كانت تدعى الاسلام وتحارب كل دعوة اصلاحية تقوم فى اليمن .

ومن هذا المنطلق كان للزبيرى مكانته المرموقة فى اليمن خاصة وفى العالم الاسلامى عامة وفقده فقد العالم الاسلامى واحدا من أبر أبنائه وفقدت اليمن زعيما مخلصا ومجاهدا وفيا من أقوى شخصياتها البارزين فى هذا العصر .

ومن ثم كان لاستشهاده حدث كبير وأثر بالغ فى نفوس اليمنيين عامة والشعراء بوجه خاص ،وقد رثاه الشعراء بقصائد كثيرة ومن وجهات نظر متعددة كانت وجهة النظر الاسلامية أصدقها لهجة وأقواها أثرا لمطابقتها للواقع الذى عاشه الزبيرى ولأنها تمثل الهدف الذى من أجله مات رحمه الله .

وسأكتفى هنا بقصيدة الأستاذ حسن الذارن وقد أنشأها بمناسبة الذكرى الرابعة لاستشهاد الزبيرى ، وفيها يقول :(١)

كم حقق الأهداف والآمـــالا ∴ حد أقام من الفخـار مثـالا

وكم اعتلى قمم النجـاح مجاهدا ∴ خاض الغمار وصارع الأهـوالا

المجد أسمى مطلـب لمناضـل ∴ قهر الصعاب ومزق الأغـلا لا

ومضى جريئا نحـو أكرم غايـة ∴ تهنى الحياة وتنشىء الأجيالا

يا للبطولة اذ يمثـل سرهـا ∴ بطل نشيد بذكره اجـلالا

ونفاخر الدنيا بأروع رائـــد ∴ نشر البيان وأيقظ الأفكارا

وسرى بأرباء البسيطة نظامـه ∴ حتى غدا قبسا لنا ومنارا

وأنار من سحر البيـان عقولنـا ∴ حتى عدمنا السجن والأسوارا

وتمثلت أهدافنـا فى نظمـه ∴ صورا لشعب أنجب الأحرارا

ورأى الزبيرى الأمين عقيـدة ∴ تهنى الخلود وتدرأ الأخطارا

فهنا شعر اسلامى جيد فى معانيه وألفاظه فقد أبانت هذه المقطوعة ان الزبيرى خاض غمار الجهاد وصارع الأهوال من أجل مطلب سام وغايـة نبيلة ، وهى بناء الحياة وتنشأة الأجيال على أسس اسلامية سليمة وكافية فى بناء المجد ودرأ الأخطار التى تتعرض لها الشعوب من حين لآخر .

(١) ديوان من سرحات الايمان لحسن الذارن ص ٦٩ .

والمقطوعة قمة فى أفكارها ومعانيها ولكنها بحاجة الى صياغة فنيـــة أحكم وأسلوب أدق - قوة فى التعبير وجزالة فى الألفاظ - يلائم الغـــرض منها .

ويظهر أن الشاعر كان فى بداية تجربته الشعرية ولهذا لم تسلـــم قصيدته من بعض الهنات الفنية ، شأنه شأن كافة الشعراء المبتدئين .

* * *

* *

*

" المبحث الثالث "

" الشعر القومي "

الاتجـــاه القومـــى :

ظهرت الروح القومية بين العرب فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر كأثر من آثار المنجهية فى الحاكمين الأتراك التى تبدت واضحة عقب تنحية السلطان عبد الحميد عن الخلافة الاسلامية (١) ، وظهور الحركات القومية الداعية الى الطورانية التركية " كحزب الاتحاد والترقى " " وتركيا الفتاة " وغيرها .

وهذه الأحزاب - بدعوتها القومية ومفاخرتها بطورانيتها - أحدثت رد فعل عند العرب وحملتهم على النهوض الى القومية العربية وأيقظت فيهم روح المفاخرة بمجدهم القديم وتاريخهم وماضيهم التليد .

ولهذا ظلوا ينتهزون كل فرصة سانحة للثورة ، ويعلنون تمردهم عقب كل حرب يخرج فيها الأتراك مهزومين (٢) .

وكانت الشام أول أجزاء العالم العربى تأثرا بالفكرة القومية ، بينما كانت الحجاز واليمن أول بلدين عربيين تشتعل فيهما الثورة المسلحة ضد الأتراك فى أوائل هذا القرن (٣) .

(١) فى عهد السلطان عبد الحميد كانت تتلاشى كافة العنصريات القومية والأحساب والأنساب وتندرج كلها تحت اسم " الجامعة الاسلامية التى تبناها السلطان ودعا اليها وأيده فيها كثير من المفكرين والأدباء والشعراء والكتاب العرب .

(٢) أنظر الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ٢/ ٩٩ لمحمد محمد حسين .

(٣) حاضر العالم الاسلامى ترجمة عجاج نويهض ٢/ ١٠٧

على أن هذا الاتجاه القومى لم يلبث أن تحول بعد تقسيم البلاد العربية بين المستعمرين الى اتجاه وطنى من جهة وجهاد اسلامى من جهة أخرى لمقاومة الاستعمار الأنجليزى والفرنسى بعد أن اتضحت أهداف الانجليز والفرنسيين ومطامعهم فى المنطقة ، وعرف العرب أنهم كانوا مخدوعين .

ولم يتبين العرب هذا الأمر الا فى العشرينيات من هذا القرن عقب الاقتسام الذى قامت به دول الاستعمار لتركة الرجل المريض " تركيا " الاسلامية بعد تمزيقها .

وطيلة فترة التحرير التى خاضتها الشعوب العربية كانت راية الاسلام والدفاع عن الوطن هى المرفوعة ، وتحت هذه الراية تحركت الشعوب وأذاقت الاستعمار ألوانا من العذاب وأرته كيف تكون التضحية والفدى وظل هذا المفهوم المزدوج سائدا طيلة هذه الفترة لكن نعرة القومية العربية عادت من جديد فى منتصف الأربعينيات وظهرت فى شكل أحزاب وشعارات متعددة ، وبدأ المفهوم القومى بمعناه الحديث يستشرى ويعلن عن أهدافه وفلسفته ونظرته للكون والحياة .

ومن ثم تكون للقومية مفهوم ضيق يقوم على رابطة الجنس واللغة والتاريخ (١)

(١) أسس القومية العربية عند ساطع الحصرى هى اللغة والتاريخ أما القوميون العرب الجدد فقد أضافوا اليها أسسا أخرى وروابط جديدة هى الثقافة والوطن والمصلحة والارادة الواحدة وبقى الدين خارج نطاق قواعد وأسس القومية العربية . انظر كتاب " الحركات القومية الحديثة " لمنير محمد نجيب ص ١٣١ .

دون النظر الى وحدة العقيدة ورابطة الدين التى كانت هى الأصل المعتبر بالنسبة للعرب منذ فجر التاريخ الاسلامى حين جاء الاسلام والعرب أمة ممزقة لا تأثير لها فى المجتمعات البشرية القائمة آنذاك فوحد العرب ولم شملهم وكون منهم أمة عريقة ستظل قائمة مابقى القرآن بين يديها " وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون " (١) .

واذا كانت القومية - كما يقولون فى تعريفها - نزعة اجتماعية تربط الفرد بأمته وتجعله يحبها ويعتز بها ويعمل من أجل حاضرها ومستقبلها وهى شعور واحساس بمقومات الأمة التى ينتمى اليها الفرد (٢) ، فان القومية العربية لا تخرج كثيرا عن هذا التعريف ، فدعاتها يقولون انها " التعبير الصادق عن كيان الأمة العربية الدائم والمظهر الحقيقى لوجودها المعاصر التام" فالقومية عندهم عنوان يقظة الأمة واكتشافها الكامل لذاتها وسبيلها الذى به تحقق أهدافها (٣) .

ويقولون أيضا : " انها عقيدة راسخة تتطلب الايمان بالأمة العربية وخصائصها الأصيلة الثابتة وطابعها المعين كما أنها حركة تهدف الى جمع شتات الأمة العربية وتمكينها من التحرر التام " (٤) .

(١) سورة الزخرف آية ٤٤ .

(٢) القومية العربية بين الفكر والواقع للأستاذ حسين أبو الحسن ص ٣٦

(٣) عبد الرحمن البزاز هذه قوميتنا ص ٨٦ .

(٤) المصدر نفسه ص ٨٧ .

هذا بعض ما قالوه فى تعريفها ، وهو كما رأينا تعريف منحصر يجعل العرب يتقوقعون على أنفسهم فى بقعة من الأرض ، وفى عدد من البشر كما كان عليه حالهم فى العصر الجاهلى .

وغنيى عن البيان أن نذكر أن الأمة العربية لم تتوحد ولم يكن لها كيانها الا فى ظل الاسلام ، ولأول مرة فى تاريخها الطويل .

والقومية فى أساسها قائمة على عدم تساوى الأجناس البشرية وتفوق جنس على جنس ، وتعزيز المجتمعات الانسانية زرافات ووحدانا ولهذا رفضها الاسلام ، فالناس فى الاسلام سواسية كأسنان المشط وميزان التفاضل عنده هو التقوى والايمان ، فهذا هو الرباط الحقيقى بين البشر ، ولا اعتبار لغيره من الروابط البشرية مالم يستقم هذا الرابط .

والحق أن الشعر العربى المعاصر لم يكن فى منأى عن هذه البلبلة الفكرية التى خاضها المفكرون والكتاب ، فقد كان للشعر أيضا مواقف متباينة .

فالجيل الأول من عصر النهضة كان يفهم القومية على أنها وعاء للاسلام ولا فرق عند هؤلاء بين القومية والرابطة الاسلامية ، فالعرب هم مادة الاسلام وبلغتهم نزل القرآن .

وهذا المفهوم المزدوج هو الذى نجده ونحن نقرأ شعر شوقى (١)

(١) هو احمد بن على شوقى من مواليد القاهرة سنة ١٨٦٨م كان شاعر القصر وتزعم امارة الشعر عام ١٩٢٧م الى أن توفى سنة ١٩٣٢م .

وأحمد محرم[1] فى مصر ،والزهاوى[2] والرصافى[3] فى العراق ،والبزم[4] والخلايينى[5] فى الشام ،وأضرابهم فى العالم العربى .

على أن هناك جيلا آخر من الشعراء استهوتهم الحركة القومية بمعناها الحديث ابان عنفوانها فى الخمسينيات والستينيات من هذا القرن فانغمس فى فلسفتها ومبادئها ،كثير من شعراء هذا الجيل وخاصة فى مصر وسوريا والعراق .

وقد تمثل الجيلان فى شعراء اليمن المعاصرين فكان الجيل الأول من الشعراء المتمثل فى الوريث والزبيرى والشامى والموشكى وأضرابهم لا يعرف القومية العربية الا أنها رابطة اسلامية ، أما الجيل الآخر وأعنى به الكثيرين من شعراء الستينيات ويأتى فى مقدمتهم عبدالله

(١) احمد محرم بن حسن عبدالله من مواليد ١٩٧١م من جيل شوقى ومن طبقته ، كان عفيف اليد واللسان لم يتكسب بشعره ولم تفسده مغانم السياسة ولد فى محرم فسمى باسمه ،نشأ فى مصر وتوفى بها عام ١٩٤٥م.

(٢) محمد صدقى الزهاوى شاعر عراقى من مواليد ١٨٦٣م نشأ فى العراق وتنقل بينه وبين الاستانه توفى فى العراق سنة ١٩٣٦م.

(٣) هو معروف بن عبد الغنى الرصافى ولد عام ١٨٧٥م نشأ فى الرصافه وشغل عددا من المناصب التعليمية توفى سنة ١٩٤٥م.

(٤) هو محمد بن محمود البزم من مواليد ١٨٨٧م من سكان دمشق توفى سنة ١٩٥٥م.

(٥) هو مصطفى محمد سليم من مواليد بيروت سنة ١٨٨٦م سافر الى مصر وتتلمذ فى الجامع الأزهر سجنه الفرنسيون عدة مرات ،توفى سنة ١٩٤٥م.

البردونى ، ومحمد الشرفى ، وعبد العزيز المقالح ، ومحمد عبده غانم ، وعبد الرحمن قاضى ، وغيرهم - فقد تمثلت فيه معظم النزعات القومية الحديثة .

وفى الصفحات التالية سوف نعرض لعدد من قصائد الاتجاه القومى عند شعراء اليمن المعاصرين على اختلاف نزعاتهم ومشاربهم وفى مختلف القضايا العربية .

الشعر اليمنى والقضايا القومية :

على الرغم من كثرة المشكلات والقضايا الوطنية التى أرقت الشعراء اليمنيين وأقضت مضاجعهم - ولا سيما عقب حركة ١٩٤٨م - ١٣٦٧ هـ فان الشعر اليمنى - لم يكن بمعزل عن القضايا القومية المعاصرة ، ولا يقل اهتمامه بها عن اهتمامه بالقضايا الوطنية .

ويمكن حصر أهم القضايا القومية التى اهتم بها الشعر اليمنى وكان له فيها مواقف فى القضايا التالية :

١ - محاربة الاستعمار والدعوة الى التحرر .

٢ - قضية فلسطين .

٣ - قيام ثورة يوليو فى مصر .

٤ - الوحدة العربية .

٥ - نكبة حزيران ١٩٦٧م .

* *

١ - محاربة الاستعمار والدعوة الى التحرر :

استقر فى أذهان الأجيال الأخيرة المتتابعة بعد سلسلة من الأحداث أن الاستعمار هو عدو الأمة العربية والاسلامية اللدود ، ومن ثم كانت الدعوة الى التحرر وطلب الاستقلال عنيفة وقوية بل كانت هى المطلب الشعبى العام الذى تتفاعل معه الجماهير العربية والاسلامية تفاعلا شديدا .

ومن هذا المنطلق كان هذا الموضوع هدفا من أهداف الشعر وفى ذات الوقت دافعا من دوافعه .

ولما كانت قضية الاستعمار من القضايا الرئيسة التى يعانى منها المجتمع العربى كله ، فقد كان لها نصيب من الاهتمام فى الشعر اليمنى لا يقل عن اهتمام سائر الشعراء العرب بها .

ففى تونس كان الاستعمار الفرنسى جاثما على صدرها ، وكان الأستاذ عبد العزيز الثعالبى[1] هو القلب النابض لتونس والمحرك الرئيسى لشعبها ضد الاحتلال ، وكان يحمل على كاهله راية الكفاح ، وقدم من أجل ذلك التضحيات وحمل أعباء السجون والاضطهاد فاعتقل مرات

(١) هو عبد العزيز بن ابراهيم الثعالبى - زعيم تونس مولده ونشأته بتونس ، شارك فى الحركات الوطنية لمقاومة الاستعمار فى أكثر من قطر عربى ، توفى سنة ١٩٤٤ م ١٣٦٣هـ بتونس .

عديدة في تونس وباريس ، غير أن ذلك لم يثنه عن مواصلة الجهاد حتى توفي سنة ١٩٤٤م فبعثت وفاته الأسى والحزن في نفوس المواطنين العرب ، وكان الشعراء يستغلون أي مناسبة تمر للتنديد بالاستعمار والتحريض عليه والهاب حماس المواطن العربي واعادة الأمل اليه ، فكانت وفاة هذا المناضل واحدة من تلك المناسبات .

فالشاعر اليمني احمد محمد الشامي ينشيء قصيدة طويلة في تأبين الثعالبي عام ١٩٤٤م ، بعدن يقول فيها مخاطبا الفقيد : (١)

كنت تبني لها فخارا ومجدا .:. كنت في كل نكبة ترعاها

طالما صحت بالعروبة تستنـ .:. ـهض آمالها وتحيي مناها

تربط الشام والعراق بنجـــد .:. ولصنعا تدعو الحجاز أخاها

غبت كما غابت الشموس فقد خلـ .:. ـدت مجدا ومعتدا لا يضاهى

واذا ما لقيت سيد عدنـــان .:. فحدث عن يعرب وشقاهـــا

قل له ، أمة العروبة ضاعـــت .:. بعد ما ضاع دينها وعلاها

وبنو يعرب أقعوا على الضيـــ .:. ـم وسادت على البلاد عداها

سيمت الخسف فارتضته مع الـ .:. ـجهل وغطت موعونة في كراها

فالشاعر هنا يبكي واحدا من قادة النهضة في العالم العربي ودعاة التحرير وبناة المجد فقد ناضل في مقاومة الاستعمار في تونس وجاهـــر

(١) ديوان من اليمن للشامي ص ١٧٧ .

بطلب الحرية لبلاده ، واشترك فى الحركات الوطنية لمقاومة الاستعمار فى عدة أقطار عربية .(١)

وقد أثارت الحادثة حقا مشاعر الشامى فجاءت قصيدته مثيرة ومؤثرة تبعث فى النفس الأسى والحزن على ما آلت اليه الأمة العربية من ضياع وتشتت واحتمال للأذى وانتشار الجهل ، حتى صارت فى مؤخرة القافلة بعد أن كانت رائدتها .

الاعتداء الفرنسى على البرلمان السورى :

ولما قام الفرنسيون بالاعتداء على " البرلمان " السورى فى دمشق وكان ذلك من أهم الأحداث التى أيقظت العرب وحركت مشاعرهم ، وعلى اثره اجتمعت الدول العربية على الفور لمناقشة هذا الموضوع والمشاورة حول هذا الاعتداء الاستعمارى .

وبهذه المناسبة أنشأ الأستاذ الشاعر محمد محمود الزبيرى قصيدته الدالية الشهيرة التى أشاد فيها بالاجتماع وما يحمله من معانى الأخوة والنجدة ، وأن هذا الاعتداء لم يكن الا تثبيتا لدعائم البرلمان المعتدى عليه ودعوة الى وحدة الأمة العربية التى مزقتها الخلافات .

وماهذه النكبات التى تتوالى عليها الا ترسيخا لتلك الوحدة على حد قول القائل : ان المصائب يجمعن المصابينا .

(١) انظر الاعلام ٤/١٢ .

(١)

يقول الزبيرى :

سال جرح بالشام فاضطربت نجد وسحت له عيون الكنانة
وتنزى العراق غضبان كالليث اذا سامه الغبى مهانه
واستفز الشعب اليمانى حفاظا فانتضى سيفه وهز لدانه
وشجى الأردن المصاب كأن قد دمر المعتدى له عمانه
وفلسطين خبأت جرحها الدامى وهبت لجارها غضبانه
نكبة الشام وطدت برلمان الشام رغم العدى وأعلت مكانه
نكبة الشام وحدتنا فما من عربى والا بكى برلمانه
صار قلبا يحرك العرب العربا ويجرى فى أرضهم شريانه
جهلت سره فرنسا فراحت تتحدى أسوده اليقظانه
وأرادت تمزيقة بيد كانت الى الأمس تجتديه الاعانه
لم تدمر بنيانه الحر لكن .. دمرت سمعة لها طنانه
أين أبطالها الأولى عهدوا هتلرا ذلا وقدسوا سولجانه
لثموا نعله فى قاع باريس .. ركوعا وألهوا نيرانه
أفيحمون عارهم بدم شعب كريم كانوا هم ضيفانه
لنمت أو نعش على الأرض أحرارا ولا عاش من يسيغ الاهانه

(١) ديوان ثورة الشعر ص ١٩٩ .

ولم يكتف الشاعر بالاشادة بالاجتماع العربي الذي التأم ليتداول الآراء حول واحدة من أهم قضايا الأمة العربية ، فقد أتبع ذلك بهجوم عنيف وسخرية مريرة بفرنسا التي ركعت أمام هتلر لأول ضربة وجهها اليها الألمان في الحرب العظمى ، وجاء الفرنسيون يلثمون أقدام هتلر خوفا على عاثر باريس ومراقصها من التدمير .

ويتساءل الشاعر باستغراب أ يريد الفرنسيون أن يمحوا هذا العار الذي لحق بهم بالنيل من كرامة شعبنا وأمتنا التي اكرمت وفادتهم وأحسنت ضيافتهم . .

وتنتهي الأبيات بالدعوة الى التضحية والفداء اذا أردنا أن نعيش بين أمم الأرض في عزة وكرامة وتمكين .

استقلال لبنان :

وتحتفل لبنان عام ١٩٤٦م بعيد الاستقلال من الاحتلال الفرنسي الذي خضعت له بلاد الشام منذ عام ١٩١٩م .

وكان من الطبيعي أن يشارك الشاعر اليمني لبنان فرحته واستقلاله وقد رأينا مثل هذه المشاركة في قصيدة للشاعر احمد الشامي تحت عنوان " عيد استقلال لبنان " مطلعها : (١)

(١) ديوان من اليمن ص ١١١ .

للعلى أم ليـومه المشهـــود .. أم لثواره أبـاة القيـود

أصرخ اليوم بالقوافي وأشـــدو .. خاشع الفكر ممعنا في السجود

وفي المقطع الأخير من القصيدة يسخر الشاعر من الحكومة الفرنسية التي تدعي أنها تحمل مشعل العدالة الذي أعلنته ثورتها التي نشبت أحداثها مابين عامي ١٧٨٩ - ١٧٩٩م وجعلت شعارها الحـــرية والمساواة والاخاء(١) غير أن أبناء تلك الثورة لم يحافظوا على مبادئهـــا فكانوا هم أول من حطم العدل واستعبد الانسان ، وبذلك أساؤا الـى مبادىء ثورتهم التي زعموا أنهم مبتكروها(٢) ، فأين هذه المبادىء مما يعانيه لبنان من ذل وهوان وظلم وقهر وظلام وجمود في ظل الاحتلال الفرنسي صاحب تلك الثورة الشهيرة . يقول الشاعر :

(١) القاموس السياسي لأحمد عطية الله ص ٩٦٣ .

(٢) الحق أن المبادىء الثلاثة المذكورة التي اتخذتها الثـــورة الفرنسية شعارا لها لم تكن من بنات أفكارها ، فقد سبق الاسلام الى هذه المبادىء قبل الثورة الفرنسية باثني عشر قرنا ونصـــوص القرآن والسنة كثيرة في هذا السبيل منها : " ياأيها النـــاس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير " سورة الحجرات آية ١٣ وقوله (انما المؤمنون اخوة) آية ١٠ السورة نفسها ، وفي الحديث " الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى " ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا " .

ان يكن مشعل العدالة قد أذ .·. كته "باريس" منذ عهد عهيـــد

فبنوها هم الأولى حطموا الـــ .·. ـعدل وساموا الأحرار سوم العبيد

أين "روسو"(1) وأين ســاحرورتــه .·. كفه من مهــادى" وعقـــــود

أنكرتها "باريس" فى مدن الشر .·. ق وعاشت بها فيا للجحـــود

كان لبنان قبل أن يوقظ النـــو .·. ر بنيه فى ظلمـــة وجمـــود

يطأ الذل مجــده ويمانـــى .·. صلف الرى والعناء الشـــديد

زمن كان ليله يخفــق بالنـــو .·. ر ويودى شقــاؤه بالسعـــود

يعقد الهول مقـــولى كلمـــا .·. حاولت وصفا لعهده المنكـود

ينعم اللص بالمتـــاع ويمســـ .·. ـنى ربه بالعــذاب والتشريـــد

ذاك فى شرعهم حلال يسيـــ .·. ـغون به كل جاهـل أو بليـــد

فالقصيدة من شعر المناسبات القومية فى شعر الشامى فهو يلهج فيها بالعروبة ويكشف عن ايمانه بالحرية ولكن بأسلوب ساخر ، وأسلوب الشامى هنا أسلوب تهكمى وعباراته جزلة تناسب المقام ، وصوره جميلــة ،

(١) فيلسوف فرنسى عاش بين سنتى ١٧١٢ - ١٧٧٨ م ولد بجنيف ثم انتقل الى باريس وتعلم بها حتى أصبح من كبار المفكريـن الفرنسيين فى مختلف مجالات الفكر السياسية والأدبية والتربوية أنظر ترجمته بالتفصيل فى الموسوعة العربية الميسرة ص ٨٩٤ .

غير أن معظمها ذهنية عقلية برهانية ، كما يقول الأستاذ هلال ناجي[1] ولم تكن هذه الصور غريبة على الشعر اليمني في الأربعينيات اذ لم تكن الصورة المحدثة قد أخذت مكانها وعرفت عند شعراء اليمن بشكل واضح .

* *

ثورة العراق :

وانتفضت في العراق ثورة ضد الاستعمار وعملاء الاستعمار فغسلت العار ، وأزالت التراب عن المعدن الأصيل الذي يتمتع به شعب العراق واقتلعت جذور الطغيان من الأساس .

ان الشعوب تصبر وتتحمل كل أنواع الأذى والاهانة ولكنه احتمال آني لا يستمر طويلا اذ لا تلبث الشعوب أن تثور وتكتب تاريخها بدمائها لكي يعمه الصم والبكم من المستعمرين والمستبدين .

هذا ما يعبر عنه المقطع الأخير من قصيدة الزهيري الطويلة التي خاطب بها أحرار العراق ابان احتدام ثورتهم مع الانجليز وعملائه والتي يقول فيها[2] :

فتصديت أنت يا ثورة الشعب بعزم ماض ورأي سديد
ونفضت التراب عن معدن الشعب وعن عرقه الأصيل العتيد
وغسلت العار الذي كان يؤذي من يراه على جباه الأسود

(١) أنظر " شعراء اليمن المعاصرون " ص ٩٩ .

(٢) ديوان ثورة الشعر ص ٢١٨ .

واقتلعت الطغيان من جذره الماثي ومن أسه القوى الوطيد
وجدعت أنفا من الغرب ذريا وشويته على السفود
ضربة من مشيئة الشعب بالسوط أزالت شواهقا من حديد
غصبة عقرية ذهل العالم من حسمها الرهيب الشديد
كتبت للتاريخ درسا يعيه الصم والبكم من طغاة العهود
سوف لا تشترى شعوب ولا تباع من ماجن ولا عربيد
فقد الأجنبي آماله فيهم فلم يبق عندهم من رصيد

والقصيدة هنا تجمع بين جدة المعانى وجزالة الألفاظ وقوة التعبير ثم الجرأة والشجاعة ، هذا بالاضافة الى رهافة الحس الشعرى الذى كتب به الزبيرى كثيرا من قصائده ، وهذه خاصية لم تتوفر الا للقليل من شعراء اليمن المعاصرين .

* *

العدوان الثلاثى على مصر :

شهد عام ١٩٥٦م حدثا من أعظم الحوادث التى مرت بها الأمة العربية خلال تاريخها الحديث ذلك هو العدوان الثلاثى المشترك بين فرنسا وبريطانيا واسرائيل على مصر وهو عدوان استعمارى سافر ، وقد تعاطفت الشعوب العربية والاسلامية كلها مع مصر ، وهب الشعب المصرى كله للدفاع عن نفسه وأرضه فتمكن بفضل الله من صد هذا العدوان الآثم والتغلب على مطامع الاستعمار وأحقاده .

وكان الشاعر محمد محمود الزبير يومئذ فى القاهرة وقد رأى بعينيه وسمع بأذنيه الحشد الشعبى والاستنفار القومى فى وجه الثالوث المعتدى (١)، وقد أنشأ قصيدة عظيمة ندد فيها بالمعتدين الغزاة وأطماعهم وأشاد بما قدمه الشعب العربى فى مصر من تضحية وفداء وما يتمتع به من روح عالية وارادة قوية ثابتة أمام عواصف الغزو الاستعمارى .

يقول الزبيرى (٢) :

دول العدوان ثالوث بلا مستطير

حشدت فى بورسعيد كل ألوان السعير

طمعت أن يركع الشعب ويعنو للمغير

روعته بدم الأطفال والدمع الغزير

وبقايا من أكف ورؤس وصدور

وعيون طائرات فى مناقير الصقور

وقصور حولتها الحرب أشباه قبور

وقبور آوت الثوار من بعد القصور

زاحم الأحياء موتاهم بها عبر الشعور

(١) الابعاد الموضوعية ص ٢٤٤ .

(٢) من القصائد المخطوطة وقد نشرت لأول مرة فى كتاب " الشعر فى المعركة " من منشورات وزارة التعليم فى مصر عام ١٩٥٩م ونقله البقالى فى كتاب الأبعاد ص ٢٤٥ .

يا دماء الشعب ثوري واصنعي روح الصقور

حطمي أغلالك الربـــد باعصار السعير

وانسفي السجن بأنفاسك سورا بعد سور

واسحقي باللهب الأحمـر أنياب المغير

فاذا الغاصب في خطب من النزو عسيـر

لم يجد أمـن مقـام لا ولا أمـن عبـور

فهو محصور بشعب باسل الروح غيـور

وجحيم من حواليـه وحـقد ونفـور

هكذا صمدت مصر للمحنة والمواجهة وهكذا ثارت دماء الشعب وردت العدوان على أعقابه خاسرا ، وقد تحول المعتدي الى صيد ضعيف سهل الاصطياد بعد أن ظن أنه سيبتلع مصر لقمة سائغة .

وهذا ما صوره الأستاذ احمد المرزوقي في احدى قصائده المنشورة في كتاب " المختار من الشعر الحديث " (١) :

وقفت وحدها تـرد الأعـادي .·. في اباء ونخـوة وعنـاد

وقفت مصر وحدها تدفـع الشـر وتجلى عنها ذئاب الفساد

ظنها المعتدون صيدا ضعيفا .·. يتهاوى في قبضة الصياد

(١) المختار من الشعر الحديث ص ٧٤ .

فاذا النيل غـابة تتنـــزى ∴ بزئير الأشبـال والآســاد

واذا جنـــة النخيـل جحيـــم ∴ يتهادى فى جوفها كل عاد

واذا مصر ضجـة تمـلأ الدنـ ∴ ـيا وصوت يرن فى كل نـاد

وقفت وحدها تصد قوى الشـــــر وتذرو الغزاة ذرو الرمـاد

ماردا من فتوة صاغهـا الايمـــان سورا على ربـوع الوادى

فى يديهـا حق صريح وجيـش ∴ عقرى الامداد والايـراد

يصرع البغى والنـذالـة والسطـــو ويحمى للحق أسمى المبادى

* *

الجـزائـــر :

كانت قضية الجزائر هى احدى القضايا الرئيسية فى العالم العربى اذ كانت الجزائر تخضع لأشرس استعمار عرفه التاريخ وتعرضت لأبشع صور الغدر والخيانة .

ففى سنة ١٩٥٦م غدرت فرنسا بخمسة من زعماء جبهة التحـريـر الجزائرية وقامت اضرابات شملت معظم أنحاء العالم العربى تضامنا مـع شعب الجزائر .

وبهذه المناسبة أنشأ الشاعر الأستاذ محمد سالم البيحانى هـذه القصيدة (١) :

(١) المطر اليمانى من أشعار البيحانى ص ١٤٣ .

ماذا تريد شعوب الشرق تفعلـه ∴ والغرب مجتمع والله يخذلـه

يا أمة العرب من شام الى يمـن ∴ الى مراكش من للعب يحمله

يامصر يانجد ياأهل الحجازويا ∴ أهل الخليج عدو المرء يمهله

حتى اذا ما رآها فرصة سنحت ∴ له انتضى الصارم الهندى يقتله

وقوة الحق لا تغنى مجـردة ∴ عن السلاح وفى باريس مبطله

وتمضى القصيدة منذرة فرنسا العاقبة الوخيمة التى تنتظرها من جراء سياستها الاستعمارية الجائرة :

فلتعلمى يافرنسا أننا عـرب ∴ وحبل أسرك منذ اليوم نفتله

وان مشنقة الباغـى مهيـأة ∴ فليستعد لها الجندى ومرسله

يكفيك دهر طويل كنت حاكمـة ∴ فيه على من يرى الأحكام تثقله

ماللجزائر الا أهلها حكمـا ∴ فيما يحرم دين أو يحللـه

وان جرحا على الأكباد متسعا ∴ تصب فيه دماء الغرب تدمله

ياخمسة وقعوا فى الأسر حقكم ∴ فرض علينا ولسنا اليوم نجهله

ففى هذه القصيدة نجد العالم الغيور على دينه وقومه والفقيـه الدقيق فى حكمته وأحكامه والشاعر الواضح فى أسلوبه .

ومعظم شعراء الجيل الأول من شعراء اليمن المعاصرين كانـوا علماء الى جانب كونهم شعراء ،ولهذا كانت نظرتهم الى قضايا الأمة

العربية لا تفرق بين المفهوم القومي والمفهوم الاسلامي من ناحية و لا بين المفهوم الوطني والمفهوم الاسلامي أيضا من ناحية ثانية ،فالوطن العربي جزء من العالم الاسلامي ،والعرب جزء من رعايا الأمة الاسلامية.

ومن ثم كانت التجمعات تقوم بدوافع وطنية متينة ،وتشتعل الثورات على أسس عقدية اسلامية ،ويضاف الى هذا وذاك التأييد القومي من كافة الشعوب العربية وأحيانا من بعض الشعوب الاسلامية ، وهذا ماحصل بالفعل في ثورة الجزائر ومن قبلها في تونس وليبيا وفلسطين وغيرها من أقطار العالم العربي .(١)

وعلى أساس هذا الادراك المزدوج نفهم مدلولات كل النصوص التي قيلت في تلك المرحلة أو التي تالها شعراء الجيل الأول اليمنيون ومنها النصوص السابقة .

ومعنى هذا أن شعراء ذلك الجيل لم يكن يتبادر الى ذهنهم المعنى الحديث للقومية العربية أو غيرها من القوميات التي أحالت القومية الى حركة هدامة تعادي المبادئ والمثل والأخلاق .

(١) فمنطلق البعث في الجزائر بدأه عبد القادر الجزائري وفي تونس عبد العزيز الثعالبي ،وفي ليبيا عمر المختار ، وفي فلسطين أمين الحسيني ، وهكذا في بقية أقطار العالم العربي والاسلامي التي ابتليت بالاستعمار .

فلم يخرجوا فى فهمهم للقومية عن ذلك الفهم الذى فهمه سلف هذه الأمة وهو أن العروبة وعاء للإسلام ، وأن العرب هم مادة الاسلام كما أسلفت .(١)

* *

قضية فلسطين :

القضية الفلسطينية هى واحدة من قضايا الأمة الاسلامية والعربية العظام بل ربما كانت قضية العرب والمسلمين الأولى كما أسلفنا .

وهى من ناحية ثانية واحدة من قضايا الأمة العربية مع الاحتلال الأجنبى والتى سبق الحديث عنها وانما أفردتها بالذكر هنا لأهمية موقع فلسطين من الناحية الجغرافية والقدس من الناحية العقدية فهى قضية عربية واسلامية .

ثم ان هذه القضية لا زالت قائمة الى اليوم وقد تشعبت مساراتها ونشأ عنها قضايا أخرى كلها أصبحت مستعصية على الحل على أن الأمر الأهم من ذلك أنها تزداد فى كل يوم تعقيدا .

ولو جمع الشعر العربى حول هذه القضية لاستغرق مجلدات عظاما ولو اردنا جمع كل ما قاله الشعراء اليمنيون حول هذا الموضوع لاستغرق أيضا حجما يفوق حجم الرسالة .

(١) للتوسع فى هذا الموضوع انظر البيان والتبين للجاحظ ٢/ ٤٥ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ٣/ ٤٠٣ واقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ١٤٩ ومابعدها .

ولذلك سأكتفى ببعض النماذج للاستئناس بها فى اثبات الهوية العربية للشعر اليمنى ، وأنه لم يكن فى منأى عن القضايا العربية التى تنشأ فى أى جزء من الوطن العربى .

ولقد استأثرت قضية فلسطين بما لم تستأثر به أى قضية عربية أخرى فكانت مجالا خصبا لشعراء اليمن ولاسيما أن مجال القول فيها صار مما يتبارى فيه الشعراء العرب على اختلاف اتجاهاتهم وتعددها .

وكان الأستاذ الزبيرى من أوائل من تناول هذه القضية من شعراء اليمن ، وذلك فى قصيدته " فى سبيل فلسطين " التى ألقاها فى أوائل الحرب العالمية الثانية ، وفلسطين لا زالت تحت الاحتلال الانجليزى قبل أن تسلم الى اليهود .

وقد أذيعت القصيدة - كما يقول الزبيرى فى تقديمه لها فى ديوانه - من اذاعة " برلين " العربية تعليقا على اجتماع الدول العربية فى لندن وعلى الكتاب الأبيض الذى أصدره الانجليز عن قضية فلسطين (١) .

وتبدأ القصيدة بتحذير العرب من الخدعة التى أعدها الانجليز لايقاعهم فى الفخ الذى نصبوه لهم باصدار هذا الكتاب ودعوتهم الى مناقشته ، ويكفى أن نرى مخالبهم وأظفارهم ناشبة فى لحمنا والدماء تسيل عليها من جرح أمتنا ، ثم يناشد قادة العرب والمسلمين بشأن

(١) ديوان صلاة فى الجحيم ص ٢٢ .

يستيقظوا ويفطنوا لما يراد بهم من مؤامرات وما يدبر لهم من حيل فالانجليز لا يرعون لعربى ولا مسلم الا ولا ذمة ولا يرون لهم حقوقا بل ولا يستحقون عندهم الحياة التى يجب ان يحياها البشر ، وهذه قوانينهم شاهـــدة عليهم فهم لا يؤمنون الا بقـوة السلاح ، والأمة المحترمة عندهم هى الأمة القويـة التى تدافع عن حقوقها وتأبى الضيم والقهر لأبنائها .

(١)

تقول القصيدة :

مراجل فى أثير الشعر تضطـرم ∴ وصيحة فى سماء الحق تحتدم

وضجة فى صماخ الدهر صاخبـــة ∴ لها بكل بـلاد مسمـع وفـم

ما للدماء التى تجرى بســاحتنا ∴ هانت فما قام فى انصافها حكم

ما للظلوم الذى اشتدت ضراوته ∴ فى ظلمنا نتلقاه فنبتســم

نرى مخالبه من جـرح أمتنـــا ∴ تدمى ونسعى اليه اليوم نختصم

يا قادة العرب والاسلام قاطبـة ∴ قوموا فقد طال بعد الصبح نومكم

شيدوا لنا فى سموات العلى حرما ∴ نطوف حول ثريـاه ونستلـــم

متى يرى الانجليـزيون ذمتنـا ∴ كذمة حقها ترعـى وتحـترم

حتى متى نشتكى منهم ونسألهم ∴ رفع العذاب فما رقوا ولا رحموا

هم يدركون بأنا خاضعون لهـم ∴ من ذلنا رغم ما جاروا وما ظلمـوا

(١) ديوان صلاة فى الجحيم ص ٢٢ .

لا نستحق حياة غير ما وهبوا ∴ ولا ننال حقوقا دون ما حكموا
لهم علينا قوانين وليس لنا ∴ الا الرضوخ لما قالوا وما التزموا
أنى يضيع حق دونه أمم ∴ أبية دينها الاقدام والشمم

ثم ينهى لمناقشة الكتاب الذى جادت به عقلية المستعمر وما يحمل فى مضامينه من ذل ومهانة للعرب وما تحويه أفكار الكتاب من سم ناقع وسراب خادع وظلم قاهر ، وليس ذلك غريبا على الانجليز اعداء العدالة وهواة الباطل فلم يعتادوا الانصاف فى يوم من الايام ،

ان الكتاب الذى جدتم به ثمنا ∴ لأرضهم ليس يكفيهم اذا اقتسموا
لم يحسبوه سوى أكفان عزتهم ∴ نسجتموه لهم ظلما وان رغموا
ان الدماء التى سالت بمديتكم ∴ لم يشفها منكم القرطاس والقلم
زخارف من خداع الوعد خاوية ∴ ما نال فيها المنى الا انتدابكم
وكيف نرجو انتصافا فى محاكمة ∴ وقد تمالأ فيها الخصم والحكم
اين العدالة ياأعداء مبدئها ∴ منكم اذا كان غط الحق دابكم
ان الخداع الذى دانت سياستكم ∴ به لأعظم ما تشقى به الأمم

وتبدأ مأساة فلسطين أو قضية فلسطين بذلك الوعد المشؤم الذى أعطاه " بلفور " وزير خارجية " انجلترا " لليهود عام ١٩١٧م لتسليمهم " فلسطين " ليقيموا عليها وطنا قوميا .

وكان هذا الوعد هو سبب بلائها ومصدر شقائها وشقاء أبنائها الى اليوم .

وقد تناول الشعر اليمنى هذا الوعد بالنقد الشديد والسخرية اللاذعة ، ففى قصيدة البردونى " يوم الميعاد " تحد سافر لذلك الوعد ولصاحب الوعد على لسان المناضل الفلسطينى الأبى :

خاب بلفور وخابت يده ∴ خيبة النجار فى سوق الكساد
لم يسع لا لم يسع شعب أنا ∴ قلبه وهو فؤاد فى فؤادى
قل لبلفور تلاقت فى الفدى ∴ أمة العرب وهبت للتفادى (١)

وتتطور القضية الفلسطينية وتدخل فى مرحلة جديدة من مراحل الاحتلال وهى مرحلة أشد خطورة وأعظم بلاء وأكثر تضحيات ، فقد انتقلت فلسطين من أيد آثمة الى أيد مجرمة حقودة ، فما الانجليز واليهود الا كما قال الزبيرى فى القصيدة السابقة التى نقلنا بعض أبياتها : (٢)

أضحى اليهود صليبا تعبدونهم ∴ دون الصليب وان كانوا المعبدهم
فلا برحتم عبيدا لليهود ولا ∴ زالت سياستكم بالذل تنهدم

وهكذا كان اليهود هم أساس البلاء فى كل قضايا العرب والمسلمين على امتداد التاريخ الاسلامى غير أن الفرق بين تاريخنا المعاصر وتاريخنا القديم أن المؤامرات اليهودية فى التاريخ الاسلامى وجدت من يصدها

(١) ديوان فى طريق الفجر للبردونى ص ٤٦١ من مجموع دواوين الشاعر .
(٢) ديوان صلاة فى الجحيم ص ٢٨ .

ويرد كيد اليهود فى نحورهم وان نجحت بعض مؤامراتهم كما هو الشأن فى قصة "عبد الله بن سبأ اليهودى" فى القرن الاسلامى الأول .

أما فى التاريخ الحديث فلا زالت مؤامراتهم وحيلهم تتطلى علينا الواحدة تلو الأخرى ، وما حادث تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ م الا واحدة من تلك المؤامرات .

ويمضى الشعر مع القضية فلم يكن اليهود لتنفع معهم الحلول السلمية فالغدر طبيعة فيهم وجزء من تركيبهم النفسى والعقلى فلابد من الفداء والتضحية والجهاد ولا مناص من اشعال نار الحرب حتى نحترق فيها أو يحترق فيها اعداؤنا ، وهذا هو الحل الذى لا خيار معه فمسألة الهجرة من الوطن مسألة خطيرة وهى ما يسعى اليه اليهود بجهد ، ولنستمع الى الشاعر البردونى فى هذه القصيدة التى يدعو فيها الى الفدى ويحذر من الهجرة : (١)

يا أخى يابن الفدى فيم التمادى ∴ وفلسطين تنادى وتنادى
ضجت المعركة الكبرى فقم ∴ نلتهب فالنور من نار الجهاد
ودعا داعى الفدى فلنحترق ∴ فى الوغى أو يحترق فيها الأعادى
يا أخى يابن فلسطين التى ∴ لم تزل تدعوك من خلف الحداد
عد اليها لا تقل : لم يقترب ∴ يوم عودى قل : أنا يوم المعاد

(١) ديوان فى طريق الفجر ص ٤٨٨ من مجموع دواوين الشاعر .

عد و نصر العرب يحدوك وقل ∴ هذه قافلتي والنصر حـــادى

عد اليها رافع الرأس وقـــل ∴ هذه دارى هنا مائى وزادى

وهنا كرمى هنـــا مـــزرعـــتى ∴ وهنا آثـــار زرعـــى وحصادى

وهنا نـــاغيـــت أمى وأبـــى ∴ وهنا أشعلت بالنور اعتقادى

هذه مـــدفنأتـــى أعرفهـــا ∴ لم تزل فيها بقايا من رمـــاد

وهنا مهـــدى هنا قبر أبـــى ∴ وهنا حقلى وميدان جيـــادى

هذه أرضى لهـــا تضحيتـــى ∴ وفراشى ولها وهـــج اتقـــادى

ها هنا كنت أماشى اخوا تى ∴ وأحيى هـاهنـا أهـل ودادى

والشاعر هنا يحذر المناضل الفلسطينى بل وكل مواطن مـــن أبناء فلسطين من الهجرة والاغتراب وترك الأرض العربية للمعتـــدى يصول فيها ويجول .

فالأرض لأصحابها الفلسطينيين الذين نشأوا فيها وضحوا مـــن أجلها وهى مهد أبائهم وأجدادهم وفيها حقولهم ومزارعهم . فعليهم البقاء فيها مهما تكن فداحة التضحيات فاذا كان الخروج من الوطـــن قد يبدو سهلا ميسورا أحيانا الا أن عواقبه وخيمة وربما كان الرجـــوع اليه أمرا فى غاية الصعوبة .

والقصيدة رغم بساطة ألفاظها وسلاسة تراكيبها الا أن نغمـات حزينة تتخللها أحيانا وهى التى أضفت عليها طاقة شعرية عميقة .

ولعل بيئة البرد ونى القرية أثرت على قاموسه الشعرى فظهرت فى قصائد كثيرة من شعره كما فى القصيدة الآنفة الذكر فرأينا مثل هذه الألفاظ ـ حادى ـ كرمى ـ مزرعتى ـ حصادى ـ جيادى وغيرها من الألفاظ المنتشرة عادة فى الأرياف .

أما الشاعر محمد الشرفى فقد رسم لنا صورا حزينة لمليون فلسطينى عبثت بهم الرياح ومزقتهم قوى الشر ، فيقول تحت عنوان " فلسطين الجريحة "(١) :

هذى فلسطين الجريحة دمعة فى كل خد
مليونها العربى فى أكبادنا تيار حقد
عبثت بهم هوج الرياح ممزقين بكل نجد
جرح تقبله النجوم لأنه بسمات مجد
وهناك أرض للعروبة لم تزل تهفو لوعد
تنجر فى أشلائها مزقا تنوء بكل وغد(٢)

ويشكو الشاعر حسين محمد البار الى الله دول الغرب التى كانت سببا فى غرس اسرائيل فى أرض الاسراء والمعراج ، وأحلت اليهود المشردين محل أصحاب الأرض الذين أنشؤوها بدمائهم ، وهو تصرف عجيب يحار العقل فى فهمه .

(١) ديوان اغنيات على الطريق الطويل ص ١١٣ .
(٢) الوغد الأحمق الضعيف .

(١)
وهذا ماسجلته مقطوعته التالية :

الى الله والتاريخ مافعل الغرب ∴ فهل من مجيب يابنى يعرب هبوا
اغار على أرض الهراوى يسومها ∴ عذابا مذاق الموت فى جنبه عذب
قضى ان شعبا أنشأتها دماؤه ∴ يموت لكى يحيا على اثره شعب
قضاء يحار العقل فى فهم سره ∴ ويعجب من مشروع تنفيذه العجب

ولكن اذا عرف السبب بطل العجب كما يقولون فاليهود كانوا غصة فى حلوق دول الغرب بسبب مكرهم وكيدهم ومؤمراتهم المستمرة على الشعوب التى يعيشون فيها ، ولكى تتخلص منهم هذه الدول وتأمن شرهم فقد رأت أن تمنحهم فلسطين العربية لتكون وطنا قوميا لهم وتكفلت بحمايتهم حتى اليوم .

ونختم هذه المجموعة من الشعر القومى بقصيدة للشاعر عبد العزيز المقالح بعنوان " الفدائى الحلم والانسان " وفيها يشيد الشاعر بالفدائى الفلسطينى الفارس القادر على تحمل أعباء الحياة والخوض فى معامعها فهو صاحب اليد المباركة والمأساة العظيمة صانع الرجال وحلم الأجيال .

(٢)
وفيها يقول مخاطبا الفدائى الفلسطينى :

(١) ديوان من اغانى الوادى ص ١٢ .
(٢) ديوان لابد من صنعاء ص ١٢٧ من مجموع دواوين الشاعر .

يافارس الأغوار والتلال

ياأنت يابن الشمس والجبال

تباركت يداك

تباركت مأساتك العظيمة

كم صنعت في شعبنا من الرجال

كم فضحت من أوجه أثيمه

يافارس النهار والمساء

قبلك لم تكن لنا هوية ولا أسماء

نمشي بها في الأرض

ندخل السماء

قبلك ما كانت لنا قضية

* * *

ليجمعوا شباكهم

فأنت أقوى ألف مرة

منهم من النيران

من خدم اليهود والسلطان

من ألف أعور دجان

ياحلمنا الكبير .. ياانسان

* * *

وهكذا واكب الشعر اليمنى قضية فلسطين منذ بدايتها بوعد بلفور الى أن قامت حركتها الفدائية ،ولا زالت قضية فلسطين تحتل المركز الأول لدى كافة الشعراء العرب .

وقد اهتم الشعراء اليمنيون بقضية فلسطين وأرقتهم مشكلاتها وملابساتها المتعددة . ولا زال الناس يذكرون حوادث أيلول سنة ١٩٧٠ م بين الاخوة الفلسطينيين والأخوة الأردنيين والتى راح ضحيتها أعداد هائلة من الأشقاء العرب وسال فيها نزيف الدم العربى بأيد عربية ولم يستفد من ذلك الا العدو الاسرائيلى الذى يقف على مقربة من منطقة الأحداث يؤيد ذلك ويباركه .

ووقف الشعر العربى فى كل مكان يسجل هذه الأحداث بكل أسى ولم يقف الشعر اليمنى مكتوف الأيدى نحو هذه الفاجعة الاليمة ، ففى هذه الأثناء نشر الشاعر عبد الرحمن بن محمد قاضى قصيدة بعنوان " كفى فجيعنا اخوة " (١) استهلها بهذا المقطع :

حرام أيها الأخوة .·. فى الأردن نقتتل
ونفخر بالدم الجارى .·. هناك وخصمنا ثمل
علام اليوم عمان .·. يخيم فوقها الأجل
وكل بقاعها الفيحا .·. وكل دروبها شعل
وصوت الموت منطلق .·. تموج بهوله السبل

(١) ديوان " معا الى العلياء " ص ٧٧ .

ثم ينوه بأن هذه مؤامرة دبرها الأعداء ليكيدونا بها ويسفكوا بها دماءنا :

دم الاخوة يا أحرار ∴ موفور الكرامات

لماذا لا نقدسه ∴ على أرض النبوات

مؤامرة العدى أنست ∴ بنيه عرى الأخوات

وهذا سر كارثتي ∴ وهذا أصل مأساتي

* *

الوحدة العربية :

العرب أمة واحدة منذ القدم لغة وتاريخا ومصيرا ومشاعر على أن عناصر وحدتها لن تكتمل الا باكتمال عنصرها الهام وهو العقيدة التي ترسخت أسسها ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن ، ومنذ ذلك الحين صارت العقيدة عنصرا أساسيا في اتحاد العرب ، فقد أصبح الاتحاد مبدأ هاما من مبادئ الاسلام ومقومات الايمان .

وقد كانت الوحدة العربية هدفا من أهداف الشعر العربي المعاصر بمختلف اتجاهاته ونزعاته وهي كذلك هدف من أهداف الشعر اليمني المعاصر كما سنتبين ذلك في الصفحات التالية ومن خلال النصوص الشعرية التي سنعرضها .

واذا كانت الوحدة العربية هى حلم كل عربى فقد أولاها الشعر اليمنى اهتماما خاصا باعتبارها الأمل المنشود فى انتشال الأمة العربية مما تعانيه من نكبات وشدائد .

واذا قلنا الوحدة العربية فلا يعنى ذلك أن يهمل العرب الوحدة الاسلامية فما الوحدة العربية الا مقدمة لوحدة اسلامية شاملة كما أسلفت .

ونمضى الآن مع نماذج الشعر اليمنى التى يتحدث فيها أصحابها عن الوحدة العربية ومسئولية الجيل المعاصر فى ترشيدها والاهتمام بها أو الاشادة بتعاون العرب وتجمعاتهم فى هذا السبيل الى غير ذلك من الموضوعات التى تصب فى نهر الوحدة العربية وتثبت دعائمها .

فالأستاذ الشاعر محمد محمود الزبيرى يلقى قصيدة فى اجتماع مجموعة من الطلبة العرب فى القناطر عام ١٩٤٠م فى مصر يقول فى مطلعها : (١)

بشراك يا قلم فهذا منهل ∴ صاف وأنت كما علمتك صادى

هذى العروبة تلتقى فتلقها ∴ بتحية الأحباب فى الأعياد

وفيها يلفت أنظار العرب الى المعالم التى ترشدهم الى وحدة عربية سليمة يجنون منها ثمارا طيبة ، ومن هذه المعالم أن تقوم

(١) ديوان صلاة فى الجحيم ص ٣٣ .

الوحدة طى دعائم وأسس قويمة وقد عرفنا تلك الدعائم وأهمها العقيدة الاسلامية ، ومن تلك المعالم أيضا ألا يعالجوا الفساد بفساد آخر وأن يسهم الأدب الرفيع الهادف فى بناء هذه الوحدة ، وأن يتعاون الجميع حكاما ومحكومين فى تشييدها وأن يكون رائدهم فى ذلك الصدق والاخلاص .

يقول الزبيرى :

ان الضماد على فساد جراحنا ∴ انكى لنا من خنجر الجلاد
أو لم يروا أنا نحاول وحدة ∴ عربية عليا ذات عماد
لن ينجح الزعماء فى تأليفها ∴ حتى تؤيدهم يد الأفراد
ويساهم الأدب الرفيع فانه ∴ نعم المنار لنا ونعم الهادى
فاذا صبونا فيه فيض قلوبنا ∴ جاءت مفارسه بخير حصاد
واذا صدقنا الحق فى أثنائه ∴ سهلت طرائقه على السواد (١)

فالقصيدة طاقة شعرية هائلة رغم أنها قيلت فى وقت مبكر من حياة الزبيرى وهى تدل على أصالة المفاهيم القومية آنذاك اذ يقرر أن الشعوب هى صانعة الوحدة وليس الحكام ، ويمكن أن يكون الحكام أداة تنفيذية لا أكثر .

(١) ديوان صلاة فى الجحيم ص ٣٧ .

وفى قصيدة أخرى تحت عنوان " الجامعة العربية "[1] أوضح الزبيرى أن أول مظهر من مظاهر الوحدة هو هذه الجامعة التى أجمع العرب على تأليفها ، وأقاموها على أسس وقواعد من الماضى مهمتها توحيد الصف العربى والشعور العربى بعد أن وحد الاسلام بين العرب عقيدة وتاريخا وهدفا ومصيرا :

جيل صحا دمه وهب ∴ لبناء جامعة العرب

ضم القلوب فيها بعض ∴ ـر قد تداعى واضطرب

وبنى قواعدها على ∴ أسس من الماضى العجب

تعنى بتوحيد العصا ∴ ئر والمشاعر والعصب

شتى شعوب ينتمى ∴ دمها الى أم وأب

كانت دويلات تصغ ∴ ـر فى الشفاه وتقتضب

مذعورة من كل شى ∴ ء هب فى الدنيا ودب

وقفت فليس لها خطى ∴ بثست فليس لها ارب

وذا بها جبارة ∴ من وهدة البؤسى تثب

وهنا تتضح أصالة الزبيرى القومية ونظرته الى الوحدة على أنها استمرار للماضى وتقوم على قواعده وأسسه كما تقدم وبدون الاعتماد على الماضى فى معالجة الحاضر لا يكون للوحدة قيمة تذكر .

(١) صلاة فى الجحيم ص ١٤٥ .

وعلى المنوال نفسه تناول الأستاذ الشاعر محمد سالم البيحانى الوحدة العربية ومن نفس المنطلق الذى انطلق منه الزبيرى وهو تذكر الماضى والتكتل على أساسه واستلهام ايجابياته ، فالبيحانى يدعو العرب الى التعاون فى بناء المجد والرفعة مرشدا اياهم الى تسوية الصفوف وجمع الشمل واستعذاب الموت فى سبيل حياة كريمة حرة غير خاضعة للاستعمار والاستبداد فيقول فى القصيدة رقم ٨٢ من ديوانه (١) :

حى العروبة فى تكتل أهلها ٠٠ لبناء ماهدموه من أركانها

ان الشعوب اذا توحد أمرها ٠٠ أرست قواعدها لرفع كيانها

وتذكرت ماقال هاديها لها ٠٠ فى فتنة التحريش من شيطانها

يامكر أوربا الذى عرفت به ٠٠ هل ينتهى ماتم من عدوانها

ياقوم ان الله يأمركم بتسـ ٠٠ ـوية الصفوف وليس فى ابدائها

فامضوا الى العليا متحدين من ٠٠ شام الى يمن الى تطوانها (٢)

فالموت أحلى من حياة مرة ٠٠ فى حكم أوربا وتحت جرانها (٣)

قد فرقت بين الشعوب وبين من ٠٠ يرعى الشعوب وذاك من بهتانها

فتنت بلاد الشرق فى عاداتها ٠٠ ودعت الى الاعراض عن أديانها

والبيحانى شاعر ويغلب عليه أحيانا الأسلوب الفقهى فهو أيضا عالم وفقيه والقصيدة رؤية اسلامية قومية مشتركة شأنها شأن كثير من قصائد هذا الجيل .

(١) العطر اليمانى من أشعار البيحانى ص ١٩٢ .
(٢) تطوان مدينة فى شمال المغرب قرب البحر المتوسط .
(٣) الجران من جرن الحب اذا طحنه .

على أن الشعر اليمنى كان شغوفا بمباركة أى تجمع عربى فى طريق الوحدة العربية الشاملة .

ففى سنة ١٩٥٦م انعقد مؤتمر ثلاثى بين الملك سعود والامام احمد وجمد الناصر ، فأنشأ الأستاذ البردونى بهذه المناسبة قصيدة بعنوان " البعث العربى " وكان الاجتماع خطوة جيدة فى طريق الوحدة العربية ،ولهذا أشاد به الشاعر واعتبره انطلاقة الى الوحدة المنشودة ويقظة للأمة العربية وتوحيدا لجهودها على طريق العزة والكرامة .

وأعاد الشاعر الى أذهان العرب أن لهم مجدا تليدا ينبغى ألا ينسوه وأن عليهم أن يتذكروا سعد بن أبى وقاص وعلى بن أبى طالب وخالد بن الوليد وغيرهم من بناة المجد وصناع التاريخ .

(١)
يقول البردونى :

وحدة المجد والفخار التليد .·. زعزعت مرقد الصباح الجديد
واستطارت تحت قافلة الفتـ .·. ـح وتطوى الحدود وتهمد الحدود
وتناجى العداء بألسنة النا .·. رهما الموت من شفاه الحديد
وحدة يعربية وانطـــلاق .·. عربى يهز صمت اللحـــود

(١) ديوان من أرض بلقيس ١ / ١٥١ من مجموع دواوين الشاعر .

لنا للعرب ثورة وحدتهـا .·. يقظة البعث وانتفاض الوجود

فابن " يحى " مؤزر " بجمال " .·. " وجمال " مؤزر " بسعـــود "

وحدت شملهم كبار الأسـانى .·. والدم الحر واعتزاز الجدود

قد تلاقى الحجاز واليمن المي .·. ـون والنيل فى اتحاد الجهود

واستفاقت مواطن العرب الشـ .·. ـم فعودى يا راية العرب عودى

وأذكرى فى المعارك الحمر سعدا .·. وطيا وخالد بن الوليـــد

تأنف العرب أن تدوس حماها الـ .·. ـحر شر العبيد أدنى العبيد

آن آن الفدى وثار الدم الحـر .·. يذيب القيود اثر القيـــود

والقصيدة طويلة اذ تزيد على الثلاثين بيتا وهى تصب فى نفـس النهر الذى يصب فيه شعر الزهيرى والبيحانى وأضرابهما من جيـل الأربعينيات وتستمد أفكارها من الماضى المزهر للأمة الاسـلاميـــة والعربية كما نرى فى هذه الأبيات .

والقصيدة من أجود شعر الخمسينيات لغة وأسلوبا لولا ظـاهـــرة التكرار التى نراها والتى تنبو عن الذوق أحيانا كما فى كلمة وحدة التى تكررت أكثر من مرة وكذلك " الدم الحر " تكررت مرتين ، وكان بامكانه أن يستغنى بأحدهما وكذلك (وشر العبيد أدنى العبيد) وهى ظاهرة ربما تكررت فى عدد من قصائد البردونى .

ولما زار الدكتور عبد الوهاب عزام اليمن قدم له البردونى قصيدة ترحيبية أشاد فيها بالجهود التى بذلها الدكتور عزام فى خدمة الاسلام وتوحيد الأمة العربية مشيرا الى تنقلاته وسفرياته فى سبيل الدعوة الى الوحدة وتوحيد القوى والجهود العربية لاعادة مجد الأمة الغابر واحياء تراثها التليد الذى به تحيى حاضرها وستقبلها (١)
فقال مخاطبا عزام :

ايه عزام أنت وعى من النيل .·. الى العرب تستثير المشاعر
وسفير تشيد الوحدة الشما .·. وتستنهض السنا فى المصائر
وتنادى البلاد للاتحاد الحر .·. والاتحاد أقوى مناصر
ان فى وحدة العروبة مجدا .·. خالدا ثائرا على كل ثائر
انما العرب أمة وحدتها .·. لغة الضاد والدما والعناصر
انما العرب أمة هزت الدنيا .·. وشقت سود الخطوب العواكر
ان للعرب غابرا داس " كسرى " .·. وتشفى على رؤوس القياصر
فاستمدى ياأمتى من سنا الما .·. ضى معاليك واعترى خير حاضر
ياسفير التضامن الحر غنت .·. سمياك الحر أمنياتى الشواعر
فتطلق ياشاعر النيل شعرى .·. فهو شعر عنوانه " روح شاعر "

(١) المصدر السابق ص ١٣٥

والقصيدة بعنوان " روح شاعر " وهي فعلا مناجاة شعورية لطيفة متماسكة الأسلوب ، جزلة الألفاظ واضحة الأفكار فيها أنفة وشموخ بما للأمة العربية من مجد عريق وما في شعرها صنعه لها أبناؤها الأوائل .

ويقف الشعر اليمني الى جانب كل انطلاقة نحو الوحدة ويستغل كل مناسبة لكي يترنم بأهازيجها .

ففي عام ١٩٥٨م نشأت وحدة بين مصر وسوريا وانضمت اليهما اليمن بعد ذلك ويطرب الشعر اليمني لذلك أيما طرب ، ويطل علينا الشاعر البردوني أيضا بقصيدة تحمل عنوان " زحف العروبة " يطوف بنا فيها في شموخ واعتزاز في أرجاء العالم العربي من الخليج الى المحيط فيقول :(١)

دعني أغرد فالعروبة روضتي ∴ ورحاب موطنها الكبير رحابي

فدمشق بستاني ومصر مجدا ولي ∴ وشعاب مكة مسرحي وشعابي

وسماء لبنان سمائي وموردي ∴ " بردى " ودجلة والفرات شرابي

ودبار " عمان " ديارى أهلها ∴ أهلي وأصحاب العراق صحابي

بل اخوتي ودم " الرشيد " يفورني ∴ أصابهم ويضج في أعصابي

وطن العروبة موطني أعياده ∴ عيدي وشكوى اخوتي أوصابي

(١) ديوان في طريق الفجر ١/ ٣٧١ من مجموع دواوين البردوني .

فاترك جناحى حيث يهوى يحتضن ∴ جو العروبة جيئتى وذهابى

بابن العروبة شد فى كفى يدا ∴ تنفض غبار الذل والأتعاب

والشاعر بذلك يستعيد أزهى عصور التاريخ الاسلامى والعربى والذى يمكن أن تقوم على أساسه الوحدة العربية اليوم ،وما من شك أن هذه الوحدة كانت حدثا يجسد آمال العرب وطموحاتهم ، لذا فقد أبرزها أكثر من شاعر من شعراء اليمن .

واذا كان البردونى قد طوف بنا ـ كما قلت ـ فى سماء كل بلد عربى مستلهما ملامح وسمات أصالتنا التاريخية ،فان الشاعر على بن على صبره يستمد من ذلك الماضى رؤية الى المستقبل الذى ينتظر الأمة العربية ،ويتلمس وشائج القربى وصلات الرحم التى ستسود المجتمع العربى بل والمجتمع الاسلامى كله :(١)

انى لأعرف أين يرقد شارعى ∴ من جلق بل أين يصحو دارى

هذى الملامح من أبى هل باترى ∴ نقلت بحكمة ناحت جبار

سمراء كالصحراء بكر كالحمى ∴ عربية قدت من الأحجار

ان ينكروا القربى على سحناتنا ∴ لا ينكرون أخوة الأفكار

لكأننى بالفاتحين أخا لهم ∴ من كل أروع كالبردونى مغوار

يتقافزون الى الجهاد كأنهم ∴ صبح يشق حواشى الأشجار

(١) ديوان من القافلة ص

وصدى أمية لم يزل تهذى بـــه ٠٠ بردى فيا للمفترى المهذار

والداخل الأموى تلفح سمعى ٠٠ أنفاسه وتضج كالاعصـــار

مازال طعم الروم يصرخ فى دمى ٠٠ ودم الصليبين فى أظفـارى

وهكذا كانت هذه الوحدة أفق ضياء فى طريق الوحدة الشاملة ، لكن سرعان ما تبدد ذلك النور بفعل المهاترات السياسية والحزبيـة ولم تقم لها بعد ذلك قائمة .

ولكن الشعر لم ييأس ولم يداخله القنوط ولهذا استمر فى دعوتـه الى رأب الصدع وتوحيد الجهود وجمع شمل الأمة العربية ، فعلـى الرغم من التصدعات والشقوق التى أصابت صرح الأمة ، فلا زالت مقومات الوحدة قائمة ولا زال الأمل راود الكثيرين من أبناء العرب ، ولا زال الشوق يخفق فى كل القلوب لكى ترى قافلة العروبة تشمخ بأنفهـــا وتزاحم بمنكبها كل الأمم .

وهذا ما يعبر عنه الشاعر محمد الشرقى فى مقطوعته التالية الـتى سنختم بها هذه المجموعة . يقول الشاعر :

ياوحدة الأمال انا هـا هنا فى كـل درب

أمد تداعبه أنامل موكب نشـــوان صـــب

يهفو لوحدته الكبيرة بين أشـــواق وحـــب

(١) ديوان اغنيات على الطريق الطويل ص ١١٤ .

فتظل من أفق القلوب كأنها خفقات قلـــب

تزهو بركب شامخ الأصواء يجرى اثر ركـــب

فيكاد يغشى النـــاظرين صباحها الأسنى ويصبى

أهلا بقافلة العروبة يلتقى شعب بشعـــــب

وتعر تمارا يزاحـــم منكب الدنيـــا بجنـــــب

فى ثغره لغة الصواعق فى خطاه عصا العربى

ويهز أركان السياسة ان أرادت قهـر عـــرب

ولن يكون هذا للأمة العربية مالم تتخذ القرآن رائدها ، فقد كان ولا يزال مصدر عزها وأساس رفعتها " وانه لذكر لك ولقومك وســـوف تسألون "(١) .

* *

ثورة ٢٣ يوليو فى مصـــر :

كانت ثورة يوليو ١٩٥٢م أول ثورة عربية ناجحة ولهذا كانت محـــل اهتمام وتقدير الأحرار اليمنيين المناوئين للحكم القائم فى اليمن ومعظم هؤلاء الأحرار كانوا شعراء وأدباء ومفكرين كما أسلفت مرارا ، وقد جاءت هذه الثورة عقب ثورة اليمن عام ١٩٤٨م بأربع سنوات وكان الأحـــــرار لا يزالون فى السجون والمعتقلات وبعضهم كان مشردا خارج البلاد .

(١) سورة الزخرف آية (٤٤) .

لذا فقد أثارت نفوسهم ومشاعرهم وهبت ضمير المجتمع ، ومن ثم كان الشعراء اليمنيون أكثر اهتماما بالثورة المصرية من غيرهم في الاقطار العربية الأخرى .

على أن هذه الثورة قد أثارت جدلا فكريا بين المثقفين اليمنيين فكان منهم :

١ - المعتدلون والذين لا يرون الثورة الا على أنها آخر حل يمكن ان يقدم الى الشعب اليمني .

وهذا ما استقر في أذهان الأحرار وآمنوا به وعملوا من أجله سنين طويلة كما يحدثنا عن ذلك الأستاذ الزبيري فيقول :

" والثورة لا تكون حقا ولا عدلا ولا وطنية كما لا تكون ناجحة الا يوم تكون ضرورة محتومه لا مفر منها . ان الثورة عنف وقتال ومذابح ، والمؤمنون بالتطور والاصلاح لا يقرون العنف والقتال الا بمبررات عادلة تبلغ حد اليقين والا كانوا مجرد سفاكين متهورين "(١) .

٢ - ومنهم المتطرفون الذين يرون حتمية الثورة للتخلص من الاماسة مهما تكن النتائج أو السلبيات ، وقد تبنى هذا الرأى بعض الكتاب اليساريين ومن تأثر بهم من الشعراء .

(١) مقدمة ثورة الشعر ص ٨٧ .

ومهما يكن من شيء وبصرف النظر عن هذا الرأي أو ذاك ، فـــان هناك نماذج شعرية كثيرة تمثل ذلك الاهتمام الذي أبداه شعـــــراء اليمن نحو ثورة يوليو ١٩٥٢م في مصر ،وسأكتفي هنا ببعضها لتكون دليلا على المنحى القومي الذي أشرت اليه في الشعر اليمني .

ولعل أقدم تلك النماذج التي باركت الثورة ورحبت بها وأيـــدت القائمين عليها قصيدة الشاعر احمد الشامي " الى ثورة مصر" وقـــد أنشأها الشامي سنة ١٩٥٢م وهو رهين سجن حجة وجعلها مناصفة بين قائد الثورة محمد نجيب والامام حسن البنا ، زعيم حركة الأخوان المسلمين في مصر التي كان لها ضلع كبير في اشعال فتيل الثـــورة وتأييد الضباط الأحرار في قيامها .(١)

والقصيدة طويلة اكتفي منها بهذه الأبيات التي حيا فيها الشاعر الثورة الوليدة قائلا :(٢)

أي صوت دوى فهز الوجـــودا ∴ وأنابت لـه العقول سجـودا ؟

ايه : ياثورة أطلت على الـد ∴ نيا فكانت أشعـــة ووقـــودا

(١) انظر كتاب صفحات من تاريخ الأستاذ صلاح شادي ص ١٦٩ ومابعدها ط/ شركة الشعاع للنشر في الكويت ،وفيه تفصيلات أخرى عن علاقة الضباط الأحرار بالأخوان ودور الأخوان في حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.

(٢) ديوان الالياذه من صنعاء ص ٢٢٥ وديوان من اليمن ص ١٨٦.

أرسلى من لهيبك الحر نفحا ∴ نحو شعب قد عاف عيشا زهيدا

وابعثيه على الطفاة شواظا ∴ جامحا يجعل الجبال صعيدا

هاهنا أمة تئن وشعب ∴ يقطع العمر موثقا مصفودا

وينهى القصيدة بأبيات يقدمها تحية الى قائد الثورة اللواء محمد نجيب فيقول :

واهد عنا الى نجيب التحيا ∴ ت ولاء محضا وعهدا مهيدا

قل له أمة العروبة حيرى ∴ تقتل العمر غفلة وجمودا

فاشف آلامها وسدد خطاها ∴ واحد أمالها رشيدا حميدا

فالشاعر هنا يستهول الثورة ويستعظم وجودها فى هذا الوقت العصيب الذى يعيش فيه أحرار اليمن فى السجون والمعتقلات ، ولهذا يطلب منها أن تبعث نفحها نحو اليمن لتقتلع الطغاة وتحيل الجبال الى تراب لكى تنقذ الشعب اليمنى مما يعانيه من قهر وظلم واضطهاد واستبداد .

أما الشاعر الأستاذ الزبيرى فلم يكتف بالاشادة بالثورة ورجالها وانما اتجه الى الارشاد والتحذير خوفا من انزلاق الثورة ووقوعها فى مكائد ومؤمرات الأعداء أو انتكاسها عن أداء واجبها الذى قامت من أجله وحققت بعض مكاسبه فيقول مخاطبا أبناء مصر :(١)

(١) ديوان الزبيرى ص ٤٢٢ .

قد طردتم اعداءكم فاحذروا أن ∴ تصبحوا اليوم أنتموا أعداء

قد تجاوزتم الحدود ولا ∴ قيتم اخاء من خلفها ووفاء

وصنعتم من العروبة جيشا ∴ يتحدى الأحلاف والحلفاء

وبعثتم وعى الشعوب فهبت ∴ تحطم القيد وتشيد البناء

أيها الثائرون فى مصر ثوروا ∴ كل يوم وعلموا الغداء

حطموا كل صخرة فى طريق الشعـ ∴ ـعب فالشعب لا يطيق التواء

قد صنعتم للصقر ريشا فلن ∴ يسكن سجنا أو يرى السجناء

سوف لا تأخذ الخيانة الا ∴ هملا من سيوفنا أو غشاء

لا يبالى بما يبيح الله صبحا ∴ ثم ابليسه اللعين مساء

وفى هذه الأثناء كانت الفكرة قد استقرت لدى الزبيرى والأحرار كما نرى فى هذه الأبيات وبلغت حد اليقين وهى أن الثورة الطريق الوحيد الذى يمكن أن يسلك فى ظروف كظروف اليمن آنذاك ، فقد فشلت جميع المحاولات السلمية التى سلكها الأحرار لاصلاح أوضاع اليمن فلم يبعد منها شىء فكان هذا مبررا كافيا لقيام الثورات وحركات التمرد فى اليمن .

ولهذا كان الزبيرى يرى فى ثورة مصر القدوة والمثل الذى يجب أن يحتذى ، وخاصة أن هناك تشابها كبيرا بين أوضاع مصر وأوضاع اليمن فى ذلك الحين من حيث البيئة وطبيعة الحكم والحالة الاقتصادية وغيرها .

وفي البيتين الأ يحذر الشاعر من الخونة والمنافقين المندسين في صفوف الحركة الوطنية فمن كان هذا شأنه لا يصلح للاصلاح وقيادة الأمم لأن هذا عنصر فاسد والله لا يصلح عمل المفسدين .

فكأن الشاعر يريد أن يقول ان على دعاة الاصلاح وحاملي لواء المجد لتحرير الشعوب ،عليهم ألا ييأسوا أو يأخذهم الأسف والحزن اذا رأوا من اخوانهم ،ومن كانوا معهم ،من يقلب لهم ظهر المجن وينحرف عن خط السير الذي رسموه لأنفسهم انما ذلك غثاء يريد الله أن يطهر الصفوف منه .

ولا يعاب على شعراء اليمن - ولا سيما الجيل الأول منهم - على أنهم أسرفوا في تمجيد ثورة يوليو ١٩٥٢م ، فالثورة في حد ذاتها تعد مفخرة من مفاخر شعب مصر وأبناء مصر .

واذا كانت الثورة بعد ذلك قد أخفقت وأكلت أبناءها ،فان ذلك شأن الثورات اذا ركب موجتها من لا يؤمن بمبادئها أو من أرادها سلما لمطامعه وأهوائه .

وبصرف النظر عما حدث فقد ظل عدد من شعراء اليمن يسيرون في ركب الثورة المصرية ويؤيدون خطواتها باعتبارها احدى الوسائل التي تساند الشعب اليمني على الخروج من محنته .

فهذا الشاعر عبدالله البردونى ينشأ قصيدته " ثائران " فى عـــام ١٩٦٢م أى قبل ثورة اليمن بأشهر ويسرح فيها بخياله فى مـــدح عبد الناصر ماشاء له أن يسرح ثم يتحدث عن الثورة وما قام به رجالها من خطوات جبارة وأعمال جليلة لكى يظفر شعبهم بحياة الرخـــا والاستقرار وهذه بعض أبيات القصيدة :(١)

ومضى الثائرون يفدون شعبـا ∴ يتحدون باسمه الآجالا

كالقلاع الجهنميات ينقضـون ∴ يرمون بالجبـال الجبالا

ويشبون ثورة رمت التـــاج ∴ وهبت تتوج . .الأجيـالا

ومشت والشرون فى خطوها الـ ∴ جبار ينثال فى الذروب انثيالا

ومددنا المنى فكانت عطـــاء ∴ سرمديا تجـاوز الآمـالا

فطفرنا الى الحيـاة كموتى ∴ دفعتهم قبورهم أطفـــالا(٢)

أما الشاعر محمد الشرفى فيفتخر بما يرى وما يشاهد على أرض مصر بعد أن قامت الثورة وحطمت الأغلال ومسحت عن شبابها الدموع وذل الانكسار ،وانطلقت تذود عن شرف العروبة ومجدها وتنشر الوعى بين أبنائها كما يقول :

هذا ما تعبر عنه مقطوعته " زحف المسيرة " التى وردت ضمن قصيدة " من مأرب الى النيل " تقول المقطوعة :(٢)

(١) ديوان فى طريق الفجر ص ٥٦٩ من مجموع شعره .
(٢) ديوان أغنيات على الطريق الطويل ص ٦١ .

ماذا أرى يامصر فيك وما أشاهد من فخـــار

كيف انتفضت وحطمت كفـاك أغلال الاســـار

ومسحت عينك من دموع شبابهـا ذل انكسار

كيف انطلقت الى الحياة وكيف سرت بلا عثـار

وطلعت قافلة تقود قوافـل الزحف المثـــار

ومشيت عاصفة تهدد . . كـل ليل بالدمـار

وتذود عن شرف العروبة عاديات الانهيار

يامصر ماكنا سوى شبح يدور بـــلا مـــدار

ونجول مابين الظلام بلا اتجـاه أو شعـار

حتى انبثقت الى الحياة سنا يشع هدى انتصار

فغزوت بالأنوار والوعى المهذب . . كـل دار

ومددت قافلة الشعوب بكـــل عزم مستـشار

وأختتم هذه المجموعة بهذه المقطوعة من الشعر المرسل للدكتور عبدالعزيز المقالح ، وهى بعنوان " تحت قنديل أم هاشم " وفيها يقول مخاطبا مصر التى رمز لها بأم هاشم ورمز لثورتها بالقنديل : (١)

ياأخت الشهـــداء الثـــوار

يا أم مـلايـــين الأحـــرار

(١) لابد من صنعا ـ ديوان شعر ص ٩٣ من مجموع أعمال الشاعر

بعضا من زيت القنديل الأخضر

يحمله النيل يطير به فوق البحر الأحمر

يزرعه فى الأجفان

يغسل منه الأذان

يمسح باب السجن وقلب السجان

يسأل بين جموع السلطان

عن انسان انسان

فلعل الفجر يعود

وأغانى الخشب تعود

* * *

يا ناسجة للفجر وللآمال ثياب

يا فاتحة الأبواب

نحن الأغراب

تحت القنديل على الأعتاب

نقرأ سورة

نرسم صورة

نتملى فى عينيك الطاهرتين ضحى الثورة

نسأل بعض البركات

بعض النفحات

قبسا من نور المصر وبعض حياة . .

وواضح من القصيدة أن الشاعر مبهور بثورة مصر وبالنجاح الذى حققته ولهذا فهو يطلب منها العون والمدد الذى يساعد الثـــورة اليمنية على الوقوف على قدميها .

والقصيدة تعد من أجود قصائد التجديد فى القالب الموسيقى فالشعر اليمنى المعاصر هذا من ناحية ،ومن ناحية ثانية فـــان لبعدها عن التقريرية والمباشرة والأسلوب الخطابى موقع حسن فى مثل الظروف التى قيلت فيها والحرب الأهلية فى اليمن لا زالت على أشدها .

والمقالح لا يؤمن بالبركات والنفحات كما رأينا فى الأبيـــات السابقة ولكنه خيال شاعر وتصوير فنان .

* * *

نكسة ٥ حزيران ١٩٦٧م :

لم يصب العرب فى تاريخهم الحديث بكارثة أعظم من كارثة سنة ١٩٦٧م - ١٣٨٧هـ فكل المصائب والفتن التى مروا بها تهـــون اذا ماقورنت بهذه الكارثة العظيمة ،فلو لم يكن من آثارها الا أنها زرعت خيبة الأمل فى قلوب الشعوب العربية ،وخلقت فى نفوسهم اليـــأس والقنوط من امكانية استعادة الحقوق المسلوبة من عام ١٩٤٨م والـــى

اليوم وبصرف النظر عن أسباب الهزيمة التى ألبست العرب ثوب العار وألحقت بهم الذل والهوان (١) ، فان الذى يعنينا من هذا كله هو مدى تأثير هذا الحدث العظيم على الشعر اليمنى .

والنماذج الشعرية التى بين أيدينا هى أوضح برهان على الأثر النفسى الذى أحدثته تلك الكارثة فى نفوس الجماهير العربية عامة ، والشعراء على وجه الخصوص .

وسأقتصر فى ايضاح هذه القضية من القضايا القومية العربية على النماذج التالية :

(١) الحقيقة أن كل الهزائم التى لحقت بالعرب كان سببها العام هو أنهم يحاربون بدون سلاح العقيدة وهو سبب هام ورئيسى لا يمكن للعرب أن ينتصروا بدونه مهما كان استعدادهم المادى كما قال عمر رضى الله عنه " انما ننصر بطاعتنا لله ومعصية عدونا له فاذا استوينا نحن واياه فى المعصية كان النصر للقوى ومعروف فى التاريخ أن كل الحروب التى دخلها المسلمون وخرجوا منها منتصرين كانوا فيها أقل فى الاستعداد المادى وكان رصيدهم الأكبر هو السلاح العقدى والروحى .

واذا طبقنا هذه القاعدة على حرب حزيران ١٩٦٧م فاننا سنجد العرب كانوا قد ابتعدوا كثيرا عن الله واغتروا بقوتهم المادية حتى قال قائلهم " لو أن الله نزل وحارب مع اسرائيل لما انهزم العرب " أستغفر الله وتعالى الله عما يقولون ، أضف الى ذلك أن العرب كانوا مكشوفين أمام عدوهم حتى انه يعرف

١ - قصيدة المقالح " مرثاة شهيد " وقد قالها فى جنازة أحد الشهداء اليمنيين فى حرب حزيران ١٩٦٧م، تقول القصيدة :[1]

معـــذرة

معـــذرة

يا صانع التاريخ والحياة

يا من وهبت لى

لجيلنا الايمان والحياة

معـــذرة

اذا احتوانى الصمت والسكون

وغاص شعرى يا بريق الشعر يا سناه

فانى أقسمت أن أموت

= عنهم اكثر مما يعرفون عن أنفسهم ولا أدل على ذلك من قصة الجاسوس اليهودى الذى كان فى احدى دول المواجهة وخطط لضرب السلاح الجوى لتلك الدولة وكتب بعد ذلك كتابه المشهور " تحطمت الطائرات عند الفجر " انظر تفاصيل هذه القصة فى كتاب " الحركات القومية الحديثة " لمنير محمد نجيب . ص٢٦١ .

(١) ديوان لابد من صنعاء ص ١٢٣ من مجموعة دواوين الشاعر.

في دربك .. المبـدأ .. والصلاة

ولن يكون الشعر من بواتـر[1]

فالقدم الثابت فوق الرمل والصخور

أشرف من جبن ألف شاعـر

والجرح تحت الشمس يغلي فوق صدر ثائر

ملحمة الأيـام والعصور

وعلى الرغم من الهزيمة التي حلت بالأمة العربية الا أن الشاعـر لم ييأس ولم يتسرب القنوط الى نفسه ، واتخذ من المرثاة وسيلـة لحفز الهمم ورفع معنويات الشعوب العربية التي أصيبت بالخـور والأسى مما بسبب هذه الكارثة .

٢ - قصيدة البردوني " أبو تمام وعروبة اليوم " التي عارض بها قصيدة أبي تمام :

السيف أصدق انباء من الكتب ". في حده الحد بين الجد واللعب

وهدف القصيدة واضح من عنوانها وهو المقارنة بين عـرب الأمس الذين فتحوا عمورية بقيادة الخليفة العباسي " المعتصـم " وعرب اليوم الذين خاضوا حرب ١٩٦٧م .

وسواء كانت المقارنة من حيث عدد الجيوش أو نتيجة الحـرب فليس أمامنا الا أن نعتبر بما حققه أولئك وفرط به هؤلاء .

(١) بواتر جمع باتر وهو السيف القاطع .

يقول البردونى :

ماذا ترى يا أبا تمام هل كذبت ∴ أحسابنا أو تناسى عرقه الذهب

عروبة اليوم أخرى لا ينام على ∴ وجودها اسم ولا لون . . ولا لقب

تسعون ألفا " لعمورية " اتقدوا ∴ وللمنجم قالوا : اننا الشهب

قيل : انتظار قطاف الكرم ما انتظروا ∴ نضج العناقيد . . لكن قطفها التهبوا

واليوم تسعون مليونا وما بلغوا ∴ نضجا . . وقد عصر الزيتون والعنب

والنتيجة فى كلا الحربين معروفة غير أن " القصيدة استطاعت أن تسمو على الواقع ، وتشير ولو اشارة عابرة الى الأسباب الكامنه وراء الانتكاسه القومية " (١) .

والقصيدة فى حقيقتها تعبير عن الضمير العربى وما يدور على ألسنة الجماهير وبأسلوب منطقى ساخر :

يكفيك أن عدانا أهدروا دمنا ∴ ونحن من دمنا نحسو ونحتلب

سحائب الغزو تشوينا وتحجبنا ∴ يوما ستحبل من ارعادنا السحب

ألا ترى " ياأباتمام " بارقنا ∴ ان السماء ترجى حين تحتجب (٢)

(١) الأبعاد الموضوعية د المقالح ص ٣٢٤ .

(٢) ديوان " لعينى أم بلقيس " ص ٢٤٩ .

والقصيدة من أعظم قصائد البردوني جرأة وتصويرا للواقع العربي في الفترة التي أعقبت حرب ١٩٦٧م ، ولعل لعنصر التاريخ أثرا كبيرا في توضيح الصورة التي رمز لها الشاعر.(١)

وهناك عشرات القصائد المفرطة في الكآبة والحزن المسرفة في الهجوم والسخرية المباشرين ، تارة والرامزة تارة أخرى ، وبعض الشعراء جعل من الكارثة مناسبة لقول الشعر اكثر منها تجربة ومعاناة.

ويمكن القول أن الهزيمة كانت حافزا من حوافز الشعر عند عدد كثير من الشعراء العرب بما في ذلك شعراء اليمن .

وحسبي من ذلك النموذجان السابقان خشية الاطالة دون الاتيان بمعان جديدة .

وبهذا نختم هذه الدراسة عن الاتجاه القومي في شعر اليمن المعاصر .

وقد لا تكون شاملة ولا عميقة ولكنها بالتأكيد ستكون وميضا في يد من يريد التوسع في دراسة مثل هذه الموضوعات في الشعر اليمني الحديث .

* * *
* *
*

(١) ألقى الشاعر هذه القصيدة في مدينة الموصل بالعراق في مؤتمر عام سنة ١٩٧٣م وضم كثيرا من الأدباء والشعراء العرب وقد تركت القصيدة صدى كبيرا لدى جميع الحاضرين وانتشرت انتشارا واسعا .

" المبحث الرابع "

" الاتجاه الاجتماعى فى الشعر اليمنى "

الاتجاه الاجتماعى فى الشعر اليمنى :

لاحظنا فى الاتجاهات السابقة السياسية والدينية والقومية فى الشعر اليمنى أثر تلك الاتجاهات على الشعر وكيف استحوذت مشكلاتها وقضاياها على جزء كبير من تفكير الناس ،وشغلت قطاعا كبيرا من المفكرين وأرباب البيان .

ومع ذلك فان اهتماما عظيما أيضا بذل فى سبيل تطوير الحياة الاجتماعية والعمل على اصلاحها ورفع مستوى المواطن ماديا وثقافيا .

وقد ازدهر التيار الاجتماعى ازدهارا واسعا فى بداية النهضة التى شهدها المجتمع اليمنى خلال العقود الأربعة الأخيرة من هذا القرن . فمشاكله وقضاياه كانت كثيرة ومتعددة فالى جانب المشكلات السياسية التى تمثلت فى محاربة الاستعمار والاستبداد كانت هناك مشكلات اجتماعية خطيرة تعانى منها البلاد ،لعل أهمها المظاهر التالية :

أ - مظاهر التخلف الاجتماعى وهى الفقر والجهل والمرض .

ب - بنية المجتمع وتكويناته وشرائحه .

جـ - مشكلة الوضع الزراعى وما يعانيه العامل والفلاح .

د - مشكلة المرأة .

ويندرج تحت هذه المظاهر مشكلات وقضايا اجتماعية فرعية لها أثرها ايضا فى الشعر والأدب عامة .

ولذلك ابتعد الشعر ممثلا فى رواده الأوائل عن خدمة السلطان واتجه الى الشعب وخدمته ،وبدأ الشعراء ،وقادة الرأى فى محاولة حل مشكلاته وقضاياه الاجتماعية والسياسية اصلاحا لشأنه واعزازا لمكانته لكى يكون شعبا قويا صحيحا غنيا مثقفا .

وكانت هذه المشكلات الاجتماعية متداخلة ومتشابكة مع المشكلات السياسية الى حد كبير ، فكان الشعب جاهلا فقيرا مريضا والشعوب المصابة بهذه الأمراض تعتبر متخلفة وبالتالى فلا تقدر على اصلاح نفسها لأن قوة الشعوب تأتى أثرا لقوة أفرادها ،والشعب الضعيف الواهن لا يقدر على المقاومة والنضال لأخذ حقوقه .

ولهذا عنى الشعر اليمنى المعاصر بالناحية الاجتماعية عناية كبيرة وركز على محاربة تلك الأمراض ومقاومتها للخلاص منها ولكى يبعث فى الشعب روح المقاومة والكفاح .

أ ـ الأدواء الاجتماعية :

الشعر اليمنى المعاصر صورة صادقة لبعض جوانب المجتمع اليمنى بكل صوره وألوانه ،فنا وأدبا وتقاليد وعادات وطبائع وأسلوب حياة ،وقد سجل الشعر جزءا من تلك الصور المشرقة منها ،والمظلمة غير أن اهتمامه بالأمراض الاجتماعية ومقاومتها قد شغل عددا كبيرا من الشعراء الرواد لأن هذه الأمراض قد أصابت الشعب فى صميمه ،وألهته عن مواصلة نضاله ،والسير فى تحقيق مآربه .

ولذلك نقرأ فى الشعر صورا بشعة للفقر والجهل والمرض والبؤس والاستغلال والاحتكار وغيره من الأمراض التى رسخت أقدام التخلف فى اليمن فترة طويلة من الزمن .

واستمر هذا الوضع حتى قامت ثورة ١٩٦٢م وتحسن الوضع الاقتصادى الى حد ما وانتشر التعليم وتوسعت دائرته وأصبحنا نقرأ صورا مشرقة على أن هذه الصور كنا نقرأها فى شعر ما قبل الثورة على أنها مثل رائعة لما يجب أن يكون عليه المجتمع اليمنى من علم وثقافة وصحة وسعادة ، وقوة وسيادة .

لقد كان الشعب اليمنى محروما من كثير من القيم الانسانية والاجتماعية التى لابد منها فى كل مجتمع حى وفى ذلك يقول الزبيرى :

" فالشرف والدين والكرامة والذمة والحرية والمروءة والأرض والمسكن والملبس ولقمة العيش ، كلها أشياء أقل من الحياة .

فالشعب لا يملك شيئا منها الا مارضى له الامام أن يملك ودعك من التعليم ، والعلاج ، وضروب الاصلاح ، ومطالب الحياة الكثيرة التى تكافح من أجلها الشعوب فتلك تفاهات تافهة الى جانب حق الحياة المنزوع " (١) .

(١) مأساة واق الواق ص ٢٥٣ .

هذه شهادة للمأساة من بعض من عاصر ذلك الواقع الاجتماعي وللشعر معها وقفات مشرقة نتبينها في النماذج الشعرية التي سنسوقها في الصفحات التالية .

ولعل أهم مظاهر التخلف التي سادت المجتمع في النصف الأول من هذا القرن هي :

١ - الجهل ، وهو من الأمراض الخطيرة في المجتمعات البشرية بل وعلة شقائها وتخلفها وبؤسها وقد كان متفشيا في المجتمع اليمني بشكل رهيب وصورة مفزعة .

لذا فقد كان من أهم واجبات الشعر بيان الحاجة الى التعليم والدعوة الى تطوير الحياة الثقافية ، وتوجيه النشء الى اكتساب العلم والعناية به فعلى هذا النشء تقوم أعباء الحياة الجديدة وبه تنهض البلاد ، اذ أن العلم وسيلة ناجحة في صحوة الأمم ونهوضها .

وهذا ما تعبر عنه قصيدة الزبيري (في حفلة العلم) التي ألقاها في احدى مدارس عدن أوائل الأربعينيات ومنها : (١)

علموا النشأ في الحياة الصمودا ∴ واخلقوهم بالعلم خلقا جديدا

وابعثوهم من وهدة قبح الأبا ∴ ء فيها دون الأنام رقودا

قنعوا بالاحلام حينا من الدهـ ∴ ـر فبادوا وخلفوهم عبيدا

(١) ديوان صلاة في الجحيم ص ١٥٦ .

لم نجد منذ جئنا الى الأرض الا الجهل والليل والظلام الشديدا
ماترى في الظهور الا سياط الـ ... ـمسف أو في الأقدام الا القيودا
أمة في الفلاه ضيعت النـــو ... ر فضلت فيها ضـــلالا بعيـــدا
ليس الا بالعلم يستيقظ الشعـ ... ـب ويمحو عنه الخطوب السودا
ان في العلم بلسم العالم الرا ... زح تحت الشقا دهرا مديـــدا
وجدوا فيه منقذا من شرور الـــ ... ـكون في طيه حكيما رشيـــــدا
هو قانون الله في الكون يجرى ... كل شيء على هـداه سديـدا
تتشى لأمره الذرة الصمـــــا ... ويمشي فيها قويـا وطيـــــدا

فالشاعر هنا يدعو الى العلم ويحث عليه بصفته علاجا من الشقاء ومنقذا من الشرور وتنقيحا للعقول والأذهان على قوانين اللـــه فـــي الأرض .

وفي قصيدته " في سبيل التعليم " يركز الأستاذ احمد الشامي على المعلم ودوره في بناء العقول وتربية الأجيال وتنشئة الرجـــال فالمعلم اما أن يكون أداة اصلاح أو وسيلة افساد وهدم .

يابناة العقول والأنفس الحـــرة دمتم تمـــزقون الضـــلالا
تخلقون الحياة خلقا جـــديـــدا أريحيا وتنجبون الرجـــالا
أيها المنشيء العقول تبصر ... أنت تهني الأوطان والأجيالا
أنت ان لم تكن رسول ســـلام ... كنت حربا على الورى ووبـــالا

ليس أدهى من المعلم ان كان ∴ ـ ولا كان ـ فاسدا محتالا

رضى الله عن أنـاس أشادوا ∴ للعلوم الأركـان والأمثالا

بذلوا فى سبيلها كـل غـال ∴ النهى والنفـوس والأموالا (١)

والشاعر يدعو فى البيتين الآخرين الى بناء المدارس وتشيـيد دور العلم والبذل والانفاق فى سبيل ذلك مهما تكن التضحيات ، ففى هذه المدارس تهنى النفوس وتزكو العقول وتتحطم الأغلال والقيود .

وفى سنة ١٣٧٧ هـ حين أنشئت أول دار للمعلمين فى صنعاء كتب الأستاذ البردونى قصيدة بعنوان " يوم العلم " ، ومطلعها : (٢)

ماذا يقول الشعر ؟ كيف يرنـم ؟ ∴ هتف الجمال فكيف يشدو الملهم

وبعد أن أشاد الشاعر بهذا اليوم وما صاحبه من أفراح وبسمـات وتغاريد أخذ يبشر اليمن السعيد بما سيتحقق له عن طريق هـذه الدار من يقظة وأمنيات ، ظل دهرا طويلا يحلم بها . فهذا العلم قد أقبل وهذه بداية طيبة سيسجلها التاريخ نقطة بيضاء فى جبيـن اليمن الميمون .

ياوثبة " اليمن السعيد " تيقظت ∴ شبانه وسمت كما يتوسـم

ماذا يرى اليمن الحبيب تحققت ∴ اسمى مناه وجل ما يتوهـم

(١) ديوان من اليمن ص ١١٦ .

(٢) فى طريق الفجر ص ٥٣٩ من مجموع دواوين البردونى جـ ١ .

فتحت تباشير الصباح جفونـه ∴ فانشق مرقده وهب النـوم

وأطل يوم العلم يرفل في السنى ∴ وكأنه نغم الحيـاة ترنـم

يوم تلقنه المدارس نشأهـا ∴ درسا يعلمه الحياة ويلهم

ويردد التاريخ ذكراه وفـي ∴ شفتيه منه تساؤل وتبسـم

وقف الشباب الى الشباب بوكلهم ∴ ثقة وفخر بالبطولة مفعـم

في مهرجان العلم رق شبابه ∴ كالزهر يهمس بالشذى ويتمتم

وتألق المتعلمون كأنهـم ∴ فيه الأشعة والسما والأنجم

يافتية اليمن الأشم وحلمـه ∴ ثمر النبوغ أمامكم فتقدموا

وتقحموا خطر الطريق الى العلا ∴ فخطورة الشبان أن يتقحموا

وابنوا بكف العلم عليا كم فمـا ∴ تبنيه كف العلم لا يتهـدم

وهذه دعوة أخرى يطلقها الشعر يدعو بها الشباب الى المزيد من العلم والنبوغ فيه ويؤكد أنه طريق التقدم والرقى والبناء وبه تتحقق طموحات الشعوب وتبنى الحياة بناء قويا وثابتا .

٢ - الفقر والجـوع :

ولم تكن دعوة هؤلاء الشعراء الى العلم الا لأنهم يرون ويشاهدون الآثار الخطيرة التى يعانى منها الشعب نتيجة لاستغراقه فى الجهل ، ذلك الداء الخبيث والمرض الفتاك .

وهذا المرض مع خطورته لم يكن الداء الوحيد الذى كان ينخسر جسم الأمة ويفت فى عضدها ، فهناك أمراض كثيرة عانت منها البلاد لخصها الزبيرى فى بيتين من الشعر سبق ذكرهما ، وأعيد ذكرهما هنا لمناسبتهما لما نحن بصدده وهما :(١)

ماذا دهى قحطان فى لحظاتهم ∴ بؤس وفى كلماتهم آلام

جهل وأمراض وظلم فساد ح ∴ ومخافة ومجاعة واسقام

وهذه تقريبا أخطر الأدواء التى أصابت الشعب اليمنى وكانت سببا فى شقائه وبؤسه .

وهذه صور من ذلك الواقع المتخلف يرسمها لنا الشاعر على محمد لقمان فى قصيدته " بلا حجاب " وفيها يقول :(٢)

نحن الجياع فأين العقل يشبعنا ∴ نحن العراة غزانا الفقر والوهن

نحن الذين نعانى كل معضلة ∴ وكل معضلة بالعقل تمتهن

انا لنضعف من جوع ومن ظمأ ∴ وغيرنا سمنوا حتى اشتكى السمن

كأنما نحن أموات ملابسنا ∴ ما يلبس الميت التحنيط والكفن

أنأكل الخبز لا لحم ولا سمك ∴ وغيرنا أكله المعسول واللبن ؟

نجوع نعرى نقاسى نشتكى سقما ∴ وفى شوارعنا الآفات تندفن

طال السبات عليكم فى جهالتكم ∴ والعيش فى الجهل عيش عابس خشن

(١) ديوان صلاة فى الجحيم ص ٦٦ .
(٢) ديوان أشجان الليل ص ٧٣ .

هذه في الحقيقة صور من الماضي الذي عاناه المجتمع اليمني بشطريه في فترة من تاريخه الحديث تحت مظلة الاستعمار والاستبداد على السواء .

ولكي يكون الوضع أكثر وضوحا لنستمع الى الشاعر البردوني وهو يرسم لنا صورا من الفقر والجوع اللذين كان يكابدهما المواطن اليمني ففي قصيدته " ليالي الجائعين " يقول البردوني : (١)

هذي البيوت الجائعات ازائي ∴ ليل من الحرمان والاد جاء
من للبيوت الهادمات كأنها ∴ فوق الحياة مقابر الأحياء
تغفو على حلم الرغيف ولم تجد ∴ الا خيالا منه في الاغفاء
وتضم أشباح الجياع كأنها ∴ سجن يضم جوانح السجناء

* * *

هذي البيوت النائمات على الطوى ∴ نوم العليل على انتفاض الداء
نامت ونام الليل فوق سكونها ∴ وتغلغلت بالصمت والظلماء
وتململت تحت الظلام كأنها ∴ شيخ ينوء بأثقل الأعباء
أصغى اليها الليل لم يسمع بها ∴ الا أنين الجوع في الأحشاء
وبكا الحنين الجائعين مردد ا ∴ في الأمهات وسمع الآباء
ودجت ليالي الجائعين وتحتها ∴ نهج الجياع قتيلة الأهواء

(١) ديوان من أرض بلقيس ص ١٠٩ من مجموع دواوين البردوني جـ ١ .

ولم يكتف الشعر بتصوير الأوضاع وانما وقف منها مواقف ثلاثة :

١ - موقف المعالجة بالدعوة الى العلم على أنه سفينة النجاة التى ستحمد عنه كثيرا من مشكلاته وهمومه ،وقد تمثل هذا الموقف فى القصائد السابقة للزبيرى والشامى والبردونى .

٢ - موقفه من الجوع والفقر فاذا كان الشاعر البردونى قد صور البيوت الفقيرة وما تعانيه من جوع وما تلاقيه من عنت فى سبيل لقمة العيش فان الشاعر ادريس احمد حنبله يوجه الدعوة الى الأغنياء الميسورين والتجار ،للبذل والعطاء لانقاذ ذوى الحاجات من حالات البؤس والشقاء التى يقاسونها كما نرى ذلك فى أبياته التالية :(١)

هل يفيد المرء ما يكسبه ∴ من ثراء فاحش ومن ذهب

انما المال كطيف عابر ∴ لاح فى النوم قليلا واحتجب

أيها التجار لا تزعجكم ∴ صيحة الحق اذا الحق غضب

فاطلبوا الخيرات ما أحوجنا ∴ لقليل أو كثير مقتضب

واسعفوا الأوطان من آلامها ∴ شرف المال وسلطان الأدب

فالأبيات واضحة فى أنها تدعو الى التعاون والاخاء بين الفقراء والأغنياء باعتبار أن للفقير حقا فى مال الغنى ،كما أوضح ذلك الاسلام

(١) أنظر كتاب الأبعاد للمقالح ص ٩٠ .

وهو موقف ايجابي يقفه الشاعر وليس ملمحا من ملامح الاشتراكية كما أشار الى ذلك بعض المعاصرين(١) الذين درسوا الشعر اليمني ، وليس في الأبيات مايشير الى تلك الملامح الاشتراكية المذكورة .

٣ - هذا على حين أن شعراء آخرين وقفوا من قضية الفقر موقفا آخر تخالله مشاعر الأسى والألم ، ويظهر منه الحزن ، وهو موقف عاطفي نبيل .

فهذا الشاعر محمد سعيد عبادة يقف لاهث الخطى ، زائغ العينين يفتش عن مهرب يلجأ اليه ويناجي فيه نفسه ، فيقول مصورا حاله وحال مواطنيه :(٢)

في أي مجتمع أعيش .·. وأي دنيا من ضياع

عيناي زائغتان لم .·. تريا بعينيها من شعاع

وخطاي لاهثة تخبو .·. في مدى الظلام بلا انقطاع

بين الدروب الشائكا .·. ت وفوق أنياب الأفاعي

نحن الضعاف الجاهلو .·. ن بكل أسباب الدفاع

شعب يعيش على التوا .·. كل والدسائس والخداع

ويثير عاطفة الجدا .·. ل على الحقير من الدواعي

قول بلا فعل وايما .·. ن بلا حجى اقتناع

(١) الاشارة الى الدكتور عبد العزيز المقالح في كتابه الأبعاد ص ٩٠ الذي زعم فيه أن هذه الأبيات بداية ملمح من ملامح الاشتراكية.

(٢) ديوان مشاعل الدرب ص ٢٧ .

والقصيدة فى جملتها تصوير للأوضاع الاجتماعية المتردية ولحالات وملامح من البشر المعذبين الذين عاشوا تلك الأوضاع التى اتسمت بالجهل والخور والتواكل والخداع والدعاوى الزائفة ، وغير ذلك مما زاد فى عمق المأساة وقتامة الصورة .

ولم يكف الشعر عن محاربة تلك الأدواء ومحاولة تقويم اعوجاج الأوضاع من كل جوانبها .

وخلاصة القول ان من الشعراء من حارب الجهل وحث على التعليم ومنهم من قاوم الفقر والمرض ودعا الى مجتمع سوى يسوده الرخاء والتكافل الاجتماعى والتعاطف بين أفراده ، ومنهم من رسم صورا مزرية لحالة التشرد والضياع التى يعانى منها المهاجر اليمنى .

٣ - الثراء على حساب الآخرين :

كانت هذه بعض الصور الاجتماعية السيئة التى وقف منها الشعر موقفا ايجابيا ، وهناك صور أخرى لا تقل أهمية عن الصور السابقة فقضية الثراء الفاحش الذى تتمتع به عادة مجموعة من الناس على حساب مجموعات أخرى ، هذه القضية ظاهرة اجتماعية خطيرة تستدعى الوقوف عندها والسؤال عنها .

ومن أين لك هذا ؟ سؤال تاريخى شرع للحد من ذلك الثراء غير المشروع وتحقيق العدل الاجتماعى بين أبناء المجتمع الواحد .

وفى قصيدة الشاعر محمد عبده غانم " من أين لك هذا ؟" تأتى الأسئلة الموجة الى أولئك الأثريا متتابعة محرجة لتقول لهم انه لابد من العمل الجاد والكسب الحلال ، وهذه بعض مقاطع تلك القصيدة :(١)

أنى لك القصر المنيف الشاهق
والقاع فيه بالنمارق غارق
والخزّ فى خضر الستائر خافق
والطيب من ألق المجامر عابق

أأتاك قارون بليل عابر
بكنوزه فى كل كيس زاخر
بالدر يشرق بالسنا الباهر
والتبر يشهق بالرنين العاثر

أقضيت يومك فى الرمال الحامية
والريح تزأر بالسموم الكاوية
تسعى لتحفر ترعة أو ساقية
تصل الجداول بالقفار الصادية

وعلى المحيا فى الهواجر يلهب
عرق تحدر من جبينك صيب
والقلب فى جمر الأسى يتقلب
كتب الشقاء له فأين المهرب

(١) ديوان حتى يطلع الفجر ص ٣٧ .

فالقصيدة دعوة للكد والكدح والعمل المشروع لكي يكون الثـــراء حلالا مشروعا وحينئذ لا تعيش طبقة على حساب أخرى فالكل يأكل مـــن عرق جبينه ،وهذا أمر دعا اليه الاسلام وحببه وحث عليه النبي عليـــه الصلاة والسلام حيث قال (من بات كالا من عمل يده بات مغفورا له) (١) رواه ابن عساكر عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

والحق أن كثيرا من صور البؤس والشقاء والتخلف - التي كان يعاني منها المواطن اليمني - قد اختفت ،وحل محلها صور مشرقة الى حـــد كبير ،فقد كسر الشعب طوق العزلة ونفض عن كاهله غبار التخلف ونـــزع ثوب الجهل ودخل الحياة الاجتماعية المعاصرة من أوسع أبوابها .

كان ذلك بعد أن قامت ثورة ١٩٦٢م وفتحت المدارس والمعاهـد للتخلص من الجهل وأقيمت المستشفيات للقضاء على أسباب المرض وأنشئت المؤسسات الاقتصادية والتعاونية لازالة عوامل الفقر ، فتحسنت أحـــوال الجائعين وغمرت الفرحة وجوه البائسين والمظلومين .

(٢)
وفي ذلك يقول الشاعر محمد الشرفي :

استعاد الحزين بسمته النشـ ـوى وشعت أحلامه البسامه
فامرحي ياسعيدتي وأملأي الدنيـ ـا نشيدا مضمخا بالكرامه

(١) انظر فيض القدير للمناوي شرح الجامع الصغير للسيوطي ٦ / ٩١
(٢) ديوان أغنيات على الطريق الطويل ص ٧٤ .

وارقصى فرحة ودقى طبول الفخ ∴ ر واهضى على دروب السلامه
قد أعاد الحمى أزمة دنيا ∴ ه وعادت الى بنيه الزعامه
وتلاشت من أرضنا عصبة الظـ ∴ لم ولا قى الظلام فيها حمامه
وانتهى عالم من الذل والخسو ∴ ف ولبت صوت القهور الاساسه
وطوت ذيلها القسور ودوى ∴ فجرنا الحر رافعا أعلامه

والشرفى فى هذا يعبر عن فرحة حقيقية عاشها الشعب وهشت لها كل الوجوه كان ذلك عقب الثورة مباشرة وتمثل اندلاع الحرب الأهلية التى حالت دون بلوغ المرام وتحقيق الأمل المنشود الذى من أجله قامت الثورة .

وظل الشعر واقفا الى جانب الشعب فى أفراحه وأتراحه ففى عام ١٩٧٠ أصابت بعض أجزاء البلاد بعض المجاعات فوقف الشعر الى جانب الشعب فى حرمانه مطالبا بحقوقه واستخراج ثرواته الكامنة فى أرضه .

وفى قصيدة الأستاذ الشاعر حسن الفارس " مع الشعب فى مجاعته " يتناول الشاعر بعض أسباب التعاسة والشقاء ويندد بالعابثين بأموال الشعب وخيراته المنغمسين اثما وعدوانا فى أكل ثرواته ويدعو الشعب بكل صراحة ووضوح الى محاربة كل سلوك غير انسانى محذرا اياه من الانصياع لتعاليم وآراء الهدامين والمنحرفين مهما تكن دعاويهم العريضة وشعاراتهم المصقوله .

وهذا ماتحكيه لنا قصيدة الفارى المشار اليها فتقول : (١)

من واقع الشعب من أنات أحزانى ∴ للجائعين أصوغ اليوم ألحانى

من التوجع للموتى قضوا سغبا ∴ أصوغها صرخة من هم وجدانى

فحالة الشعب كم أدمت حقائقها ∴ فؤاد كل غيور مخلص حان

شعب يعيش على الحرمان ويحهم ∴ وأرضه ذات خيرات وامكان

ورغم هذا يرى الحرمان فى صور ∴ من التعاسة فاقت كل حرمان

فالعابثون بمرصاد للقمته ∴ كم جرعوه خطوبا ذات ألوان

ياللأسى كم أذل الشعب منغمس ∴ فى اثمه بين اجرام وعدوان

وكم تحدى الحمى وغد يجرعه ∴ مرارة الخزى فى خزى وخذلان

اذا نصحناهم قالوا تحررنا ∴ يبيح كل سلوك غير انسانى

فارفض تعاليم آراء مدمرة ∴ شعب البطولات واحذر هدم شيطان

وامح التخلف بالاسلام متخذا ∴ من نهجه كل اصلاح وعمران

وهكذا لم يدع الشعر مناسبة تمر الا واستغلها فى التعبير عن مرض أو تصوير مأساة من مآسى الشعب الاجتماعية .

(١) من صرخات الايمان - ديوان شعر - ص ٨٣ .

٤ - الهجـــرة :

مثل هذا الوضع الاجتماعي الذي يداخله الفقر الشديد هو الذي قاد - على نحو طبيعي - الى ظاهرة اجتماعية أخرى ، هي ظـاهـرة الهجرة والأغتراب والبعد عن الأهل والوطن .

وكان هذا هو الطريق المحتوم الذي لم يجد المواطن بدا مـــن اللجوء اليه للتخفيف عن آلامه وآلام أسرته ومجتمعه .

والشعر المعاصر لم يهمل ظاهرة الهجرة فقد كانت واحدا مـــن موضوعاته وتقع ضمن اهتماماته .

فالهجرة في الأصل ظاهرة ايجابية في المجتمعات المتقدمة الا أنها في اليمن صارت مأساة . . .

مأساة فرد يعاني الغربة والنأي عن الديار . .

ومأساة شعب يعاني العزلة والانكماش والتخلف ، وهي من هذا المنطلق تكون مرضا اجتماعيا خطيرا .

ويأتي اهتمام الشعر بهذه المأساة من زاوية المهاجر نفسه ، فهـو عند محمد أنعم غالب كثير التنقلات لا يستقر على حال لأنه مطارد في بلده من قبل الجباه الذين يأخذون الزكاة بحق وبغير حق .

كل الموانئ تعرفـــه

كل البلاد بجابهـــا

كل البلاد تغاضهـــا

بأى اســـم

أبوه سماه " على "

وحين صار فى عداد الوارثين

أثبت اسمه " علـى "

فى دفتر الزكاة طارده الجباة

وباع نصف ثروته

ليدفع الزكاة

وأجرة التقدير والجباة والجنود

ورشوة الحاكم والأمـير

وفـاتر الوطـن (١) . .

والمأساة الكبرى فى حياة المهاجر اليمنى أنه مع مضى السنيـــن يستمرئ الهجرة ويعتادها بعد أن يأس من العودة الى الوطن فيغير مجرى حياته وحتى اسمه ربما تعرض للتغيير ان دعت الحاجة .

هكذا تحدث عنه الشاعر المهاجر محمد أنعم غالب فى هذه الأبيات: (٢)

هناك عاش بضعة من السنين

واسمه القديم صار ذكريـات

ونقش اسمه الجديد فى ورق

(١) شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجى ص ٣٢١ .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٢٣ .

مكتوبة بخط أعجمي

وطوف البحار والقفار

كم بدل الأسماء

وبدل الأوراق

واذا كانت هذه صورة المهاجر اليمني عند محمد أنعم فان الشاعر ابراهيم الحضراني يرسم له صورة أكثر قتامة وأشد كآبة فهو حائر فزع متعثر يبدو عليه الذعر والرعب والقلق ولا ذنب له فيما يعاني سوى أنه ترك وطنه تحت ضغط الاستبداد السياسي والقهر الاجتماعي

(١)

وهذا ماتصوره لنا قصيدة الحضراني " يمني في شوارع روما " :

تتساءل الجدران بي ∴ وأنا بساحتها أطوف

من ذلك الرجل الغريب ∴ وذلك الشبح النحيف

يمشي فتمشي حول جيـ ∴ ـكله من الماضي طيوف

الذعر في نظراته ∴ والرعب والقلق المخيف

يامهبط الروسان هـ ∴ ـذا ماجنى الزمن العنيف

من عهد حميـ ∴ ـر لا يزا ∴ ل يروقنا أو عهد خوفو

والجرح جرح المستبـ ∴ ـد له بأنفسنا نزيف

أمشي بها متعثم الخطوا ∴ ت لي شرع كليف

(١) شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجي ص ٦٥ .

يتحسس الكلمات يرعا ∴ ها بنهنهة يطوف

الدار تتكرنس ولكني ∴ بساكنها شغوف

أشدو فينكسر جوها ∴ شدوي وظفظه السقوف

وبهذه الصور الحزينة صارت الهجرة مرضا اجتماعيا خطيرا ولهذا عددناها ضمن الأمراض الاجتماعية التي أصابت اليمن في تاريخها الحديث ومن ثم كانت موضع اهتمام كثير من الشعراء المعاصرين وعنايتهم .

٥ - الغربة :

واذا كان البعد عن الأهل والديار يعبر عن ظاهرة من الظواهر الاجتماعية في الشعر اليمني فهناك ظاهرة أخرى عبر عنها الشعر ايضا هي ظاهرة الاحساس بالغربة وشعور الانسان بالعزلة حتى وهو في وطنه وبين أهله .

والشعر في هذا الجانب يعبر عن ظاهرة واضحة المعالم ، ذلك أن الشعراء هم اكثر الناس احساسا بالغربة وأشدهم تأثرا بها ، ومن ثم كانوا أقدر الناس على التعبير عن مرارتها .

وقد يكون من العسير استيعاب وحصر النماذج الشعرية التي تعبر عن هذه الظاهرة الاجتماعية في الشعر اليمني .

وسأكتفى ببعض تلك النماذج التى توضح الغرض وتبرز المعنى الذى سيقت من أجله .

وهذه هى النماذج :

١ - قصيدة " شكوى الغريب " للشاعر احمد الشامى والتى كانت بمثابة رسالة جوابية بعث بها الشاعر الى زميله وصديقه الشاعر محمد عبده غانم .

وقد صور فيها الشاعر لوعته وغربته وبث فيها حزنه وكآبته ، وهذا مقطع من تلك القصيدة التى كانت تعبيرا عن شجون الشاعر الى صديقه الشاعر . وفيه يقول :(١)

رفقا بقلب جاحم ∴ اللوعة ثائر الدم

بيت مذعورا الفؤا ∴ د تحت جنح الظلم

يسائل الأفلاك عن ∴ غرامه المحطم

وعن رفات حبه ∴ المعزق المهدم

يشهدها شجونه ∴ شكوى الغريب المغرم

تكاد روحه تذوب ∴ فى غضون الكلم

والكون مأخوذ بما ∴ يبعثه من نغم

يا ويحه كم ذاقها ∴ من ضروب الألم

(١) ديوان من اليمن ص ١٦٠ .

كم يتلقى قلبـــه ∴ من أسـى وأسهـــم

وكـم يعانى روحـه ∴ من كـرب ونقـــم

وكـم يظل كالسجين ∴ فى وثـاق الـوهـــم

ياشاعر الوادى ترنم ∴ بالبيـــان المحكـــم

كفكـف دمـوعى بالقـــوافى الساحرات النغـم

وارأب صـدوع الحب فى قلبـى وهـدد ألـمـى

واستلهم الأشعـار مـن (شمسان) عالى القمـم

فأنـت أنـت الشاعر الفـذ النزيـه القلـم

أصبحـت فى دنيا البيـان مفـردا كالعلـم

والقصيدة من الاغتراب الايجابى الذى يقوم على رفض الواقـع القائم والبحث عن البديل الأفضل وفى هذه الحالة لا يكون الاغتـراب عيبا من عيوب المجتمع .

٢ - قصيدة " حنين طائر " (١) للشاعر الزبيرى وهى من أشهر اغترابياته وفيها يبدو رومنسى النزعة والتعبير وهو يقارن بين نفسه والطائر ويجعلهما شيئا واحدا يجمعهما التشرد والضياع .

فالزبيرى يبلغ قمة التأثير بشعر الغربة فهو لا يخجل من البكاء لأن البكاء عنده وسيلة من وسائل التعبير ، وسيلة عاجزة حقا ولكنها على

(١) صلاة فى الجحيم ص ٢٢١ من مجموع الديوان .

أى حال الوحيدة التى لا يملك غيرها فى غربته ، تقول القصيدة : (١)

أمـل غيـر متـاح ∴ وفـؤاد غيـر صـاح

أنا طير حطم المقدو ∴ رعشى وجنـاحـى

ورمـانى فـى نشـار ∴ من دموعـى ونواحى

ذهبت آهـاتـى السودا ∴ ء أدراج الريـاح

فتطامنت على همـى ∴ وخبأت سـلاحـى

لم أجد سمعا فأفرغـ ∴ ـت أنينى فى جراحى

وتنهدت على أنقـا ∴ ض عشى مستبـاح

واغتراب بين غابـا ∴ ت مخيفـات فسـاح

وحيـاة فـى صراع ∴ ونضـال وكفـاح

لا أرى الا ظـلامـا ∴ فى غـدوى ورواحـى

وديـا جيرا ثقـالا ∴ نوحـا فى كل سـاح

تعس الدمـع اذ لـم ∴ يستطع فـك سراحـى

البكا أعجـز ما استخدمت ∴ فى كسـب النجـاح

وبهذا يكون الشاعر قد أسهم بقدر غير قليل فى كسب النجاح لبلاده تارة بالثورة والتمرد كما فى وطنياته وتارة بالبكاء والاستعطاف كما هـو الشأن فى قصائده الرومنسية ومنها هذه القصيدة .

(١) كتاب الأبعاد الموضوعية ص ١٩٧

وحدى وراء اليأس والحزن ∴ تجترنى محن الى محن

وطفولة الفنان تذهلنى ∴ عن ثقل آلامى وعن وهنى

فأنا هنا طفل بدون صبا ∴ واليأس مرضعتى ومحتضنى

وعداوة الأنذال تتبعنى ∴ وتغسل الأدران بالدرن

وتفوح جيفتها هنا وهنا ∴ كالريح فى المستنقع النتن

وتغيب عن درسى . . وأعينها ∴ فى الدرب غابات من الاحزن

وعدا أقزام . . يخوفهم ∴ صحوى ويرتاعون من وسنى

ما خوفهم منى ؟ وما اقترنت ∴ بالحقد أسرارى ولا علنى

خافوا لأن الشر مهنتهم ∴ وأنا بلا شر بلا مهن

ولأننى أدرى نقائصهم ∴ ولأنهم خانوا ولم أخن

ولأنهم باعوا عروبتهم ∴ وعلوت فوق البيع والثمن

ورضيت أن أشقى وأسعدهم ∴ وهج الوعول وزخرف العفن

أحيا كعصفور الخريف بلا ∴ ريش بلا عش بلا فنن

أقتات أوجاعى وأعزفها ∴ وأشيد من أصدائها سكنى (١)

فاليأس والحزن والآلام وغيرها تعبيرات رومنسية واضحة ، والغربة الشعورية يكاد ينطق بها كل بيت لكن الشاعر كالشمعة تحترق لتضىء لغيرها .

(١) ديوان فى ظريق الفجر للبردونى ص ٥٤٧ من مجموع دواوينه .

٥ - ثم تشتد ضراوة الحرب الأهلية ويستشهد الزعيم محمد محمود الزبيري بعد أن كانت كل الآمال متجه لوضع حد لهذه الحرب ورفع راية السلام وحقن الدماء ، وباستشهاده خابت كل تلك الآمال فاذا بالغربة تكون أكثر قتامة وظلمة كما يقول المقالح في قصيدته التي رثى بها الشاعر الشهيد :(١)

ليضحك الكهف من الأعماق

لتقرع الكئاس البعيدة الأجراس

لتفتأ المدينة الحابثة الأحداق

فما الذي سوف نرى بعدك غير الليل

غير اليأس

غير مرارة الاخفاق

بعدك لن نذوق الأمن والنعاس

* * *

حين نزلت في منفاك كانت ذكرياتك الحزينة

واقفة تنوح

تطل من خصاص(٢) السطح للمدينة

لعل في جموعها ثمر أو تلوح

(١) ديوان لابد من صنعاء ص ٦٣ .

(٢) الخصاص : الشقب الصغير .

حين رأتنى أجهشت وأجهش المكان بالبكاء

قالت : أحقا مات ؟

قلت : نعم وماتت الأشعار مات أنهل الأصوات

وكيف مات ؟ كيف أسلمته الأرض والجبال

قلت لها

لا تسأليني كيف مات كيف استقبل المصير

لا أعرف القصة لا يعرفها الكثير

ان اعظم وأمر أنواع الغربة أن يكون الانسان غريبا فى داره وبين أهله غير أن التناقضات والحروب الأهلية والتآمر على حياة المصلحين فى أى أمة من الأمم مما يزيد فى مرارة غربتها وعمق مأساتها ، وحرارة احساسها بالقهر ولا سيما اذا صاحب ذلك التآمر ، تعمية عن الواقع وطمس للحقائق وفقدان الذات .

والمقالح هنا صادق الشعور قوى الاحساس صريح مع نفسه ومع الآخرين ، فلا ينتابه الشك بأن هناك مؤامرة على حياة الزبيرى هى التى أودت بحياته ولكنه لا يعرف كنهها ولا طبيعتها كما لا يعرفها كثير من المواطنين . . لا أعرف القصة لا يعرفها الكثير .

ولا يزال هذا الأمر غامضا الى اليوم وكثيرا ما يتردد السؤال عنه على الألسنة ولا يجد أحد جوابا ، والذين يعرفون الجواب صامتون !

والملاحظ على قصيدة المقالح هذه أن الشاعر استعمل ألفاظا ومصطلحات بعيدة عن الواقع اليمنى فليس فى اليمن كنائس ولا أجراس، ويبدو أنه متأثر ببعض الشعراء المشارقة وشعراء لبنان الذين كانوا على صلة ما بهذه الألفاظ .

٦ - وأختم حديثى عن الغربة بأبيات للشاعر عبد الله البردونى من قصيدته : "أنا الغريب" ولعل أبيات البردونى ، هذه أصح وأعمق ماقيل عن الغربة الشعورية أو الروحية والتى غالبا ماتصيب الانسان وهو فى دياره وبين أهله ،ولهذا وجد الشاعر نفسه غريبا والأقارب يحيطون به من كل جانب ،ويشعر بالتشرد والابتعاد بينما هو فى أرضه ووطنه :

وكأنى تحت الدياجير قبر ∴ جائع فى جوانح الصمت عارى
وأنا وحدى الغريب وأهلى ∴ عن يمينى وأخوتى عن يسارى
وأنا فى دمى أسير وفى أر ∴ ضى شريد مقيد الأفكار
وجريح الاباة قتيل الأمانى ∴ وغريب فى أمتى وديارى
كل شئ حولى على غضوب ∴ ناقم من دمى على غير ثار (١)

(١) ديوان فى الطريق الغبر ص ٢٢٢ من مجموعة البردونى الشعرية .

ومن خلال النماذج السابقة اتضح أن الغربة اتخذت معنى أعمق من معنى الهجرة اذ أنها قد تعني الغربة الشعورية أو الروحية اضافة الى الهجرة البدنية والنأى عن الديار والأهل .

ولم يكتف الشعر في معالجة هذا المر بالموقف السلبي وهو التنديد بتلك الصور المزرية التي يعاني منها المجتمع اليمني ، وانما اتخذ ايضا موقفا ايجابيا يعالج فيه الغربة ويفتح أعين الشعب على الخلاص من هذه المأساة ، فالبكاء والعويل لا يجديان شيئا في هذا السبيل والوعي والصدق والتعاون والأمانة والحرية أسس هامة للقضاء على ظاهرة الغربة .

* * *

ب - البناء الاجتماعي وشرائحه :

سبق أن قسمت البناء الاجتماعي اليمني الى عدة تقسيمات مذهبية وقبلية وأسرية وطبقية وغيرها .

وفي الصفحات الآتية سوف نستعرض موقف الشعر من هذه التقسيمات المختلفة في حدود النقاط التالية :

١ - المذاهب الدينية .

٢ - التجمعات العرقية والقبلية .

٣ - العامل والفلاح

٤ - المرأة .

أولا : المذاهب الدينية :

وقد أشرت من قبل الى هذه المذاهب وتحدثت عنها بما فيه الكفاية .

بيد أن وجود مثل هذه المذاهب في الشعر اليمني المعاصر لا يعبر عن ظاهرة تعصب أو يدعو لها بل يحذر منها ومن آثارها التي قد تصيب ضعاف النفوس من البشر .

والنماذج الشعرية التي تشير الى هذه المذاهب انما جاءت في معرض الدعوة الى الوحدة الوطنية والتحريض بدعاة الفرقة المذهبية (١) .

وما من شك أن المذهبين الشافعي والزيدي ليس بينهما من الخلاف ما يشكل عقبة في طريق وحدة المجتمع اليمني .

فالمذهبان يتفقان في أصول العقيدة والشريعة وان اختلافا في بعض مسائل الفروع .

وفي ظل هذين المذهبين الاسلاميين لم يجد المواطن اليمني ضيرا في التعايش والاتحاد العقدي والفكري يتهمهما اتحاد في الهدف والمصير .

ولم تبرز المذهبية وتصبح مشكلة سياسية واجتماعية الا في أوائل هذا القرن تحت ظل الاستعمار في جنوب البلاد .

يقول الأستاذ أحمد الشامي :

" ان أول من حاول اثارة النعرة الطائفية ، من أجل تمزيق اليمن وتحريض الشافعي على الزيدي ، هم الانجليز في عدن أيام حرب

(١) هذه بالنسبة لشعراء المذهبين الاسلاميين الشافعي والزيدي أما الاسماعيلية فهي من الفرق الشيعية الضالة وليس لها تأثير يذكر في المجتمع اليمني وذلك للأسباب التالية :
أ - لقلة عدد أفرادها .
ب - لبعدها عن مراكز التأثير السياسي والاجتماعي والثقافي
جـ - لضعف ثقافتها وانتشار الجهل بين أبنائها أكثر من غيرهم .

الطائرات بين عدن واليمن عام ١٩٢٨م ١٣٤٦هـ وذلك بواسطة (١)
منشورات باللغة الانجليزية وزعت بالطائرات على المناطق الشافعية.

وقد صور الشاعر احمد الشامي تلك الحادثه في هذه القصيدة (٢):

وهيج المستعمرون

عناصر الفرقة والفساد

وحركوا مشاعر التميز

ونبشوا دوافن التفريق

وتلك منشوراتهم

معروفة لدى الجميع

بطائرات عرهم كانوا يوزعون

تلك المناشير التي تقول

الشافعي في الجنوب

عليه أن يحذر ويخاف

من ذلك الزيدي في الشمال

ونسوا أن اليمن

بكل مافيها من السهول والجبال

(١) من الشعر المعاصر لأحمد الشامي ص ٩٥٢.

(٢) ديوان الاليافة من صنعاء ص ١٦.

بكل مافيها من الوديان والنجود

جغرافيا موحدة . . سكانها موحدون

ولم يكن قحطان زيديا ولا قد كان شافعى

ولم يكن عدنان شيعيا ولا قد كان ناصبى

ولم يكن تبع أى تبع يدين بالمذهب أى مذهب

الا بأنه يعيش باليمن

شمالها جنوبها جغرافيا موحده (الخ)

ورغم هذه السلبيات الا أن الأئمة قد انخدعوا بهذه الفكرة ورأوا أنها تخدم مصالحهم وربما ساعدتهم على الاحتفاظ بالحكم فترة أطول على طريقة " فرق تسد " .

والقصيدة على بساطة أسلوبها وضعف تراكيبها ، وألفاظها ، الا أنها من الجانب الفكرى دعوة الى الوحدة التى طالما دعا اليهـــا المفكرون والشعراء والأدباء ، وهى الى النثر أقرب منها الى الشعر .

واذا كان الشامى قد ندد بهذا التفريق ، واعتبره خدعة ، على اليمنيين أن يحذروها ، فان الشعراء جميعا ولا سيما رواد الحركة الوطنية الاصلاحية ، قد فطنوا لهذه الخدعة ، واتخذوا حيالهـــا موقفا ايجابيا حازما .

فقضية التفريق ظاهرة خطيرة كثيرا ما يلجأ اليها الاستعمـــــار لتفتيت قوى الشعوب المستعمرة ، ولم تنجح هذه الخدعة بفضـــــل المستنيرين من أبناء اليمن ودعاة الاصلاح فيها ، الذين وقفوا صفـــا واحدا وسدا منيعا فى وجه تلك الدعوة المذهبية واحتووها قبـــل أن تتعمق وتنتشر آثارها السيئة وتصبح مشكلة مستعصية على الحل .

ومن ثم شكلوا حركتهم الوطنية وكانت مؤلفة من مختلف القوى والفئات المذهبية والأسرية على السواء ، دون أن يكون بينها فوارق أو امتيازات

ووقف الشعر مناصرا ومؤيدا لهذه الحركة ، وأعلن الزبيرى بصراحـــة ووضوح أننا شعب عربى وحدنا الاسلام ، ولن تفرقنا المذاهـــــب والاتجاهات فقال :[1]

نحن شعب من النهى مهاديـــ ∴ ـنا ومن حمير دماتا الزكيـه

ملء اعراقنا اباء ومجـــــد ∴ وطموح الى العلى وحميـــه

أرضنا تلعن الطغاة الأولى سا ∴ دوا علينا بالفرقة المذهبيه

أرضنا حميرية العرق ليســـت ∴ أرض زيدية ولا شافعيـــه

وفى قصيدة أخرى يندد الزبيرى - بسخرية واحتقار - بالمذهبيـة التى أراد الأئمة تثبيتها فى نفوس الجند فقال فى قصيدته " العجوز وعسكرى الامام " على لسان الجندى :[2]

(١) ديوان ثورة الشعر ص ١٤٧ .

(٢) ديوان صلاة فى الجحيم ص ٤٣٤ من مجموع شعر الزبيرى .

نعم انا البطل المغوار جئت الى ∴ عجوزة لم يهذب طبعها الهرم

انا جنود أمير المؤمنين فلـــم ∴ لا تذبحى الكبش ياحمقاء دونهموا

انى اذا راجع للكـوخ أهدمـــه ∴ ياشافعية ان الكذب دابكمـــوا

ففى كلمة " شافعية " يكمن جانب كبير من مساوئ التخلف الاجتماعى فى اليمن ومنها كذلك تبرز المذهبية بأنيابها الحادة كما أرادهـــا (١) الاستعمار وكما أرادها الأئمة أيضا .

غير أن تيقظ الشعراء والمفكرين الى الخطورة التى تكمن وراء مثـل هذه النعرات يعتبر علامة وعى اجتماعى وظاهرة صحية لمواجهة مثـل هذا الداء الخطير الذى بدأ آنذاك ينخر فى جسم المجتمع اليمنى .

فهذا الشاعر على عبد العزيز نصر يتحدث باسم الشعب كله فـى تهامة وصنعاء وعدن وتعز وغيرها ، ويقسم بأن البلاد بلاد الجميـــع ترعرعوا فيها ، وفيها عاشوا قرونا طويلة باسمهم الخالد " اليمانيين " (٢) فيقول :

أبدأ وأقسم ياشعالب

أن البلاد بلادنـا

فيها ترعرع شعبنـا

وبحبهـــا

(١) الأبعاد الموضوعية للمقالح ص ٧٨ .

(٢) ديوان كفاح شعب ص ٦٣ .

أبدا سيجتاز المتعاعب

عبر القرون

مازال يلهمنا البطولة سد مأرب

أبدأ وأقسم ياشعالب

يامن تثيرون الزوابع

نحن اليمانين كل رجائنا

فى أرضنا

أن ينقضى .. ليل المطامع

أن ينقضى العهد الذى بذر الشقاق

فرق تسد

كانت ومازالت

سياسة غاشم بذر الشقاق

فى أرضنا

يامن تثيرون الزوابع

ومن ثم تمكن الشعر بقوة وحزم من بعد محاولة التفريق هذه وبين للمواطنين أنهم شعب واحد أرضا وعقيدة ولغة وتاريخا .

ثانيا : التجمعات العرقية والقبلية :

حاول الاستعمار من منطلق التهديم كما حاولت الامامة من منطلق

المصلحة الخاصة وضع فواري وامتيازات بين أبناء الشعب لكي تكـــون عقبات في طريق الوحدة الوطنية .

فلما أن فشلوا في وضع العراقيل المذهبية ورأوا أنها وسيلـــة غير ناجحة قرروا اللجوء الى وسيلة أخرى من وسائل التفريق هي وسيلـــة التعصب للأصل أو القبيلة ،ومن ثم بدأ ماكان يسمى بحركة القحطانية والعدنانية ،وكان الهدف من نشر هذه الدعوة الجاهلية هو اقنـــاع بعض من ينسبون الى العدنانية ولا سيما القرشيون بأنهم أحق بالزعامة والحكم وأن المعارضة لا تستهدف الأئمة فقط ، وانما تريد أيضا ابعاد العدنانيين الذين هم أحق بالامامة ـ عن مكان الصداره ليحل محلهم القحطانيون .

غير أن تلك الدعوة الجاهلية لم تجد رواجا اللهم الا عند بعـــض من ينسبون الى الأدب والثقافة " للأسف " ومن ثم وجدنا شخصيـــات مرموقة تورطت في هذا الموضوع ودست أنفها في وحله ،وقد تولى كبره الدكتور عبد الرحمن البيضاني بصفته واحدا من أبرز دعاة التفـــرقـــة المذهبية في اليمن ،ولذلها قام بحملة اعلامية مكثفة باسم القحطانيـــة والقحطانيين أطلق فيها لبيانه العنان سبا وقدفا وتهريجا .(١) (٢)

(١) كاتب وسياسي يمني كان من المقربين للامام احمد قبل الثورة ، وبعد الثورة شغل عدة مناصب كان أهمها رئاسة الوزراء فـــي أول حكومة للثورة .

(٢) أنظر دامغة الدوافع للشامي ص ٢٥ .

فرد عليه الأستاذ الشاعر احمد محمد الشامى بقصيدة فخرية طويلة منتصرا للعدنانية ، وبأسلوب يشبه أسلوب الكميت بن زيد الأسدى شاعر الهاشميين فى العصر الأموى .

والقصيدة بعنوان " عدنان وقحطان " (١) وفيها يقول :

١ - سأظل أهتف بالحمى وأسوده ∴ وأذود عنه وأفتديه وأمنع

٢ - فى سهميى أمضى وحولى عصبة ∴ يمنية طابت ولباب المهيع

٣ - ما ان حنوا يوما لذل جبهة ∴ مذ كان فيهم ذونوا (٢) وتبع

٤ - والعبقريون الأئمة من بنى ∴ حسن (٣) ويحى (٤) من اليهم أرجع

٥ - فى العدل والتوحيد فى دينى وفى ∴ غضب الأسود اذا استثيروا وأودعوا

٦ - لا يجبنون اذا تضايق مخنق ∴ أو ينكصون مخافة أن يصرعوا

٧ - بدم الحسين وزيد (٥) والشهداء (٦) منه ∴ آل الرسول تثقفوا وتطبعوا

٨ - ثم قال مخاطبا البيضانى :

٩ - فتنح ياخدن الجهالة والخنا ∴ واطرق فمثلك رمحه لا يشرع

(١) ديوان من اليمن ص ١٢٦ .

(٢) ذونواس أحد ملوك اليمن الجبارين فى الجاهلية وصاحب مذبحة الأخدود المذكورة فى سورة البروج وتبع لقب لكل من حكم اليمن من الملوك .

(٣) اشارة الى الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم .

(٤) المراد يحى بن الحسين الهادى امام المذهب الهادوى وجد الأئمة الذين حكموا اليمن قرابة ألف عام قدم اليمن عام ٢٨٤هـ وظل الى أن توفى وقبره فى صعده .

(٥) اشارة الى الحسين بين على بن أبى طالب رضى الله عنه .

(٦) زيد هو زيد بن على بن الحسين وقد تقدمت ترجمته .

١٠- واترك مجالات العلى لرجالها ∴ ماضيك معروف ويومك أبشع

١١- هلا ذكرت وأنت فى زمن الصبا ∴ تحنو جبينك للأنام وتركع

١٢- والبؤس يرقص فى جبينك رغمة ∴ والجوع ذل فى الجفون وأدمع

١٣- وأتيت أهل الخير تزعم نسبة ∴ وتقول جدك حمير أو تبع

١٤- ماذا دهاك فعدت تشتم سادة ∴ جادوا عليك بمالهم وتبرعوا

١٥- فارجع بطرفك خاسرا (عدنان)(١) قد ∴ جلت "وقحطان"(٢) أعز وأمنع

١٦- أخوان فى العليا ماافترقا وما ∴ خابا وما خافا ولن يتمزعوا

على أن حديث الشامى هنا على مافيه من هجاء ومافيه من فخر واعتزاز بالانتساب الى العدنانية ،فليس موجها الى القحطانية ولا الى القحطانيين بقدر ماهو طعن فى نسب البيضانى وتشكيك فى يمنيته كما هو واضح فى البيت (١٣) من المقطوعة المذكورة ،أما القحطانيون والعدنانيون فهم أخوان واليهما تنتهى المعالى والمكارم والانساب العربية فلن تخدعهم الدعاوى ولن تغيرهم الأقاويل الباطلة .

أما الأشاوس من قريش وحمير ∴ هيهات أن يتغيروا أو يخدعوا

والشامى بحاسة ولباقة الأديب كان حذرا من أن يسقط أو ينزلق

(١) عدنان وقحطان جدان قديمان اليهما ينسب العرب فى شمال الجزيرة وجنوبها .

(٢) حاول الأستاذ الشامى معالجة قضية التجمع العنصرى لكنه سقط فيها وظهرت العنصرية على لسانه من حيث يريد علاجها .

في مهاوى هذه الرذيله العرقيه لكنه سقط في التعصب المذهبـــي وخطره في تفتيت أوصال المجتمع اليمني أشد من خطر النزعة العرقية ـ القحطانية العدنانية ـ .

أما الموقف المعتدل لشعراء اليمن من هذه القضية فيمثله الشاعر الزبيري الذي كان أرفع صوتا وأكثر وضوحا في دعوته الى وحدة الشعب اليمني فلا قحطانية ولا عدنانية ، الكل سواسية أصلهم واحد ودينهم واحد وأرضهم واحدة ، وعدوهم هو الذي يفتعل هذه الفوارق ، والامتيازات حفاظا على السلطة والحكم .

يقول الزبيري في توضيح هذه الملابسات :

نحن شعب من النبي مهاديـ ـ ـنا ومن حمير دمانا الزكيه
وبنو هاشم عروق كريمـــــا ـ ـتلنا من جذورنا اليعربيه
انهم اخوة لنا غير أسيـــا ـ ـد علينا في عنصر أو مزيـــه
أرضنا أرضهـم تقاسمنـــا ـ ـنحن واياهم العلى بالسويه
والمزايا في الشعب للبعض دون البعض سم الأخـوة القوميـــه
وعدو الجميع من يحكم الشعـ ـ ـب باسم القداسة العائليه
برئت منه هـاشم واقشعـــر ـ ـت في خلاياه النظفة العربية (1)

(١) ديوان " ثورة الشعر " ص ١٤٨ .
(٢)

على أن هذه القضية لا ينبغى أن ينشغل بها المفكرون والشعراء فقضايا الشعب لا تكاد تنتهى أما وقد وجدت فان من الأفضل حسمها والقضاء عليها قبل أن تستفحل ، وقد وقف ذلك الموقف المعتدل الى جانب الزهيرى شعراء كثيرون رأوا رأيه ففى قصيدته " حوار بين جارين " يتدخل الشاعر البردونى ويدلى بدلوه فى شرح أبعاد مثل هـــذا الموضوع وأثره السيىء فى ارساء قواعد التخلف وأن الفخر بالآبـــاء والأجداد لا يقدم ولا يؤخر ، واذا كان لهم أمجاد فى يوم من الايام فان تلك الأمجاد قد أصبحت رمادا ، وأن ليس لهم الا الواقع الـذى يعيشونه بسلبياته ، وايجابياته ، وفيها يقول :(١)

فانحنى جاره وقال : أجبنى ∴ هل ترى صحبتى شنارا وعارا ؟
أنت مثلى معـذب فكـلانـا ∴ صورة للهوان تخزى الاطـارا
فاطرح بهرج الخداع ومـزق ∴ عن محياك وجهك المستعـارا
كلنا فى الضياع والتيه فانهض ∴ ويدى فى يديك نرفع منـارا
قال أين الهوان فاذكر أبانا ∴ انه كان فارسـا لا يجـارى
اننا لم نهن وأجدادنا الغـر ∴ سان كانوا ملء الزمان فخـارا
اننا لم نهن أما كـان جـدا ∴ نا الحسيمان "حميرا" و" نزارا "
فانتخى جاره وقال وما الأجداد ؟ ∴ سل عنهم البلـى والدمـارا
فخرنا بالجدود فخـر رمـاد ∴ راح يعتز أنه كـان نـــارا
قد يسر الجدود منك ومـنى ∴ أن يرونا فى جبهة المجد غارا

(١) ديوان فى طريق الفجر ص ٤١٨ من مجموع اعمال الشاعر جـ ١ .

ونختم الحديث عن العصبية العرقية بالحديث عن الثأر فهما من طينة واحدة ، والثأر في اليمن ولا سيما بين القبائل مبدأ من مبادئ النظام القبلي عندها وأس من أسس التعايش بينها وله آثاره السلبية الكثيرة ، وأسوأ مافيه أنه أحيانا لا يكون تحزبا الى جانب الباطل وربما كان الثأر أحيانا من غير الجاني اذا كانت تربطه صلة ما بالجاني كما يقولون في المثل الشعبي " الغريم أو ابن عمه " وهذا أمر يتنافى وقواعد المنطق والعقل فضلا عن مخالفته للشرائع والأديان .

ثم ان الثأر قد يكون أحيانا لأتفه الأسباب فتكون نتيجته آثارا مدمرة وعواقب وخيمة .

ومن ثم كان للشعر لفتة عميقة في معالجة مثل هذه القضايا حرصا منه على معالجة جميع الأمراض الاجتماعية .

ومن النماذج الشعرية الطريفة في معالجة قضية الثأر قصيدة بعنوان " حمار وعشرة رجال " للشاعر محمد عبده غانم يعالج فيها الشاعر موضوع الثأر بأسلوب قصصي ساخر مستوحى من خبر ، خلاصته " أن عشرة رجال قتلوا أخيرا في اليمن بسبب حمار " .

أما تفاصيل الخبر فهذا ما يرويه الشاعر في قصيدته المذكورة التي يقول فيها معرفا بالحمار وكيف تسير به حياته : (١)

(١) ديوان " موج وصخر " ص ١٥٤ .

قد عاش دهرا يحمل الأوزارا ∴ حينا غضا وتارة أحجارا

والسوط واللعنة من قفاه ∴ اذا هو استراح واستدارا

حتى أتى مزرعة وفيها ∴ عشب ندى يزدهى الأبصارا

فبينما الحمار فى الزرعة يلتهم الأعشاب اذا بصاحب المزرعة يطلع عليه صارخا :

تعيث فى مزرعتى جهارا ∴ وتتلف البقول والثمارا

بالك من مستهتر لئيم ∴ قد نشر الخراب والدمارا

خذ ضربة قاصمة وأخرى ∴ تزلزل الجبال والبحارا

فليس يخشى فى الوغى حمارا ∴ من كان مثلى بطلا مغوارا

ثم يستل المزارع خنجره ويغمده فى ظهر الحمار المسكين فيسقط جثة هامدة ، ولم تمض سوى فترة وجيزة حتى تنكشف الجريمة ويتعرف صاحب الحمار الى رفيقه الطعين فيمكث حوله باكيا مستنكرا

من أتخنت مديته حمارى ∴ من الجبان يفجع العذارى

قد كان لى مؤازرا وفيا ∴ يحمل عنى الكدح والأوزارا

وكان لى مؤانسا صفيا ∴ لا يبرح الساحة والجدارا

يالليرجال أين بأس قومى ∴ يقتص من أهدر الجوارا

وما ان يتعرف صاحب الحمار على الجانى حتى يصوب نحوه بندقيته ويرميه برصاصة أردته قتيلا ويهتف قائلا :

لبيك خذها ياشقى خذهـا ∴ رصاصة تختـرق الأسوارا

لكن القتيل قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة يصرخ فى قومه طالبـا الثأر من الجانى الذى سوى بينه وبين الحمار فسرعان مالبى القـوم الطلب وانطلق الرصاص من هنا وهناك وتساقط القتلى من الجانبين وفى خلال ساعات فقدت القرية عشرة من أبنائها بسبب الثأر للحمار :

وانطلق الرصاص فى السروابى ∴ يقتـل الصغـار والكبـارا

وفتح الحمار عينيـه علـى ∴ دم الرجال دافقا مدرارا

وأغمض الحمار عينيـه وقـد ∴ رأى الرجال تعرف المقدارا

ورغم سخرية القصيدة وفكاهيتها الا أن الشاعر كان موفقا من خلالها فى علاج قضية من أهم قضايا المجتمع اليمنى وهى قضية الثأر ،وللشاعر قدرة عجيبة على صياغة القصص الشعرى .

* *

جـ : العامل والفـلاح :

العامل والفلاح يمثلان قطاعا كبيرا من المجتمع اليمنى المعـاصـر وخاصة فى عهد ماقبل الثورة ،اذ لم يكن لدى المواطن من الوسائـل مايؤهله لممارسة الأعمال الأخرى كالوظائف الحكومية ونحوها اللهم الا القليل جدا ممن أتيحت لهم فرص التعليم والثقافة .

ولهذا اشتغل معظم المواطنين فى أول الأمر بالزراعة ،وكـانت كافية الى حد ما لتوفير القوت الضرورى لأبنائهم وأسرهم .

غير أن الجمود السياسى والركود الاقتصادى اللذين أصابا اليمن فى هذه الفترة قد ألجأ الدولة الى فرض الضرائب والغرامات المالية على المزارع حتى أثقلت كاهله .

ومن هنا اضطرته الى ترك الزراعة واللجوء الى الهجرة خارج البلاد لأن الزراعة فى ظل تلك الضرائب والأتاوات أصبحت غير قادرة على تغطية مطالب الدولة وضرائبها فضلا عن حاجته وحاجة أسرته ونفقاتها .

ولهذا يتألم الشاعر عبدالله عبد الكريم الملاحى لمزارع وزوجته بذلا جهدا ووقتا فى الكدح والمعاناة طيلة العام فلما جاء وقت الحصاد رأيناهما يجودان - مضطرين - بكل ما حصداه الى جباة الدولة ويقدمانه لقمة سائغة لجنود الامام ،وهذا ما تعبر عنه مقطوعته التالية :(١)

يفنيان العمر فى الكدح على هذا التراب
ويفيض الخير فى أيديهما وقت الحصاد
فيجودان به جود عفيف ما أصاب
لجباة عفنوا الأرض عتوا وفسادا

ليت شعرى أين نور الحق يغشى هؤلاء
حفنة منا بنى الأرض ولكن كالبهيمة
لم يكد يتركها الحرمان يوما فى هناء
أبدا توقعها الأطماع فى حال أليمه

(١) الأبعاد الموضوعية للدكتور المقالح ص ٢٥٨ .

هكذا كان حال جباة الأموال مع المزارع يكد ويكدح ويأتى هؤلاء الجباة باسم الدولة ليأخذوا الحصيلة دون تعب أو عناء .

وهذه التصرفات هى التى أوصلت الفلاح أو المزارع الى حالة البؤس والشقاء التى وصفها الشرقى فى " وصية الفلاح الى ابنه " والتى يقول فيها : (١)

نحن الى القوت جوعا ولم ∴ نطله على حقلنا الصرع

ونبحث عن ومضة من شعاع ∴ فلم نلق غير الدجى المفزع

ونسأل اين نعيم الحياة ∴ وما من جواب ولا من يعى

ولم نستمع غير لفح السياط ∴ وقصف الرزايا وعوت النعى

هنا يابنى نمت شقوتى ∴ وشقوة كوخى ولم أزرع

أنام على ولولات الصغار ∴ فيلفظنى من أسى مضجعى

وأصغى اليهم وهم يعولون ∴ فتنهل ما بهم أدمعى

وأهفوا اليهم بقلبى الجريح ∴ وأرفع نحو السما أصبعى

ينادوننى من وراء الظلام ∴ فأغفوا كأنى لم أسمع

بنىّ وها انى ها هنا ∴ أجول عذابا بلا موضع

أكابد بين لهيب الهجير ∴ ووسط رياح الردى الأربع

وما من ظلال بها أستظل ∴ وأين الظلال من البلقع

(١) أغنيات على الطريق الطويل ص ١١٧ .

والقصيدة صورة من الواقع الاجتماعي الذى كان يعيشه المـــزارع اليمنى فى ظل الحكم الامامى الذى تعرض فيه المزارع لأنواع من القهر والاذلال وذاق مرارة الجوع والحرمان على يدى فئة قليلة من النـــاس هم صانعو مأساته وسبب بلائه .

ويتخيل الشاعر لطف جعفر أمان مواجهة علنية بين مزارع غريـــب مرهق وأحد أولئك الجباة سجلها فى المقطوعة التالية :(١)

أحسبتنى حجرا .. فتجلدنى ∴ وتذلنى شرفا بلا ثمـــن
وتبيحنى للشمـــس عـــاريـــة ∴ يصلى الحديد بها على بدن
سوط وشمس وانتهـــاك دم ∴ وهراوة مخنوقـة الشجـــن
ماذا جنيت أقول : ذا سكنى ∴ فتشدنى بالقيد فى سكنـى
وأصيح أولادى فتنـــزعهـــم ∴ منى وتنكر فيهـــم شجنـــى
أتريدنى عبـــدا بـــلا وطـــن ∴ عبدا غريب الدار فـــى وطنى

والحق أنها صورة بشعة للظلم والطغيان اللذين يعانى منهمـــا الفلاح والمزارع ، بل هى صور لأولئك الذين يمارسون هذا الظلـــم وذلك الطغيان فى حق هذا المسكين ، وهذه هى وظيفة الشعـــر الحقيقية اذ أنه استطاع أن يصور لنا ذلك الوضع ويخلد فى التـــاريخ ليحذر منه الأجيال القادمة .

(١) ديوان ليل الى متى ص ٣٤ .

فالفوارق الاجتماعية كانت على أشدها سواء في الجنوب في ظل الاستعمار أو في الشمال في ظل الأمامة ، وكانت المباني التي يشيدها هؤلاء وأولئك قذى في أعين الجيل الذي فتح عينيه ليرى هذه القصور بينما يرون آباءهم لا يمتلكون لقمة العيش الضرورية ، ثم ان هذه القصور والمباني قامت على أكتاف العمال الضعفاء ، وهذا دليل واضح على القهر الاجتماعي الذي يعيشه العمال مثلهم مثل اخوانهم الفلاحين تماما .

وهذا ما يرسمه لنا الشاعر ادريس احمد حنبلة في هذه المقطوعة : (١)

المباني البيض في العين قذى ∴ لشباب الجيل ذي الروح العنيف
ساءلوا الأحجار هل طاب لها ∴ لمسة الأسياد والجنس اللطيف
واسألوا العمال من عرضهم ∴ أن يذيبوا العمر في أجر طفيف
واسألوا العمال هل تجبرهم ∴ صيحة العودة والعيش الكسيف
أم رؤوس المال أم أذنابهم ∴ أم فساد الحكم في وضع ضعيف
أم سموم الدس في طياته ∴ يجرف الأحرار تيار الظروف (٢)

(١) شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجي ص ١٥٥ .

(٢) وردت هذه العبارة في كتاب الأبعاد للمقالح هكذا " أم سموم الدين في طياته " ولعله خطأ مطبعي اذ أن المقالح نقلها عن كتاب " شعراء اليمن المعاصرون " للاستاذ هلال ناجي وهي في هذا الكتاب " الدس " وليس " الدين " .
وعلى أي حال فلم يكن الدين ولا سيما " الدين الاسلامي " ليجبر العامل على الذلة والمهانة والرضوخ للظلم وهو الذي يحث على التكافل الاجتماعي ويقول على لسان رسوله " أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه " ويقول الظلم ظلمات يوم القيامة " .

ان هذه العوامل مجتمعة هى التى أجبرت العامل على الرضوخ والرضا بهذا الوضع وهذه المعيشة .

وتستمر قصة البؤس والحزن والهموم التى تجتاح العمال بسبب جوعهم وجوع أسرهم وأولادهم ويصور لنا الشاعر محمد الشرفى تلك الشكوى المكبوته والدموع المخنوقة فى أعين العمال وعلى ألسنتهم فى المقطوعة التالية : (١)

جحيم المآسى على أضلعى ∴ وعصف المخاوف فى مربعى
ومعترك البؤس يجتاحنى ∴ على كوخى الموحش المفجع
ووخز الجراح ولسع الهموم ∴ يضج بقلبى وفى مسمعى
أنا يابنى هنا والحتوف ∴ وجوع عيالى وزوجى معى
نجول هنا وهنا لم نجد ∴ على حرق الدمع من مطمع
ونبكى على كوخنا المستكين ∴ ولم نستقر ولم نهجع
وقد نستغيث ومن ذا يغيث ∴ صراخ الحمى الضارع الموجع
وما حولنا غير كف الظلام ∴ تشد خطانا الى المصرع
تعيث وتطغى وتجتث ما ∴ نؤمل من حلم ممتع
وتومى الينا بأن لا نفوه ∴ بأن شكاة فلم تنفع
وأن نخنق الدمع وسط الجفون ∴ ونحتبس الآه فى الأضلع

(١) أغنيات على الطريق الطويل ص ١١٧ .

والقصيدة تحكى قصة المأساة التى يعانى منها العمال بأسلوب حزين وصوت خافت مشوب باليأس من الحياة مادامت بهذا المستوى البائس .

واذا كان العامل فى فترة من الفترات قد استخدم أداة فى مصلحة فرد أو أفراد من الظلمة والجبارين فان وضعه الآن قد اختلف وأصبح العامل لبنة فعاله ،وعضوا منتجا فى المجتمع اليمنى وهو انما يبذل جهده وعرقه ليزيد فى انتاج الوطن ويشارك فى تطويره وبنائه ،وهنا يحاول الشاعر عبد الرحمن قاضى ،الاشادة بالعامل واقناعه بنسيان عناء الكدح ومرارته ،فمعاناته تلك انما هى فى سبيل بناء الوطن وتعميره فيقول مخاطبا العمال : (١)

أيها العاملون دمتم لشعبى ∴ ذخره فى البناء والتعمير

بكم سوف يرتقى قمة المجد ∴ ويجنى ثمار عيش نضير

انتموا رغم ما به قد تقومو ∴ ن من الكدح والعناء المرير

انتموا رغم ما تعانون من ويـ ∴ ـلات جهد مضنى وعبء كبير

فوق من يقطع الحياة قريرا ∴ مطمئنا على الفراش الوثير

بوركت ثم بوركت من زنود ∴ وجهود لكم غدت كالصخور

(١) ديوان " معا الى العليا " ص ٦٦ .

والأبيات سهلة الأسلوب وسطحية المعانى والأفكار بحيث تتناسب وثقافة المخاطبين ومستواهم الفكرى ، وتجسد مشاعرهم وعواطفهم تجسيدا يدفعهم الى البذل والعطاء فى سبيل وطنهم وأمتهم ، وهى عندهم أبلغ أثرا من القصائد المشحونه بألفاظ مستوردة كالبرجوازية والرأسمالية والاشتراكية والاقطاع ونحوها فقد حاول بعض الشعراء (١) وبعض الكتاب أيضا أن يحشروا مثل هذه الألفاظ فى قصائدهم وكتاباتهم وكأنهم يتحدثون عن المجتمع الأوربى فى عصر الاقطاع ، ولعل أقرب مثال لذلك قصيدة " البرجوازى " للدكتور المقالح التى يتحدث فيها عن المجتمع اليمنى عام ١٩٦٣م (٢) أى بعد الثورة بعام والتى يقول فيها :

احذروه .. هو مخلوق من الوهم مجازى
هيئة ضاحكة الأثواب تدعى البرجوازى
فى الأسى ، فى الحب ، فى الدين انتهازى
ليس فى قاموسه للحرب أهلى وغازى
لا ولا فرق لديه بين ثورى ونازى
كلهم أحبابه أرقامه ، حتى المخازى

* * *

(١) نجد ذلك كثيرا وبصورة مكررة ومملة عند محمد على الشهارى فى كتابه " اليمن ثورة وانتكاسه " وكذلك فى بعض تعليقات المقالح فى كتابه الابعاد وفى قصائد قليله جدا من ديوانه ودواوين آخرى ، وقد أشرت عدم ذكرها واكتفيت منها بقصيدة المقالح المذكورة فى صلب الموضوع.
(٢) ديوان لابد من صنعاء ص ٧١ من مجموع دواوين الشاعر.

ابحثوا عنه .. هنا كل الجرائم

هو في أعماقها كالظل جاثم

هو والاقطاع والموت توائم

أشعلوا في أرضنا نار المآتم

وبنوا من عرق الفلاح من عظم الجماجم

كل هذا الليل أبراج المظالم

* * *

فقصيدة عبد الرحمن قاضي أعمق أثرا رغم أنها من الناحية الفنية أضعف من قصيدة المقالح ذات الأسلوب المحكم والتراكيب الرصينة والألفاظ الشعرية المختارة والترابط العضوي المتسلسل بين أبياتها غير أننا بدون خلفية تاريخية عن الشاعر والقصيدة ، لا نستطيع تمييز المجتمع الذي يتحدث عنه الشاعر أعربي هو أم أوربي .

* * *

د ـ المرأة :

لم تكن المرأة تحظى باهتمام كبير من شعراء اليمن وخصوصا في عهد ما قبل الثورة ذلك أن قضيتها كانت جزءا من قضية اليمن الكبرى فهي تعاني من الجهل والبؤس والشقاء والقهر الاجتماعي مثلما يعاني الرجل سواء بسواء فلم تكن اذن هناك دواع للحديث عن قضية المرأة بصفة خاصة .

فالمرأة هى احدى الشرائح التى يتكون منها المجتمع اليمنى وبالتالى فهى معرضة لكل ما يتعرض له ذلك المجتمع من خير وشر وأفراح وأتراح .

ومن هذا المنطلق أشار الزبيرى اشارة عابرة الى وضع المـــــرأة الريفية وما تعانيه من جور وحرمان .

ففى قصيدته " العجوز وعسكرى الامام " يقدم الزبيرى مشهـــــدا تمثيليا فى صورة معزنه لحال امرأة ريفية ليس لها رجل يحميها ولها أطفال من زوجها الذى مات عنها أو تركها بأى صورة من الصور .

ومن خلال الحوار الذى تقدمه القصيدة نستشف الوضع الاجتماعى السيء الذى كانت تعانى منه المرأة من قبل جنود الامام : (١)

المرأة : يارب كيف خلقت الجند ليس لهم

عندى طعام ولا شاء ولا نعـــم

ويلاه مالى أرى وحشا وهندقه

أذلك العسكرى الغاشم النهم

العسكرى : نعم أنا البطل المغوار جئت الى

عجوزة لم يهذب طبعها الهـرم

انا جنود أميـر المؤمنيـــن فلـــم

لا تذبحى الكبش ياحمقاء دونهمو ؟

(١) ديوان الزبيرى ص ٤٣٤ .

اين الدجاجة أين القات فابتدرى

انا جياع فما فى حيكم كرم

المرأة : ياسيدى ليس لى مال ولا نشب

ولا رجال ولا أهل ولا رحم

الا بنى الذى يبكى لسغبة

وتلك أدمعه الحمراء تنسجم

وهذه اليد فاقطف من هواجرها

ماشئت انا الى الرحمن نحتكم

ماذا يريدون من جوعى وسغبتى

انى لكا لحمل المشوى بينهم

ويطلبون زكارة الأرض ليس بها

الا الحمام والا الحجر والرخم (١)

ومهما يكن خط القصيدة من الفن فالواضح أن الشاعر استطاع أن يقدم صورة مثيرة وحوارا ساخنا أعطى من خلاله صورة كريهة لتصرفات جنود الامام فى حق المواطنين جميعا رجالا ونساء ، وهذا ما أراد أن يصل اليه الشاعر ، والا فالوضع الاجتماعى للمرأة على قتامته لم يكن الا شريحة صغيرة من الوضع الاجتماعى العام .

(١) الرخام نوع من الطير والحجر لعله يريد بها الحجارة أو الصخور وسكنها لضرورة الوزن .

وظلت المرأة على هذا الوضع الى مابعد قيام الثورة حيث مـــدت دعوة تحرير المرأة ظلالها على المجتمع اليمنى بخيرها وشرها ،على أننا لا نزعم ان المرأة اليمنية كانت فى وضع مرضى ينبغى أن نحافظ عليه ، فقد كانت هنالك جوانب سلبية وجوانب ايجابية ،وكان على الشعر أن يقف وسطا بين هذه وتلك فيرفع من شأن الحشمة والشرف والحجـــاب والأخلاق الكريمة ،ويحارب الجهل والتخلف وغيرها من الأمراض الضارة .

غير أن الذى حدث هو العكس فقد خرج علينا الشاعر محمد الشرفى بآراء وأفكار غريبة على مجتمعنا بعيدة كل البعد عن عاداته وتقاليده بل وبعيدة أيضا عن مبادئه وأخلاقه .

كان الشرفى - كما يقول الأستاذ عبدالله البردونى - " شاعـــرا يبحث عن الضجة أكثر مما يبحث عن الاجادة الفنية "[1] .

اذن فقد كانت الشهرة والبروز هما أسمى مايهدف اليه الشرفـــى كما قلت فى موضع سابق .[2]

لذا فقد طبق النظرية الشهيرة " خالف تعرف " ففى عام ١٩٦٤م تقريبا بدأ الشرفى دعوته الى السفور والانحلال وترك الحجـــاب ، فأصبحت المرأة هى شغله الشاغل فأخرج فى فترة الستينيات دواوينه الثلاثة الآنفة الذكر .[3]

(١) رحلة فى الشعر اليمنى ص ٢٣٤ .
(٢) انظر الباب الأول ص
(٣) وهى أ - دموع الشراشف .
ب - ولها أغـنى .
جـ - ومن أجلها
كما سبقت الاشارة الى ذلك فى الباب الأول أيضا .

والدواوين الثلاثة فى جملتها اثارة للعواطف ودغدغة للغرائز .

لذا قوبلت بردة فعل عنيفة - كما أسلفت - لأن هذا النوع من الشعر لا يخدم قضية المرأة اليمنية - ان صح أن لها قضية - ثم ان المرأة التى رسم لها تلك الصورة البشعة ليست هى المرأة اليمنية التى يعرفها المجتمع اليمنى ويكرمها أما وزوجة وأختا وبنتا ، ولهذا تجده شديد الغيرة عليها شديد النفور من الاساءة اليها .

والمشكلة التى كانت تعانى منها المرأة اليمنية قبل الثورة هى مشكلة التعليم وهى - كما قلنا - مشكلة مشتركة بين الجنسين ، الا أن الجهل بين النساء أشد انتشارا حتى تعليم القرآن لم يكن لها فيه نصيب يستحق الذكر .

كانت هذه مشكلتها قبل ثورة ١٩٦٢م أما بعد الثورة فلم تعد هذه مشكلة بعد أن فتحت مدارس للبنين والبنات على حد سواء .

على أن هناك اتجاها آخر فى شعر الشرفى عن المرأة لا يتابع فيه منهجه الغزلى المكشوف ، وانما يذكر فيه بعض القضايا الاجتماعية السائدة .

وهناك نماذج قليلة فى شعر الشرفى لهذا الاتجاه نكتفى منها بالنموذجين التاليين :

الأول : يحكى قصة امرأة متزوجة هجرها زوجها بعد أن انجبت منه خمسة أولاد ليبدأ حياة جديدة مع امرأة أخرى أكثر منها شبابا وطراوة ، ولن يكون مصير الزوجة الجديدة معه بأحسن من مصير أم الأولاد .

وهذا مقطع من احدى قصائده فى ديوان " دموع الشراشف " يقول فيه على لسان المرأة : (١)

أنا أم أولادك الأربعة ∴ وأم لغاسهم مرضعه

أتذبح عمرى على نزوة ∴ وتطويه فى رغبة مسرعه

اذا لم تكن لى فكن للصغار ∴ فقد يلعن الطفل من ضيعه

كرهتك شهوانيا تافها ∴ يعد لشهوته أذرعه

تنام على محنتى كالحصان ∴ وكالبغل تصحو على الزوبعه

وعشنا معا عنفوان الشباب ∴ وسرنا كطفلين نلهو معه

نهدهد عمرا من الأغنيات ∴ ونغزل من دمنا موضعه

وتأتى بها فى بقايا الحياة ∴ وقد شبت النار فى المزرعه

ومثل هذا الشعر لا خلاف حوله اذ أنه يعالج مشكلة اجتماعية محتملة الوقوع وان كانت قليلة أو نادرة فى المجتمع اليمنى وقليل من الناس من يفعلها

(١) دموع الشراشف ص ٩٤ والبيت الأخير كنايه عن الشيب كقوله تعالى : " واشتعل الرأس شيبا " . سورة مريم آية (٤) .

والزواج بثانية أو ثالثة ليس عيبا فى حد ذاته مادام فى اطـــار الشريعة الاسلامية التى أباحت التعدد بشرط العدل بين الزوجات " فانكحو ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحـدة " (١) .

الثانى : وهناك قصيدة أخرى سلك فيها الشرفى مسلكا بعيـــدا عن اثارة الغرائز البشرية ومجد فيها المرأة العاملة التى قضت شبابها فى العمل والكدح والتى استمدت أصالتها من بلقيس وأروى بنت أحمد (٢) فلا تبالى أن تضحى بجمالها وشبابها لتعيش أما للأجيال .

يقول الشرفى على لسانها (٣) :

أنثى أنا نصف الحياة وكم أرى ∴ عمرى يضيع على أسان خـدّع

انا بنت بلقيس الشموخ وأختها ∴ وأنا لأروى وهى لى من منبع

(١) سورة النساء آية (٣) .

(٢) بلقيس : امرأة يمنية مشهورة عاصرت سليمان عليه السلام وأسلمت على يديه وقيل انها تزوجته ، توفيت بتدمر بالشام ودفنت هناك . أنظر نهاية الأرب للنويرى ١٤ / ١٣٤ والأعلام ٢ / ٧٣ .

أما أروى بنت أحمد : فهى امرأة حازمه قامت بتدبير شئون الحكم فى اليمن فى عهد زوجها المكرم الصليحى أوائل القرن السـادس الهجرى واتخذت جبلة عاصمة لها وحكمت من وراء حجاب توفيـــت سنة ٥٣٢ هـ . انظر الأعلام للزركلى ١ / ٢٨٩ .

(٣) ديوان دموع الشراشف ص ٨٥ .

أهوى بأن يقتات حمرة وجنتـــى ∴ حقلى ويأكل سحر عينى مضغـى

وآلف بالعمل الشريف أناملـــى ∴ وأخط فوق تراب أرضى موضعـى

وأعيش للأجيال أما تحتـــــوى ∴ بضلوعها فجر البنيـن الرضـــع

هذه الأنثى الشريفة العاملة الأم التى تعيش للأجيال وتهتـــم بأطفالها هى التى يبحث عنها المجتمع اليمنى ،وهو فعلا واجـــدها فى المرأة المعاصرة اذا نالت قسطا كافيا من التعليم وظلت محافظـــة على دينها وقيمه وأخلاقـــه .

واذا كان الشرفى قد دعى الى السفور ونبذ الحجاب فى كثير من قصائده فلم تكن هذه الدعوة لترضى المرأة اليمنية المسلمة التى عاشت على الشرف والطهر أربعة عشر قرنا ،ولم تكن أيضا لترضى المجتمـــع اليمنى المحافظ على قيمه وتقاليده ذات الصبغة الدينية الأصيلة ،ومن ثم كانت الدعوة الى نزع الحجاب وتقليد الغرب ضربا من الانحـــراف والانحلال التدريجى تشمئز منه النفوس وتأباه المرأة اليمنية وتـــربـــأ بنفسها عنه كرما منها وطهرا .

وكان هذا هو الاتجاه السائد فى الوسط الاجتماعى اليمنى عموما .

وقال الشعر كلمته فى هذا المجال وسجلها الشاعر محمد سالم البيحانى فى قصيدته الحواريه التالية بينه وبين فتاة يمنية أصيله فقال : (١)

(١) ديوان العصر اليمانى من أشعار البيحانى ص ٢٠٨ .

قلت من أنت يافتاة فقالت ∴ أنا عنقود كرمة يمنيه

جاء جدى الى هنا وانمأنت ∴ نفس جدى لهذه المدنيه

وبلادى بلاد أهلى وعندى ∴ مثل ماعندهم من الوطنيه

قلت هل ترفعين برقع وجه ∴ ونرى منك صورة علنيه

فاشمأزت وأعرضت وهى تبكى ∴ ثم قالت وهل أنا وثنيه

لست غربية ولا من بلاد ∴ تتبع الغرب فى الخصال الدنيه

برقعى لم يكن ليطرح الا ∴ عند زوجى ونسبتى حسنيه

وأنا حرة وطبعى كريم ∴ وبطهرى وعفتى معنيه

علمتنى الحجاب أمى وقالت ∴ لى انى عن السفور غنيه

كيف أبدى محاسنى لغبى ∴ أو سفيه خبيث قول ونيه

عاتبتنى وذكرتنى نساء ∴ عشن والله فى حياة هنيه

دمت ياهذه البلاد بخير ∴ فيك للخير تربه معدنيه

فهذا رد مباشر من الشعر جاء على لسان فتاة يمنية مثقفه وقد اختار الشاعر أن تكون مثقفة ـ كما تدل الألفاظ التى وردت على لسانها ـ لأن الفتيات المثقفات كن المجال الخصب لتقبل مثل هذه الأفكار ولهذا سيكون الرد النابع من هذا الوسط بليغا الى حد كبير بل ولجاما لكل من رام اقتحام هذا الحصن المنيع .

وهذا الرد الحازم هو في الواقع لسان حال المرأة اليمنية في المدينة وفي الريف على حد سواء فليس فيه مبالغة ولا خيال شعري .

وبعد لقد عرضت في هذا البحث عددا من القضايا والمشكلات الاجتماعية ومظاهر التخلف كالجهل والفقر والمرض وغيرها .

وتبين من خلال هذه الدراسة أن الشعر اليمني اهتم بتلك القضايا والمشكلات اهتماما كبيرا سواء ما يتصل منها بالأمراض الاجتماعية أو شرائح المجتمع أو الهجرة أو الوضع الزراعي أو المرأة أو غيرها .

وكانت القصائد طافحة بتلك القضايا مهمة بوضع حلول مناسبة لها كما قد بين في الصفحات السابقة .

* * *

* *

*

الباب الثالث

" البـــاب الثالـــث "

" التطـــور الفـنى ومـــلامحـه "

فـــى

" شعـر اليمن المعاصـر "

يشتمل هذا الباب على مدخل ، وثلاثة مباحث . . .

المبحث الأول : التطور الفنى فى المضامين الشعرية

المبحث الثانى : التطور الفنى فى الصورة الشعرية

المبحث الثالث : التطور الفنى فى موسيقى الشعر

* * *

مـــدخـــــل :

شهدت العقود الأولى من القرن العشرين محاولات متعددة فى سبيل تطوير الشعر العربى فى ناحيته الفنية ، ولم يكن لتلك المحاولات نظير ، فى الشعر العربى فى القرون الماضية .

وبطبيعة الحال ليس من تلك المحاولات مرحلة احياء وبعث الشعر العربى التى بدأها البارودى وبلغت قمتها على يدى شوقى وجيله .

نعم ان تلك المرحلة كانت ضرورية وهامة فى تاريخ الشعر العربى المعاصر ، فقد استطاع هؤلاء الشعراء انتشال الشعر العربى مـــن تلك الوهاد الخفيضه والأساليب الرديئه التى كان عليها ، واعادته الى سالف مجده أيام المتنبى والبحترى وأبى تمام وأبى العلاء المعرى وغيرهم .

وقد سميت هذه المرحلة بمرحلة الاحياء أو الابتعاث للشعر العربى الا أن هناك فرقا بين الابتعاث والتطوير .

فمن المؤكد أن شوقيا ومدرسته يمثلان أرقى مستوى وصل اليه الشعر العربى فى صورته التقليديه ، لكن تلك المدرسة لا تعد هى المدرسة التى طورت الشعر العربى بالمعنى الحقيقى والمتعارف عليه للتطوير .

لكنه ما من شك أن مدرسة شوقى كانت نقطة البداية التى انطلـــق منها التطوير ثم أعقبها محاولات تجديدية أخرى هى التى فتحـــت

الطريق أمام التطوير الجوهرى الحقيقى ، أو على الأقل هيأت الجو لكل من رام عملية التطوير بعد ذلك .

وسنشير بشىء من التفصيل الى المبادىء والأسس التى قامت عليها تلك التيارات التطويرية فى الصفحات القادمة ان شاء الله ، على أن الذى يعنينا فى هذا المقام ونحن بصدد الحديث عن الملامح الفنية فى شعر اليمن المعاصر هو الكشف عن مدى التطور الفنى الذى بلغه الشعر اليمنى الحديث بالقياس الى العصور الماضية ، وينبغى قبل ذلك أن نتعرف بايجاز الى معنى الأصالة والمعاصرة عند نقادنا المعاصرين فى الشعر العربى بشكل عام لنرى بعد ذلك مكانهما فى شعر اليمن المعاصر .

وقد آثرت أن نتعرف على هذين المصطلحين فى هذا الباب لأنهما من المصطلحات الفنية الشائعة ، ولهذا فهما أكثر التصاقا بالجانب الفنى منهما بجانب الموضوع .

ولا يعنى ذلك أن جانب الموضوع مجرد من هذين الطرفين الأصالة والمعاصرة فقد رأينا من قبل أن الشعر اليمنى المعاصر - بمختلف تياراته السياسية والدينية والأجتماعية - قد اتسم بالأصالة والمعاصرة معا كما اتضح ذلك فى النصوص الشعرية التى سقناها فى الأبواب الماضية .

اذن فما معنى الأصالة ؟ . . وما معنى المعاصرة ؟ .

الأصالة فى اللغة الرسوخ والثبوت والاجادة .

فالأصالة فى النسب عراقته .

والأصالة فى الرأى جودته . (١)

والأصالة فى الأسلوب تميزه وابتكاره والابداع فيه . (٢)

ومن هذه المعانى اللغوية يتضح لنا أن الأصالة ليست التمسك المطلق بالقديم مع الغاء كل ماهو ذاتى ، فهذه هى التقليد بعينها ولا هى اقتصار المرأ على حدود امكانياته الفطرية .

ولهذا عرف النقاد المعاصرون الأصالة بأنها القدرة على الافادة الخارجية عن طريق الذات . (٣)

أو هى التميز واتضاع الشخصية ، فكل عمل لأديب لابد أن يتم عن ذاته وتفرده وموهبته وشخصيته هو ، مثله مثل لون عينيه وبصمات أصابعه وكذلك شعر عصر أو جيل أو أمة ، ولابد أن يكون تعبيرا عن روح ذلك العصر وطبيعة الجيل وشخصية الأمة . (٤)

(١) انظر لسان العرب والقاموس مادة " أصل "

(٢) انظر معجم الأخطاء الشائعة للاستاذ محمد العدنانى ص ٢٦ .

(٣) قضايا معاصرة لمحمد غنيمى هلال ص ٥٠ .

(٤) دراسات أدبية لأحمد هيكل ص ٣٦ .

ولكى يكون الشعر العربى المعاصر ممثلا لشخصية الشعراء ومعبرا عن روح العصر ومقومات الفن ، لابد أولا أن تظهر فيه شخصية أمتنا وروح شعبنا ومقومات عروبتنا واسلامنا فى الفكر والفن والحضارة وأن يحس القارئ لشعرنا العربى أنه يقرأ فعلا شعرا عربيا وليس شعرا أجنبيا مكتوبا بحروف عربية .

فالأصالة اذن فى مفهومها الأدبى تعنى أن يكون الأديب صادقا مع نفسه ، واضحا فى تعبيره متميزا فى شخصيته معتدا بذاته ، وأن يستلهم الماضى ولكن بوعى خلاق وقدرة فائقة على الابداع .

وقد كانت الأصالة ولا زالت علامة متميزة فى الشعر العربى منذ القدم .

ففى العصر الجاهلى كان الشعر واضح الملامح صادق التعبير حاويا لتجارب الذات ومشكلات البيئة ومظاهر الطبيعة ، وهذه احدى سمات الأصالة فى شعرنا العربى عموما .

ثم جاء الأسلام وكان ثورة فكرية وعقدية واجتماعية زلزلت كثيرا من القيم والأوضاع التى كانت مستقرة بحكم التصور الجاهلى الخاطىء ، وأقر بعض القيم الانسانية التى كانت سائدة آنذاك مثل الكرم والشجاعة والاخاء والحرية والاباء وغيرها .

وهنا توقف الشعر العربى قليلاً لهضم القيم الجديدة واستيعابها وصياغتها فى قالب جديد يتفق مع الثورة التى أشعلها الاسلام .

وهنا برزت سمة أخرى من سمات الأصالة فى الشعر العربى وهى أنه شعر متطور لا يعرف الجمود وأنه دائما مع الحياة من حوله ، مستعد لهضمها والتعبير عنها .

ثم جاء العصر الأموى ودخل الشعر فى دورة جديدة قريبة من الدورة الأولى فى العصر الجاهلى ، وبدأ يعبر عن الانسان العربى وقيمه ومجتمعه ، ولكن مع بعض رواسب العصر الجاهلى ، وهذه سمة ثالثة من سمات الأصالة فى الشعر العربى ، وهى أنه يتطور محتفظا دائما بعناصر تاريخية وفنية هى بعض سماته ولونه وأريجه .

أطل بعد ذلك العصر العباسى واختلطت الحياة العربية بعناصر شتى من الحياة ، وحدث تحول خطير فى البيئة العربية فكان لابد أن يطرأ جديد على الشعر العربى أيضا .

ومن ثم برز شعراء التجديد فى هذا العصر كالمعرى والبحترى وأبى نواس والمتنبى وغيرهم .

وقد تمكن هؤلاء من المحافظة على أصالة الشعر العربى بسماته السابقة واضافة سمات أخرى جديدة ، فكان شعرهم يؤثر الجد وينفر من التبذل واللهو والمجون ويدعو الى القيم النبيلة والأهداف الرفيعة .

وفى هذه الأثناء كان الوجود العربى فى الأندلس قائما ، وقد تمكن من نقل الشعر العربى فى المشرق بملامحه وخصائصه ، وكان الشعراء الأندلسيون - مع ذلك - يعبرون عن ذواتهم وبيئتهم ومجتمعهم ، مضيفين الى ذلك سمات شعرية جديدة حسبت لهم ، واعتبرها النقاد من بنات أفكارهم ، لعل أهم تلك السمات كما يقول بعض النقاد :

" ١ - تعميق اللون المحلى .

٢- تغليب الجانب العاطفى .

٣- زيادة التنويع الموسيقى " (١) .

وكانت السمة الأخيرة أحدث ما أضافه الأندلسيون ، فقد اخترعوا الموشحات مطورين بذلك نظام موسيقى الشعر العربى تطويرا كبيرا لم يسبقوا اليه .

وهذه أيضا سمة من سمات الأصالة فى الشعر العربى ، اختفت بعد ذلك سمات الأصالة فى الشعر العربى قرونا عديدة هى التى سميت عند مؤرخى الأدب العربى بعصر الانحطاط ، وظل الشعر فى هذا العصر ألوانا من المحاكاة والتقليد حتى جاء عصر النهضة الحديثة ،

(١) دراسات أدبية - د . احمد هيكل ص ٣٣ . بايجاز

فوجد الأصالة لا زالت كامنة فى الشعر وسماتها بارزة فى نماذجه الأولى ابان ازدهاره ،ولهذا سرعان ماعاد الشعر الى حياته النشطة وأسلوبه المتجدد وخصائصه المتميزة بمجرد أن تيسرت له أسباب النهـــــوض وعوامل الازدهار .

وقطع الشعر العربى شوطا كبيرا فى مجال الأصالة والابداع ،وفى خلال تلك المسيرة الطويلة للشعر العربى الحديث طرأت عليه نزعات وتجاذبته تيارات ومذاهب وثارت حوله خصومات ،فنشأت أولا نـزعـة المحافظين التى بدأت بالبارودى ،وبلغت غايتها بشوقى ،ثم تلتهـا نزعة أخرى هى نزعة التجديد بين الذين بدأوا بمطران وبلغت هـذه النزعة قمتها وأحكمت سيطرتها على يد العقاد والمازنى وشكرى ، وصاحب هاتين النزعتين حركة ثالثة هى حركة الشعراء المهجريين .

اعقب ذلك كله اتجاه آخر بهما استمد عوامل نشأته من الحـركـات السابقة وذلك هو الاتجاه الابتداعى الذى كان من عمالقته احمد زكى أبو شادى وابراهيم ناجى ومحمود حسن اسماعيل وغيرهم ،وقد خطـا هذا الاتجاه نحو التطور خطوات أفسح مما سبقه من اتجاهات.(١)

(١) أنظر " تطور الأدب الحديث لأحمد هيكل فى صفحات متعددة وفى الأدب الحديث للمدسوقى فقد تحدث كل منهما حديثـا مطولا عن هذه التيارات .

وفى العقود الأخيرة ظهر ماسمى بالشعر الحر الذى أعفى نفسه من الالتزام بالوزن والقافيه .(١)

وبصرف النظر عما لهذه النزعات من سلبيات أو ايجابيات فانها قد دفعت - ولا شك - بالشعر العربى المعاصر خطوات متقدمة نحو التطور والتجديد وهما سمتان من سمات الأصالة والابداع فى الشعر العربى كما أسلفنا .

والمعاصرة الدخول فى العصر ،وعاصره كان فى عصره .(٢)

وهى والحداثة قد تكونان بمعنى واحد ،وقد تفترق الحداثة عن المعاصره ،فيصبح كل حديث معاصرا وليس كل معاصر حديثا ، وهو خلاف لفظى لا طائل من الخوض فى غماره .(٣)

والذى يعنينا هنا هو رؤية النقاد المعاصرين فى تحديد معنى المعاصرة ،واستعمالاتها لنصل من خلال تلك المعانى الى فهم واستيعاب مدلولات المعاصرة فى الشعر اليمنى ومدى تأثره بعناصرها ومميزاتها .

(١) أنظر موسيقى الشعر لابراهيم أنيس ص ٣٦٨ .

(٢) القاموس المحيط لفيروز أباد ،ومحيط المحيط لبطرس البستان مادة "عصر" .

(٣) أنظر شعرنا الحديث .. الى أين لغالى شكرى ص ١١٤ .

ولعل أبرز نظرات النقاد المعاصرين فى تحديد مفهوم المعاصره نظرات ثلاث :

١ - الأولى تتمثل فى كتابات الأستاذ زكى نجيب محمود النقدية ، - وهى رؤية منطقية ظاهرية ، اذ أنه يرى أن جميع الشعراء الذين يعيشون بيننا عصريون لسبب بسيط وهو أنهم أبناء هذا العصر وبالتالى فالشعر المعاصر عنده هو الشعر المتمثل فى شعـــراء العصر دون اعتبار للجودة والرداءة أو القوة والضعف .

وكثيرا ما يردد الأستاذ زكى هذا الرأى فى كتاباته من ذلك قوله فى معرض الحديث عن المعاصرة والمعاصرين :

" وبهذا المعنى الأفقى يتساوى شعراؤنا جدة فى التعبير عن عصرنا .. لا فرق بينهم فكل يعبر عن عصره حين يعبر عن نفسه لأنه أحد أبناء العصر " (١) .

لكن زكى نجيب محمود لم يثبت على هذا الرأى فسرعان ماعدل عنه بعد أسطر من اثباته حين اعتبره أنه لا يشفى غليلا ، وانمـــا المعاصرة الحقة " أن يشرب الشاعر أو الأديب القيم السائدة فى عصره دون أى عصر آخر بحيث لو ارتد بمعجزه الى عصر سابـــق أو لاحق لأحس بالغربة الشديدة " (٢) .

(١) كتاب فلسفة وفيه ص ٣٤٦ .
(٢) المصدر نفسه ص ٣٤٧ .

٢ ـ النظرة الثانية نظرة تاريخية تربط بين ماضى الأمة وحاضرهـا ، وأن الشاعر الذى يفقد اتصاله بماضى أمته عاجز تماما عن التعبير عن وجوده الحى ، ولا يكسب صفة المعاصره من الأعمال الأدبية ـ عند أصحاب هذا الرأى ـ الا ما ارتبط بالماضى ، مثلها مثل بقية فروع النشاط الانسانى .

ومعنى ذلك أن على الأديب أن يكون على اطلاع واسع فى تراث أمته وثقافتها على أن لا يتحول مقلدا ومحاكيا أمينا لما قـــرأه (١) فذلك يعنى عقمه .

وتتمثل هذه الرؤية فى كتابات الدكتورة عائشة عبد الرحمـــن والدكتور شوقى ضيف اللذين كثيرا ما يربطان الأصالة بالمعاصره . وهى رؤية لها ما يبررها اذ لا يمكن أن ينشأ أدب جيد وشعـــر ممتاز دون أن يعتمد على الأصول الأولى للشعر العربى وجذوره العميقة .

على أنه لا ينبغى أن يكون الشاعر أو الأديب نسخة طبق الأصل لسابقيه والا فقد صفة المعاصرة .

٣ ـ النظرة الثالثة نظرة فنية تريد بالمعاصرة أن يكون الأديب متفهما لروح العصر قادرا على التعبير عنه بما يناسبه .

(١) أنظر كتابى قيم جديدة للأدب العربى المعاصر لعائشة عبد الرحمن ص ١٦١ ومابعدها ، وفى النقد الأدبى لشوقى ضيف ص ١٧٧ .

وصاحب هذه الفكرة هو الدكتور عز الدين اسماعيل والـــذى (١)
سرد للمعاصرة فى شعرنا المعاصر سبع مميزات أوجزها فى النقاط التالية :

١ - أن جماليات الشعر المعاصر وفلسفته تختلف عن جماليات وفلسفات الشعر القديم اذ لكل منهما طبيعته الفنية .

٢ - ان الشاعر المعاصر يرتبط بأحداث عصره وقضايا مجتمعه ارتباطا كليا فهو صاحب تلك الأحداث والقضايا ،بينما كان الشـــاعـــر القديم يصف الأحداث وينفعل بها فقط . (٢)

٣ - الشاعر المعاصر لابد أن يكون مثقفا بأوسع معانى الثقـافـــــة الانسانية ،وبالتالى تنعكس تلك الثقافة على الشعر .

٤ - أن القيم الاجتماعية التى يحاول الشاعر المعاصر تبنيهـــا هـــى خلاصة تجارب الانسان المعاصر ،وميراث الأجيال المـاضيـــة والحاضرة على السواء .

٥ - الشاعر المعاصر يحاول استيعاب التاريخ كله من منظور عصره ، لكى يعيش أحداث مجتمعه والمجتمع الانسانى كله على حد سواء لأن وسائل الاتصال الحديثة قد أتاحت له كافة وسائل الاطلاع.

(١) بايجاز من كتاب " الشعر العربى المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية " ص ١٣ .

(٢) بل وقد يكون صاحبها أحيانا .

٦ - عصرنا عصر تسودة الخبرة الفنية الأمر الذى لم يتحقق على هذا النحو فى عصر من العصور الماضية ، وليس من السهل أن يتناول الشاعر مضامين جديدة بخبرات فنية قديمة ، فالخبرة هى التى تفرض اطارها وتختاره .

٧ - يرتبط الشعر المعاصر بالاطار الحضارى العام لعصرنا فى مستوياته الثقافية والاجتماعية والسياسية المختلفة ، وعصرية شعرنا نابعة من هذه الحقيقة ، ومؤكدة لها ، فهو عصرى لأنه يعبر عن عصرنا بكل أبعاده الحضارية (١) .

ولست هنا فى مجال المقارنة بين هذه الآراء النقدية .

ويبدو أن هناك تساهلا من جانب وتشددا من جانب آخر وللتوفيق بين هذه النظرات النقدية حول مفهوم المعاصرة نقول :

" ان المعاصرة تعنى الدخول فى العصر والتعبير عن روحه والاهتمام بقضاياه وظواهره من خلال قيم ومبادئ وقضايا تاريخية تربط بين ماضى الأمة وحاضرها ، بمعنى أن يستلهم الشاعر أو الأديب حلولا لقضايا عصره ومشكلات مجتمعه ويصوغها بأسلوب فنى متطور يتناسب وروح العصر وثقافة المجتمع .

(١) انظر المرجع السابق ص ١٣ - ١٦ .

ومن هذه المعانى ندرك أن الأصالة والمعاصرة عنصران مهمان من عناصر الشعر الممتاز ، فالأصالة تعنى استلهام التراث ، والمعاصره تعنى الابداع الفنى الذى يناسب العصر الذى نعيشه .

وسنحاول استلهام هذه المفاهيم فى المباحث التالية لندرك مدى تأثر الشعر اليمنى المعاصر بها ، والاستفادة منها فى دراستنا الفنية لشعر اليمن المعاصر .

واذا كان من بدهيات الأمور أن التأثير والتأثر من مستلزمات الآداب والفنون عامة ، وأن الشعراء اليمنيين كانوا على صلة بشعراء البلاد العربية المتطورة فى هذا المجال ، فمن البدهى أيضا أن يفيد هؤلاء الشعراء من علوم ومعارف وآداب وفنون من اتصلوا بهم بأى وسيلة من وسائل الاتصال ، وأن يقتبسوا كل جديد من مبتكراتهم الفكرية والفنية .

وفى تتبعاتنا السابقة لشعر اليمن فى أوائل هذا القرن وجدناه امتدادا طبيعيا لشعر القرون الماضية سواء من حيث الأغراض والمضامين أو من حيث الأساليب والقوالب الشكلية كذلك .

فشعر الثلث الأول من هذا القرن كما يقول الدكتور عبد العزيز المقالح : " لم يخرج عن كونه وسيلة تعبيرية - فى الغالب - قد تكون

هذه الوسيلة ذات دلالة اجتماعية وقد تكون مدحا لحاكم أو زلفى لأمير أو غير ذلك من الأغراض التقليدية المعروفة (١) .

ومن البدهى أن تكون صور الشعر فى هذه المرحلة صورا مخزونة فى ذهن الشاعر اليمنى نتيجة لقراءته فى دواوين الشعر العربى القديم دون القدرة على تطويرها .

أما من ناحية البناء الفنى للقصيدة اليمنية فلم يكن الشعر العربى القديم قد عرف ما يسمى بالوحدة العضوية أو غيرها من الخصائص الفنية التى امتاز بها الشعر العربى المعاصر .

وتمثلت مرحلة الاجترار هذه فى عدد من الشعراء التقليديين من أمثال أبى بكر العلوى ، وعلى محمد العنسى ، واحمد الحضرانى وعبد الرحمن السقاف وأضرابهم كما سيأتى .

بيد أن منتصف الثلاثينيات قد شهد عدد من التغيرات والتفاعل الفكرى ، والسياسى ، والأدبى ، وأحس بعض المفكرين والشعراء بما يعانيه المجتمع من تخلف فكرى وأدبى ، وهنا كانت نقطة الانطلاق التى بدأت بانشاء مجلة الحكمة كما سبق الحديث عن ذلك .

(١) مقدمة مجموع دواوين البردونى ص ٢١ .

غير أن المهم هنا من انشاء المجلة أنها كانت منبرا أدبيا ذات أثر فعال على الشعر ووسيلة من وسائل تطوره وتخليصه من القيـــود اللفظية ،والزينات البديعية .

ومن أجل ذلك قال الزبيرى (١) :

ظنوا البديع جمال الشعر فاندفعوا .·. اليه من كل ألغاز وتعقيـد
تفاخروا وتباهوا أنهـــم سلكـــوا .·. جوف الشعاب وآناف الصياخيد (٢)
وهكذا دفنوا التجديد فى حفـــر .·. من البديع كقبر غير ملحـــود

فهذه دعوة الى التخلص من قيود البديع ،وهى مرحلة من مراحل التجديد فى الشعر اليمنى ،وهو التجديد فى طريقة الأداء واختيار الألفاظ .

كانت هذه محاولات فردية ،قام بها بعض الشعراء والأدبـــاء لكنها مالبثت أن تحولت الى مذاهب وتيارات أدبية بعد أن اتصـــل الشعراء اليمنيون بالثقافات المعاصرة والحركة الشعرية الجديدة ،ومن ثم صعب التميز بين تلك التيارات المختلفة وأصابت الحيرة كثيرا مـــن الكتاب ومؤرخى الأدب اليمنى الحديث حينما أراد هؤلاء تقسيم الشعر اليمنى ودراسته ،وهذه اشارة موجزه الى بعض الكتاب الذين حاولـــوا

(١) ديوان صلاة فى الجحيم ص ٥٠ .
(٢) الصياخيد : جمع صيخود وهو الصخر التى لا تعمل فيه المعاول .

ذلك التقسيم ، فالبعض قسمهم على أساس الكثرة والقلة او البارزين والبراعم الواعدة (١) ، ودارس آخر جعل الوطنية والثورة مقياسا لتقسيمه ، وعلى هذا الأساس قسمهم الى ثلاث مدارس :

١ - شعراء ثائرون .

٢ - وشعراء أنصاف ثائرين .

٣ - وشعراء ذاتيون (٢) .

ورغم سطحية هذين التقسيمين الا أنهما كانا ارهاصا بتقسيم ثالث ربما كان أقرب الى الواقع الأدبي في اليمن المعاصر هو التقسيم الفني .

فهناك دارس ثالث قسم الشعر اليمني " فنيا " الى المدارس التالية :

١ - المدرسة الكلاسيكية التقليدية .

٢ - المدرسة الكلاسيكية الجديدة .

٣ - المدرسة الرمنتيكية .

٤ - المدرسة الجديدة (٣) ، وهي تعني عنده الواقعية .

(١) كما فعل الاستاذ هلال ناجي في كتابه شعراء اليمن المعاصرين حيث قسم الشعراء الى شعراء مشهورين وبراعم واعده .

(٢) قام بهذا التقسيم الأستاذ سعيد الشيباني في كتابه " الأدب والثورة " .

(٣) د . عبدالعزيز المقالح في مقدمته على ديوان محمد الشرفي " أغنيات على الطريق الطويل " وللمقالح أيضا تقسيم أخر في كتاب الأبعاد يقوم على أساس المراحل الزمنية التي مر بها الشعر اليمني .

وهذا التقسيم سليم فى الجملة الا أن فيه تجاوزا فى التعبير .

ونحن نعلم أن الجماعة لا تسمى مدرسة الا اذا كان لها مذهب معين فى الشعر أو الفن تدعوله وتدافع عنه ،ولها كذلك تلاميذ ومريدون ،وهذا لم يكن حتى فى مصر ،ومن هنا كانت جماعة الديوان وجماعة أبولو ولا تسمى هذه مدارس الا تجاوزا .

ويمكن أن ندخل على هذا التقسيم الأخير تعديلا لفظيا طفيفا ونسميه تيارات بدلا من مدارس فنقول مثلا ينقسم الشعر اليمنى فنيا الى التيارات التالية :

١ ـ التيار الاتباعى التقليدى .

٢ ـ التيار الاتباعى التجديدى .

٣ ـ التيار الابتداعى .

٤ ـ التيار الواقعى أو الجديد .

وهو تقسيم يضفى ـ على الأقل ـ صبغة مصطلحات عربية على الشعر العربى .

فمن الذين يمثلون التيار الاتباعى التقليدى احمد الحضرانى والعنسى والسقاف ويحى حميد الدين والكوكبانى .

والذين يمثلون التيار الاتباعى التجديدى معظم شعراء اليمن فى الأربعينيات وأوائل الخمسينيات يأتى فى طليعتهم الزبيرى والشامى وابراهيم الحضرانى والمرونى ومحمد عبده غانم وأضرابهم .

ويمثل التيار الابتداعي الرومنسي عدد من الرواد منهم عبدالله البردوني[1] ،ومحمد سعيد جراده ،ولطفي جعفر أمان ،وعلي بن علي صبره ،وعبد الرحمن الأمير ،وعبدالله عمران .

وهناك جماعة رابعة تمثل التيار الواقعي ويتصدر هؤلاء عبده عثمان ،وعلي بن عبدالعزيز نصر ، ومحمد أنعم غالب ،وعبد العزيز المقالح وآخرون ،وهذا الانتماء في الحقيقة لا يشمل شعر الشاعر كله ،فالتيارات متداخله وربما كان الشاعر من تيار معين في بعض شعره ،ويقول شعرا خاضعا لتيار آخر وهكذا .

وعلى ضوء هذا التقسيم ومن خلال المدخل السابق سوف أتناول في هذا الباب التطور الفني وملامحه في شعر اليمن المعاصر في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التطور الفني في المضامين الشعرية .

المبحث الثاني : التطور الفني في الصورة الشعرية .

المبحث الثالث : التطور الفني في موسيقى الشعر[2] .

(١) كان البردوني في فترة من الفترات شاعرا رومنسيا من الدرجة الأولى لكنه اتجه بعد ذلك الى التيار الواقعي .

(٢) الموسيقى لفظ يوناني ،الأصل فيها أن تكتب بالألف الممدوده لأن لفظها عجمي مختوم بألف .
لكننا وجدنا معظم الأدباء يكتبونها " موسيقى بالألف المقصوره وأقر ذلك المجمع اللغوي في القاهرة في معجمه الوسيط فكتبها " موسيقى " .

(١)
وذلك تمشيا مع منهج الدراسة الحديثة لنقادنا المعاصرين .

* * *

* *

*

ـــ ولعل كتابتها بهذه الصورة جاءت قياسا على الألفاظ المستثناه في هذا الباب ،وهى عيسى ،وموسى " بالعبريه " وكســـرى ، وبخارى " بالفارسية " فتكتب بالألف المقصورة عند الجميع .

انظر المعجم الوسيط ٢/ ٨٩١ .

ومعجم الأخطاء الشائعه لمحمد العدنانى ص ٢٣٦ .

(١) هذا التقسيم مقتبس من مجمل كتابات الدكتور مندور النقدية .

" المبحث الأول "

" التطور الفنى فى المضامين الشعرية "

من القضايا العويصة التى أثارها المشتغلون بالدراســـــات الأدبية والنقدية على مر العصور قضية الصورة والمضمون أو الشكـــل والمحتوى وبعبارة أخرى المبنى والمعنى ،كما يعبر نقادنا القدماء .

وهى قضية تمتد جذورها الى عصر الجاحظ " ت سنة ٢٥٥هـ " وابن قتيبة " ت سنة ٢٧٦ هـ " والجرجانى " ت سنة ٤٧١ هـ " ومـن جاء بعدهم من الدارسين والنقاد العرب .

ولسنا هنا بصدد البحث فى هذه القضية ،فالحديث فيهـا قد يطول ،والمهم فى هذا المقام أن نتبين ملامح التطور الفنى فى المضمون الشعرى عند الشعراء المحدثين ومامدى الافادة التى أفادها شعراء اليمن المعاصرون من تلك الملامح ،وبعبارة أوضح ما نصيب الشعـر اليمنى المعاصر من هذه الملامح الفنية ؟ .

واذا كان الشعر كما يقول النقاد هو ما أثار مشاعر وأحاسيـس الانسان ،أو أن اثارة هذه المشاعر والأحاسيس مقدمة فى الشعـر على اثارة الفكر .

فمن البدهى اذن أن تكون العاطفة من أهم مكونـات المضمون الشعرى اذ أن الشعر لا يمكن أن يكون مضمونه تقريرا خالصا لحقائق فكرية أو رياضية .

فالشعر ذو الخصائص الفنية الرفيعة هو ما يخاطب الوجـــدان البشرى ويحرك كوامنه بفضل تلك الخصائص .

ان من أهم مميزات الشعر أنه يربط الحقائق والقضايا المنطقيـة والعلمية والاجتماعية بالوجدان الانسانى على نحو مباشر أو رمزى .

ومن ثم اتسم بهذه الصفة المتصلة بالشعور .(١)

ومن هذا المنطلق كان للمضمون أهميته وملامحه الفنية عند النقاد المحدثين عربا وغير عرب .(٢)

على أن هذا المفهوم النقدى قد يفيدنا فى استجلاء المضامين الشعرية من ناحيتها الفنية فى النماذج المختلفة لشعر اليمن المعاصر .

واذا كنا فى الباب السابق قد لمسنا بشكل واضح تطورات الموضوع فى شعر اليمن المعاصر ،فان ذلك سوف يعيننا أيضا على تتبع الملامح الفنية الجديدة فى هذه الموضوعات .

واذا كان التطور قد لحق جانب الموضوع كما رأينا فبدهـــى أن يكون قد لحق الجانب الفنى أيضا فالأعمال الأدبية دائما مترابطـــة الأجزاء ومتحدة الجوانب ، فأسباب ودواعى التطور فى جانب هـــى نفسها أسبابه ودواعيه فى الجانب الآخر .

(١) انظر الأدب وفنونه لمحمد مندور ص ٣٧ .
(٢) محمد غنيمى هلال " النقد الادبى الحديث " ص ٣٧٦ .

ومهما يكن من شيء فسأحاول فى هذا الباب ـ قدر الامكان ـ الالمام بالملامح الفنية وتطورها فى شعرنا اليمنى المعاصر مبتدأ بالملامح الفنية فى المضامين الشعرية ،على أن عملية الفصل فى العمل الأدبى بين الشكل والمضمون عملية غير ممكنة ، ومن ثم فان الحديث عن الجانب الفنى فى مباحثه المختلفة ، سيكون متداخلا بشكل أو بآخر .

وقد اتضح لنا مما سبق أن المدح والرثاء كانا من أسبق ماعرفته القصيدة اليمنية المعاصرة من تجديد فى المضامين وهما ـ كما نعلم ـ من النماذج التقليدية المعروفة ،بيد أن أسلوب الأداء المعاصر جعل من نماذجهما مضامين جديدة تختلف عن المضامين التقليدية القديمة .

وهذه الملامح الجديدة للمضمون هى التى تعنينا فى هذا المبحث ،وهى مانحاول كشف النقاب عنها فى هذه اللمحات الموجزة .

على أن الحديث عن هذه الملامح فى الشعر المعاصر يتطلب ولو وقفة قصيرة أو اشارة عابرة الى طريقة الأداء فى النماذج التى سبقت هذا الشعر ،ليمكن من خلالها الوقوف على الفرق بين الأسلوبين ، ومعرفة مدى التطور الذى وصلت اليه المضامين الشعرية المعاصرة .

ومن خلال النماذج المتوفرة بين أيدينا والتى تمثل هذه المرحلة ـ أى المرحلة التى سبقت الجيل المعاصر ـ نجد أن هذا اللون من الشعر كان له الخصائص المميزة التالية :

١ - النزوع الى التقليد الجامد .

٢ - الخضوع للتيار الاتباعى التقليدى - كما أسلفت - ويكاد يكون صورة لعصور الانحطاط الأدبى والجمود الشعرى فى العصرين المملوكى والعثمانى شكلا ومضمونا ، كما سنرى ذلك فى النماذج التى ستأتى فى هذا المبحث .

٣ - وبشكل عام فهناك المبالغة فى التصوير ، واقتناص الألوان البديعية .

٤ - وهناك الاهتمام بالأسلوب المزخرف أكثر من الاهتمام بصحة المعنى أو رفعته .

٥ - ذوبان شخصية الشاعر الفنية ، واعتماده فى استمداد عواطفه وأفكاره وأحاسيسه على ما ترسب من صور وتعبيرات قديمة لا تمت الى عصره بأية صلة ، ويميل فى معظمه الى تصوير أمزجة الحكام والممدحين دون أن يكون فيه أثر كبير من مزاج الشاعر أو عواطف المجتمع الذى يعيش فيه .

ونماذج هذا اللون من الشعر كثيرة ولا سيما فى الثلث الأول من هذا القرن ، اكتفى منها بالنماذج التالية :

١ - يقول الشاعر محمد عبد الرحمن كوكبان :(١)

(١) قصة الأدب فى اليمن للشامى ص ٤٦٤ .

مادواء الهموم غير الـــراح ∴ فاسقنيهـــا بأكبر الأقـــداح

خندريسا تنفى بغاة همومى ∴ عن فؤادى بعسكر الأفـــراح

ونسيم الصبا الى القلب قد ∴ أهدت سحيرا نوافح الأفواح

هاتها يا نديم صرفا فانـــى ∴ غير راض عن مزجها بقـــراح

هاتها كالعقيق لونا ومثل المسك عرفـا والهج بها يا صـــاح

فهذا الشعر يتصف بكل صفات التقليدية والجمود المذكورة آنفا ولا يزيد على كونه " كلاما موزونا مقفى " فحسب .

٢ - ومن نماذج هذا اللون أيضا هذه الأبيات للشاعر عبد الرحمن ابن عبدالله السقاف فى احدى اماسياته التى قالها يمتدح فيها الامام يحى حميد الدين امام اليمن آنذاك يطالبه فيها بنصرته ومساعدته هو وقومه أبناء الجنوب اليمنى للتخلص من الطغيـــان الأجنبى الجاثم على أرضهم .

(١)
تقول الأبيات :

سأرشد أمتى وأدل قومـــى ∴ فهم عما يراد بهم ينـــام

الى م يسكتون على اضطهاد ∴ فان سكوتهم واللـــه ذام

وقد دلفت بأنواع الرزايـــا ∴ اليهم عصبة السوء الطغام

(١) الأبعاد الموضوعية للمقالح ص ١٩ .

وليس بوازع الطغيان عنهـــا ∴ ودافع بغيهـــا الا الحســام

وان عظمت حوادثكم وجلـــت ∴ فليس لكشفهـا الا الامـــام

سينصرنـا ويدركنـــا بغـــوث ∴ أليس لنا بعروته اعتصـــام

فالأبيات تعيد الى الأذهان أصداء وصورا من شعر عصر الانحطاط والجمود ، والنزعة التقليدية على السمة الغالبة عليها وعلى غيرهـــا من قصائد السقاف .

ورغم جودة الفكرة عموما الا أن الأثر الابداعي وشخصية الشاعـــر لا يكاد يكون لهما وجود .

وفي البيتين الأخيرين تجاوز مذموم واعتداء صارخ على الحـــق الالهي ، ماكان ينبغي لشاعر مسلم كالسقاف أن يقع فيه ، فالنصر من عند الله والاعتصام لا يكون الا بعروته الوثقى التي لا تنفصم ، وللبشـــر حدود وقدرات معينة في مساعدة اخوانهم واغاثتهم ، فللشاعر أن يقول ما أراد في اطار تلك الحدود .

٣ - وكل شعر الامام يحيى لا يخرج عن هذا التيار التقليدي الجامد جملة وتفصيلا فقد كان شعره ضعيفا ركيكا تقليدا لعصور الانحطاط التي سبقت عصره بقرون .

والحقيقة أن شعره لم يكن معبرا عن عواطفه وأحاسيسه ولهـذا

جاء رتيبا باهت اللون كما سنراه فى هذه السورة التى تحكيها الأبيات التالية التى قالها ردا على أبيات السقاف السابقة : (١)

يعز علينا أن نرى متذمرا ∴ يحال مقام بين أهلك والسرح

وأنت الذى يرجى تدانيه دائما ∴ اذا عد قرب المرء من فرى المنح

وغير قبيح ان تؤجل مطلبا ∴ لما أنت تدرى من جهاد ومن كدح

وطول مقام المرء فى الحى مخلق ∴ لديباجتيه فالتزم خطة النزح

وخيم لدينا فى "أزال" مخلفا (٢) ∴ مقاما تناهى فى الأذيه والقبح

اذا أنكرتنى بلدة أو نكرتها ∴ خرجت مع البازل تميل سنى الصبح

فليس فى الأبيات نزعة من العاطفة ولا مسحة من الجمال الفنى ولا تبدو عليها شخصية الشاعر كأثر من آثاره الأدبية ، كل ما هنالك ألفاظ مرصوصة تقوم على الوزن والقافية وتخدم فكرة عفى عليها الزمن .

ولم تخل الأبيات من الاقتباس كما فى قوله " وطول مقام المرء فى الحى مخلق لديباجتيه " وهذا فى حد ذاته سمة من سمات النزعة التقليدية الجامدة فى هذا الشعر ، اضافة الى المبالغة وشيوع الكلمات المبتذلة الى غير ذلك مما يعد تقليدا لعصور الضعف والانحطاط .

(١) الأبعاد الموضوعية . د / المقالح ص ٢٠ .

(٢) أزال اسم تاريخى من أسماء صنعاء .

وهذه النماذج ليست الا شواهد للفكرة التى أوردناها والا فمعظم شعر هذه الفترة من هذا النمط ،وربما كان هناك نماذج قليلة خلت من هذا السقم والركاكه التى رأيناها فى النماذج السابقة ،ولكنها لا تخلو من مظاهر الجمود التقليدى وهى كما قلنا :-

١ - المبالغة .

٢ - وشيوع الكلمات المبتذلة .

٣ - والمحسنات البديعية .

" التقليديون الجدد " :

وقد ساد هذا التخلف والانحطاط الشعر اليمنى الى بداية الثلاثينيات من هذا القرن تقريبا - كما سبق بيانه - ثم بدأت بعد ذلك تباشير النهضة تلوح فى الآفق ،وبدأ الشعر اليمنى يتخلى من اطاره السقيم وأسلوبه المهلهل الذى غشيه فترة من الزمن ، وكانت الثورة على ذلك النمط الشعرى القديم جزءا من الثورة الشاملة على التخلف فى المجتمع العربى الذى ساد مختلف نواحى الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية .

لقد بدأ الشعراء فى تخليص الشعر من تلك النزعة التقليدية الجامدة ومن ذلك الثوب الخلق ويتجهون به نحو تطور أفضل فى الصور

والتعابير ، فكان أن نشأ " التيار الاتباعى التجديدى " أو النزعة التقليدية الحديثة (١) .

وساعد على نشوء هذا التيار عوامل كثيرة منها :

وجود وسائل الاتصال الحديثة التى ساعدت على سرعة اتصال اليمن بالأقطار العربية الأخرى التى سبقت فى هذا المضمار .

ومنها كذلك تطور وسائل الطباعة والنشر ووصول التراث العربى الشعرى مطبوعا الى أيدى الشعراء وذوى الملكات الأدبية فى اليمن .

ومنها كذلك خروج عدد من أبناء اليمن الغابرين الى الخارج واتصالهم بلفيف من شعراء هذا التيار مما شجعهم على التجديد والابداع فى مضامين وأفكار القصيدة اليمنية المعاصرة .

وقبل أن نسترسل فى سرد ودراسة بعض نماذج هذا التيار يحسن أن نلم الماما سريعا بأبرز خصائصه ومميزاته كما بينها النقاد .

اذ أن هذه الخصائص ستعيننا على معرفة وفهم المضامين الفنية الجديدة فى هذا المبحث كما ستفيدنا فى دراسة الملامح الفنية فى المباحث القادمة .

ولعل مجمل هذه الخصائص تبرز فى الخطوط التالية :

(١) ويسميها بعض الدارسين " الكلاسيكية الجديدة " لتوافقها مع الكلاسيكيه فى كثير من سماتها .

١ ـ الاستعداد الفطرى والملكات الشعرية لدى هذه المجموعة من الشعراء الذين اندفعوا فى هذا التيار بموهبة قوية تمكنهم من الاجادة والتحليق فى سماء الشعر بأجنحة مكينة .

٢ ـ كثرة المحفوظات من شعر القدماء والمحدثين مما مكن شعراء هذا التيار من اختيار أحسن الأساليب والألفاظ الملائمة لأفكارهم ومضامينهم الشعرية .

٣ ـ وقد أفادوا من تلك الموهبة وهذه المحفوظات وأكسبتهم القدرة على الصياغة المتقنة وفق تقاليد الشعر العربى وطرائقه فى أسلوب التعبير والمحافظة على نهج القصيدة التقليدى .

٤ ـ يمتاز شعراء هذه النزعة بتناول الأغراض التقليدية وفى حدود هذا الاطار يلمون بالصور والمعانى التى ألم بها شعراء العرب فى عصور الازدهار وربما أضافوا اليها موضوعات جديدة تلائم وضعهم وبيئتهم .

٥ ـ اختفاء شخصية الشاعر وراء نصه الأدبى دون أن يفقد أثره الفنى على النص وربما عالج الشاعر أفكارا خاصة من ابداعه وصبها فى الاطار التقليدى ولكنها فى الأغلب تعبير عن الجماعة .

٦ - الاتزان والاعتدال وعدم جموح الخيال ثم التغنى بالفضيلة وذم الرذيلة .(١)

وهذه فى الحقيقة خصائص عامة تشمل معظم شعراء التيار الاتباعى الحديث فى أكثر من قطر عربى .

غير أن الملاحظ على شعراء هذه النزعة فى شعر اليمن المعاصر أن هناك أساسا مشتركا يجمع بينهم وهو المحافظة على عمود الشعر وفيما عدا ذلك فان هناك تفاوتا بين شاعر وآخر من شعراء هذا التيار الاتباعى الجديد .

وعلى الرغم من تفاوتهم الشعرى فى بعض تلك الخصائص الا أننا مع ذلك يمكن أن نقسمهم اجمالا الى طائفتين :

١ - طائفة اقتصرت على احياء المقدمة القديمة ثم ضمنت القصيدة فنون الشعر التقليدية المعروفة .

٢ - وطائفة أخرى أحيت تلك المقدمة وألمت بفنون الشعر التقليدية وأضافت الى ذلك موضوعات عصرية أو فكرا جديدة صاغوها بأسلوبهم فكانوا لهذا أرقى مكانة واكثر شهرة من الطائفة الأولى .

(١) هذه الخصائص مستوحاة من عدة دراسات يمنية منها شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجى والأبعاد والشعر بين الرؤيا والتشكيل للمقالح ، والرحلة وقضايا يمنية للبردونى ، والزبيرى شاعرا ومناضلا لمجموعة من الكتاب ، ومع الشعر المعاصر فى اليمن وقصة الأدب فى اليمن للشامى ، ومن موضوعات متفرقة .

ولعل أبرز شعراء الطائفة الأولى محمد بن محمد زبارة ، واحمد الوريث ،واحمد بن احمد المطاع ،وعبدالله العزب ،وزيد الموشكى ، وعلى بن محى الأريانى ،وقد اتحدت مشارب هؤلاء وتشابهت موضوعات شعرهم فكانت الدعوة الى الاصلاح ومحاربة الظلم والدعوة الى النهضة ومهاجمة الظالمين هى السمات الغالبة على موضوعات شعرهم .

وصارت نبرتهم الشعرية وملامحهم الفنية تكاد تكون واحـــــدة ، والاستشهاد بشعر بعضهم يكفى لمعرفة مستوى الآخرين .

ولهذا سأقتصر على ذكر النماذج التالية :-

١ - النموذج الأول للشاعر الشهيد احمد عبد الوهاب الوريث مـــن (١)
قصيدة يقول فيها :

أفى اليمن الميمون وهو مقدســى ∴ نرى الملك مشغولا بجمع الدراهم
أفى اليمن الميمون ننظر أهلـــه ∴ يتيهون فى ليل من الجهل فاحـم
أفيه نرى الأفكار تضغط جمهـرة ∴ وتمنع من تفكيرها فى المكـــارم
أفيه يسود الظلم والسلب والرشا ∴ وفيه نرى الدينار أحكم حـــاكم
قبيح بنا أنا نراه مؤخـــرا ∴ ونتركه يمشى بصـــورة عـــادم
ويرسف فى قيد الجهالة شعبـه ∴ ويحرم من أنواه فكـــرة عـــالـم

(١) صحيفة ٢٦ سبتمبر عدد ٢٣ فى ٣/٣/١٩٨٣ من دراسة مطولة عن الشاعر للدكتور عبد العزيز المقالح .

اذا يطمع المستعمرين اهتباله (١) ∴ فيأتون فى استعماره بالعظائم

وتنفث فيه من مطامع طامع ∴ سموم فلا نزقى بنفث التمائم

فالشاعر هنا يتساءل مستنكرا كيف يترك اليمنيون يتيهون فى هذا الجهل ويسود فيهم الظلم ويرسفون فى قيودهم ويمنعون من التفكير والتدبير وهو تعبير عن مشاعر الشاعر وأحاسيسه ثم هو دفاع عن قضايا أمته ومشكلاتها ، وبأسلوب جرى على طريقة الاتجاه التقليدى الحديث كما أسلفنا .

وبهذا النموذج وأضرابه عبر شعراء هذه الطائفة عن مضامين أوسع من المضامين التقليدية المعروفة ، وان كانوا لم يتخلصوا تماما من عيوب الشعر التقليدى الآنف الذكر ، فقد كانوا يقعون أحيانا فى المحسنات وبعض العيوب الأخرى ، لكن تلك العيوب - والحق يقال - كانت ضئيلة بجانب الخصائص والمميزات التى كانوا يتميزون بها ، وأهمها التعبير الجماعى بعاطفة جياشة وشعور مرهف .

٢ - فى الشعب تلقى أناسا ∴ معدودة بالأصابع

بطونهم متخمات ∴ وسائر الشعب جائع

ياصاحب التاج رفقا ∴ بنا فنحن ودائع

وسوف تسأل عنها ∴ يوما ورأسك راكع

(١) خداعه والاحتيال عليه - المعجم الوسيط مادة " حبل " .

ولا يغـرنـك تـاج .. على جبـينـك لامـع

ولا القصـائد مدحـا .. ولا ضجيـج المرافـع

ولا الذيـن ينـادو .. ن من رؤوس الصوامـع

بأن ملكـك مـا ان .. لأمـره مـن منـازع

فانمـا هـو سخـف .. من غـافل أو مخـادع

الشعب يرعد بالدمع .. مالذى أنـت صـانـع

وربمـا همسـاتـى .. يوما تـدوى مدافـع (١)

فهذه الأبيات للشاعر عبد الله العزب أحد رواد التيار التقليدى الحديث ومن الطائفة الأولى من شعراء هذا الاتجاه .

والشاعر بهذا الأسلوب يعبر عن مشاعره وتجاربه فى الحياة ولكن بمعان حديثة وأفكار جديدة وهو صادق مع نفسه ومع فنه ومع طبيعة عصره ، ولعل فى اختياره لهذا البحر ذى التفعيلات القصيرة ما يستوقف السامع ويقرب المقطوعة الى فهمه ، على أن الأبيات أيضا تعبير جماعى عن مشاعر ووجدانات الشعب ، تقليدية النبرة والأسلوب وخاصية التعبير الجماعى هذا من خصائص هذا التيار كما سبقت الاشارة الى ذلك .

(١) من الأدب اليمنى لأحمد الشامى ص ٢٢٢ .

٣ ـ النموذج الثالث للشاعر زيد بن على الموشكى أحد شعـــــراء الأربعينيات المبرزين وطنيا وأدبيا ومن جيد قصائده ذات الملامح الفنية الأصيلة قوله :(١)

يابنى شعبنا نهوضا فقد طـا ∴ ل ثواكم بين ازدراء وبـؤس
فانهضوا كلكم بقلب امـرئ لا ∴ يرهب الموت أو نزول الخميس
قد عهدناكم لدى الحرب مابيـ ∴ ـن كماة تقلى الحياة وشـوس
وتعافون الضيم شربا ولو كـا ∴ ن شرابا فيه قوام النفـــوس
يابنى شعبنا أفيكم فتى يغـ ∴ ـضب حقـا لربـه القـدوس
انما المرأ بالنوال وان يلبـس ∴ أثواب العـدل والتقـديس
ناظرا فى مصالح الشعب ميا ∴ لا الى الخير نابذا للمكـوس

ولعل الموشكى أبرز شعراء هذه الطائفة وأكثرهم نتاجا ،وأصدقهم لهجة .

والمقطوعة التى بين أيدينا وان كانت تقليدية النزعة والصياغـة الا أنها تخفى وراءها شاعرا ذا موهبة قوية وعاطفة فياضة وقدرة علـى التأثير مع البعد عن التصنع والبساطة فى التعبير .

(١) الشعر بين الرؤيا والتشكيل ـ د . عبد العزيز المقالح ص ١٧٧ .

فالشاعر هنا يدعو أبناء شعبه الى النهوض والمخاطرة فى سبيل تحرير الوطن ، دون خوف أو وجل .

وهو فيما يدعو اليه يكون فى مقدمة العاملين ، كما عرف ذلك عنه ومن هنا نجد الاتساق المطلوب بين القول والعمل ، بين التعبير والأداء ، وهذا الاتساق والالتزام ربما كان من خصائص هذه الطائفة بل ومن خصائص الشعر اليمنى المعاصر عموما .

أما الطائفة الثانية من شعراء التيار التقليدى الحديث فقد أتيح لها أن تغترف من الثقافة الحديثة قدرا أكبر ، وهى فى فهم تلك الثقافة أكثر عمقا ، فقد أتيحت لبعضهم فرصة الخروج الى خارج الوطن ، والاطلاع على أنواع شتى من الثقافة المعاصرة .

هذا بالاضافة الى تمرسهم بالأساليب العربية القديمة وتضلعهم بها من خلال دراستهم الأولى فى المساجد ودور العلم القائمة فى زمانهم ، وفوق هذا وذاك فقد كان هؤلاء على صلة وثيقة برواد الحركة الأدبية المعاصرة فى العالم العربى من أمثال شوقى وحافظ والعقاد والرافعى وطه حسين وسيد قطب وغيرهم .

وقد كان لأولئك الرواد أثر بارز على جيل الأربعينيات من شعراء اليمن ، والذين يمثلون الطليعة الثانية من شعراء عصر النهضة فى اليمن وقد سبقت الاشارة الى بعض أعلامهم فى الصفحات الماضية .

على أن وسائل الثقافة عند هذا الجيل قد تعددت وتنوعت مصادرها وبالتالى فقد اتسعت آفاقهم وأغراضهم الفنية فى حدود المحافظة على القديم فى بعض جوانبه والتجديد المتئد فى جوانب أخرى - تتناول الموضوع والأسلوب - بهدف تقريب الشعر الى الأفهام والبعد عن الأساليب الوعرة والألفاظ الغريبة ، وكذلك حماية الذوق العربى من تلك التعبيرات الهابطة المبتذلة والتى رأينا طرفا منها عند شعراء الجمود والانحطاط .

ولكى تتضح لنا معالم هذا التيار وخصائصه بصورة أكثر شمولا ، علينا أن نأخذ أنفسنا بدراسة شىء من نصوص شعرائه .

ولن أطيل فى استعراض تلك النصوص الا بالقدر الذى يحقق الغرض من هذه الدراسة ، ويبدو أن الزهيرى هو فارس هذا الميدان وراثد هذا التيار الاتباعى التجديدى ، فقد أحدث ثورة هائلة فى الشعر اليمنى الحديث ونجح - الى حد بعيد - فى خلق مضامين واغراض وتصورات جديدة تمثلت فى تجسيده للواقع ، وتصويره هموم مواطنيه ورصد مشاعرهم ومشكلاتهم السياسية ، والاجتماعية بأسلوب خلاب ، وعاطفة فياضة وموهبة قوية وحاسة شاعرية مرهفة .

وفى النصوص السابقة لمختلف الموضوعات والاتجاهات رأينا شعرا على مستوى جيد من البراعة والابداع لا يقل فى مستواه الفنى عن شعر شعراء العرب المعاصرين عموما .

وما أريده هنا هو اماطة اللثام عن الملامح الفنية المتطورة فى الشعر اليمنى ،ولكى ندرك تلك الملامح لابد وأن نستعرض بعض النصوص ونحاول دراستها لنستشف - ما أمكن - الملامح الفنية من خلالها ،ونكتفى هنا بالنصوص الآتية :

١ - الأصل أن المدح من الأغراض التقليدية القديمة .

غير أن هذا التيار استطاع أن يخرج منه مضامين جديدة وأفكارا عصرية مبتكرة مازجت شعر الشعراء فأكسبتهم مكانة أدبية مرموقة .

فمن مدائح الزبيرى - والتى سماها بعد ذلك بالوثنيات (١) نأخذ هذه المقطوعة (٢) التى يقول فيها مخاطبا ولى العهد احمد حميد الدين :

طر حيث شئت بنا فانا معشر ٭. سنيطير اثرك فى العلى ونحلق

واسمح فقد أوتيت بالعدل المنى ٭. وسواك يسعى للنجاح فيخفق

وملكت شعبا لا يحطم أنفه ٭. رمى يصيب ولا قذائف ترشق

قل للألى سلبوا الشعوب حقوقها ٭. ان لم تردوا حقنا فتصدقوا

(١) سمى الشاعر قصائده المادحه بالوثنيات بعد أن تأكد له أن هذا المدح لم يؤد الغرض منه فقد كان غرضه أن يثير فى نفوس الحكام البذل والتضحية والعمل من أجل الوطن وبعث روح النهضة والاصلاح لكنه أدرك بعد ذلك أنه كان يعيش فى أحلام اليقظة وأن شيئا من ذلك لا يستقيم على يدى أولئك الحكام .

(٢) بعض هذه الأبيات فى ديوان ثورة الشعر ص ٩٠ والبعض فى الجزء المخطوط من القصيدة نقلته عن كتاب الأبعاد ص ١٠٠ .

ما أكثر الأسلاب فى أيديكم .. لو كان يغنى سارق اذ يسرق

جمعتم وملك الأرض تحت نفوذكم .. ان الغنى مع التلصص مطلق

ياحامل الشعب الكبير بقلبه .. الشعب فى طيات قلبك يخفق

جدد له عصر الجدود بعزمة .. لو مست الماضى لجاءك يشرق

لا تهنه حجرا ولكن فيلقا .. ينساب فيه للمنايا فيلق

وهنا تبدو لنا الملامح الجديدة فى المضمون فالشاعر يتخذ من المدح وسيلة للتعبير عن خلجات نفسه مطالبا بحقوق شعبه المسلوبة لافتا نظر الحكام الى حالات المجاعة والمذلة والفقر رغم أن فى أرضه خيرات كثيرة لو استغلت استغلالا جيدا لكان من أغنى الشعوب وخاصة أن الشعب اليمنى شعب له طموحاته واستعداده الفطرى للمكافحة والنضال فى طلب المعالى .

ويبدو أن الشعب كان قد ضاق ذرعا بهؤلاء الحكام ولهذا جاءت مطالب الشاعر فى صيغة أوامر ونواه على الرغم من أنها ضمن غرض تقليدى وهو المدح : " جدد له عصر الجدود " " لا تهنه حجرا ولكن فيلقا " وهذه الصيغ لا عهد لشعر المدح بها الا عند شعراء هذا الاتجاه .

ولندع المدح فربما كان أقل الأغراض التقليدية خضوعا للتجديد ولطريقة الأداء المعاصر واذا كان لأحد من شعرائنا المعاصرين فضل فى تطويره والتجديد فيه فسينال الزبيرى وبعض شعراء جيله نصيب

الأسد من ذلك الفضل ، ولربما كان الرثاء أكثر انقيادا وطواعية للتجديد الفنى ، ولهذا تمكن شعراء اليمن المعاصرون من خلاله من ابـــراز المآسى والكوارث التى حلت بالشعب وتعاقبت على المواطن اليمنى يوما بعد يوم .

ولم يكن بمقدور أحد أن ينتقد الوضع فى هذه الفترة غير أن قلة من الشعراء الواعين تمكنوا من خلال هذا الاتجاه الجديد - فـــى استخدام الأغراض التقليدية - من نفض غبار النفاق الاجتماعى واشعار الحكام بما يعانيه شعبهم من مآسى ومحن ، وذلك عن طريق التعبير المثير والتصوير الحى ، ولنضرب لذلك مثلا من شعر الزبيرى أيضـــا باعتباره رائد هذا التيار فى فترة الأربعينيات على الأقل .

ففى سنة ١٩٤٣م - ١٩٤٤م أصابت البلاد مجاعة عامة أكلـــت الأخضر واليابس وقضت على الآلاف من الناس ، وأعقب هـــذه المأســاة مأساة أخرى ، هى : مرض خطير معد وهو " التيفوس " قضى هو الآخر على عدد كبير من المواطنين دون أن تحرك الدولة ساكنا ازاء هـــذه المصيبة أو تلك ، وفى المقابل لم يستطع أحد من المواطنين أوأصحاب الرأى فيهم أن ينبس ببنت شفه رغبة أو رهبة .

وفى هذه الأثناء أو بعد ذلك بقليل فقد الشعب علما شامخا من اعلامه وواحدا من أبنائه المخلصين هو القاضى " يحى الارياني " رئيـــس

الاستئناف ،وهو أيضا ركن من أركان الدولة ،وهنا استغل الزبيرى هذه الحادثة وتفجر غيظا وحنقا - وخاصة أن الأريانى من العلماء القلائل المشهود لهم بالعفة والنزاهة - فعدل بالرثاء عن مسلكه القديم وهو البكاء على الميت وتعداد محاسنه الى رثاء شعبه وتعداد مصائبه ومعالجة أمراضه الاجتماعية من خلال تلك التلميحات والتعاريض التى كسر بها الطوق التقليدى فى شعر الرثاء ،وبهذا خطا الزبيرى خطوات تجديدية متقدمة بالشعر اليمنى المعاصر أفكارا وعواطف .

(١)
وهذه أبيات من مرثيته تلك :

يحيى مصابك هذا الشعب وانحطمت ∴ قواه وهو لعمرى فيك معذور

علمته الخلق الأسمى وكنت لـــه ∴ كصحف فيه تحذير وتبشير

نزهت كفك عن سحت قد أنغمســت ∴ فيه الأكف الأثيمات المشاهير

يرون قطع يمين اللــص جائحـــة ∴ وحظ أيديهم لثم وتوقيـــر

لا يؤخذون بما غلوا وما خلســوا ∴ كأنما العلم للاجرام تبريـر

لله أنت طلبت المجد فاجتمعـــت ∴ أطرافه واستقاه منك تـامور

وهام فيك هياما لا هــدوء لـــه ∴ كأنه فيك محصور ومقصـــور

بنيت جنة عدن بالعفاف وقـــد ∴ تبنى جهنم للناس الدنانير

والعلم ان لم يطهر قلب حاملـــه ∴ من الهوى فهو تضليل وتزوير

(١) ديوان الزبيرى صلاة فى الجحيم ص ٨٢ .

وليس هذا كل ما فى القصيدة فالشاعر قد رتب أفكاره ترتيبا تصاعديا نحو المأساة التى يريد تصويرها بحيث بلغ الغاية فى تجسيدها .

يقول الدكتور المقالح فى تعليقه على القصيدة " واذا كان الوعى بالمأساة كما يقول النقاد قد يبلغ بالشعر الغاية من تجسيد الفكرة ، فان مرثية الزبيرى لشعبه قد تحدرت من أقصى أغوار الوعى التى تجسدت فى فكرة موت انسان ، كانت وفاته ملهمة وشيره لتجسيد وفاة شعب ، وأى وعى بالمأساه أكثر من جعلنا بعد ثلاثين عاما ننتقل فى معارض الموت ونسير بين جثث الآلاف من الضحايا الأبرياء "(١)

وهو يشير بهذا الى قول الشاعر فى القصيدة :

مررت فى معرض الآجال مرتجفا .. كأننى من ذهول الرعب مسرور

ولم يقتصر شعراء هذا التيار على الأغراض التقليدية بل طرقوا موضوعات أخرى جديدة ومستحدثة - كما أسلفت - لكن مع المحافظة على شكل القالب التقليدى العام ، وهم يعتمدون أساسا على أسلوب النماذج التراثية ، ويتخذونها مثلا أعلى للأسلوب الشعرى ، حتى ولو كانت الموضوعات المطروقة موضوعات جديدة - كما سيأتى - .

(١) الأبعاد الموضوعية والفنية ص ١٠٦ .

وأهم الأغراض التى أضافها شعراء هذا الاتجاه كما رأينا الدعوة الى الاصلاح - بجميع أنواعه السياسى والاجتماعى والدينى - كذلك رأينا فى شعر هذا الجيل الشعر الوطنى والقومى والاجتماعى وغيرها .

وفى كل هذه الموضوعات كانت هناك محاولات تجديدية أوليـــة لتطوير الشعر اليمنى المعاصر عن طريق أساليب الأداء المعاصر .

وكانت هذه المحاولات فتحا لباب التطوير والتجديد فى الشعـر اليمنى المعاصر ، ومن ثم فقد أتاحت تلك المحاولات - للشعراء بعـد ذلك - فرص الاستفادة منها واضافة تجديدات أخرى .

ويلاحظ أن التطوير فى المضمون قد أتاح الفرصة لتطوير الشكل ، فهما متلازمان فى العمل الأدبى الواحد ، كما سيأتى فى المباحـث القادمة ان شاء الله .

" الابداعيـــون "

والى جانب هذا التيار التقليدى المتطور ظهر فى الشعر اليمنى تيار آخر فى أواخر الأربعينيات من هذا القرن تشبيها له " بالتيـار الابتداعى " فى مصر .

على أن هذا التيار قد استمد أصوله ومبادئه من مدرستى "الديوان" و " أبولو " أو من مدرسة العقاد وأبى شادى .

فينبغى أولا أن نعرف شيئا عن هاتين المدرستين أو الجماعتين اللتين كان لهما هذا الأثر الأدبى على شعراء اليمن المعاصرين الذين يمثلون هذا الاتجاه .

والديوان الذى تنسب اليه هذه الجماعة هو الكتاب النقدى الذى اشترك فى اخراجه كل من العقاد والمازنى عام ١٩٢١م ويدخل معهما ضمن هذه التسمية شاعر وناقد ثالث هو " عبد الرحمن شكرى " وكان الثلاثة يشكلون هذه الجماعة التى كانت طليعة الجيل الجديد الذى جاء بعد شوقى وحافظ ، كما كانت مقدمة لجماعة أبولو التى جاءت بعد ذلك .

وعلى أى حال فقد كان الثلاثة مثقفون ثقافة انجليزية - الى جانب ثقافتهم العربية - مكنتهم من الاطلاع على أدب الغرب فكانوا على صلة وثيقة بالمذهب الرومنسى الذى كان سائدا هناك .

ويلخص جملة النقاد المذهب الذى تدعو اليه الجماعة فى النقاط التالية :

١ - الدعوة الى تخليص الشعر من صخب الحياة وضجيجها والتعبير عن الذات .

٢ - الدعوة الى الوحدة العضوية للقصيدة بحيث تكون عملا فنيا تاما .

٣ - التحرر من القافية الواحدة والدعوة الى تنويع القوافى أو ارسالها .

٤ - العناية بالمعنى وادخال الأفكار الفلسفية والتأمل فى قصائدهم ونفثات صدورهم .

٥ - تصوير لباب الأشياء وجوهرها والاهتمام بهذا اللباب والبعد عن الأغراض .

٦ - تصوير الطبيعة والغوص وراء ظواهرها .

٧ - التقاط الأشياء البسيطة العابرة والتعبير عنها تعبيرا فنيا جميلا يبعث فيها الحياة .

٨ - البعد كثيرا عن المجالات الخارجة عن النفس كالمناسبات ، والسياسيات وغيرها .(١)

على أن الاحساس بالأسى ، والشعور بالمرارة والحزن والضيق والسأم النفسى ، والحيرة العقلية ، والعجز المعذب ، من أهم مميزات هذه الجماعة .(٢)

(١) أنظر تطور الادب الحديث لأحمد هيكل ص ٩٨ ، والأدب العربى الحديث ومدارسه لخفاجه ص ٥ ومابعدها ، وكتاب تطور النقد العربى لعبد العزيز الدسوقى ص ٣٠٠ ومابعدها وكتاب " فن الأدب الحديث للدسوقى جـ ٢ فى صفحات متعددة أثناء حديثه عن العقاد والمازنى وشكرى .

(٢) تطور الادب الحديث ص ١٤٨ .

والحق أن أثر جماعة الديوان فى الشعر كان محدودا الى حد كبير نتيجة للخلافات والخصومات التى حدثت بين شكرى والمازنى ، ولهذا تفككت سريعا ودب فيها الضعف بعد أن اعتزلها شكرى ثم المازنى ولم يعد من يمثلها سوى العقاد .

وحتى العقاد نفسه كان ناقدا أكثر منه شاعرا وكانت مقاييسه النقدية من السمو بحيث عجز هو أيضا عن تطبيقها فى شعره .

فالعقاد كما يقول سيد قطب لم يستطع أن ينسج شعره كله على مقتضى نظرياته النقدية كلها ، ونظرة فاحصة فى دواوينه المطبوعة تكفى للتأكد من هذا الأمر اذ نجد أن العقاد قد حاد عن الطريق الذى رسمه هو وصاحباه وسلك مسلك المحافظين فى بعض قصائده .

أما جماعة " أبولو " فقد بدأت ارهاصاتها سنة ١٩٢٢م وظهرت أول بواكيرها سنة ١٩٢٧م وسميت بهذا الأسم سنة ١٩٣٢م نسبة الى المجلة التى أنشئت فى هذا العام تحت اسم " أبولو " وصدرت عن جمعية " أبولو " التى اشترك فيها شعراء من مختلف التيارات والظاهرة الغريبة أن عين شوقى رئيسا لمجلس ادارتها ، ولعل ذلك لأسباب اجتماعية .

(١) أنظر كتب وشخصيات ص ٨٨ .

(٢) تطور الأدب الحديث .

(٣) متمثلة فى ديوان الشفق الباكى لأحمد زكى أبوشادى رائد هذا التيار .

غير أن سنة ١٩٣٤م كانت بمثابة موسم الفيضان لهذه الجماعة اذ ظهرت فى هذا العام الدواوين الأولى لمعظم شعرائها الرواد مثل على محمود طه ،وابراهيم ناجى ،وصالح جودت ،وحسن الصيرفى ومحمد عبد المعطى حجازى ،وغيرهم ،وقد اتسعت هذه الجماعة حتى أصبحت تيارا أدبيا عاما شمل معظم أجزاء العالم العربى ، فالتقت بالشابى فى تونس ،وأبى ريشه فى سوريا ولطفى جعفر أمان فى اليمن والتيجانى فى السودان وغيرهم من شعراء هذا الاتجاه (١) .

ولعل أهم العوامل التى أدت الى ظهور هذه الاتجاه أو هذه الجماعة تتلخص فيما يلى :

١ - الصراع المحتدم بين المحافظين بزعامة شوقى والمجددين بزعامة العقاد ،وقد كشف هذا الصراع عن محاسن ومساوئ كلا الاتجاهين .

٢ - أن شعراء جماعة " أبولو " ولاسيما الرواد منهم كانوا يتقنون اللغة الانجليزية ،وكان لهم قراءات فى الأدب الرومنسى بلغته الأصلية ،ولهذا تأثروا بشعر الرومنسيين الأوربين وخاصة الأنجليز .

٣ - من أهم العوامل التى هيأت لظهور هذا الاتجاه التأثر بالأدب المهجرى ،وبالأخص عند الشعراء الذين لا يجيدون لغة أجنبية

(١) أنظر الشعر بين الرؤيا والتشكيل للمقالح ص ٢١٢ .

ولا يستطيعون الافادة من الشعر الرومنسى فى لغاته الأصليـــة

ومعروف أن الشعر المهجرى يغلب عليه الطابع الرومنسى .

أما خصائص هذا التيار المضمونية فنوجزها فى النقاط التالية :

١ ـ غلبة الجانب الوجدانى على المضمون الشعرى .

٢ ـ غلبة طابع الحزن على العـــاطفة بحيث تصدر عن يأس واستسلام حينا وعن أسى ومرارة حينا آخر وتثير الشجن والحزن فى كثير من الأحيان .

٣ ـ أن شعراء هذه الجماعة يميلون الى النزعة الفردية فالشاعر منهم لا يعبر الا عن أحاسيسه ولواعجه فلا يهتم بالقضايا القوميـــة ولا يلتفت الى المشكلات الوطنية واذا التفت اليها فهى عنده فـــى المحل الثانى .

فالانطواء والحزن والعاطفة الذاتية هى أهم السمات المضمونية لجماعة " أبولو " .

وقد حدد الدكتور احمد زكى أبو شادى رائد جماعة أبولو اغراضها فى بيانه الأول فى هذه النقاط .

١ ـ السمو بالشعر العربى وتوجيه جهود الشعراء توجيها شريفا .

٢ ـ مناصرة النهضات الفنية فى عالم الشعر.(١)

(١) انظر احمد هيكل ـ تطور الشعر الحديث فى مصر ص ٣٥٢ ، وتاريخ الشعر العربى الحديث لأحمد قبش ص ٢٣٣ ، ومحمـــد أحمد العزب " عن اللغة والأدب والنقد " ص ١٤٣ ، والأدب =

٣ - ترقية مستوى الشعراء أدبيا واجتماعيا وماديا والدفاع عن كرامتهم .

ويلاحظ أن جماعة أبولو كانت امتدادا لجماعة الديوان فكلاهما تأثرتا بالثقافة الانجليزية ومذهبها الرومنسى .

بيد أن جماعة أبولو كانت تميل الى التعبير الرمزى مع نزعة عاطفية ونزعة تأملية ونزعة وصفية ونزعة انسانية ،وكلها روافد تصب فى نهر هذه الجماعة وتيارها الجارف فهى أكثر تأثرا بالمذهب الرومنسى العربى من جماعة الديوان وتسميتها جماعة هو ما اصطلحت عليه الحركة النقدية الحديثة وهو أولى من تسميتها مدرسة (لأن المدرسة الشعرية تتخذ أساسا لتحقيق أهداف معينة فى الفن الشعرى ،وتنزع فى ذلك عن رؤية فلسفية واضحة المعالم والحدود)[1] .

وبعد هذا الاستطراد نقول ان الاتجاه الابداعى فى شعر اليمن المعاصر قد ظهر أول ماظهر فى منتصف الأربعينيات وقد تمثل فى أول الأمر فى قصائد قليلة لشعراء التيار السابق " المحافظ" فكان هذا النوع من الشعر ينزع الى الذاتية والفردية والغلو بالنفس والشعور

= العربى الحديث ومدارسه لمحمد عبد المنعم خفاجه ص ٥٦ وما بعدها ،وفيه دراسة مفصلة عن جماعة أبولو الشعرية وبعض روادها ومدرسة أبولو للفيف من الأدباء ص ١٢٢ ومابعدها .

(١) محمد احمد العزب " عن اللغة والأدب والنقد " ص ١٤٤ .

بالوحدة والمرأة والحزن ، ثم أصبح لهذا التيار شعراؤه البارزون بعد ذلك .

وكانت هناك عدة عوامل هي التي ساعدت على ظهور هذا الاتجاه لعل من أهمها :

١ - اتصال شعراء اليمن بشعراء ذلك التيار في أقطار عديدة من العالم العربي كمصر والسودان والعراق ولبنان .

٢ - قراءاتهم لنتاجهم الشعري في الكتب والدوريات والصحف التي كانت تهتم بهذا النوع من الشعر .

٣ - قراءة بعضهم لشعراء الغرب الرومنسيين اما بلغتهم الأصلية كعلي احمد باكثير ولطف جعفر أمان او مترجما كثيرا من شعراء هذا التيار .

٤ - حياة التعاسة والقلق الناتجين عن القهر والاذلال والحرمان والتخلف التي كان يعيشها الشعب اليمني فظهر أثر ذلك جليا في نتاج الشعراء المعاصرين .

ولم تقتصر الرؤية الفنية في المضمون عند هذا الاتجاه على نوع معين من الشعر بل قد تمثلت في ألوان متعددة من الشعر اليمني .

فتمثلت في قصائد وطنية وأخرى قومية كما تمثلت في قصائد الحب وقصائد الغربة والضياع والوحدة والانهزام والخيبة وغيرها ، ففي معظم هذه الموضوعات كان الشاعر ينطلق من منطلق ابداعي عاطفي .

على أن هذا التيار الابداعى لم يظهر بشكل جلى الا أوائل الخمسينيات أى بعد نكسة وأحداث ١٩٤٨م ١٣٦٧هـ تلك الأحداث التى قضت على الحركة الدستورية وراح ضحيتها مجموعة من الشباب المثقف الواعى ذلك الأمل المنشود الذين علقت عليهم الأمة آمالها .

وشعراء هذا الاتجاه كثيرون جلهم من الشباب الذين مكنتهم ظروفهم من مواصلة دراستهم خارج البلاد أو كان لهم قراءات خاصة فى كتابات الرومنسيين الغربيين أو الابداعين العرب .

نذكر منهم على سبيل المثال : احمد محمد الشامى ،ابراهيم احمد الحضرانى ، محمد محمود الزبيرى ،لطف جعفر أمان ،محمد عبده غانم ،على عبدالعزيز نصر ،على محمد لقمان ،عبدالله البردونى عبد الرحمن قاضى .

ورغم أن الزبيرى كان أكثر انفتاحا على الجديد الا أنه كان أقلهم تأثرا بتلك المضامين الذاتية ،اذ أن وضوح رؤيته الاصلاحية وارتباطه القوى بقضية اليمن الكبرى قد حماه من الوقوع فى أسر مضامين الاغتراب والانزلاق فى هموم الذات كما هو شأن الشعراء الرومنسيين .

" ومن ثم ظل شعره قريبا من منطقة الهموم العامة ، أو من الكلاسكية الجديدة " ان صحت التسمية (١) .

(١) الأبعاد ـ د . عبدالعزيز المقالح ص ١٠٩ .

ولابد أن أشير هنا الى ظاهرة عند عدد من الشعراء اليمنيين هى أن بعضهم كان يتأرجح بين التيار التقليدى والتيار الابداعى أو بين الكلاسكية الجديدة والرومنسية .

وأعتقد أن هذا التنوع شىء عادى ولا غبار عليه وخاصة فى فترة الأربعينيات والخمسينيات حيث كان التيار التقليدى هو التيار السائد والمعجبون به - فكرا وأسلوبا - أكثر عددا من أنصار التيار الابداعى اذ أن الشعر على الطريقة القديمة كان مألوفا عند معظم المثقفين وجلهم من ذوى الثقافة العربية والاسلامية .

ولهذا كان الشعر فى هذه الفترة يميل الى التيار التقليدى المتطور فاذا ما أراد الشاعر أن يعبر عن آلامه وأحزانه وخلجات نفسه فانه يسلك المسلك الابداعى العاطفى .

وهذا مانجده فعلا فى بعض قصائد الزبيرى عندما تعتريه بعض الحالات وتنتابه بعض الأزمات ،ولا سيما عقب نكسة ١٩٤٨م وما تلاها من شعور بالمرارة واحساس بالألم والضياع .

ومن قصائده القليلة التى سلك بها هذا المسلك الجديد فى الفكر والأسلوب قصيدة " البلبل " (١) والتى يقول فيها :

(١) ديوان صلاة فى الجحيم ص ٤٣٩ من مجموع شعر الزبيرى .

بعثت الصبابة يابلبـــل ∴ كأنـك خالقهـــا الأول

غناؤك يملأ مجرى دمى ∴ ويفعل فى القلب مايفعل

سكبت الحياة الى مهجتى ∴ كأنك فوق الربا منهـــل

ترتل فن الهوى والصبا ∴ شجيا وان كنت لا تعقل

وما الحب الا جنون الحياة ∴ وبعانيها الفاعل المشكل

غزتك الى الوكر مأساتـــه ∴ وأمسك من خطبه المعضل

فضاق بك الرونق فى رحبه ∴ وأنت بأجوائـــه مرســـل

نكبت بما نكب العاشقون ∴ وحملت فى الحب ما حملوا

هدوؤك فى طيه مرجـــل ∴ وريشك من تحته مشعل

خفيف على الغصن لكنما ∴ فؤادك من لوعة مثقـــل

أنينك ينساب فوق الغصون ∴ كما انساب من نهده الجدول

ويسرى الى القلب مسرى الحياة ∴ وفيه من الوجد ما يقتل (١)

الى آخر القصيدة . . .

فـــالشاعر هنا يحن الى الطبيعة ويترنم بالفطرة ويتغنى بهـــا دون الالتفات الى ما يصيبه منها من آلام ، فقد علمه ذلك البلبـــل الصداح الذى سكب الحياة فى مهجته وكأنه منهل عذب رغم ما أصاب ذلك البليل من خطوب وما توالت عليه من نكبات ، ومع ذلك فقد ترفع عن الهموم والأحزان التى تصيب غيره .

والقصيدة تكاد تكون تجسيدا للنزعة الذاتية فى الشعر ، والتى تعتبر من أهم خصائص الرومنسيين ، الذين أحبوا الطبيعة وتعشقوها وحاولوا أن يمتزجوا بها بل كانوا يلوذون بها من كدر الحياة ، وضنك العيش بعد أن خلعوا عليها من الخيال المجنح ما جعلتها ذات قيمة ابداعية ، كما نقرأ ذلك فى شعر أبى شادى ، وابراهيم ناجى وغيرهما من شعراء هذا الاتجاه من مصر وأبى القاسم الشابى من تونس وعمر ابى ريشه من سوريا والتيجانى بشير من السودان ، والياس أبى شبكه من لبنان ولطف جعفر أمان من اليمن .

ويتفق الدارسون على أن الشاعر لطف جعفر أمان هو رائد هذا الاتجاه فى شعر اليمن المعاصر بل وأقدر شعرائه على استيعاب الموجه الرومنسية فى الشعر العربى المعاصر ، وأكثرهم كفاءة فى الافادة من الشعر الغربى الرومنسى فى لغته الأصلية (١) .

فقد أكمل دراسته العليا فى لندن واطلع على النتاج الأدبى لكبار الشعراء الأنجليز ونهل من مشاربهم .

(١) الشعر بين الرؤيا والتشكيل للمقالح ص ٢١٨ والأبعاد ص ٢١٣ وشعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجى ص ١٦٦ ومابعدها ورحلة فى الشعر اليمنى للبردونى ص ١٦٨ وتاريخ الشعر الحديث لاحمد قبش ص ٥٥٤ .

ويقسم الدكتور المقالح الرومنسية عند لطف أمان الى ثلاث مراحل

الأولى : الرومنسية الفردية .

الثانية : الرومنسية الانسانية .

الثالثة : الرومنسية الثورية (١) .

والحق أن الرومنسية بخصائصها ومميزاتها المعتبرة عند النقاد لا تنطبق فى شعر جعفر أمان الا على المرحلتين الأولى والثانية . أما المرحلة الثالثة التى سماها الدكتور المقالح " الرومنسية الثورية " فهى الى الواقعية أقرب منها الى الرومنسية ولهذه المرحلة فى شعر أمان نماذجها الخالصة ، وقد أتعرض لها ان دعت الحاجة عند الحديث عن التيار الواقعى فى شعر اليمن المعاصر .

وتجدر الاشارة هنا الى أن التيار الابداعى أو الرومنسى كان قد بدأ - كما قلت - أواخر الأربعينيات عند عدد من شعراء اليمن كالشامى والحضرانى وعبده غانم ولقمان وغيرهم ، هذا بالاضافة الى رائد هذا الاتجاه لطف جعفر أمان ، وكذلك عبدالله البردونى فى بعض قصائده .

غير أن هؤلاء جميعا طوحت بهم طوائح الزمن ، فأخلص معظمهم شعره للتيار التقليدى المحافظ كالشامى ولقمان ومنهم من انتهت حياته

(١) الشعر بين الرؤيا والتشكيل ص ١١٨ .

الشعرية الا من القليل النادر فى بعض المناسبات كالحضرانى ومنهم من سلك طريق الواقعية بعد ذلك ، وبقى ميدان الشعر الابداعى خاليا الا من فارس واحد فقط هو : لطف جعفر أمان كما يقول الدكتور المقالح (١) .

والذى يبدو لى أن عزوف هؤلاء الشعراء عن سلوك هذا المسلك انما يرجع الى أنهم لم ينزعوا هذه النزعة عن اقتناع ذاتى أو استجابة للواقع ، وانما كان ذلك محاكاة وتقليدا لشعراء الاتجاه الابداعى فى العالم العربى ، ولم يكن الجمهور اليمنى آنذاك على استعداد لتقبل مثل هذه النزعة الفردية .

وهذا بخلاف الوضع فى عدن حيث كان يعيش الشاعر لطف جعفر أمان ، فقد كانت عدن مدينة منفتحة بحكم وجود الاستعمار الانجليزى فيها ، ولهذا كان شعره - رغم تأثره فى بداية رحلته بالبارزين من الشعراء الابداعيين - استجابة للواقع وتعبيرا عن نزعة جماعية انسانية . وقد ساعده على الابداع والاستمرار فى هذا التيار بعثته الدراسية الخارجية فى السودان ثم انجلترا - كما أشرت - .

(١) انظر الشعر بين الرؤيا والتشكيل ص ٢١٥ .

ومهما يكن من شيء فان مجرد النزوع نحو الابداع أو الرغبة في التجديد يعتبر - في حد ذاته - معلما من معالم التطور في الشعر اليمني المعاصر .

وفي الصفحات التالية رصد عابر ووجيز لملامح التجديد في المضمون الشعري من خلال النماذج الشعرية التي سنسوقها في الصفحات المقبلة .

وربما كان الشاعر أحمد الشامي من أوائل شعراء هذا الاتجاه ان لم يكن أولهم فهو من قراء مجلة الرسالة كما أشار الأستاذ الحضراني في مقدمته لديوان " النفس الأول " وبالتالي فقد كان ينقش قصائد شعرائها الوجدانيين من شعراء جماعتي الديوان وأبولو ، وقد تأثر بهم تأثرا كبيرا كما تأثر بغيرهم من شعراء هذا الاتجاه في العالم العربي .

ومن قصائد الشامي الرومنسية أو الابداعية رائعته " بين الصخور " والتي تأثر فيها تأثرا مباشرا ببعض رومنسيات الشابي ولا سيما قصيدته (١) (٢) " الجنة الضائعة " يقول الشامي في قصيدته :

(١) انظر ديوان أبي القاسم الشابي ص ٣٦١ تجد التأثر واضحا وزنا وقافية وأفكارا .

(٢) ديوان النفس الأول ص ٦ .

أواه ها أنا فى الظلام أنوح محترق الشعور

ودمى يضج من الهموم ومهجتى الحرى تفور

ومشاعرى مكفوفة الرغبات تخبط كالضرير

وخواطرى تهفوا وراء أمانى القلب الكسير

والكون غاب لا ضجيج ولا رقيب ولا سمير

لا مشفق يحنو علىّ ولا نصير ولا عشير

الا فؤاد دامى لزفرات أو دمع غزير

أحيا وحيدا خائفا بين المخاوف والشرور

متأجج الأحشاء أدعو بالمصائب والثبور

وكأنما أنا طائر فى هذه الدنيا أسير

يشدو بمختلف اللحون على أناس كالصخور

والقصيدة فى جملتها تمثل المستوى الصارخ الباكى عند شعراء هذا الاتجاه فقد ألقت به الموجات الرومنسية الهادرة بين الصخور وحيدا مكتفا كسير الفؤاد محترق المشاعر كفيف الرغبات دامى القلب كالأسير لا نصير له ولا عشير.

وهذا التناول الرومنسى هو الذى جعله فنانا مرهف الحس صادق الوجدان ملتهب العواطف وهذه مضامين جديدة لم يظفر بمثلها شعراء اليمن قبل هذه الفترة فقد أرضت - الى حد ما - الذوق والعاصفة معا .

وقد اتسعت أرضية الشعر الابداعي في اليمن حتى شملت شعراء كثيرين - كما سبق - ولم يتوقف الأمر عند حد المرأة والحب والقلق والتغني بالطبيعة والجمال فحسب ، بل ان درجات الابداع والتأثير العاطفي قد بلغت مبلغا كبيرا عند عبد الوهاب الشامي ، فقد سئم الحياة وتبرم بها ، وتمنى الموت ليأنس بوحشة القبر وظلامه على طريقة الاتجاه الرومنسي في الشعر العربي .

وهذا ما نجده في مقطوعته التالية : (١)

أيها الموت لا تدعني ولا طر ∴ فة عين أبقى على الأرض حيا
قد سئمت الحياة مما ألاقي ∴ ومن كبرياء دهر علينا
ان في القبر وحشة هي أنسي ∴ وظلاما أخاله لي ضيا
ضغطة تحت رمسه هي أحنى ∴ من زمان قد غل ظلما يديا
آه ما كنت حاسبا أنني أحسب كأس الحمام كأس الحميا

فهنا تجد الحزن والسآمة والتبرم والضيق وكلها تعابير رومنسية الخصائص والمميزات ، فالشاعر يرى في وحشة القبر وظلامه وضيقه حنانا وأنسا وضياء .

(١) ديوان ابن الظلام ص ٧٢ .

واذا كانت هذه النزعة قد جعلت الزبير يتغنى بالفطرة ويحن الى الطبيعة ويغبط الطائر على ما يتمتع به من حرية وانطلاق ، وأحالت الشامى الى أنات وزفرات ، كما جعلت أخاه عبد الوهاب يتمنى الموت ويرى الخلاص فى وحشة القبر .

فمن البدهى اذن أن تفعل فعلها مع شاعر قحطان " ابراهيم الحضرانى " وتجعله يستغرب ويعجب كيف يشتاق الناس لعودة أيام الصبا ؟ ، فليس فى صباه هو سوى أنة حرى ، وقلب ذائب ، وجفن دامع ، فلا غرو بعد ذلك ان لم يتمن عودة تلك الأيام :(١)

يامن أذبت فؤادى فى هواك وما ∴ منيت الا بابعاد وحرمان

حتى ذوى زهر آمالى وأعقب لى ∴ بين الجوانح آلامى وأحزانى

أهذه هى أيام الصبا والى ∴ رجوعها يتمنى العاجز العانى

ماذا بسوى أنة حرى يكاد بها ∴ قلبى يذوب وجفنى دمعه قانى

هذا هو الحب لا ينفك يخلق لى ∴ عوالما ذات أشكال وألوان

دنيا وعالم أشجان أعيش به ∴ وحدى وللناس حولى عالم ثانى

وهكذا نجد أن رياح الرومنسية قذفت بالشاعر بعيدا عن الناس الى دنيا الحرمان بين الآلام والأحزان ، يعيش وحده فى عالم يختلف عن عالم الذين من حوله ذلك هو عالم الحب .

(١) شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجى ص ٥٦ .

ومن أقدم رومنسيات الحضرانى والشامى معا قصيدة " زنبقة فى فلاة " وعنوان القصيدة دليل على رومنسيتها . والشاعران يبحثان عن صديق لهما غائب .(١)

تقول القصيدة :(٢)

تلفت الشعر الى الشاعر .·. يسأل عنه أين ولى وسار ؟

وأين رب النغم الساحر .·. أين هزارى ياترى أين طار ؟

وأى روض فاتن زاهر .·. فى سفحه بات يناجى مناه

يحمل عبء القدر القاهر .·. ظمآن يشكو فى الليالى صداه

أظنه اليوم يغنى وحيد .·. يشدو فيرتد اليه غناه

لا سامع من حوله يستفيد .·. كأنه زنبقة فى فلاه

يبيت بالليل يناجى النجوم .·. فينصت الليل ويصغى القمر

عد أيها الشاعر عدا ننا .·. فى جنة الشعر وأزهى رباه

نعبث بالدهر ونزجى المنى .·. ما اعجب الشعر وأحلى مناه

(١) الصديق الغائب هو الأستاذ محمد محمود الزبيرى، كان قد أرسل لتحصيل الزكاة فى منطقة ماوية من اعمال تعز ،وقد أشار الدكتور المقالح فى كتابه الأبعاد أنه كان فى عدن والصحيح ماأشرت اليه . ذكر ذلك الشامى فى كتابه " مع الشعر المعاصر " ص ١٥٥ .

(٢) ديوان من اليمن للشامى ص ٧٥ .

فلسمات المذهب الرومنسى ـ الابداعى ـ وخصائصه ، واضحة المعالم على عدد من قصائد الحضرانى والشامى الرومنسية صياغة ومضمونا (١) ، كما فى القصيدة التى بين أيدينا ، عاطفة صادقة وأفكار عميقة فى غير تغلسف وصور حية وتعبير مجنح ، ويبدو من القصيدة أن رومنسية الشاعرين كانت فى بدايتها ، وكانت الى التقليد والمحاكاة أقرب منها الى التأثر والابداع ، ولعل مرجع ذلك أن تأثر الشاعرين بهذا التيار كان عن طريق القراءة والتفاعل مع ما يقرآن ، فهما لم يحتكا بشعراء الاتجاه الابداعى عن كثب ولم يلتقيا بهم عن قرب ، كما كان الحال بالنسبة لبعض زملائهما مثل لطفى جعفر أمان ، ومحمد عبده غانم وأضرابهما ، ولا سيما فى هذه الفترة الحالكة من تاريخ اليمن الحديث التى كانت اليمن فيها مغلقة على نفسها ، اغلاقا شبه محكم . وقليل أولئك الذين مكنتهم ظروفهم من الخروج فى بعثات دراسية الى خارج البلاد ، والذين كانوا نواة لهذا التيار بل أصبحوا ـ بفضل تلك البعثات ـ من رواده الكبار فى العالم العربى كما عرفنا ذلك بالنسبة للطفى أمان وعبده غانم ، وقد يلحق بهما عبدالله البردونى ومحمد أنعم غالب فى فترة من حياتهما الشعرية .

(١) الأبعاد للمقالح ص ١١٣ .

ولعل العامل الأهم فى تكوين شخصية " أمان " الشعـــريـــة الرومنسية يعود الى دراسته فى الخارج واتصاله برواد المـذاهـــب الأدبية المعاصرة ، واطلاعه على تلك المذاهب والتيارات عن كثب .

ومن ثم فقد برزت رومنسيته وبشكل واضح فى معظم شعره ، نلمس ذلك حتى وأنت تقرأ عناوين دواوينه :

- بقايا نغـــم .
- كانت لنا أيام (١) .
- ليل الى متى ؟ .
- الدرب الأخضر .

وهذه العناوين فى حد ذاتها معالم مميزه لما تحويه الدواوين من مضامين وملامح رومنسية قل أن تخلو منها قصيدة من قصـائـــده ولنأخذ مثلا لذلك مقطعين من شعر لطفى جعفر أمان .

الأول من قصيدة " تحية السيف " وقد كتبها الشاعر ترحيـــــا " بسيف الحق ابراهيم " عندما خرج على حكم والده الامام يحى ولحق

(١) وللشاعر السورى (عمر النص) ديوان بهذا العنوان " كانت لنا أيام " والشاعران متعاصران ، ولا أدرى أيهما أخذ العنوان من الآخر ، انظر تاريخ الشعر العربى الحديث لغيش ص ٧٢٦ ، ومجلة الأديب اللبنانية عدد يونيو ١٩٥٨ وعدد يناير ١٩٦٢م .

بالأسرار فى عدن وأعلن انضمامه اليهم ، يقول الشاعر مخاطبا اليمن أو غادة الأمجاد :(١)

يا غادة الأمجاد كم من مأتـــم ∴ أطلقت فيك دموعك المغلـولا

جفت اغانيك العذاب وغيضـت ∴ عبرات قلب لم تكـن لتسيـلا

وشجاك نوح الورق فى فنن ذوى ∴ غاض الندى فيه فمال ذبـولا

وحملت أعباء الحياة ثقيلـــة ∴ وبذلت جهدا ما بذلت قليـلا

وبكيت مجدا كنت أنـت منـارة ∴ فغدا ضياؤك فى الحياة ضئيلا

جار الزمان عليك مشبوب الخنا ∴ لا خالدا أبقى ولا مـأهـولا

ولقيت من عنت الولاة وعسفهـم ∴ ما راع قلبك جائـرا ومهيـلا

ففى هذه الأبيات الحزن والدمع والتحسر وحمل أعباء الحيـاة والصبر على القهر والعنت وغيره من المضامين الرومنسية التى تفوح من وراء الألفاظ والعبرات التى نزاها فى كل بيت من هذه الأبيـــات فالشاعر رومنسى حتى العظم حتى وهو يمدح أو يهاجم .

المقطع الثانى من شعر " أمان " من قصيدته " يابنة الزنج " وهى احدى قصائده الانسانية المهمومة أو الحالمة ، وقد كان معظم شعره طوال فترة الخمسينيات على هذا المنوال .

(١) ديوان بقايا نغم ص ١١٤ .

وفى القصيدة رؤية جديدة من الانسان لأخية الانسان مهما يكن جنسه أو لونه ، فهذه البشرة التى خلقها الله وجعلها آية من آياته لا عيب فيها مادام قلب الانسان أبيض كالثلج أو كالشمس ، وهذا ما يحدثنا عنه هذا المقطع من تلك القصيدة (١) :

يابنة الزنج حديث الأمس شجو لقصيدى
فانبذى الماضى .. ولا تبكى على قهر الجدود
وانفضى قيثارة الدنيا .. وغنى .. وأعيدى
وارقصى حرية تنساب فى هذا الوجود
كالربيع المشمس الريان كاللحن السعيد

وابنة الزنج هنا هى افريقيا السوداء المتخمة بمرار الاستعمار والعبودية ، وقد رأها الكثيرون وهى فى هذه الحال لكن .. رؤية الشاعر لها تختلف عن أى رؤية ، لقد تفتحت عيناه وتفتقت قريحته على مضامين جديدة رآها من خلال أحلامه وآلامه الانسانية .

فهنا نجد أخوية عطوفة يهمس بها الشاعر فى أذن أبنة الزنج هذه لتحتل مكانها اللائق بها بين شعوب الأرض دون اعتبار لجنس أو لون .

(١) ديوان " الدرب الأخضر " ص ١١٦ .

وللشاعر عبدالله البردونى دور بارز فى تطوير المضامين الشعرية فى الشعر اليمنى ، فقد تأثر بشعراء الابداع العرب تأثرا حادا ، وطبع شعره بطابع الحزن يذكرنا بالشاعر ابراهيم ناجى " الذى تأثر البردونى بأساليبه وأفكاره وطرائق تعبيره وموسيقاه "(١) ولعل ألم الحرمان الذى عاناه كل من الشاعرين هو الذى جمع بين أسلوبيهما وطريقتهما فى التفكير .

وفى ديوان البردونى الأول " من أرض بلقيس " نرى كثيرا من تلك الصور الرومنسية ، منها على سبيل المثال هذه الأبيات من قصيدة " طائر الربيع "(٢) والتى يقول فيها :

يا شاعر الأزهار والأغصان ∴ هل أنت ملتهب الحشا أو هانى
ماذا تغنى من تناجى فى الغنا ∴ ولمن تبوح بكامل الوجدان
هذا نشيدك يستفيض صبابه ∴ حرى كأشواق المحب العانى
فى صوتك الرقراق فن مترف ∴ لكن وراء الصوت فن ثانى
كم ترسل الألحان بيضا انما ∴ خلف اللحون البيض دمع قانى
هل أنت تبكى أم تغرد فى الربا ∴ أم فى بكاك معازف وأغانى

(١) شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجى ص ٧٢ .
(٢) ديوان من أرض بلقيس ص ٨٣ من مجموعته الشعرية جـ ١ .

فالشاعر هنا يغنى ويبكى معا فقد لا تستطيع الفصل بين غنائه وبكائه ،وأكثر من ذلك أن الشاعر نفسه قد اضطرب أمام الأشياء فهو لا يدرى أهى تبكى أم تغرد ،لذا نجده يتخيل أن الحزن كامن وراء مظاهر فرحتها .

وهذه الحيرة ،وهذا التردد بين الغناء والبكاء جزء من الشوط الرومنسى فى المضمون الذى قطعه الشاعر باكيا لاهثا يبحث عن حل فلا يعثر الا على الدمع والأسى .

ويبلغ التأثر - بشعراء الاتجاه الابداعى - الرومنسى - مداه فى الشعر اليمنى فى قصيدة " نماذج من الناس " للشاعر محمد سعيد جراده . وهى قصيدة " عامرة بأدق الملامح وأوضح المشاهد زاخرة بأحر المشاعر الوطنية "(١) .

والقصيدة تمثل شعر جرادة فى أعلى ملامحه الفنية ومضامينه الرومنسية فهو ينتقد نماذج صادفها من البشر ،المتكبرين من أصحاب المال والجاه ، والجاهلين من أدعياء العلم ،والمغرورين من أدعياء الزعامة والوطنية ،والمخدوعين بهم ،الذين يغرقون آلامهم بكؤس الخمرة المتجردين عن الخلق الكريم ،ثم ينتهى الى حفار القبور ليجد

(١) رحلة فى الشعر اليمنى للبردونى ص ١٥٠ .

عنده العلاج الناجع والحل الأمثل لكل هموم الانسان ،وهو فى هذا رومنسى يعبر عن الصراع بين الواقع المر والمثال الذى ينبغى أن يكون لذا فهو يحتقر الدنيا كلها ويراها مليئة بالباطل والشر واللاانسانية .

والقصيدة طويلة وسأكتفى منها بهذا المقطع الذى يأتى عقب الحديث عن تلك النماذج أو الصور التى تمثل ذلك المجتمع البائس (١) والذى يقول فيه (٢) :

فى أى مجتمع أعيش ∴ وأى دنيا من ضياع

عيناى زائغتان لم ∴ تريا بصيصا من شعاع

وخطاى لاهثة تخو ∴ ض مدى الظلام بلا انقطاع

بين الدروب الشائكا ∴ ت وفوق أنياب الأفاعى

نحن الضحايا الجاهلو ∴ ن بكل أسباب الدفاع

شعب يعيش على التوا ∴ كل والدسائس والخداع

ويثير عاصفة الجـــدا ∴ ل على الحقير من الدواعى

قول بلا فعل وايمـــا ∴ ن بلا حجج اقتنـــاع

وسئمت من صور الوجـو ∴ د فزرت حفار القبـــور

فوجدت شخصا فيلسو ∴ ف المثل جياش الشعور

(١) شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجى ص ١٤٦ .

(٢) ديوان مشاعل الدرب ص

من أنت ؟ قال : أنا الطبيـ ..ـب لكـل داء مستطيـر
أنا منقذ الانســـان مـــن ..ـ نير الحوادث والشـــرور
أنا دافن الأســـرار والأفـــــكار والهـــم الكبيـــر
والخير والشـــر السيـــ ..ـطر والتواضع والفـــرور

والقصيدة تصوير للواقع الاجتماعي الذي عاشته اليمن في الخمسينيات وماقبلها ،وفيها تبدو ملامح الاتجاه الابداعي ونزعاته واضحة جلية ، فالتذمر والسخط والسأم والبكاء والعجز عن المقاومة سمات رومنسيـــة واضحة تلتقي عندها الذاتية والموضوعية معا .

ونختم هذه الدراسة الفنية عن المضمون الشعري عند الابداعيين بمقطع لواحد من أبرز شعراء هذا التيار في اليمن ،هو الشاعر محمد عبده غانم .

واذا كان الشاعر غانم قد تفوق اليوم على نفسه فقد شارك في فترة سابقة في القضايا الأدبية والوطنية مشاركة فعاله ،فهو من رواد جيل الأربعينيات وطنيا ،ومن رواد جيل الخمسينيات شعريا ، فقد كان مولعا بالأسلوب الشعري على الطريقة الرومنسية ،ولعل مما ساعده على ذلك أنه من خريجي الجامعة الامريكية في بيروت ،وأنه واصل دراسته في لندن - كما أسلفت - فقد أتاحت له دراسته هذه الاطلاع والتأثر بشعراء الاتجاه الابداعي العربي أولا ثم الاتصال بالشعر الرومنسي الانجليزي والافادة منه ثانيا .

ومن ثم جاء عنوان ديوانه الأول "على الشاطئ المسحور" ولهذا العنوان دلالته الرومنسية الواضحة .

ومن قصائد هذا الديوان قصيدة "طواف السحر" ومنها نختار هذا المقطع :[1]

يسود السكون ويغشى الظلام عليه بأثقاله الجامده
وشاعرنا بالفراش الوثير تحسبه جثة هامده
سرت روحه في لهاث الأثير تنشد ألحانها الخالده
وتنشر في عالم النيرات تباريح أحلامها البائده

لقد فارقت سجنها الآدمي ∴ وعادت الى مهدها الأول
لتطلب في ملكوت السما ∴ ركنا من الظل في معزل
تحف به النعم المسكرات ∴ ويعبق بالند والصندل
وتقرع فيه كؤوس الوفا ∴ ل بين الأزاهر والبلبل

وينبعث النور من كوة ∴ عمودا يشق حجاب الظلام
فيغمرها بالضياء العظيم ∴ ويحملها مثل فرخ الحمام
ويدفعها في بحار السنا ∴ حتى توافي شط السلام
فتمشي على رمله الذهبي ∴ الى حيث تلقى المنى والسلام

(١) ديوان على الشاطئ المسحور ص ١٥ .

والقصيدة من أجود قصائد الشاعر مضمونا فى الاتجاه الرومنسى اذ يشده الخيال الى قمة المثاليات التى عاشها الرومنسيون فى الثلاثينيات من هذا القرن .

والشاعر هنا مولع بالبحور الهادئة الموسيقى ، المهموسة الايقاع كما هو ميال الى تغيير القوافى فى القصيدة الواحدة كما نرى فى هذه المقاطع .

وافكار الشاعر على مستوى جيد من العمق وهو يستوحيها من تجاربه الكثيرة وخبراته العديده وثقافته الواسعه .

* *

الواقعيـــة :

وقد أعقب هذا التيار الابداعى أو صاحبه فى بعض مراحله تيار آخر هو التيار الواقعى ، ولهذا التيار فى الشعر اليمنى المعاصر شعراؤه وسماته ومعالمه فى المضمون والشكل كما سيأتى .

ولكن ينبغى أولا أن نعطى لمحة سريعة ووجيزه عن التيار الواقعى فى الشعر العربى عموما .

والواقعية مدرسة لها مبادؤها وخصائصها " وقد نشأت فى القرن التاسع عشر فى أوربا ردا على الاتجاه الرومنسى الحالم " (١) .

(١) العقاد دراسات فى المذاهب الأدبية ص ٢٧ .

أما الواقعية فى الشعر العربى فلم تظهر جليه الا فى منتصف القرن العشرين وكانت أيضا ردا على التيار الابداعى الآنف الذكر وقد اضطربت مفاهيم هذا المصطلح ودلالاته فى اللغة العربية اضطرابا واسعا .

يقول الدكتور محمد مندور :

" ولا نكاد نعرف لفظا أو اصطلاحا حديثا فى اللغة العربية قد اضطربت دلالته وتنوعت مفاهيمه مثل لفظة " الواقعية " وكل ذلك بسبب الأصل الاشتقاقى للكلمة وهو لفظة " واقع " فنحن نقرأ للأدباء والمفكرين العرب المحدثين حديثهم عن الأدب الواقعى ، فنفهم منهم أحيانا أنهم يقصدون به الأدب الذى يقوم على ملاحظة الواقع وتسجيله . . . وأحيانا أخرى نفهم منه معنى الأدب الذى يستقى مادته وموضوعاته من حياة عامة الشعب ومشاكله . ويلوح لنا - أحيانا - أن بعض الكتاب قد يقصدون من الأدب الواقعى الى الأدب الموضوعى ، وكأن واقع النفس الفردية لا يصلح للأدب الواقعى .

. . . كل هذه المفاهيم نستطيع أن نعثر عليها فيما يكتب اليوم عن الواقعية فى مصر وفى غيرها من البلاد العربية (١) .

(١) الأدب ومذاهبه ص ٩٠ .

ومع هذا الاختلاف فقد فسرت الواقعية في الأدب العربي المعاصر بأنها " تصوير الواقع وكشف أسراره واظهار خفاياه وتفسيره ، ولكنها ترى أن الواقع العميق شر في جوهره ، وأن ما يبدو خيرا ليس في حقيقته الا بريقا كاذبا أو قشرة ظاهرة " (١) .

وهناك من يرى أن الواقعية ماهي الا " فلسفة خاصة في فهم الحياة والأحياء وتفسيرهما ، انها وجهة نظر خاصة ترى الحياة من خلال منظار أسود ، وترى أن الشر هو الأصل ، وأن التشاؤم والحذر هما الأجدر ببني البشر لا المثالية والتفاؤل " (٢) .

على أن هذه التفسيرات كلها أوربية بحتة لا تمت الى الشعر العربي الأصيل بأية صلة ، ولا تتلاءم والواقع العربي والمجتمع العربي من أي وجه ذلك أن هذه التفسيرات قائمة على فلسفات خاصة وعقائد منحرفة في المجتمعات الأوربية .

أما المجتمع العربي فيقوم على عقيدة ومبدأ يختلف في تصوره ونظرته للكون والحياة والانسان عن تلك المجتمعات .

واذا كان فريق من الشعراء العرب المعاصرين من ذوي الثقافات الغربية قد فهموا الواقعية بهذا المعنى المستورد وصاغوا شعرا على

(١) الأدب ومذاهبه ص ٩٣ .
(٢) تاريخ الشعر العربي الحديث لأحمد قبش ص ٣٨٧ .

ذلك المنوال ، فانما يرجع ذلك الى أن هناك تيارات حزبية وعقائد سياسية قد تبنت عددا من الشعراء وصبغتهم بصبغتها العقدية .

فقد تبنت بعض الأحزاب اليسارية بعض شعراء هذا التيار عند بداية ظهورهم وراحت تكتب المقالات التى تؤكد أن لهم ميولا ماركسية .

واتهم عبد الوهاب البياتى وصلاح عبد الصبور وغيرهما من شعراء هذا الاتجاه - بأن ظلالا يسارية تنتشر فى شعرهم (١) .

ولو أن شعراء هذا الاتجاه قصروا شعرهم على المعانى التى ساقها الدكتور مندور - والمذكورة قبل قليل - مأخوذة من واقعهم دون أن يكون لذلك أثر حزبى أو عقدى معين ، لاستحق ذلك الشعر أن يسمى شعرا واقعيا عربيا .

غير أن بعض هؤلاء الشعراء فى كثير من الأقطار العربية مدين فى شهرته ونبوغه وذياع صيته لحركات سياسية أو أحزاب عقدية أو مذاهب اجتماعية فهو لا يعدو كونه بوق دعاية لتلك الحركات والأحزاب والمذاهب .

على أن عددا من شعراء هذا التيار قد تطرفوا الى الاصلاح الاجتماعى أو السياسى أو الدعوة الى انشاء مجتمع متطور يقف جنبا الى

(١) الأدب وقيم الحياة المعاصرة للدكتور محمد زكى العشماوى ص ١١٧ ومابعدها .

جنب مع الهلدان الراقية المتقدمة فى شتى مجالات الحياة ، فجاءت مضامينهم الشعرية مزاوجة بين الواقعية والابداعية أو محافظة أحيانا وهذا ما تدعو اليه اتجاهات الأدب اليوم المزاوجه بين الواقعيـــة والرومنسية أو الموضوعية والذاتية كما يقول بعض الدارسين (١) .

كانت هذه مقدمة ضرورية تعد مدخلا الى دراسة التيار الواقعى فى شعر اليمن المعاصر باعتبار أن هذا آخر تطور فى الملامح الفنية وصل اليه الشعر اليمنى .

فقد كانت الابداعية وهى تيار تجديدى - كما أسلفت - خطـــوة متقدمة فى طريق الواقعية التى سادت الشعر اليمنى الحديـــث فى السنوات العشر التى أعقبت ثورة سبتمبر ١٩٦٢م .

وكانت حصيلة هذه السنوات جيلا من الشعراء مزجوا بين الواقعية والرومنسية ، ولم يخل شعر شعراء هذا الجيل من القصائد التقليدية شكلا لا مضمونا كما سبقت الاشارة الى ذلك فى الأبواب الماضية .

بمعنى أن شعر الستينيات كان فى معظمه مزيجا من الشعـــر العمودى والشعر الجديد أو الحر .

(١) د . بكرى شيخ أمين " الحركة الأدبية فى المملكة العربيـــة السعودية " ص ٣٨٩ .

والحق أنه ليس بين هذين النوعين من الشعر تفاوت كبير فبامكانهما أن يسيرا جنبا الى جنب ويشكلا تيارا واقعيا بارزا اذا استكمل كل منهما عناصره الفنية ، وكان الهدف هو تصوير الواقع الاجتماعي الذي تعيشه المجتمعات العربية المعاصرة دون أن يكون بينهما نزاع أو صراع فكري كما رأينا بعض المهاترات الجدلية والفكرية بين أنصار القديم والجديد في بعض الدول العربية .

وليس معنى الواقعية أو الحداثة - ان صح التعبير - أن نلغي من حياتنا كل صلة بالتراث ، وأن نقصد الى كل قصيدة عمودية ولو كانت تتحدث في صميم واقعنا - من حيث المضمون - ونشطبها من قاموسنا الشعري الحديث وننفي عنها التطور والتجديد ، كل ذلك لأن لها صلة شكلية ما بتراثنا العربي القديم .

ومهما يكن من شيء فقد استطاع الشعر اليمني في خلال ثلاثين عاما أن يستوعب تجربة الشعر العربي المعاصر بكاملها بدءا بالتيار التقليدي وانتهاء بالتيار الواقعي ، وقفز قفزات سريعة ومتلاحقة في هذا المضمار .

ولم يكن يفصل بين التيار الابداعي والتيار الواقعي سوى مرحلة زمنية قصيرة تتمثل في قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م .

على أن بوادر التحول الى الواقعية كانت قد بدأت قبل الثورة بقليل وتمثلت معالمها الأولى فى قصائد الشاعرين عبده عثمان وعبدالعزيز نصر ،وعندهما يلتقى عدد من شعراء جيل الستينيات مثل : محمد أنعم غالب وسعيد الشيبانى وعبدالعزيز المقالح ،وعبدالله سلام ناجى ومحمد الشرفى وعبدالله البردونى فى الفترة الأخيرة من مراحله الشعرية وعبد الودود سيف وأضرابهم .

وعلى العموم فهناك تداخل كبير بين التيارين فى هذه المرحلة. لقد ظل الاتجاه الابداعى ـ الرومنسى ـ سائدا بجانب التيار الواقعى طوال فترة الستينيات ومابعدها كما تقدم .

وفى الصفحات القادمة ،ومن خلال النماذج التى سنسوقها سوف نتبين بعضا من معالم التيار الواقعى فى شعر اليمن المعاصر وخصائصه.

وتمثل قصيدة " نماذج من الناس" لمحمد سعيد جراده بداية الرؤية الواقعية فى الشعر اليمنى ،اذ كانت تعد بمثابة الخطوة الأولى فى هذا الطريق ،ومع ذلك فلم يكن جرادة معدودا ضمن شعراء هذا التيار ،اذ كان هناك شاعر آخر يعد أول معالم هذا الاتجاه هو الشاعر عبده عثمان ، فقد كان شديد التأثر بشعراء التيار الواقعى فى العالم العربى .

واذا كان عثمان قد تأثر شعره بأولئك الرواد لكن رؤيته كانت منتزعة من واقعه هو ومن واقع بلاده ومجتمعه .

فقصيدته واحد من الناس لا تمثل رؤاه وأحلامه فحسب ، بل تمثل أيضا مجتمعه والواقع الذى كان يعيشه ، فمثلا كان الشعب قد بلغ أقصى درجات التبرم والضيق بحكامه فلما حاول أحد أبنائه تخليصه من رأس ذلك النظام لقى هذا الوطن وهو المقدم عبدالله اللقية المحبة والاحترام ودخل التاريخ اليمنى من أوسع أبوابه ، ولما كان الشعر على صلة قوية بقضايا الشعب ومشكلات الأمة فقد خلد هذه الحادثة فى واحدة من أشهر قصائد الشاعر عبده عثمان وهى القصيدة الآنفة الذكر والتى يقول فيها :(١)

معذرة اذا غصت فى دماك ريشتى

حلقت فى سماك باحثا عن أمتى

يافارسا ما ذا تركت لى ؟

ماذا اذن بعد الذى صنعته أقول ؟

(١) أحد الثلاثة الذين أطلقوا رصاص مسدساتهم على الامام احمد أثناء زيارته لمستشفى الحديدة عام ١٩٦١م والتى كانت من الأسباب المباشرة التى عجلت بموته .

شوقتني للضرب والطعان

حفرت لي معارك الكلام

ماكنت قديسا ولا مسيح

بل واحدا كالآخرين

تثقله الأنات والجروح

ونظرة شكى وعين لا تموح

وتمتمات ذلة وهمسة انكسار

باليت عاصفا يمر

باليته يحرك السحاب .(١)

الى آخر القصيدة وهى منتزعة كما قلت من حادثة واقعية ومعاصرة وهذه ميزة فى شعرنا اليمنى الواقعى ،اذ لم يكن محاكاة ولا تقليدا للآخرين فى رؤيته المضمونية ، وان كان الشاعر لم يتخلص تماما من آثار التقليد ولو فى بعض الألفاظ كالقديس والمسيح وطرواده ونحوها(٢) فاستعمال مثل هذه الألفاظ والمصطلحات غير وارد هنا اذ ليست من الواقع اليمنى أو التراث اليمنى ،وانما هى رموز مأخوذة من ثقافات أخرى .

(١) شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجى ص ٢٩٤ .

(٢) طرواده لم ترد فى النص الذى بين أيدينا ولكنها وردت فى قصيدة الشاعر عبده عثمان فى مقطع آخر من مقاطع القصيدة .

لكن عبده عثمان يظل مع ذلك فاتحة التطور نحو الرؤية الواقعية في شعرنا اليمني المعاصر .

وكان علي عبد العزيز نصر واحدا من شعراء هذا الاتجاه الواقعي فمعظم مطلعات شعره تدل على ذلك ، رغم أن شعره يميل الـــــى الخطابية والمباشرة غالبا .

لكنك تحس وأنت تقرأ مجموعاته الشعرية ـ أنا الشعب ـ كفاح شعب نيرون الجديد قصيدة ـ أن هذه المجموعات تعبر عن ايمان عميـــق بالشعب اليمني وقدرته على بعث مجده ، كما أنها تشعرك بالتفاؤل وترسخ عندك الثقة بالنفس ، وتبشرك بمستقبل زاهر ، وهذه بعض ملامح الواقعية في الشعر الحديث .

على أن هذه الثورة قد سرت الى مضامينه فبتنا نقرأ له مثل هذه القصيدة : " الليل الحالك " (١) :

نام الرجال ولم تنـــم .·. في أرضنا عين الخطـــوب

وكأنما خلق الطريـــق .·. فليس فيه سوى الكـــروب

فعلى المدى لا شيء يطـ .·. ـرق مسمعيك سوى النحيب

نام الرجال فليس غيـــ .·. ـر اليوم تمرح في الـــدروب

يا للرجال طغت على .·. أبصارهم شمس الغـــــروب

(١) ديوان أنا الشعب

ذهلوا لمرآها وما ... فطنوا لغائلة الشعوب

يا للرجال تنام عـ ... ـينهم عن الأمر العصيب

في كل زاوية تفحّ ... بنا مكايد كل ذيب

هتف النضال بنا فما ... بال الغزائم لا تفيق

الليل طال فهل صحا ... قلب وهل نهضت عروق

فالشاعر هنا يصور الواقع ماله وما عليه لكن واقعية علي عبد العزيز نسبي لا تلغي الواقع وتبحث عن بديل مثالي كما هو الشأن عند الرومنسيين ، بل تتصل بالواقع اتصالا مباشرا ، وتزاوج بين الذاتية والموضوعية في آن واحد .

ومع ذلك فلا تخلو من بعض الميول الرومنسية بنزعتها الانسانية لا الذاتية كما في البيتين الأخيرين .

ولعل الشاعر عبد الله البردوني الشاعر العمودي البارز أكثر اغراقا في الواقعية ، وبالذات في دواوينه الأخيرة " مدينة الغد " " لعيني أم بلقيس " " السفر الى الأيام الخضر " " وجوه دخانية " اذ أن مضامينه الثورية ورؤيته الواقعية في هذه الدواوين هي التي جعلت منه شاعرا كبيرا .

وفى ظل هذه الخصائص المضمونية المعبرة عن الوطنية والمستجيبه لروح العصر والمنحازة الى صف المقهورين[1] ذاع صيت البردونى الشاعر واحتل مكانا بارزا بين شعراء اليمن المعاصرين خصوصا وشعراء العرب عموما .

وتتضح رؤية الشاعر الواقعية فى العديد من قصائده ذات الخصائص الواقعية فى المضمون ، نورد منها على سبيل المثال قصيدة : "الآتون من الأزمة" والتى منها هذه الأبيات :[2]

يا حزانى يا جميع الطيبيـــن ∴ هذه الأخبار من دار اليقين

قرروا الليلـة أن يتجـــروا ∴ بالعشايا السفر بالصبح الحزين

فافتحوا أبوابكم واختـزنـوا ∴ من شعاع الشمس ما يكفى سنين

وقعوا مشروع تقنين الهـوى ∴ بالبطاقات لكل العـاشقيـــن

ما ألفتم مثلهم أن تعشقـوا ∴ خدر الدف ، لكم عشق ثميـن

قرروا بيع الأمانى والـــرؤى ∴ فى القنانى رفعوا سعر الحنين

فتحوا بنكيـن للنـوم بنـــوا ∴ صنعا يطبخ جوع الكادحيـن

انكم أجدر بالسهـد الـذى ∴ يعد الفجر بوصـل الثائريـن

(١) أنظر الشعر بين الرؤيا والتشكيل للمقالح ص ٢٠٢ .

(٢) ديوان وجوه دخانية ص ٥١٤ من مجموع الديوان جـ ٢ .

بدأوا تجفيف شطآن الأسى ∴ كي يبيعوها كأكياس الطحين

علبوا الأمراض أعلوا سعرها ∴ كي يسير الطب سعار أمين

حسنا تجويعكم .. تعطيشكم ∴ انما الخوف على الوحش السمين

شيدوا للأمن سجنا راقيا ∴ تستوي السكين فيه والطعين

ان مجانية الموت على ∴ رأيهم حق لكل العالمين

فاسبقوهم يا حزاني وارفعوا ∴ علم الاسرار ورد الجبين

واحرسوا الأجواء منهم قبل أن ∴ يعلنوها أزمة في الأكسجين

انهم أقسى وأدرى انما ∴ جربوا معرفة السر الكمين

عندما تدرون من بائعكم ∴ يسقط الثائر وسون البائعين

عندما تدرون من جلادكم ∴ يحرق الشوك ويندى الياسمين

عندما يأتون في صحو الضحى ∴ تبلغ الأنقاض كل المخبرين

انكم آتون في أعينكم ∴ قدر غاف .. وتاريخ جنين

ان هناك تلاؤما بين المضمون والواقع في القصيدة فالشاعر مشدود الى أمته مندمج بها مشارك في آلامها ، حريص على تسجيل الواقع ونقده وتجريعه ، وهذه الملامح كلها حرص عليها شعراء هذا التيار الواقعي الحديث في العالم العربي . ويمتاز البردوني بأسلوبه الساخر في نقد الواقع كما نرى في هذه القصيدة وغيرها .

وينال الشعر اليمنى قسطا كبيرا من الخصائص الواقعية فى المضمون على يد الدكتور المقالح (١) ، وخاصة الواقعية الاشتراكية .

فالشاعر يستوعب تاريخ بلده وتاريخ أمته ويعبر عن الضمير الجمعى اليمنى والعربى ، وعن طموحات الانسان اليمنى وأحلامه وطموحه فى مستقبل أفضل .

ولعل ميزة المقالح تكمن فى نهجه الشعرى الجديد وأصالته التاريخية وابداعه لمركب شعرى يمزج بين الواقعية والتراث .

فهناك مضامين ورؤى عصرية استوحاها الشاعر من مضامين ورموز تاريخية ، وأساطير شعبية ومزج بين هذا وذاك بهدف احياء التراث وتوظيف ايجابياته فى خدمة المعاصرة ووصل الماضى بالحاضر (٢) .

(١) الواقعية الاشتراكية فى الأدب كما يقول الدكتور محمد مندور فى كتابه " الأدب ومذاهبه " ص ١٠٥ :

" ان واقعيتهم وان كانت تتخذ مضمونها من حياة عامة الشعب ومشاكله الا أن روحها روح متفائله تؤمن بايجابية الانسان وقدرته على أن يأتى بالخير وأن يضحى فى سبيله بكل شىء فى غير يأس ولا تشاؤم ولا مرارة مسرفة " كما هو معروف عند الرومنسيين .

(٢) أنظر كتاب " انحيازات نقدية حول المقالح " لمجموعة من الكتاب اليمنيين والعرب .

ويأتي هذا النمط الشعري عند المقالح موازيا الى حد ما لشعر صلاح عبد الصبور والبياتي ، والسياب وأضرابهم من شعراء التيـــار الواقعي في العالم العربي .

ولسنا هنا بصدد الحديث عن المقالح لكن شعره يتطلب الوقوف عنده ملياً ونحن نتحدث عن التيار الواقعي في الشعر اليمني (١) .

واذا كنا قد أشرنا الى بعض ملامح الواقعية عند بعض شعـــراء اليمن ، فانها لم تبلغ من العمق والوضوح مابلغته عند المقالح الذي قدم لليمن صورا اغترفها من تاريخه وتراثه ومزج بينها وبين رؤيته لواقع اليمن المعاصر .

بيد أن رؤية المقالح الواقعية جاءت من زاوية قومية بحتـــه ، اذ المعروف أن تاريخ اليمن لم يكن مقصورا على التاريخ الجاهلي ، ولـــم تكن رموز اليمن التاريخية مقصورة أيضا على ذي نواس وسيف بن ذي يزن ووضاح وأضرابهم فقـــط .

(١) للمقالح خمسة دواوين مطبوعة هي :

١ ـ لابد من صنعاء .

٢ ـ مأرب يتكلم .

٣ ـ رسائل الى سيف بن ذي يزن .

٤ ـ هوامش يمانية على تغريبة ابن زريق .

٥ ـ عودة وضاح اليمن .

وقد ضمها مؤخرا في مجلد واحد كبير سمي " بديوان عبد العزيز المقالح " صدر عن دار العودة في بيروت عام ١٩٧٢م وفيه تظهـــر تجربته الشعرية ورؤيته الواقعية وطرق أساليبه الفنية الحديثة .

فلليمن تاريخه الاسلامى المشرق ،وله رجالاته المبرزون فى الاسلام من أمثال فروة بن مسيك ،وذى الكلاع الحميرى ،وعمرو بن معدى كرب الزبيدى وأمثالهم ، وهؤلاء أحق بالمجد التاريخى وأولى للاجيال أن تعرفهم ، والرؤية الواقعية المعاصرة من خلالهم أسلم وأدق .(١)

على أن الشاعر قد اتخذ من شخصيات السندباد ويعقوب ويوسف ونوح وسيف وذى نواس وغيرهم رموزا استخدمها ببراعة فى تصوير مآسى ومشكلات المجتمع اليمنى المعاصر خاصة ،والمجتمعات العربية والانسانية عموما .(٢)

(١) سميفع بن ناكور من ملوك حمير كان فى الجاهلية وأدرك الاسلام فأسلم ، قدم المدينة زمن عمر وشهد اليرموك ،وسكن حمص شهد صفين وقتل بها سنة ٣٧ هـ .

(٢) عرفت الرمزية بالمعنى الفنى فى أوربا فى منتصف القرن التاسع عشر ،ولم يعرف الشعر العربى الرمزية بمعناها الفنى الدقيق الا فى أواخر العقد الثالث من هذا القرن على يد الشاعر اللبنانى المعروف أديب مظهر ، والرمزية طريقة فى الأداء الأدبى تعتمد على الايحاء بالأفكار والمشاعر واثارتها بدلا من تقريرها أو تسميتها أو وصفها ، وكان للرمزية أكثر من اتجاه ،فهناك الرمزية الجمالية الخالصة ،ورمزية التعبير ،والرمزية النفسية والرمزية الأسطورية وغيرها .

انظر " الرمز والرمزيون فى الشعر المعاصر " د . محمد فتوح احمد (المقدمة) .

فتخريمة ابن زريق البغدادية التي شغلت أكثر من عشر صفحات في ديوان "هوامش" اتخذها الشاعر رمزا للمعاناة والتشرد والاحباط والاخفاق التي يعاني منها المهاجر اليمني ، وهذا التوظيف الفني الرائع هو احد الخصائص الفنية البارزة في شعر المقالح ، وهذا مقطع من تلك القصيدة : (١)

بكى فأورقت الأشجان أدمعه ∴ وأثمرت شجر الأحزان أضلعه

النار تكتب في عينيه لوعته ∴ ويحفر الشوق فيها ما يلوعه

ناء تغرب في الأيام زورقه ∴ وناء في ظلمات الأرض مشرعه

تغربت في نواه كل نافذة ∴ من خلفها الوطن الدامي يروعه

ماليلة من بنات العمر مهدرة ∴ الا وتؤلمه الذكرى وتوجعه

ترى يعود الى أعطان قريته ∴ تنمه الغابة الثكلى وترضعه

عيناه ماذاقتا نعسى ولا عرفت ∴ جفونه الغمض الا طاف يفجعه

ينام في "عدن" في حلم يقظته ∴ وينثني وعلى الأشواك مضجعه

ويشتكي "لذمار" هم رحلته ∴ فتنكر الريح شكواه وتبلعه

تقاسمته الدروب السود واشتعلت أقدامه في فيافيه وأذرعه

عيناه في المنفى

تحدقان للرماد

(١) ديوان هوامش يمانية ص ٤٣٥ ضمن مجموع دواوين المقالح .

تحترقان شوقا عاصفا

لعل " رخ " سندباد

ينهض من رماده

يعيده للوطن القاطن فى اعماقه . . للوطن الميلاد

لم تسنح الأمال الخضر منفاه

ولا توهجت فى قلبه أحلام سندباد

فالقصيدة تمثل واحدا من الخيوط الأساسية التى يتألف منها نسيج الرؤية الواقعية فى شعره . المفاتيح وهى الغربة والحزن والشوق والبشارة وسنمثل لها تباعا هنا .

١ - الغربة :

فالغربة بمعناها الحسى والمكانى تتراءى لنا واضحة جلية من خلال قصيدة ابن زريق الآنفة الذكر وتبرز من خلال مقاطعها أيضا العوامل التى تغرى الغربة ، وهى : الفقر أو الاضطهاد ، أو الارهاب أو الخيبة أو الفجيعة مواقع مرير أو التسلط أو التآمر .

وربما اجتمعت تلك الظروف جميعا فشكلت هذا الاحساس الغريب عند الشاعر خاصة وعند المهاجر اليمنى عموما .

(١) أنظر كتاب " اضاءات نقدية " ص ٩٧ .

ومع ذلك فالقصيدة على طريقة الواقعية الاشتراكية (١)، تبشر أو تؤمل بمستقبل حالم، ينفض فيه المواطن رماد الغربة، وتتوهج أحلامه ويولد من جديد، ويعود الى الوطن حاملا فى أعماقه الشوق والحنين .

٢ - الحـــزن :

وللحزن والألم فى رؤية المقالح الشعرية نصيب كبير فقد استخدم الشاعر كثيرا من الشخصيات التاريخية فى تسجيل واقع اليمن المعاصر تسجيلا فنيا مثيرا، ومن خلال هذا التسجيل نجد المزج بين الواقع والتاريخ .

ففى رسائله الى سيف بن ذى يزن استغل المقالح تلك الشخصية استغلالا فنيا رائعا يعكس - كما أسلفنا - رؤيته للمضمون فى شعـــره وتعامله معه .

وفى رسالته الأولى حدثنا عن القهر والظلم الذى يعانيه المهاجر اليمنى فى الخارج على أبواب كسرى وقيصر، والاضطهاد والتعسف الذى يلقاه المواطن فى الداخل على يدى أبرهة ثم قال : (٢)

(١) الواقعية الاشتراكية فى الأدب مثاليات حالمه ليس لها وجود فعلى فى واقع الاشتراكية الاقتصادية والسياسية .

(٢) ديوان رسائل الى سيف بن ذى يزن ص ٢٨٤، من مجمـــوع الدواوين .

حديث الحب موالا من الأشـــوان

صنعنا منك يا انساننا المصلوب فى الأفاق وفى الأعماق

حفرنا رسمك المشنوق فى الأفـاق

وفى أفواهنا مازلت أسطـوره

وفى تاريخنا فى جيلنا ، تتوهج السوره

وننتظر

وأشرعة النهار على الجبال الربد تنكسر وتحتضر

وتغرق فى مواجعنـــا

ويغرق حلمنا الأخضر

وعبر شواطىء العربى والأعمر

تظل جموعنـا تسهر

وترقب فوق موج الليل

تشهد عند خط الأفق خيل العائد الأسمر

نعد له تهانينـــا

نسوق له أضاعينـا

ولكن الزمان يسير

وعالمنا يطير يطير

وأنت هناك لم ترجع

ولا عادت من المنفى

كتائب قبلنا تهـــج

لقد هرمت معابدنا

ووجه الشمس لم يطلع

ونحن على مشارفها

عراة نشتكى نركع

فلا سمعت

ولا أنت الذى تسمع .(١)

وهكذا نرى فى هذه الرسالة وغيرها من رسائل المقالح الى سيف أنها تعكس أسلوبه فى رؤية الواقع رؤية فنية تتغلغل فى عميم هذا الواقع وتحسن التعبير عنه .(٢)

بيد أن الألفاظ المنتقاه للتعبير عن الواقع اليمنى لا تمثل ذلك الواقع " فهرمت معابدنا " ونحن على مشارفها عراة نشتكى نركع " ألفاظ وتعبيرات لا تمت الى الواقع اليمنى بصلة ويبدو أن الشاعر متأثر بشعراء المهجـــــر الذين كانوا على صلة بالغرب المسيحى واستخدموا مثل هذه الألفـــــاظ والتعابير .

على أن المقالح لم يقتصر فى استدعاء الشخصيات التاريخية على التاريخ اليمنى أو العربى فحسب فقد تجاوزهما فى استدعاء شخصيات من التاريخ القديم والأغريقى والمسيحى كما نرى ذلك فى قصائد (عصر يهوذا) و(أخت ميدوز) (ومقتطفات من خطاب نوح) (وأيوب المعاصر) (وهابيل الأخير) ونحوها . وهذا الاستخدام الرمزى هو احد الخصائص الفنية فى شعر المقالح وبعـــض شعراء التيار الواقعى الا أنه فى شعره يشكل ظاهره بارزه .

(١) ديوان رسائل الى سيف بن ذى يزن ص ٢٨٤ من مجموعة المقالح الشعرية .
(٢) اضاءات نقدية لمجموعة من الكتاب ص ٧٢ .

٣ - الشوق :

الشوق رديف البعد وهو شعور يلازم المواطن اليمنى مهما نأت به الديار ،فهو متعلق باليمن تعلقا شديدا يهزه الشوق كل ما طافت به الذكرى أو لاحت نجمة فى الأفق تعيد اليه خيال سماء بلاده .

وهذا ما تحكيه لنا هذه الأبيات من قصيدة " البكاء بين يدى صنعاء " (١) :

صنعاء ياأنشودة عبقت ∴ وأجاد فى انشادها الأزل

ان أبعدتنى عنك عاصفة ∴ وتفرقت مابيننا السبل

فأنا على حبى وفى خجلى ∴ روحى الى عينيك تبتهل

ألقاك منتصرا ومنكسرا ∴ وعلى جناح الشعر أرتحل

يجتاحنى شوق ويسحقنى ∴ شوق وفى التذكار أشتعل

مانجمة فى الأفق عابرة ∴ الا هتفت بها مقلى نصل

ومقلى على الكفين راحلة ∴ هذا الغريب الدار ينتقل

انى الى صنعاء يحملنى ∴ وجه النهار وترحل الأصل

وهكذا تتضح الرؤية الواقعية فى شعر المقالح سواء كان عموديا أو حرا لا فرق فهناك شوق شديد ومحاولة جادة بذلها الشاعر للخروج من مأساة الاغتراب والنأى عن الوطن على نحو ماهو معروف عند الشعراء الواقعيين فى هذا الجانب.

(١) ديوان " هوامش يمانية " ص ٤٨٣ من مجموع اعمال المقالح الشعرية .

٤ ـ البشاره :

البشاره هى التفاؤل لا عن سذاجه وحسن نيه بل عن وعى عميق بالاتجاه الموضوعى لحركة التاريخ .

والبشارة أو الرؤية الواقعية كثيرة النماذج فى شعر المقالح وهى مما يقوى الثقة بالنفس ،ويمنح الحلم بالغد الأفضل صلابة ويقينا .

أكاد المح عن بعد طلائعه .·. تقيم جسر أمانينا وتشرعه

وفى قصيدته الرحيل قبل مجىء الفجر يقول المقالح :

وغدا أيها الراحل الحى سوف تراهم رفاقك

أشبالك القادمين من الفجر يخترقون المدينة

كالنور تحمل أكتافهم .. شعل النصر أرغفة

للجياع دواوين شعر توزعها الشمس للعاشقين

هدايا وشوقا لأم النهار الحبيبة .(١)

وهذه بشاره بطلوع الفجر وانبثاق النور بعد الظلام الطويل الذى عاناه اليمن ردحا من الزمن .

على أن هذه العناصر الأربعة البارزة لا تشكل الرؤية المضمونية الواقعية كاملة عند المقالح أو فى الشعر اليمنى المعاصر فهناك مضامين أخرى تبرز فى العديد من القصائد الشعرية عند المقالح وغيره . نشير بصفة خاصة الى الحماسه ومعنى الصمود اللذين تتفجر بهما

(١) ديوان المقالح هوامش يمانية ص ٥٢٨ من مجموع دواوين الشاعر .

كثير من قصائد الزبيري والبردوني وعبده عثمان والمقالح وغيرهم وتترجع أصداؤهما في عدد كبير من قصائد شعراء اليمن الآخرين .

على أنه من المؤكد أن هذه الخيوط كلها التي تتشكل منها الرؤية المضمونية متداخله الى حد كبير ، فغالبا ما تأتي أو يأتي بعضها على الأقل متداخلا في مضمون وتركيب القصيدة الواحدة .

هذه خلاصة موجزة عن حركة الرؤية المضمونية في الشعر اليمني المعاصر في تطورها وخضوعها لمختلف التيارات التقليدية والابداعية والواقعية مستخلصة من النصوص الشعرية لمجموعة من شعراء اليمن المحدثين وقد تقدم ذكر تلك النصوص باعتبارها نماذج يستدل بها على الملامح الفنية في المضمون لشعر اليمن المعاصر .

وما أغفلناه أكثر بكثير مما أشرنا اليه وما سيأتي في مباحث أخرى ان شاء الله .

* * *

* *

*

" المبحث الثـــــانـــى "

" التطـــور الفنى فى الصورة الشعرية "

التطور الفنى فى الصورة الشعرية :

مامن شك أن من أهم عناصر الشعر ومميزاته " مادته التصويريـــة" أى التعبير بالصورة فهى وسيلة الشاعر القوية فى التأثير على النفس الانسانية .

والشعراء لا يعبرون عن الحقائق كما هى بل يعرضونها بواسطـــة الصور الحية التى تؤثر فى الانسان أكثر مما تؤثر الحقائق نفسها ، اذ أن وظيفة الصورة الشعرية أنها تزيد من احساسنا بالأشياء وادراكنـا لها بما تجسمه بأعيننا من تلك الأشياء وما تبعثه فيها من حياة وحركة ،

وليست النزعة التصويرية جديدة على الشعر العربى بل انها قديمة قدم الشعر نفسه .

ففى الشعر الجاهلى نرى هذه الصور فى شعر امرىء القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله ∴ علىّ بأنواع الهموم ليبتلـى
فقلت لـــه لما تمطى بصلبـــــه ∴ وأردف أعجازا وناء بكلكـــل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى ∴ بصبح وما الاصباح عنك بأمثل

وقوله كذلك يصف فرسه :

مكرّ مفرّ مقبل مدبر معـــا ∴ كجلمود صخر حطه السيل من عل

(١) الفكرة من (دراسات فى الشعر العربى المعاصر لشوقى ضيف ص ٢٢٦) والشعر العربى المعاصر لعز الدين ص ٣٥٦ .

(٢) شرح المعلقات السبع للبروزنى ص ٣٧ .

فهذا الجمال الفنى النابع من تشخيص الصورة والحركة لم يكن غريبا على الشعر فى العصر الجاهلى .

فلما نزل القرآن الكريم عدت طريقة التصوير الفنى أو التعبير بالصور كثيرة فيه ،وكانت هذه الطريقة من أسرار التأثير فى التعبير القرآنى ولهذا نجد الكثير من هذه الصور الفنية المتحركة فى القرآن .(١)

ومن العجيب كما يقول الأستاذ سيد قطب : " أن يكون القرآن هو كتاب العرب الأول ثم لا يستفيد الأدب العربى من طريقته الأساسية شيئا بعد نزوله ،وتيسيره للذكر فى أيديهم ،الا فلتات فى ديوان كل شاعر ،هى امتداد للتصوير فى الأدب الجاهلى وعلى طريقته لا على طريقة القرآن الرفيعه التى تعد بحق معجزة اللغة العربية الكبرى .

ولعل مرد ذلك الى أن الحاسه الفنية عند أولئك الشعراء كانت دون أن تتطلع الى هذا الأفق الرفيع فى ذلك الأوان " .(٢)

وهذا حق فطريقة القرآن فى التصوير أبعد من أن يدرك شأوها شاعر مهما يكن بيانه ،لكنه ينبغى أن تكون هناك محاولات للافادة من هذه الطريقة ورفع مستوى الشعر العربى فى هذا المجال ،ولاسيما أن هذه الطريقة هى أنجح طريقة تعبيريه فى التأثير على النفوس .

(١) للتوسع فى هذا الموضوع يراجع كتاب " التصوير الفنى فى القرآن " .
(٢) كتب وشخصيات ص ٢٨ وانظر أيضا الصورة بين البلاغة والنقد لبسام ساعى ص ٢١ .

فمثلا " معنى النفور الشديد من الدعوة الى الهدى اذا أردت أن تعبر عنه بصورة ذهنية تقول " انهم ليفرون أشد النفرة من الدعوة الى الايمان " لكن القرآن الكريم يؤديه بصورة حية متحركة فيقول" فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة " (١) فتشترك مع الذهن حاسة النظر وملكة الخيال ويثور فى النفس شعور السخرية وشعور الجمال ، والفرق واضح بين التعبيرين ،التعبير المباشر والتعبير القرآنى .

فاذا نحن بحثنا عن مثل هذه الصور المعبرة والمثيرة فى الشعر العربى بعد الاسلام ربما لا نجد التعبير قام بمهمة التصوير خير قيام .

وفى العصر العباسى كان الشاعران أبو تمام وابن الرومى أكثر شعراء العصور الاسلامية محاولة لطرق هذا الباب " باب التعبير بالصور " وتعد هذه المحاولة أول تجديد فى هذا المجال فى الشعر العربى .

فأبو تمام كان أول من استعان بارادته الفنية وبث الحياة والحركة فى كل ما حوله من ماديات ومعنويات .

(١) سورة المدثر آية ٤٩ - ٥٠ .

(٢) كتب وشخصيات لسيد قطب ص ٢٦ .

وبهذا لم يكن أبو تمام " ثائرا ثورة هدم - كما يقول ناقدوه - وانما كان شاعرا من طراز جديد يشخص المحسوس ويجسم المعقول ويحيل ذلك فى شعره رؤى حالمة " (١) .

أما ابن الرومى فقد كان شعره ذا قدرة فائقة على التصوير وخلق الأشكال للمعانى المجرده .

يقول الأستاذ العقاد فى بيان هذه الفكرة :

" ولست أعرف فيمن قرأت لهم من مشارقة ومغاربة أو يونان أقدمين وأوربيين محدثين شاعرا واحدا له من الملكة المطبوعة فى التصوير مثل ماكان لابن الرومى فى كل شعر قاله مشبها أو حاكيا على قصد منه أو على غير قصد " (٢) .

وقد استشهد العقاد بشواهد كثيرة من شعر ابن الرومى التصويرى نكتفى منها هنا بهذه الثلاثة الأبيات المشهورة التى يصف بها حركة الرقاق فى يدى خباز فيقول :

ان أنس لا أنسى خبازا مررت به ∴ يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر

مابين رؤيتها فى كفه كرة ∴ وبين رؤيتها قورا كالقمر

الا بمقدار ما تنداح دائرة ∴ فى صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

(١) دراسات فى الشعر العربى المعاصر لشوقى ضيف ص ٢٣٢ .

(٢) ابن الرومى حياته من شعره للعقاد ص ٣٠٩ .

" فانك تقرأ هذه الأبيات وأمثالها فيروعك منها - أول ما يروعك - صدق تمثيلها للحركة في الجملة والتفصيل "[1] .

وعلى أي حال فهذه بعض أمثلة التصوير في شعرنا العربي القديم

هذا والملاحظ أن التعبير بالصورة خاصية الشعر منذ كان وتختلف من عصر الى عصر قلة وكثرة ، غير أن عصرنا قد أضاف الى العصور العربية السالفة مجموعة من الأبحاث النقدية الهامة التي أولت عنايتها عناصر الشعر وعمقت مفهوم " الصورة الشعرية " ونادت بالبعد عن التعبير المباشر في الشعر لخلوه من الايحاء وهو سبيل التعبير الشعري الصحيح "[2] .

ويبدو أن شعراء المهجر كانوا من أوائل الشعراء العرب المعاصرين ادراكا لهذا العنصر وأكثرهم تجسيدا للمشاعر والأفكار وربما كان أسلوب جبران خليل جبران أثرى أسلوب في العربية في مجال التصوير فما من شيء يفكر به أو يختلج في نفسه الا ويجسده بين عيني القارئ تجسيدا حيا متحركا "[3] .

وكان ذلك شيئا طبيعيا بالنسبة لشعراء المهجر بحكم اتصالهم بالأدب الغربي والمامهم بكثير من عناصره حيث توغلوا توغلا كبيرا في هذا الجانب .

(١) المصدر السابق ص ٣١٠ .
(٢) التجديد في شعر المهجر لأنس داود ص ٣٥٦ .
(٣) المرجع نفسه .

وأحالوا قدرا غير قليل من شعرهم الى ما يشبه النماذج الغربية في صورها وأطيافها.(١)

وقد تبع شعراء المهجر نفر غير قليل من شعراء مصر ولبنان وغيرهما تأثروا بالتعبير التصويري لدى شعراء الغرب وحاكوهم محاكاة جذرية دون النظر الى ملاءمته لبيئتنا أو عدم ملاءمته.(٢)

وقد أتخم الشعراء العرب المعاصرون شعرهم بنقل الصور الغربية مضيفين اليها بعض الابتكارات الفنية القيمة في هذا المجال.

ولا غرو فقد عرفنا من قبل أن من أخص خصائص جماعة "أبولو" والتيار الرومنسي عموما "التجسيم" أي تحويل المعنويات من مجالها التجريدي الى مجال آخر حسي، ثم بث الحياة والحركة فيها.(٣)

ومن خصائصهم كذلك "التشخيص" أي منح الحياة الانسانية لما ليس بانسان، ومنحه كل ما للانسان من مشاعر وأحاسيس وأفكار.(٤)

وهتان الخاصيتان من أهم الأسس التي تقوم عليها الصورة الحديثة.

(١) دراسات في الشعر العربي المعاصر لشوقي ضيف ص ٢٣٣.

(٢) أنظر المرجع نفسه ص ٢٣٤.

(٣) انظر المبحث الأول من هذا الباب ص

(٤) أنظر تطور الأدب الحديث في مصر لأحمد هيكل ص ٣٣٢.

ونجد ذلك منتشرا فى شعر ابراهيم ناجى ومحمد عبد المعطـــى الهمشرى وغيرهما من شعراء التيار الرومنسى كما فى هذين النموذجين :

يقول ابراهيم ناجى فى الغد ومايزحمه من ظنون وهواجس :

ان غدا هوة لنا ظهرها ∴ تكاد فيها الظنون ترتعـد

أطل فى عمقهـا وأسائلها ∴ أفيك أخفى خياله الأبـــد

فالغد والظنون من المعانى التجريدية يجسمها الشاعر ويخلع عليها الحياة ويجعلها ترتعد .

ويقول الهمشرى :

فنسيم المساء يسرق عطرا ∴ من رياض سحيقة فى الخيـال

صور المغرب الذكى رباها ∴ فهى تحكى مدينة الأحلام

ووراء السياج زهرة فـــل ∴ غازلتها أشعة فى المساء (١)

فهذا التشخيص الذى نراه جزء من التعبير بالصور الذى سلك فيه شعراؤنا المعاصرون مسلك شعراء الغرب محاكاة تارة وابتكارا تـــارة أخرى .

والحق أن استخدام الصور هو أهم عنصر من عناصر الشعر، لذا فقد علق النقاد المعاصرون أهمية كبرى على الصورة باعتبارها وسيلة هامة من وسائل تطوير الشعر العربى المعاصر .

(١) المرجع السابق .

يقول الدكتور محمد غنيمى هلال : " ان الصورة هى الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة فى معناها الجزئى والكلى " (١) .

أما الدكتور احسان عباس :

فيرى أن الصورة الشعرية ليست شيئا جديدا " لأن الشاعر يحاول أن يتحدث بلغة تصويرية فى مفرداته وجمله ، فالشعر قائم أساسا على الصورة منذ أن وجد حتى اليوم ولكن استخدام الصورة يختلف بين شاعر وآخر كما أن الشعر الحديث يختلف عن الشعر القديم فى طريقة استخدامه للصورة " (٢) .

فتتابع الصور فى الشعر الحديث ربما كان أكثر من تتابعها فى الشعر القديم .

ثم ان الشاعر القديم ربما استخدم الصورة فى البرهنة العقلية على اثبات مايريد اثباته كما فعل أبو تمام فى قوله :

لا تنكرن عطل الكريم من الغنى ... فالسيل حرب للمكان العالى

بينما ينفر الشاعر الحديث من استخدام الصورة فى هذا الغرض نفورا شديدا .

(١) النقد الأدبى الحديث ص ٤٤٣ .

(٢) فن الشعر ص ٢٣٠ .

أضف الى ذلك أن الصورة الحديثة مترابطة فى مجموعها بحيث يكون منها صورة كبرى كما نرى ذلك فى قصيدة " المساء " للشاعر ايليا أبو ماضى والتى منها :

السحب تركض فى الفضاء الرحب ركض الخائفين
والشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين
والبحر ساج صامت فيه خشوع الزاهدين
لكنما عيناك باهتتان فى الأفق البعيد
سلمى بماذا تفكرين .[1]

فالناظر لأول وهلة يرى أن الصور متباعدة وأن الشاعر جمعها قسرا . . ولكن بعد التفكير وامعان النظر فى المقطع نجد أن الشاعر جعل الانسان فى مواجهة تلك العناصر كلها ، فجاءت صورة متكاملة مترابطة الأجزاء .

ويحدد الدكتور عز الدين اسماعيل فروق الاختلاف فى الصورة الشعرية بين الشعر القديم والشعر الحديث ، وعلى أساس تلك الفروق يكون النظر الى الشعر القديم والشعر الحديث والحكم عليهما .

ونوجز تلك الفروق أو الصفات فيما يلى :

(١) ديوان الجداول ص ٥٦ .

أ ـ الصورة الشعرية القديمة تقوم على الصفات التالية :

١ ـ الحسية أى أنها منتزعة من عالم المحسوسات .

٢ ـ الحرفية أى التطابق الحرفى بين المشبه والمشبه به .

٣ ـ الشكلية أو المحاكاة دون أن يكون هناك رابط شعورى بين المشبه والمشبه به .

٤ ـ الجمود فلم يكن فى الصورة القديمة أى خاصة عضوية أو حركية (١) .

ويجب ألا نأخذ كلام د / عز الدين على عواهنه فربما كان فيه تحامل على الصورة القديمة فى الشعر العربى فهناك صور حية متحركة قائمة على المشاعر والأحاسيس كما عرفنا ذلك عند ابن الرومى (٢) .

كما أن الصور القديمة ليست حرفية بالشكل الذى زعم الدكتور عز الدين فليس هناك تطابق حرفى من جميع الوجوه بين الوجه والقمر ولا بين الزورق والهلال . ولا بين الليل والشعر ولا غيرها من صور الشعر القديم .

أما صفات الصورة الشعرية الحديثة عند الدكتور عز الدين فتتلخص فيما يلى :

(١) الأدب وفنونه د / عز الدين اسماعيل ص ١٤٣ .

(٢) راجع " ابن الرومى حياته من شعره " للعقاد فصل التشخيص والتصوير وكذلك " دراسات فى الشعر العربى المعاصر " لشوقى ضيف فصل " المادة التصويرية فى شعر أبى ريشه " ففيهما ترجيح ونماذج للمادة التصويرية المتحركة فى شعر ابن الرومى .

١ ـ أنها حيوية .

٢ ـ أن الصورة نفسها تتخذ أداة للتعبير .

٣ ـ أنها نقالة للمشاعر نقلا مثيرا .

وبناء على ماتقدم فلا تصبح الصورة خاصية من خصائص الشعر الحديث وحده بل يشاركه فيها أيضا الشعر العربى القديم كما رأينا فى النماذج السالفة ،لكن مع تطور أكثر دقة وحركة وجدة فى الصورة الشعرية الحديثة .

كانت تلك منطلقات ومفاهيم نقدية تتعلق بالصورفى الشعر العربى عموما .

ومن هذه المنطلقات وتلك المفاهيم نحاول أن نتبين مدى مابلغته الصورة الشعرية فى شعرنا اليمنى المعاصر من تطور وجمال .

وما أريد البحث عنه هنا هو القيم الفنية والصور الشعرية فى الشعر اليمنى المعاصر أى منذ بداية العقد الخامس تقريبا .

أما الفترة التى سبقت هذا التاريخ فقد أراحتنا ـ بما حوته من صور شعرية باهته ـ من عناء البحث والدراسة فى هذا الموضوع وقد رأينا ذلك فى النماذج التى وردت فيما سبق من مباحث وأبواب ،ولن نعيد تلك النماذج تجنبا للتكرار .

وما يعنينا هنا هو تتبع تلك الصور التعبيرية الفنية فى الشعر اليمنى فى العقود الأخيرة التى تمثل عصر النهضة الأدبية الحديثة فى اليمن .

ومامن شك أن عنصر الابداع فى الصورة الشعرية هو مايجب أن يكون عليه الشعر الحديث .

واذا كان هذا العنصر ضئيلا فى القصيدة اليمنية التقليدية فقد بدأ يرقى رويدا رويدا عند شعراء النهضة الشعرية المعاصرة منذ جيل الأربعينيات وما بعدها .

فلم يكن بمقدور الشاعر قبل تلك الفترة أن يخرج خروجا تاما عن العبارات والصور المتوارثة ، لأنها كانت جزءا من فكره ، وجزءا من كيانه فكان عليه أن يتحمل تبعات التجديد والابتكار ، ولكن بصورة تدريجية وهذا ماحدث بالفعل فقد اتسم الشعر اليمنى فى فترة الأربعينيات بالايحاء الذى هو محور الصورة الشعرية ، وعنصر من أهم عناصرها الفنية وبدأ الشعراء اليمنيون يعزفون على التقرير والمباشرة ، وأخذوا يلجأون الى الايحاء بالأفكار عن طريق التعبير بالصور .

وهذا الايحاء بحد ذاته مظهر من مظاهر التجديد فى الشعر المعاصر (١)

(١) أنظر شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجى ص ٢٩٠ .

وفى النماذج الآتية سوف نتبين مدى القفزة التى قفزها الشعـــر اليمنى فى مجال استخدام الصور فى العمد الفنى فى هذه الفترة التى تيقظ فيها الشعر اليمنى الى حد كبير على يد مجموعة من الشعـــراء الشبان الذين نهضوا به ،ومزقوا كل السحب التى كانت تحـــول دون تطوره فى كل مجالات التجديد بما فى ذلك التجديد فى مجال الصور.

وستشمل هذه النماذج عددا من شعراء اليمن المعاصرين ،مـن جيل ماقبل الثورة ومن جيل الثورة أيضا .

فمن شعر ماقبل الثورة نجتزىء النماذج التالية :

١ - ففى شعر الزبيرى الكثير من هذه الصور الفنية ،والتى كانـــت موضع اعجاب كثير من النقاد المعاصرين كما سنرى فى هذه الأبيات التى يصور فيها الزبيرى حزن العيد وحيرته وقلقه مما يثير فينـــا أقصى درجات الانفعال ،فيقول : (١)

واقبل العيد اعمى ظار ناظـره ∴ كأنما اللحد فى عينيه محفـــور
يسعى ويحفر بالأكباد مضرمـة ∴ كأنها الجمر فى مسعاه منشـــور
رأى الثرى أدمعا حمرا فرق لها ∴ كأنما الأرض جرح وهو دكتـــور
والموت يفتح أبواب القبور لـــه ∴ على الطريق فيمشى وهو معـذور

(١) صلاة فى الجحيم ص ٧٩ .

يفتر مبتسما من قبح طلعته ∴ كما تبسم للأهوال سكيـــر

مرت في معرك الأجال مرتجفا ∴ كأنني من ذهول الرعب مسرور

مستسلما للردى في قلب جحفله ∴ دمي حلال وروحي فيه مهدور

فهذا العبد الأعمى الحزين الذي يتعثر في مشيته بالأكبـــاد المحترقة كأنها جمر ، صورة ناطقة متحركة مثيرة للمشاعر والأحاسيس .

وفي الأبيات صورة أخرى أقوى اثارة وأدعى للانفعال والتأثير تلك هي صورة التراب وقد تحول في نظر العبد الى دموع حمرات أنســت العبد حزنه وحيرته فرق لها فساذا به يتحول الى طبيب يعالج تلك الجروح .

وكم سيكون شعور القارئ حائرا مستوفزا وهو يقرأ هذه الصور ، ولا سيما اذا تذكر تلك السنوات العجاف ، التي مرت بالشعب اليمني وأسلمته الى مجاعة أنهكت كاهله ، ومرض فتاك أفقده عددا من أبنائه .

وهذا ما رسمته ريشة الفنان الزبيري في هذه الأبيات .

فقد تزامنت المجاعة والمرض مع نهاية الحرب العالمية الثانية التي كانت قد أنهكت معظم دول العالم وشغلتها بنفسها ومشكلاتها .

ولهذا تحولت البلاد في منظور الشاعر الى معترك تتعارك طيها الأجال لافتراس قدر كبير من أبناء اليمن ، وهي صورة متحركة ومثيـــرة تضاف الى الصورتين السابقتين من تلك الأبيات.

وفى الأبيات كثير من ملامح الصورة الشعرية الحديثة المستوحاه من الواقع ، والتى يبدو فيها الشاعر فنانا فى اختيار الصورة وانتقائها .

وللزبيرى أيضا عدد من الصور المثيرة المعبرة فى عدد من القصائد نذكر منها على سبيل المثال القصيدة الموجه الى الشاعر على محمد لقمان صاحب ديوان " الوتر المغمور " والتى رسم فيها صورة لفنان مبدع هائم فى ملكوت الابداع ومطلعها (١) :

وتر الغرام يئن من صبواته ∴ ويسجل النيران من آهاته
الدمع محترق على أنفاسه ∴ والصوت مجروح على لهواته
والمبدع الفنان يملأ نايه ∴ روحا وينطقه بسحر لغاته

الى أن يقول :

هيمان فى دمه وهوش تغتذى ∴ حمما وتزأر من لظى جمراته
تحنو السماء عليه فهى تمده ∴ من وحيها ليسل من وبلاته
غزل اذا فكرت فى تشبيهه ∴ ألفيته يومى الى مرثاته
لو لم يطهره الهوى بسعيره ∴ لم تنزل الآيات فى خطراته
قلب يصلى فى الجحيم ومايرى ∴ أجرا ولا يلقى ثواب صلاته
وتر سقاه الروح شعلة حبه ∴ فزكا وكان الفن من ثمراته

(١) ديوان صلاة فى الجحيم ص ٧١ ومابعدها .

ففى الأبيات صورة خلاقه وبديعه وناطقه للفنان صاحب الوتر المغمور ذو الحس المرهف ، والمشاعر الرقيقة محترق الدمع مجروح الفؤاد " حيث تفتات وحوش الفن دمه ، وتعربد هذه الوحوش وتزأر فى لهيب أنفاسه المحترقة ، انه مجرد قلب يصلى فى الجحيم بلا مقابل ودون انتظار لجزاء أو مثوبة (١) .

وهى فى الواقع صورة مثيرة تدل على صدق التجربة وصدق الشعور وتضاف الى رصيد الزبيرى فى هذا المجال على أن المتتبع لشعر الزبيرى يجد صورا كثيرة من هذا النوع .

ولعل فى النموذجين السابقين ما يصور المحاولات الأولى لادخال هذا العنصر الفنى الجديد فى الشعر اليمنى المعاصر .

فهما لوحتان فنيتان تحوى كل منهما عددا من الصور ذات السمات الشعرية الحديثة والأسلوب التعبيرى المثير .

وعلى الرغم من حداثة الصورة وجدتها عند الزبيرى الا أنه لم يخلص تماما من أثر الصورة الشعرية القديمة فى بعض سماتها .

وهذا من حقه فالتغير الفنى المفاجىء ربما كان له أخطاره على الشاعر وعلى الحركة الأدبية عموما ، فمن الحكمة اذن أن يكون التجديد

(١) كتاب الأبعاد د / المقالح ص ١٣٧ .

بصورة تدريجية ـ كما أسلفت ـ وقد مر معنا الكثير من أشعار الزبيري التي تدل على مرحليته في التعبير ، وهذا ما لسناه بالفعل في رحلتنا مع الشعر اليمني المعاصر عامة .

وللشاعر ابراهيم الحضراني لوحة فنية رائعة رسمتها قصيدته " يمني في شوارع روما " (١) :

تتساءل الجدران بي .·. وأنا بساحتها أطوف
من ذلك الوجه الغريب .·. وذلك الشبح النحيف
يمشي فتمشي حول هي .·. كله من الماضي طيوف
الذعر في نظراتيه .·. والرعب والقلق المخيف
ياهبط السرو سان هـ .·. ـذا ناجني الزمن العجيف
والجرح جرح المستبد .·. له بأكبدنا نزيف
أمشي بروما حائر الـ .·. ـخطوات لي سمع كهيف
يتحسس الكلمات كالـ .·. أعمى بمهمة يطوف
الدار تنكرني ولـ .·. ـكني بساكنها شغوف
أشدو فينكر جوهـ .·. ـا شدوي وتنكره السقوف

فالمقطوعة مجموعة من ا طياف والأشباح والهياكل رؤى أحلام المرهفة تلمح فيها صورا حية مجسمة مثيرة فالخطوات حائرة والسمع كهيف

(١) شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجي ص ٦٥ .

والشاعر يتلمس الكلمات وكأنها أجرام حية ، ومع ذلك فلا يكاد يجدها فقد بلغ به العي مبلغه بسبب مالقيه من رعب وقلق وخوف حتى ليكاد يحس أن الجدران تنظر اليه مستغربة ملامحه وسماته منكرة هذا الشبح النحيف الغريب على أرضها المنحدر من غير سلالتها كما يبدو ذلك على ملامحه وصفاته .

أما " وتنكره السقوف " فعبارة ركيكة قد لا تتسق وتلك الصور والتعابير الجميلة ولعل القافية هي التي جرت الى هذه العبارة ، وفي القصيدة بعض مميزات الصورة الشعرية الحديثة في الشعر اليمني الصادرة عن تجربة نفسية وشعورية للشاعر كالتجسيم والحركة وغيرها .

ولعل من أهم مكونات الشاعر لطف جعفر أمان - رائد التيار الابداعي في اليمن - اتخاذه الصورة أداة للتعبير عن المشاعر فقد كانت واحدا من أهم عناصره الابداعية ومكوناته الشعرية ، هذا بالاضافة الى رومنسيته المفرقة التي أضفت على صوره وتعبيراته تلك الملامح القاتمة والايحاءات الداكنة التي سوف نراها في هذا النموذج من شعره .

ففي قصيدته " الميت المبعوث " التي تعد من أجود قصائده فنيا ومن أبدعها في مجال التعبير التصويري ، يقول أمان :(1)

(١) ديوان بقايا نغم ص ٧١ .

هاهنا والظلام جاث وللصمـــــ ∴ ـت طيوف تجوس فى ساحاتـه

حيث لا تنبض الحياة وحيث الدهـ ∴ ـر وسنان لم يفق من سباتـــه

أنّـه اثر أنّة خفـق الصمـــــ ∴ ـت لديها وهب مـن غفلاتـه

طرقت مسمع الدجى ثـم دارت ∴ بصداها تتيـــه فى جنباتـه

واذا هيكل على الضهـر ملقـى ∴ لعبت دورة الـدجى برفاتـه

لذع الصخـر جنبـه فتلـــوى ∴ فوق ذاكى اللهيب من لذعاته

ألم من مفـاور الـداء مشبـــو ∴ ب بقلب يذوب فـى حرقاتـه

يتشهّى الردى وقد غاب عنـه ∴ ساخرا من عـذابه وشكـاتـه

سل مطيفـا من الضلال دعـاه ∴ لحياة أغرى بهـا نـزعـاتـه

لم يدع كرمة من الاثـــم الا ∴ عصرتها الأهـواء فى كاساتـه

فهنا مشهد هائل من الصور الناطقة والتعبيرات المصورة التى تثير المشاعر وتوقظ الضمائر وتبعث على القلق ، فالظلام جاث ، والصمت مخيم ، والطيوف تجوس ، وأنات تطرق سمع الليل تتردد هنا وهناك .

وفى هذا الجو المظلم المشحون بالأنين والصراخ يرى الشاعر هيكلا ملقى على صخرة وقد لذعت جنبه فجعلته يتلوى تلوى الطير على لهب من نار .

ويبدو أن الشاعر كان حريصا على التصوير واستخدام وسيلة الايحاء بيد أن الصورة الحديثة لم تكن قد استكملت خصائصها فى الشعر اليمنى

آنذاك فجاءت صوره قاصرة عن بلوغ الغاية التى أرادها ، وهى رسم صور متحركة تكون أداة للتعبير ووسيلة للاثارة .

وعلى هذا المنوال تقريبا جاءت صور وتعبيرات الشاعر محمد عبده غانم فله قصائد اجتماعية وانسانية مليئة بالصور الناطقة .

فـ " حديث الجماجم " وعلى الشاطىء المسحور " و" اليـــك " وغيرها من قصائد الشاعر تشتمل على كثير من الصور الحية والتعبيرات المثيرة .

ففى قصيدة " اليك " صور شعرية جميلة قريبة من صور شاعر الصبا والجمال " بشارة الخورى " ومنها هذه الصورة : (١)

قد سألنا الضياء من أين يأتي ∴ نا فسرعان ما أشار اليك
وسألنا الألحان أين تريد ∴ ين فراحت تنصب فى أذنيك

ومن " حديث الجماجم " نجتزىء هذه المقطوعة :

فهمت الجمجمة السيدة ∴ أن تصفح الجمجمة الخادمة
فهب ريح هبة واحدة ∴ دحرجها كالكرة العائمة
حتى هوت تصرخ مستنجده ∴ فى حفرة ضيقة قائمه
وقهقهت من خلفها مرعدة ∴ جمجمة فوق الثرى جاثمه
والشاعر الصامى جفا مرقده ∴ فى عجب من هذه الخاتمه (٢)

(١) على الشاطىء المسحور ص ١٠ .
(٢) شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجى ص ١١٨ .

فالأبيات ذات نبض انساني مرهف جعل منها مشهدا متحركا ومتفاعلا معا ،انه مشهد مثير حقا جمجمة تصفح وأخرى تتلقى الأمر بذلة وهوان فيأتي الموت ليأخذ الجمجمة الأولى ويدحرجها كالكرة فاذا بها تصرخ وتستغيث فلا يستجيب لها أحد الا جمجمة قد سبقتها الى القبر ترقب هذا المشهد وتعجب من تلك التصرفات الغريبة التي تشاهدها .

فهذه الحياة والحركة والتفاعل في شعر غانم تعبر عن الصورة الشعرية الحديثة في شعرنا اليمني المعاصر الى حد بعيد .

الى هنا والصورة الشعرية في اليمن مقصرة عن مثيلاتها لدى الشعراء العرب في الأقطار الأخرى ،ولا تزال في حاجة الى أسلوب أكثر جدة وأبعد عن التشبيهات البلاغية التي تعترينا أحيانا ، وهذا مافطن له الجيل الجديد من الشعراء وبدأ ممارسته .

ففي أواخر الخمسينيات بدأ هذا الجيل من الشباب يعتمد بالصورة عن التشبيه أكثر فأكثر ويوظفها توظيفا أكثر قدرة على الاثارة والحركة .

وقد تمثل هذا الجيل في بداية الأمر في محمد أنعم غالب وعبده عثمان وغيرهما من شعراء جيل الثورة .

فنقرأ لمحمد انعم غالب في ديوانه " غريب على الطريق " كثيرا من القصائد التي تمثل الصورة في ثوبها الأكثر جدة وحداثة ،وهذا مقطع من احدى تلك القصائد يقول فيه : (١)

(١) ديوان غريب على الطريق .

يا بيتنـا على التلال

انى أراه طيـف

الريح فى أرجانه تلعب والخفاش

يمرح فى أرجائه بطيش

وكوة وحيدة تضاء فى المساء

ويرسم الضياء فى الجدار

ويقبع الأطفال حوله

يحكى لهم عنى

فى العالم القاصى

عن غائبين آخرين

كانت بهم تخضو ضر الشعاب

ساروا مودعين الأهل والأحباب

حقولهم مع الربيـع

تود لو لامسها انسان

وينعس الأطفال والأشواق

تغرش فى عيونهم الأحلام

بعودة الأحـلام

فالشاعر هنا يحاول أن يرسم صورة من صور الضياع التى تعانيها الأسرة اليمنية التى غاب عنها عائلها ولكن بطريقة تصويرية فنية حيـث

يقوم التعبير بالصورة مقام الخطابية والتقرير ، فالبيت الذى يحدثنا عنه الشاعر المهاجر يبدو له فى غربته كطيف تلعب به الرياح ، ويسرح فى أرجائه الخفاش الطائش ، وليس فيه الا نافذة واحدة تضاء فى المساء ، يسهر على ضوئها أقارب المهاجرين يقصون أخبار وحكايات المغتربين عن الغربة ، وتنتهى الحكايات بنعاس الأطفال وشوقهم الى أبائهم .

فهذا التسلسل البنائى ، وارتباط الجزئيات بعضها ببعض جعل من الصورة الشعرية لوحدة فنية نابضة بالحيوية والحركة ، كما أنها فى الوقت نفسه موظفة توظيفا حسنا وقادرة على التعبير عن أهم ما يرمى اليه العمل الأدبى .

وهذا العمل الفنى يعد أصلا من خصائص الصورة الشعرية الحديثة وليس من الضرورى كما يقول الدكتور محمد غنيمى هلال أن تلتزم الصورة الشعرية الألفاظ والعبارات المجازيه ، فقد تكون العبارات حقيقية الاستعمال (١) ، وتكون مع ذلك دقيقة التصوير دالة على خيال خصب ، كما نرى ذلك فى أمثلة كثيرة من الشعر العربى منها هذه الأبيات للشريف الرضى :

ولقد مررت على ديارهم ٭٭ وطلولها بيد البلى نهب
فوقفت حتى ضج من لغب ٭٭ نضوى ولج بعذلى الركب (٢)

(١) النقد الأدبى الحديث ص ٤٣٢ .
(٢) ديوان الشريف الرضى

فهنا تتجاور الصور المجازية مع العقيقة ،والكلمات ،وقفت ،ضج ، نضوى ،لج ،هى صور فى ذاتها موحية بدلالتها وأصواتها .

والمهم فى الموضوع هو الرسم التصويرى بالكلمات بصفته جزءا من الابداع الفنى المطلوب فى القصيدة المعاصرة ، وهذا مانجده فى عدد من قصائد الجيل الجديد فى اليمن .

ولنأخذ لذلك مثلا الشاعر الأستاذ عبدالله البردونى وهو شاعر عمودى من حيث بناء القصيدة الشكلى غير أنه يمتلك ناصية التصوير الفنى والرسم بالكلمات الى درجة بالغة الروعة والعمق ،ولهذا لا تعجز ريشة البردونى الفنان عن تصوير ملامح الواقع وتجسيد دلالاته ،وتعميق الاحساس بها .(١)

وفى ديوانه " السفر الى الأيام الخضر " كثير من هذه اللوحات الايمائية الناطقة ،وهذه واحدة من تلك اللوحات التى يرسم فيها شاعرنا وجه يوم من أيام حزيران فيقول :(٢)

جبينه دبابة واقفه ∴ أهدابه دبابة زاحفه

ليس له وجه له أوجه ∴ مسوحة كالعملة التالفه

ساقاه جنزيران أعراقه ∴ اذاعة مجوجة راجفه

(١) الشعر بين الرؤيا والتشكيل للدكتور المقالح ص ١٩٨ .

(٢) ديوان السفر الى الأيام الخضر ص ٤١٥ من مجموع دواوين الشاعر جـ٢ .

تلغو . . كما تسقى الرياح الحصى ∴ تحمر كالجنية الراعفه

بعد قليل مئتا مرة ∴ وعد كسكر الليلة الصائفه

وبعد عشرين احتالا بدت ∴ ولادة مكرورة زائفه

حماسة صفراء معروقة ∴ أنشودة مسلولة واجفه

شيء بلا لون . . بلا نكهة ∴ ماذا تسميه اللغة الواصفه

فهذا المقطع من قصيدة البردونى تصوير بديع لذلك اليوم وأهدابه وساقيه المصنوعتين من الحديد وعروقه المكونه من أصوات الاذاعة المبحوحة وهو واحد من عشرات المقاطع واللوحات الفنية فى شعر البردونى .

وقد بلغ التصوير الفنى درجة كبيرة من النضج - حسب المقاييس النقدية الحديثة - على يد عبده عثمان والمقالح وأضرابهما .

فكانت الصورة حديثة باوسع المعانى لكلمة " حداثة " " فلا يكاد الشاعر يقف عند منعطف من منعطفات الرسم والتصوير الا ليستأنف الرحيل الى مناطق وأصقاع غير مكتشفة من عالم الخيال الشعرى .

وكانت حصيلة تلك الرحلة المضنية صور مبتكرة رشيقة موحية حية خلابه بسيطة حينا مركبة حينا آخر محركة للحس والشعور والخيال جميعا .(١)

(١) من مقال للأستاذ حسن عزمى المنشور فى اضاءات نقدية ص ٩١ . وانظر أيضا رحلة البردونى ص ٤١٢ ، والشعر بين الرؤيا والتشكيل ص ٢٤١ ومابعدها وشعراء اليمن المعاصرون ص ٢٩٠ .

ولنقف الآن عند بعض النماذج والصور الفنية لشعراء جيل الثورة فلربما كان أكثر تجديدا فى هذا المجال ، وقد سبقت الاشارة الى قصيدة عبده عثمان " واحد من الناس " (١) وهى على مستوى رفيع من التصوير والابتكار .

وللمقالح قصائد جمة على هذا المستوى من الجدة والحداثة والقدرة التعبيرية ذات الصور والايحاءات الفنية الجميلة .

ولنأخذ مثلا هذا المقطع من قصيدة " الى الفنار الوحيد " وهو يمثل تلك العناصر الفنية بدقه ووضوح :

يحاصرك الموج والليل

تسطو عليك جميع البحار

ولكن وجهك لا يتغير

وضوء المنارة لا يتغير

وفى لحظة يختفى الموت

فى فزع تتراجع أمواجها ويموت الحصار

وتبقى لنا راية للحياة سفينة

وتبقى لها للحياة الفنار

(١) أنظر ص من هذه الرسالة .

وأنت الغـــد البكـــر

أنت النهـــار [1]

فالشاعر هنا حريص على أن يقدم صورا جديدة لا سعيـــا وراء الجدة لذاتها بل لأن تلك الصور الحديثة وحدها هى القادرة على حمل الاحساسات والانفعالات الجديدة .

وللشاعر قصائد عمودية فيها جدة وابتكار للمجازات والصور الفنيـة التى كانت مظهرا من مظاهر القيم الجمالية المعاصرة ، ومثالا لذلك نقرأ له هذه الأبيات من قصيدة " من يدلنى " :

أقول للنجم متى تحملـــنى ∴ على جناح الضوء نحو اليمـــن

لعل شمسهـــا سحابهـــا ∴ ترابها من الأسى تغسلنـــى

أكاد أن أمـــــوت أن ∴ أغرق فى صحـــارى شجنـــى

فى كل ليلة أعـد و مجرهـــا ∴ أصيح فى الدجـــى ياوطـنى

أكاد مـــن حـــزنى عليـــك ∴ أنطفـــى فـــى حـــزنـــى [2]

فجناح الضوء ،والشمس التى تغسل الأسى ،والغرق فى صحارى الشجن ، كلها صور حديثة معبرة ومثيرة تتطور فيها الصورة والفكرة معا تطورا بنائيا محكمـا .

(١) ديوان هوامش يمانية ص ٤٦١ من مجموع دواوين المقالح .

(٢) المصدر نفسه ص ٥٢١ .

أما الشاعر عبد الودود سيف فان لنضج ملكاته الشعرية ، وتمكنه من اللغة أكبر الأثر فى براعة صوره ودقة تعبيراته ، ومن قصيدته " حول جدار التطواف فى شارع على عبد الغنى " نجتزىء هذا المقطع : (١)

أتأبط حزنى فى صمت

اعدو بين جموع الزحمة كى أتفرس

من حولى

الأوجه نفس الأوجه

والوقت هو الوقت وكالمعتاد

سيل يأتى

سيل يمضى

وعيون الجمع تزيغ بعمق

من ذا يحمل عنها الأحزان ؟

والقصيدة على بساطتها لا يستطيع القارىء أن يمتلكها امتلاكا حقيقيا وينفذ الى بعدها وصورها وما تهدف اليه من تجسيد ينابيع الملل الحقيقى - الذى يعترى الانسان اليمنى فى حياته اليومة - مالم يعرف

(١) الشعر بين الرؤيا والتشكيل - د / عبد العزيز المقالح ص ٢٣٩ .

وجعل عنوان للقصيدة (١)
من هو علي عبد المغني الذي يحمل الشارع اسمه ؟ ومالذي قام به حتى استحق هذه المفخرة .

ومهما يكن من شيء فالقصيدة تجسد النتاج الشعري للشاعر عبد الودود سيف وتبرز بعضا من خصائصه الشعرية ،وهي فوق ذلك نقلة فنية متقدمه في مجال الابداع والتصوير الفني في الشعر اليمني المعاصر .

* * *

* *

*

(١) علي عبد المغني ، أحد ثوار ومنظري ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م يعد من كبار قادتها ، توفي في الأشهر الأولى من عمر الثورة .

" المبحث الثالث "

" التطور الفنى "

فى

موسيقى الشعر

التطـــور الفنى فى موسيقى الشعر :

من القضايا الأدبية الجادة التى احتدم فيها النقاش وثار حولها الجدل بين الشعراء والنقاد المعاصرين " قضية موسيقى الشعر " التى تتمثل فى الشعر العربى فى أوزانه وقوافيه وقد وصلت الينا ناضجة واستقر عليها الشعراء العرب ردحا من الزمن غير يسير .

ففريق من الشعراء والنقاد يرون أن تظل الموسيقى الشعرية فـــى الحدود التى رسمتها لنا الأجيال السابقة فى التزام الوزن والقافية التى جمعها وفصلها العروضيون ، وظلت قانونا متبعا الى اليوم .

ويقابل هذا الفريق المحافظ فريق آخر متحرر يرى أن القـــالـــب الموسيقى لتجارب الشعر القديم غير صالح لتجاربنا المعاصرة بعـــــد التطور الذى شهدته المجتمعات العربية فى الآونة الأخيرة ، ومن ثـــم فان على الشاعر أن يتخلص من الالتزام الذى يجعل البيت هو الوحدة الموسيقية للتجربة الشعرية ، ويكتفى بأن يجعل التفعيلة هى الوحـــدة الموسيقية للتجربة المصوغة .

ولكل من الفريقين حججه التى يعتمد عليها فى البرهنة على تصحيح نظريته فالفريق الأول يرى أننا نقول شعرا عربيا فيجب أن نحافظ على الخصائص العربية لهذا الشعر بما فى ذلك الخاصة الموسيقية التى توجب التزام الوزن والقافية .(١)

(١) انظر : دراسات أدبية لأحمد هيكل ص ٧٥ ومابعدها .
وموسيقى الشعر لابراهيم أنيس ص ٢٤ - ٢٥ .

ثم ان هذه الخاصة الشعرية قد اتسعت حتى شملت الشعر فى جميع مراحله ، وكانت طيعة أمام التجارب الانسانية المختلفة التى سجلها الشعراء المبرزون فى القديم والحديث .

أما الفريق الثانى فيرى أن القيود والقواعد بما تفرضه من رتابة وتكرار تجور كثيرا على المضمون الشعرى وتخضعه لقوانين لا داعى لها وهى بذلك تعتدى أيضا على الفن الشعرى وتخضعه هو الآخر لتلك الرتابة المملة .

وقد صاحب هذا النقاش وذلك الجدل أن كل فريق اتهم الآخر بتهم شتى قد تبلغ حد الايذاء بالقول .

فالمحافظون يرمون المجددين أو المتحررين من الوزن والقافية بالكسل والافلاس والعجز ، ويصفون شعرهم بالهراء والغثاء والعبث .

والمجددون يتهمون المحافظين بالتخلف والجمود ويطلقون على شعرهم شعر التهانى والتبريكات أو النظم التقليدى أو غير ذلك من الأسماء .(١)

ومهما يكن من أمر هذا الخلاف فان موسيقى الشعر رغم أنها عنصر من عناصره الا أنها كما يقول بعض النقاد (٢) " عنصر جمالى تتفاوت فى شأنه

(١) انظر فى هذا الموضوع كتاب " البناء الفنى للقصيدة العربية لخفاجه ص ٢٢٤ ، والنقد الأدبى الحديث لغنيمى هلال ص ٤٤٥ " .
ودراسات أدبية لأحمد هيكل ص ٧٦ .

(٢) احمد هيكل فى دراسات أدبية ص ٧٨ .

الأذواق من جيل الى جيل ومن بيئة الى بيئة . . فمن حق جيل حاضر أن يخالف جيلا سابقا عليه .

ولا يعد ذلك خروجا على قواعد الموسيقى الشعرية اذ ليس للموسيقى قواعد صارمة كقواعد اللغة والاعراب ونظام الجملة العربية .

فالأمر فى الموسيقى أمر ذوق جمالى لا تنعكس معه مفاهيم القول أو تضطرب دلالات اللغة .

فمتى التزم الشاعر قواعد اللغة والاعراب والتراكيب ونظام الجملة العربية فان لكل جيل من الشعراء - بعد ذلك - أن يجدد فى موسيقى الشعر ما استطاع فى حدود الضوابط والأسس التى وضعها النقاد العرب قديما وحديثا .

على أن مسألة التجديد الموسيقى فى الشعر العربى ليست بدعة من بدع هذا العصر ، فقد أحس الشعراء العرب منذ قرون عديدة بالحاجة الى مثل هذا التجديد وخطوا نحوه خطوات موفقه وان لم تصل الى ماهى عليه اليوم الا أنها كانت بمثابة حجر الأساس فى زاوية التجديد الموسيقى فى الشعر العربى .

ففى العصر العباسى فى المشرق بدأ الشعراء ينوعون فى نظام

القوافى والأوزان ، فظهر ماسمى بعد ذلك بالمزدوج[1] ، والمربع[2] والمخمس[3] ،والمسمط[4] ، وغيرها من الأنواع التى تعد أول خروج على نظام القصيدة العربية القديمة .

وفى الأندلس ظهرت الموشحات[5] وهى أكثر تطورا فى موسيقى الشعر العربى أوزانا وقوافى حتى هذه الفترة التى ظهرت فيها وهى القرن الخامس

فقد تنوعت فيها الأوزان وتلونت فيها القوافى تلونا لم تشهده من قبل فكانت من أهم الأنواع الأدبية تطورا فى مجال موسيقى الشعر.

(١) المزدوج هو أن تتميز قافية كل بيت عن البيت الذى يليه وتكون قافية الشطر الأول هى نفس قافية الشطر الثانى ويراعى فيه أن تكون الأبيات مصرعه : أنظر الأمثلة ص ٣٣٣ من موسيقى الشعر لابراهيم أنيس .

(٢) المربع هو ما تألف من مقاطع كل مقطع مكون من بيتين وتكون القافية فى الشطر الرابع سواء اتفقت مع قافية بعض الأشطر السابقة لها أو لم تتفق ،أنظر أيضا موسيقى الشعر ص ٣٣٦ .

(٣) المخمس هو الذى يتألف من مقاطع كل مقطع مكون من خمس شطرات تتحد أحيانا فى القافية وقد تتحد القافية فى بعض شطراتها دون بعض .

(٤) المسمط : هو الذى يتألف من مقاطع تختلف قوافيها على أن يختم كل مقطع بشطر أو أكثر يكون على قافية متماثله فى القصيدة كلها . انظر موسيقى الشعر ص ٣٣٨ .

(٥) الموشحات : فن من فنون الشعر استحدثت فى الأندلس ايام ازدهارها الأدبى ،وكانت ثورة جديدة فى موسيقى الشعر العربى وزنا وقافية فقط .
انظر دراسات فى الأدب الاندلسى د . سامى مكى ص ١٦٧ .
وموسيقى الشعر لابراهيم أنيس ص ٢٤١ .

ولم يطرأ جديد على موسيقى الشعر العربى بعد الموشحات حتى العصر الحديث حين اهتمت طائفة من شعراء المهجر بهذه الناحية (فأخرجوا لنا شعرا موسيقيا جيدا عنوا فيه عناية فائقة بالناحية الموسيقية فتفننوا فى الأوزان كما نوعوا فى القوافى)[1] .

فكانوا ينظمون على نهج الموشحات تارة ، ويبتكرون ويجددون تارة أخرى .

ورغم ذلك التجديد الذى أحدثه شعراء المهجر فى موسيقى الشعر العربى الا أنه كان تجديدا محدودا وسائرا على خطوات أصحاب الموشحات ، وهذا ما نجده كثيرا عند جبران والريحانى والياس فرحات وغيرهم ، كما تلمس ذلك بدقة ووضوح فى هذه الأبيات التى تبين عنايتهم بالناحية الموسيقية فى الشعر العربى

يقول الشاعر الياس فرحات فى قصيدته " ياحمامه "[2] :

ياعروس الروض ياذات الجناح ياحمامه

سافرى مسحوبة عند الصباح بالسلامه

واحملى شكوى فؤاد ذى جراح وهيامه

(١) موسيقى الشعر د . ابراهيم أنيس ص ٣٤٣ ، وقد ذكر أمثلة لهذا النوع من الشعر المهجرى أنظر ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .

(٢) التجديد فى شعر المهجر لأنس داود ص ٣٥٢ .

ففى هذه الأبيات نجد ثلاثة أنواع من التغير :

١ - التزام الأشطر الأولى بقافية واحدة

٢ - التزام الأشطر الثانية بقافية مغايرة للأولى .

٣ - تكرير التفعيلة " فاعلاتن ثلاث مرات فى الأشطر الأولى ، وتركها منفردة فى الأشطر الثانية .

وهذا من شأنه أن ينوع فى ايقاع البيت اذا قيس بايقاع البيت المألوف فى الشعر العربى .

على أن هناك جماعة أخرى كان لها أثر كبير فى تجديد موسيقى الشعر العربى هم جماعة أبولو أو اصحاب الاتجاه الابداعى - الرومنسى - فربما كان أصحاب هذا الاتجاه أكثر تجديدا فى الاطار الموسيقى فى الشعر اذ كان من أهم خصائصهم فى هذا المجال :

١ - الاعتماد الكبير على القالب المقطعى القائم على التنويع فى الوزن والقافية معا .(١)

٢ - كما أن ميلهم الى البحور ذات الموسيقى المتدفقة دون رنين عال أو نبرة خطابية قد أكسبهم طابعا موسيقيا خاصا .

وهذا تجديد مقبول فى جملته ، وان لم يبلغ المستوى الذى بلغه شعراء هذا الاتجاه فى مجال الأسلوب وطريقة الأداء .(٢)

(١) انظر الأدب العربى الحديث ومدارسه لخفاجه ص ١٩٢ ومابعدها وقد ذكر أمثلة من شعر الصيرفى لتعدد الأوزان والقوافى .

(٢) باختصار من " تطور الأدب الحديث " لأحمد هيكل ص ٤٦٣ ومابعدها .

فقد كانت تجديداتهم فى مجال الموسيقى الشعرية مبتية - فى معظمها - على الأنماط العربية القديمة التى سبق الحديث عنها .

غير أن تلك الأنماط لم يعد لها وجود فى عالم الشعر الا فى بطون الكتب القديمة مما جعل احياءها - فى حد ذاته - يعد من التجديد .

ولو أننا تلمسنا اضافات الى هذه القوالب الموسيقية السبوقة عند شعراء هذه الجماعة فلن نخطئ بعض تلك الاضافات ،

كما نرى ذلك فى قصيدة " الأمل " لأبى شادى والتى منها :

يا أمل يا أمل

ياهدى من عمل

ياحلى للبطل

ياقوى فى جلل (١)

ففى قالب هذه القصيدة نجد الشاعر يستخدم بحورا قديمة ولكن بصورة لم يألفها الشعر العربى ولم يقرها العروضيون ، اذ أن الشاعر قد استخدم تفعيلة واحدة هى " فاعلن " ولم يسبق الشعر العربى الى مثل هذا الاستخدام .

(١) المرجع السابق ص ٣٤٩ .

ومادامت القضية قضية ذوق وجمال ، فمتى توفرت فى العمل الأدبى مكوناته الأساسية وهى :

١ - التجربة الانسانية الصادقة .

٢ - التعبير الفنى الكامل .

٣ - الموسيقى الشعرية الملائمة .

فقد تمتلئ عناصره الشعرية ولا يضيره بعد ذلك استخدامه للون جديد من الموسيقى .

فالشعر الجديد لم يلغ عنصر الموسيقى من عمله الشعرى ، والا لما عدّ شعرا أصلا .

بيد أن الفارق بين موسيقى الشعر التقليدى وموسيقى الشعر الحديث أن موسيقى الشعر القديم تقوم على وحدة البيت ، وأن موسيقى الشعر الحديث ترتكز على وحدة التفعيلة ويترتب على ذلك قوة الايقاع الموسيقى ووضوحه فى النوع الاول وضعفه وخفوته فى النوع الثانى . ثم ان الذوق العربى قد ألف ولفترة طويلة سماع مثل ذلك الايقاع الواضح والموسيقى الرنانة .

ولهذا كان من الصعوبة بمكان تغيير ذلك النمط الموسيقى المألوف ولا سيما اذا لاحظنا " أن الايقاع عنصر تأثيرى فعال فى الشعر العربى "[1] .

(١) انظر الأدب وفنونه لمندور ص ٣٧ ومابعدها .

أضف الى ذلك أن الشعر بغير ايقاع غير ذى جدوى فى المحافل العامة التى يراد منها التأثير على الجماهير .

" على أن الشعر الجديد وان كان ذا لحن موسيقى موزون لكنه لا يبرز الايقاع (١) ،ومن ثم فلا يصلح للانشاد وانما يصلح للقراءة الصامتة والمناجاة الهامسة (٢) " .

وهنا ينبغى أن نفرق بين الشعر القائم على وحدة التفعيلة المنتهى بقافية عروضية والشعر المرسل الخالى من الوزن والقافية معا . فالنوع الأول يقره كثير من النقاد المحدثين ،وان لم يقم على الايقاع ويقولون انه ليس من العدل أن ننعته بالهراء ونصف شعراءه بالكسل لمجرد أنهم لم يسلكوا فى موسيقى شعرهم مسلك امرئ القيس والنابغة .

فما من شك أن العنصر الموسيقى متوفر فى هذا النوع من الشعر الى جانب العناصر الشعرية الأخرى ،فمن الظلم بعد ذلك أن نقرنه بالشعر المرسل أو المنثور مادامت عناصر الشعر قد توفرت فيه ،وان لم يؤد الغرض الذى يؤديه الشعر العمودى ، ولنأخذ مثلا هذه الأبيات

(١) الفرق بين الايقاع والوزن أن الايقاع هو تساوى عدد التفعيلات فى البيت الواحد ،حفاظا على وحدة النغمة كما فى بيت شوقى :
خلق الله من الحب الورى .·. وبنى الملك عليه وعمر

أما الوزن فيراد به خضوع الكلام فى ترتيب مقاطعه الى نظام خاص هو المعروف بالتفعيلات العروضية سواء تساوت عدد التفعيلات فى البيت الواحد أو لم تتساو .

(٢) كتاب الأدب وفنونه لمحمد مندور ص ٣٧ .

من قصيدة "لن يمر الأعداء" للشاعر فوزى العنتيل لنلمس من خلالها النغمة الموسيقية والعنصر التأثيرى فى هذا النوع من الشعر الجديد يقول فيها :(١)

أقسمت لن يرد الغزاة مياهنا

لن يستبيح الغاضبون حقولنا

لن يقتلوا أطفالنا

لن يقهروا الشعب الأبى المؤمنا

فلقد غرسنا فى الحقول سلاحنا

شجرا مرير الطعم مسموم الجنى

لعدائنا . . للطامعين بأرضنا

لمخالب الوحشى الكئيب مزمجرا فى دورنا

سنذود عن أوطاننا

بنضالنا ودمائنا

فالقصيدة وان كانت قائمة على وحدة التفعيلة الا أن عنصرها الموسيقى على درجة كبيرة من التأثير والتعبير الفنى .

(١) عن دراسات أدبية لأحمد هيكل ص ٨٠ .

ولولا هذا العنصر الموسيقى لجاءت القصيدة نثرا فنيا وجدانيا وهو ما يسمونه بالشعر المرسل أو المنثور أى الذى تنقصه الموسيقى ليكون شعرا حقيقيا .

ومن هنا فان مراعاة الوزن فى هذا اللون من الشعر الجديد - نوعا من المراعاة - هى التى تمنحه موسيقى أشد أسرا وأقوى شاعرية وأكثر نجاحا ،وهذا ما نلاحظه ونشعر به ونحن نقرأ نماذج من هذا الشعر ، كما رأينا فى النص السابق ،وقد يكون فى ملاحظة القافية - نوعا من الملاحظة - قرب من النجاح ،واسترعاء انتباه القارئ أو السامع .

والحق أن القضية ليست قضية خروج الشاعر على القالب الموسيقى القديم أو عدم خروجه ،اذ لا يمكن أن نحصر التجديد فى موسيقى الشعر فى تلك البوتقة الضيقة وهى الخروج على قوالب الشعر القديمة فى الوزن والقافية أو فى الوزن فقط ،فهذا نوع من التجديد وليس كل التجديد .

فهناك ألوان من التجديد فى موسيقى الشعر العمودى يمكن أن تكون أكثر تنويعا لأنغامه وتوزيعا لألحانه وملائمة لمحتوياته ،أكثر من وحدة التفعيلة وحرية القافية (١) .

ومن ثم فان الشعر الموسيقى الملتزم بوحدة القافية وتفاعيل البحر لا ينافى التجديد الشعرى فى شئ مادام المحتوى الشعرى وطريقة التناول جديدين .

(١) دراسات أدبية لاحمد هيكل ص ٨٧

فالعنصر الموسيقى - كما قلنا مرارا - عنصر جمالى يخضع للذوق قبل كل شىء فاذا رأى شاعر - عميق الأحساس صادق التجربة فنى التعبير - ان الموسيقى الملتزمة بوزن وقافية أنسب للمحتوى الشعرى الذى يريد صياغته فله ذلك ولا يمكن أن يتهم مثل هذا الشاعر بالجمود والتخلف أو انه لا تلاؤم فى شعره بين المضمون والشكل .(١)

ومن الخطأ القول ان الموسيقى التقليدية لا تتفق والتجارب الشعرية الجديدة ،فكثير من الشعراء الجدد وأصحاب التجارب الواقعية المعاصرة صاغوا تجاربهم فى هذا القالب الموسيقى القديم ونجحوا كل النجاح .

ولنقرأ هذا المقطع من قصيدة " المدينة المحاصره " للشاعر الفلسطينى معين بسيسو :(٢)

البحر يحكى للنجوم حكاية الوطن السجين
والليل كالشحاذ يطرق بالدموع وبالأنين
ابواب غزة وهى مغلقة على الشعب الحزين
فيحرك الأحياء ناموا فوق أنقاض السنيين
وكأنهم قبر تدق عليه أيدى النابشين

(١) باختصار من " دراسات أدبية لهيكل " ص ٨٧ ومابعدها ، وانظر ايضا " موسيقى الشعر لابراهيم أنيس " ص ٢٣-٢٦ ففيه حديث مفصل عن التجديد فى موسيقى الشعر والمراحل التى مر بها وماأضافه المحدثون من جديد فى الأوزان والقوافى وماينبغى أن يضيفوه .

(٢) دراسات أدبية لهيكل ص ٨٨ .

هذى هى الحسناء غزة فى مآتمها تـــدور

مابين جوعى فى الخيام وبين عطشى فى القبور

ومعذب يقتات من دمه ويمتصـــر الجـذور

صور من الاذلال فاغضب أيها الشعب الأسير

فسياطهم كتبت مصائرنا على تلـك الظهـــور

* *

أقرأت أم مازلت بكـاء على الوطـن المضـــاع

الخوف كبل ساعديك فرحت تجتنب الصـــراع

وتقول انى قد غرقت وشتت الريـح الشـــراع

يا أيها المدحور فى أرض يضـج بها الشماع

أنشد أناشيد الكفاح وسر بقـافلـة الجيـــاع

* *

فالتزام الشاعر هنا بموسيقى الشعر العربى وزنا وقافية لم يؤثر ـ كما هو واضح ـ على حداثة القصيدة وأشراقها وانطلاقها سواء فـــى تجربتها الواقعية المعاصرة أو تناولها الفنى أو منهجها الهادف مما جعلها تشع جدة ومعاصرة .

كانت تلك موجزة عن أهم مراحل تطور الموسيقى فى الشعر العربى قديما وحديثا .

وعلى ضوء هذه النظره سنحاول ـ قدر الامكان ـ دراسة العنصر الموسيقى ومراحل تطوره فى شعر اليمن المعاصر .

ولست أزعم أنى سأميط اللثام عن وجه الصواب فى هذا الموضوع بهذه الدراسة الموجزة ولا أعتبرها أيضا فصل الخطاب فى هذه القضية الهامة من قضايا الشعر العربى ونقده .

وحسبى أنى سأحاول الاسهام بجهد متواضع جدا فى لمح هذه القضية المعقدة والتى لا زالت فى اطار المحاولات الأولى بالنسبة لشعرنا اليمنى المعاصر ولم يمسها الا القليل من النقاد لمسات خفيفة .

وبادئ ذى بدأ أقول ان أول ظاهرة تطالعنا فى الشعر اليمنى المعاصر هى محافظة هذا الشعر على الأوزان والقوافى الخليلية المعروفة ، وتكاد هذه المحافظة تعم القدر الأكبر من الشعر اليمنى بمختلف اتجاهاته وموضوعاته ومراحله ، ومن ثم اتسم هذا الشعر ـ فى معظمه ـ بوحدة الوزن والقافية والايقاع الموسيقى وخاصة فى السنوات العشر الأولى من عهد النهضة الشعرية .

ومع ذلك فقد بدأت محاولات التجديد والتطوير فى موسيقى الشعر اليمنى فى وقت مبكر جدا بالنسبة لبداية عصر النهضة الشعرية فى اليمن الذى بدأ ـ كما أشرت ـ فى منتصف الثلاثينيات ـ على الأرجح ، واذا استثنينا تجربة على أحمد باكثير فى هذا المجال ـ باعتبار أن تجربته

ليست يمنية بحتة ، فهناك شعراء آخرون مارسوا تجربة الخروج على الاطار الموسيقى للشعر العربى فى وقت مبكر أيضا فى اليمن .

ففى حوالى سنة ١٩٤٠م أصدر الشاعر حسن عبدالرحمن السقاف ديوانا صغير الحجم بعنوان " ولائد الساحل " ومعظم قصائد هذا الديوان تعد أول خروج على القالب الموسيقى القديم فى الشعر اليمنى كما يقول الأستاذ احمد الشامى (١) .

أعقب هذه المحاولة محاولات أخرى فى هذا المجال لعدد من الشعراء كابراهيم الحضرانى وعلى محمد لقمان ، وأحمد الشامى ومحمد عبده غانم وغيرهم ومن أقدم تلك المحاولات ، القصيدة التالية لابراهيم الحضرانى (٢) الذى يعود تاريخها الى سنة ١٩٤٣م والتى يقول فيها :

مالقلبى يتضرم ؟

وكيانى يتهدم

أيها النفس حنانيك اهدئى

أيها الآمال مه . . لا تعبسى وابتسمى

(١) مع الشعر المعاصر فى اليمن لأحمد الشامى ص ١٥٨ غير أنى لم أعثر على ذلك الديوان ولم أجد من ذكره غير الاستاذ الشامى ومع ذلك فلم يشر الى شىء من قصائده تلك .

(٢) مع الشعر المعاصر فى اليمن للشامى ص ١٣٠ .

لم لا أحيا .. كما تحيا الطيور .. وادعا ؟

أتغنى حين أغدو وأحور .. لاهيا ..

لا أبالى هم أمسى أو غدى

واجدا فى كل شىء متعتى

فى الهواء الطلق فى العرف النسيم

فى خرير الماء فى سحر الأصيل

فالتجربة هنا تحتوى على موسيقى شعرية نابضة رغم تحرر الشاعر من التزام القافية الواحدة ، وتحرره كذلك من التزام مجموعة تفاعيل البحر متساوية فى كل بيت الا أن الشاعر تمكن من خلق نوع من الموسيقى تحقق للشعر عنصرا رئيسا من أهم عناصره ، وهى موسيقى تتصل بالشعور أكثر مما تؤخذ من اللفظ .

وكانت هناك محاولة أخرى للشاعر على محمد لقمان ولكنها فى مجال الوزن فقط ، فقد حاول الشاعر أن يستخدم ثلاثة أوزان فى قصيدة واحدة فقال :

بلبل شادى

ناح فى الوادى

أين ميعادى

اين ميعادنا على السحـــر ∴ أين ميعاد ليلة القمـــر

اين كأس اللقـاء والوتـــر ∴ وجلال الخدود والحور

اين همس الحنين والسهر ∴ بالذى قد جرى من الخبر

لو درت لأرقهـــا ∴ ساهر بهادنـــف

فى انتظار جوهـرة ∴ لا يضمهـا الصدف

شاعر يهـيم بهـــا ∴ طبع حبه الشـرف (١)

فالمقطع الأول مكون من تفعلتين

والثانى من ستة تفاعيل

والثالث من أربعة تفاعيل

كل ذلك لقصد التغيير أو على الأقل الاشعار بالرغبة فى التغيير

الذى كان الشعراء يتوقون اليه فى هذه الفترة مجاراة للعصر .

وهذا التغيير على أهميته الا أنه لا زال يدور ـ كما يقول د / المقالح

" فى اطار الموشحات والمهجريات أو قريبا منها " . (٢)

وللشاعر قصيدة أخرى تحت عنوان " صلاة قلب " يقول فيها : (٣)

(١) ديوان الوتر المغمور ص ١٤ .

(٢) الأبعاد الموضوعية والفنية ص ١٢٨ .

(٣) ديوان الوتر المغمور ص ٧٨ .

هو قلب عصف الشوق به ∴ فتراءى فى حنين وأنين

ينشد الأزهار فى أوصابه ∴ نغمة فيها تباريح السنين

من دعاء وصلاه

وصبابات وآه

أترى الحب الحياة

أم هو السر الدفين

فهنا تنويع فى الأوزان ولكنه تنويع فى داخل بحر واحد هو بحر الخفيف بخلاف القصيدة الأولى التى اختلفت فيها الأوزان واختلفت فيها البحور كما رأينا .

وللشاعر محمد عبده غانم - وهو من الرواد الأوائل فى مجال التجديد الموسيقى - قصيدة بعنوان " الوردة السكرى " سلك فيها مسلك التنويع داخل البحر الواحد فقال :(١)

أيها الصداح رفقا بفؤادى ∴ فهو أوتار بأحلامك تدرى

كلما غنيت رنت كالهوادى

فى البوادى

أهى أنسام من الشرق عليله

(١) ديوان على الشاطىء المسحور ص ٦٦ .

أم هى النشوة فى الأغصان تسرى

فيهز اللحن أزهار بليله

ونهيله .

فهنا تنويع فى الوزن والقافية ولكنه أيضا تنويع فى داخل البحر الواحد .

كان هذا خروجا نسبيا على القاعدة الأغلب فى القصيدة اليمنية المعاصرة لكن ذلك الخروج قد تبلور وأصبح سمة من سمات القصيدة اليمنية عقب حركة ١٩٤٨م الاصلاحية .

فقد بدأ الشعراء احمد الشامى ولطف جعفر أمان وعلى عبد العزيز نصر وعلى صبره ومحمد أنعم غالب وعبدالله فاضل وغيرهم يجددون فى شكل القصيدة اليمنية وايقاعها الموسيقى . لكن على اختلاف بينهم فى درجات التأثر ، والافادة من التجربة الفنية المعاصرة ، وعلى قدر قرب أو بعد هؤلاء الشعراء من الينابيع الفنية لحركة الشعر الجديد تكون الافادة ، مع مراعاة بعضهم للأصول الفنية القديمة ، كما سنرى ذلك فى الأمثلة التالية :

فالشاعر عبدالله فاضل مثلا يقول فى قصيدته " دواسة الهباء " (١)

(١) من كتاب " الأبعاد الموضوعية والفنية للمقالح ص ٢١٤ .

فى الهـاويـه

عبر الثلوج القاسيـــة

عبر الصخور الداميـه

أشلاء روح فى المغيب

مشلولة تعبى الوجيب

لم تبن منها باقيه

الا حياة خابيـــه

فالسطر الأول يتألف من تفعيلة واحدة هى " مستفعلن " ، والسطور التى تليه يتألف كل منها من تفعيلتين " مستفعلن ـ مستفعلن " وكلها من مجزوء بحر الرجز .

وبالرغم أن الشاعر سلك بها مسلكا جديدا فى الايقاع الموسيقى لكن ذلك جاء ضمن الأسس الفنية المعروفة فى الشعر العربى .

وربما كان الشاعر احمد الشامى أكثر شعراء جيله تجديدا وتطويرا للايقاع الموسيقى فى الشعر اليمنى وليس الوحيد ولا هو أول من حاول الخروج على شكل البنية الموسيقية التقليدية لهذا الشعر كما زعم الدكتور عز الدين اسماعيل (١) ، فقد سبقه آخرون كما رأينا الا أنه ـ كما قلنا ـ اكثرهم

(١) انظر كتابه الشعر المعاصر فى اليمن ص ٢٢٢ .

ميلا نحو الجديد وأقدرهم على الانسياب فى قوالبه الموسيقية ، فقد استغرقت محاولته سنوات عديدة للخروج من ضغط الايقاع الموسيقى المألوف .

ففى أوائل الخمسينيات بدأ الشاعر رحلته الجديدة فى هذا المجال كما نجد ذلك فى أقدم دواوينه - " النفس الأول " و " من اليمن " فقد اتجه الى الشكل الموسيقى المنوع بأن تقسم القصيدة الى وحدات كما تنوع القوافى داخل كل وحدة .

وتمثل هذه المحاولة قصيدته التى بعنوان " ندم " والتى يقول فيها : (١)

يا للجهالة فى مجال مظلم
أرسلت أفكارى ، وهمت وراءها
أعدو ولا أدرى المصير
وهل بما أهوى أأوب ؟
رحماك وار خطيئتى
بحنانك الفياض
واقبل توبتى
وارحم فؤادا فى الجحيم
يعب من ندم الذنوب

(١) ديوان " من اليمن " ص ٢٠٧ .

رحماك فاغفر زلـة

للذنب وارحم آبقـا

قد آب مرتعش الضمير

ندامة يبكـى

ومهجته بلوعتها تذوب

والقصيدة كلها على هذا النمط كل وحدة منها تكاد تكون جملة واحدة فى حين أن كل وحدة تتكون من عدد من التفاعيل العروضية من بحر الكامل " متفاعلن "

فالمقطع الأول يتكون من عشر تفاعيل

والثانى من تسعة

والثالث من عشرة ، وهكذا بقية المقاطع

ورغم هذا التنويع فى الوزن الا أن الشاعر لم يستغن عن توحيد القافية فى نهاية كل مقطع حتى لا تفقد قصيدته عنصرها الموسيقى .

وللشامى محاولة أخرى قد تكون أكثر تفلتا من قيود الوزن والقافية تتمثل هذه المحاولة فى قصائد عديدة من شعره نذكر منها على سبيـل المثال قصيدته " النور الشهيد " التى يقول فيها : (١)

(١) ديوان من اليمن ص ٢١٢ .

حطمت مصباحـــى

والليل يرزح تحت وطأته الوجود

وخنقت صوتى فى فمى

وصهرت لحنى فى دمى

وكسرت قيثارى

والكون يصغى للنشيد

ونحرت أحلامى الجميلة ، وارتميت على التراب

أبكى بلا دمـــع

وأنـوح بالصمت البليغ

وأريد سؤر الروح

فوق حطام آمال الشباب

وأذيب لحن الثكل فوق رفات أشلاء الرباب

ودعت أفراحـــى

والشمس تدلف للغروب

والبحر ساجى الموج . .

يسرهب ظلمة الليل العتيد

يهفو الى النور الجريح

ويودع الضوء الذبيح

والأفق في شفق الأصيل

نشوان كالحلم الجميل

فهنا نلاحظ أن الشاعر تحرك بكل مرونه في هذه المقاطع دون الالتزام بايقاعات موسيقى الشعر الرتيبة ماعدا السطرين الآخيرين من المقطع الثاني والثلث فقد التزم فيهما بالقافية في المقطع الثاني ، وبالقافية وتساوى عدد التفاعيل في المقطع الثالث ، وما سوى السطرين المذكورين من القصيدة فقد اتجه فيها الشاعر اتجاها موسيقيا جديدا عزف به - الى حد كبير - عن الأوزان والقوافي .

على أن الشاعر قد ظل في تصاعد مستمر نحو الجديد في قوالبه الموسيقية الى منتصف الستينيات تقريبا حتى بلغ مرحلة كبيرة من النضج الموسيقى الجديد - حسب مقاييس وموصفات شعراء هذا الاتجاه - بقصيدته الهجائية التي وضعها تحت عنوان " هادم " والتي يقول فيها (١) :

انى أكنى باسمه لا خشية

ولا احتراما لأناس آخرين

بل انني أحذر أن أخلده .. بلغتي !

(١) ديوان من اليمن ص ٢٣٥ .

أعنى بأن يظل اسمه . .

يدور باللعنة دهر الداهرين

لأنه لا يستحق أن أؤيده . . بغضبى !

وليس يرضى الشعر أن أمجده . .

بأن أخلد اسمه فى الآثمين

لأننى اعرفه لطخة عار .

قمامة تنفح فى جوف الديار .

وصمة فسق وضلال واندحار

بالوعة تفهق فى بيت تهار

وعفنا يرتع فى جسم دمار

ورغم أن القصيدة ليست على درجة عالية من الفن الشعرى من حيث التزام الشاعر مجموعة تفاعيل البحر الخليلى ، غير أنها لم تفقد عنصرها الموسيقى المؤثر نوعا من التأثير الذى ساعدت عليه القافية .

وغنى عن البيان أن نقول ان الشامى رغم خطواته المتقدمة فى المجال الموسيقى الجديد للشعر الحديث ، الا انه ظل طوال تلك الفترة يزاوج بين القصيدة الجديدة والقصيدة العمودية بل انه عدل مؤخرا عن الشعر الجديد وظل فى تراجع مستمر كما يقول الدكتور المقالح

" حتى أوقفه ذلك التراجع عند أوائل القرن الخامس الهجرى "[1] وهو يشير بذلك الى لزوميات الشامى التى بدأها مؤخرا والتى تعتبر تقليدا واضحا للزوميات أبى العلاء المعرى التى كان يستعين بها كما يقول الدكتور طه حسين على ازجاء ساعات الفراغ وتبديد أوقات الوحدة والعزلة عن الناس .

على أن هذه التجارب الموسيقية الجديدة بدأت تتكاثر وتتعمق فى الشعر اليمنى منذ مطلع الستينيات تقريبا ، وتمثلت فى جيل من شعراء اليمن فى هذه الفترة معظمهم من شعراء التيار الواقعى المذكورين فى المبحث الأول من هذا الباب .

ولعل من أبرزهم تجديدا فى مجال الموسيقى الشعرية محمد أنعم غالب ومحمد الشرفى وعبده عثمان وعبدالعزيز المقالح وعبدالعزيز نصر وعلى بن على صبره ومحمد سعيد الشيبانى وغيرهم من شعراء هذا الجيل .

ففى دواوين هؤلاء الشعراء الكثير من القصائد التى تمثل نوعا جديدا من الموسيقى منها على سبيل المثال قصيدة " ردفان والقرصان "[2] للشاعر عبده عثمان والتى يقول فيها :

(١) الشعر بين الرؤيا والتشكيل ص ٢١٤ .

(٢) ديوان مأرب يتكلم ص ٦٩ .

كانت الساعة لا أدرى

ولكن ..

من بعيد شدنى صوت المآذن

ذهل الصمت تداعت فى جدار الليل ظلمه

وتمطى فى دمائى حب شعب

ثم أقعى فى عروقى جرح أمه

وأطلت عشرات الأحرف الحمراء أسراب القوافى

مد بحر لا يحـــد

قاعة قلب ووجـــــد

صب فيه من زوايا الأمس حقد

والصدى أن حزين

أبدا لن يستريح

لم أسلها لم أقل من أى غاب قد أتيت

أى أنفاس حملت

كنت أدرى ما على ردفان يجرى

كنت أدرى

ان أخوانى وأهلى

أذرع تحتضن النور وأرواح تصلى

في لمريق الراية الخضراء والشمس الأسيره

وربيع ذات يوم كان في شبه الجزيرة

يملأ الدنيا شذاه وعبيره .

والقصيدة من بحر الرمل فالسطر الأول مكون من تفعيلتين

والسطر الثاني مكون من تفعيلة

والثالث مكون من ثلاث تفعيلات

والرابع من أربع تفعيلات ، وهكذا الى نهاية القصيدة كما نرى فلم يلتزم الشاعر عددا متساويا في تفاعيل كل بيت ،ومن هذا التنويع نشأ ايقاع موسيقي خاضع لتيار الشعر الجديد .

ويلاحظ أيضا أن الشاعر لم يكتف بتنويع الأوزان فقد حاول كذلك أن ينوع القوافي فتارة يرسل وتارة يأتي بقافية الدال وتارة ثالثة بالراء ورابعة بالتاء كما اتضح ذلك من الأبيات التي بين أيدينا وهذا تجديد موسيقي آخر في الشعر اليمني .

وقريب من هذا الايقاع الموسيقي قصيدة : " أين أيام هبـــن " للشاعر علي بن علي صبره نجتزئ منها هذا المقطع :(١)

(١) ديوان النغم البكر ص ٧٠ .

ها هو الليل الى مقبرة اللحن السحيقه

قد مشى يتبع آثار دموعى وأنينى

تحت أسداف الظلام الغارقه

فيها شجونى

لم يعد غير شظايا مهجتى عبر خلاه

وأنين جائع يفشر فاه

فوق صدر الليل .

والقصيدة من بحر الرمل وتفعيلاتها تتراوح بين أربع تفعيلات وثلاث وتفعيلتين ، كل ذلك تمشيا مع التشكيل الموسيقى للقصيدة الجديدة فى الشعر اليمنى ، وشعر التفعيلة عموما .

ويعد الشاعر محمد الشرفى من أبرز شعراء التجديد الموسيقى فى فترة الستينيات وله فى هذا النمط الشعرى مجموعة من القصائد نكتفى منها بقصيدة " من الطريق " والتى يقول فى مطلعها :[1]

يشتمنى وأشتمه

يلعننى وألعنه

وليس بيننا من قبل أن معرفة

(١) ديوان أغنيات على الطريق الطويل ص ٧٨ .

وان تعارفنـــا

تصافحنا ومد لى يده

ما ألطفـــه

ألثمها وألثمه

هذا أخى أحسه ألف أخى وأكبره

متى متى ؟ قلت له بالأمس انى أعذره

اذ أنظـــره

متى تعاد ينا ؟

متى تلاقينـــا ؟

ها اننى أصافحـه

كأنه ألف أخى

ألف صديق ألمحه

الى آخر هذه القصيدة المتماسكة كأنها جملة واحدة وهى من " مجزؤ الرجز " وقد اقتضاه التنويع الموسيقى الجديد توزيع التفعيلات بين تفعيلة وأربع تفعيلات كما نرى فى المقطع الذى بين أيدينا فالسطر الأول والثانى مكونان من تفعيلتين ، والثالث من ثلاث تفعيلات والرابع من تفعيلتين ، والخامس من ثلاث تفعيلات ، والسادس من تفعيله واحدة والسابع من تفعيلتين أيضا أما الثامن فمن أربع تفاعيل ، وهكـــذا الى نهاية القصيدة .

وللشاعر محمد سعيد الشيبانى مجموعة من القصائد معظمهـــا سلك بها هذا المسلك الجديد فى النغم الموسيقى .

(١)
فله " رسالة الى اليوت " و " ملاح بلا سفينة " ،و " هدهد من سبأ " وغيرها من القصائد المصوغه على هذا النمط الشعرى الجديد .

(٢)
ومن القصيدة الأخيرة " هدهد من سبأ " نقتطف هذا المقطع :

من حقل بنى أصبح

حتى تميد الجبال

من فوهة البركان يردى الصقيع

من " مأرب " حيث أنا .. لا يضيع

بشراك ياحقل فهذا الربيع

بشراك يارفى .. وبشرى القطيع

السهل .. أعشاب غطى الرمال

(١) ت . س . اليوت شاعر وناقد انجليزى من أصل امريكى تلقـــى علومه فى عدد من الجامعات الغربية تأثر به وقلده عدد مـــن لشعراء العرب يتميز شعره بالعمق والتعقيد ولغته الصعبـــة وموسيقاه الجديدة تعتبر مقالاته النقدية من أحسن ما كتب عن أدب القرن ١٧ ، ومن كتبه فى النقد " مقالات قديمة وحديثة " ومنها " فائدة الشعر وفائدة النقد " من مواليد ١٨٨٨م حصل على جائزة نوبل للأدب سنة ١٩٤٨ م توفى سنة ١٩٦٥م، نقده موضع اهتمام كثير من النقاد العرب المحدثين .
انظر ترجمته فى الموسعة العربية الميسره ص ٢١٤ .

(٢) شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجى ص ٣١٣ .

والزهر سـلّ النصال

يردى بصبـارى

والفجر يطرق بالضبا دارى

والقصيدة من الرجز وهى برؤيتها الواقعية ونغمتها الموسيقيـة وتوقيعها المنوع اضافة جديدة الى النماذج السابقة فى هذا المبحث . وتفاعيلها كما نرى فى هذا المقطع تتراوح بين تفعيلتين وثلاث تفاعيـل كما أن هناك تنويعا فى القافية بين العين واللام والراء .

ومعظم شعر الشيبانى من النمط الشعرى الجديد شكلا الواقعى مضمونا ، وقل أن تجد له قصيدة عمودية الشكل رومنسية المضمون علـى خلاف شعراء جيله الذين مزجوا بين الرؤيتين ، والشكلين ، كما مرّ معنا فى المباحث السابقة عند عدد من شعراء جيل الثورة كالمقالح والشرفى وعبده عثمان وغيرهم .

ولن نشغل فى هذه الدراسة الفنية للموسيقى الشعرية فى شعر اليمن المعاصر شاعرا ربما كان - فى تجربته الشعرية - أبرز شعـراء اليمن ممارسة لهذا النوع من الشعر وهو الشاعر عبدالعزيز المقالح ، على أن القارىء لمجموعته الشعرية سيجد أنماطا ثلاثة للشكل الموسيقى فـى شعره :

١ - شكل القصيدة العموديـة .

٢ ـ شكل قصيدة التفعيلة .

٣ ـ شكل القصيدة التى تجمع بين الشكلين العمودى والجديد .(١)

وقد شاركه غيره من شعراء اليمن فى الشكلين الأولين كما ذكرت أما الشكل الثالث فيكاد يختص به المقالح دون غيره وهذا ما نجده فى أكثر من قصيدة فى شعره كقصيدة " هوامش يمانية " و " تقاسيم على قيثارة مالك بن الريب " وغيرهما .

وهذا التنوع فى الأشكال الموسيقية للقصيدة اليمنية واضح الدلالة على سعة تصرف الشاعر اليمنى المعاصر ومهارته وقدرته على التطور وملاءمة الواقع .

فشاعرنا المقالح بدأ عموديا ثم تحول فى مرحلة تالية الى شعر التفعيلة ،وتتمثل هذه المرحلة فى ديوانه " مأرب يتكلم " فالقارئ لهذا الديوان لا يكاد يعثر على قصيدة عمودية واحدة ،وقد حمل فى مقدمة هذا الديوان على الشعر العمودى ووصفه بأنه معلق فى غير ما فضاء .

غير أنه تراجع عن هذا الموقف المتشدد فى ديوانه الثالث " رسالة الى سيف بن ذى يزن " ونعت رأيه السابق بأنه متصف بشئ من الشطط. ولهذا ضمن هذا الديوان مجموعة من القصائد العمودية لا تتجاوز السبع القصائد مثل " نحن والشعر " و " دميمه " و " عتاب " وغيرها .

(١) اضاءات نقد عن عبد العزيز المقالح لمجموعة من الكتاب العرب ص ١١٠ .

أما ديوانه الأخير " وضاح اليمن " فتتساوى فيه تقريبا قصائد الشعر العمودى مع قصائد شعر التفعيله .

ولن استطرد فى الحديث عن شعر المقالح فهذه كلمة موجزة كافية للحديث عن بعض نماذجه الشعرية فى هذا المجال والتى تمثل آخر ماوصلت اليه القصيدة اليمنية المعاصرة فى ميدان التشكيل الموسيقى .

ولنقف الآن عند بعض تلك النماذج لنختم بها هذا المبحث فى الشعر اليمنى المعاصر :

ففى ديوانه الثانى " سيف بن ذى يزن " مجموعة من القصائد أو الرسائل الموجهة الى سيف وكلها تمثل هذا الايقاع الموسيقى لتيار الشعر الجديد ، ومن رسالته الأولى نجتزئ هذا المقطع :(١)

حديث الحب

موالا من الأشوق

صنعنا منك يا انساننا المصلوب فى الآفاق

وفى الأعماق

حفرنا رسمك المشنوق

فى الأحداق

(١) ديوان " رسالة الى سيف بن ذى يزن " ص ٢٨٤ من مجموع دواوين الشاعر .

وفى أفواهنا مازلت أسطورة

وفى تاريخنا

فى جيلنا تتوهج الصورة

وننتظـر

وأشرعة النهار على الجبال الريد تتكسر

وتحتضـر

الى نهاية القصيدة ،وهى من الوافر وتتراوح تفاعيلها بين تفعيلة كما فى السطر الأول والرابع وتفعيلتين كما فى السطرين الثانى والخامس وثلاث تفاعيل كما فى السطر السابع وأربع تفعيلات كما فى السطر الثالث وهكذا تمضى القصيدة مضفية نمطا موسيقيا جديدا على القصيدة العربية ذات التفاعيل العروضية المعروفة .

وفى ديوانه " لابد من صنعاء " كثير من هذه القصائد ذات الشكل الموسيقى المتنوع ،نأخذ منها هذين المقطعين من قصيـــدة " الشاعر الشهيد " (١) :

ليضحك الكهف من الأعماق

لتفقأ المدينة العابثة الأحداق

فما الذى سوف نرى بعدك غير الليل

(١) ديوان " لابد من صنعاء " ص ٦٣ .

غير اليأس

غير مرارة الاخفاق

بعدك لن نذوق الأمن والنعاس

لترحل الطيور من أوكارها بحثا عن الربيع والزهور

فى غابة أخرى

غابتنا ليس بها سوى القبور

منثورة

تنقشها الرياح فوق الطين والصخور

بعدك كل شىء سرّ

الناس والأشعار والحياة

وكل نغمة على سمائنا تمر

ياشاعر الثورة والمأساة

الشاعر المخاطب هو الأستاذ الشهيد محمد محمود الزبيرى ولم يلتزم الشاعر هنا بعدد محدد من التفعيلات فى السطر الواحد بل وزعها بين السطور بأعداد مختلفة قد تكون واحده وقد تصل الى أربع تفعيلات من بحر .

وبهذه التفعيلات العروضية استطاع الشاعر أن يحتفظ بوحدة النسق الموسيقى لقصيدته اضافة الى التجديد الشكلى الذى نراه فى هذه القصيدة .

والحق أن الحركة الشعرية المعاصرة فى اليمن قد نمت نمـــوا جيـدا فى هذا المجال حتى كان هناك أعداد من الشعراء لم أتمكن من ذكرهم أو ذكر بعض نماذجهم ، نذكر منهم على سبيل المثال يوسف الشحارى وعبدالله عمران وحسن اللوزى وزكى بركات وآخرين .

وكل واحد من هؤلاء يستحق دراسة مستقلة لابراز بعض تجديداته الموسيقية والفنية عموما ، غير أن ميل هؤلاء أو معظمهم الى قصيـــدة " النثر " وهى - كما نعلم - تفقد عنصرا هاما من عناصر الشعـــر وهـــو الموسيقى .

ميل هؤلاء الى هذا النمط الشعرى هوالذى جعلنى أهتـــم بمن هم أولى فى هذا المجال عناية بموسيقى الشعر ، لا يعنى هـــذا انعدام النغمة الموسيقية فى جزء من قصائد هؤلاء الشعراء ، ان لهم الكثير من ذلك النوع الشعرى لكنه لم يجمع بعد فى دواوين لكى يسهل الرجوع اليه والافادة منه عند الحاجة .

واذا كان جيل من الشعراء قد خرج - فى بعض شعره أو معظمه - عن التشكيل الموسيقى للقصيدة العربية العمودية فان هذا الخـــروج لا يعد عيبا عند كثير من النقاد بشرط أن يتمكن الشاعر من استيعـــاب العناصر الجمالية للشعر ، وألا يغفل الغنائية ذلك العنصر المتحـــرك داخل التجربة الشعرية وعبر تخومها الفنية .

وعلى هذا فلم يعد التشكيل الموسيقى - فى نظر معظم النقاد المعاصرين - سواء اعتمد على وحدة البيت أو وحدة التفعيلة لم يعد هذا التشكيل يشكل عائقا فى طريق الشاعر وهو يعالج مشكلات مجتمعه وأوضاعه وهمومه ، وبامكان القصيدتين العمودية والجديدة - كما قلنا - أن تسيرا جنبا الى جنب فى أى مجال شعرى دون صراع أو تناقض أو التفات الى أى اعتبارات أخرى .

* * *

* *

*

مُلحَق التَرَاجم

" ملحق التراجم "

وفيه

" تراجم الشعراء اليمنيين "

" مرتبة أسماءهم حسب تسلسل الحروف الهجائية الألفبائي "

" ملحـق التراجم "

في هذا الملحق سأعرض تراجم موجزة لشعراء اليمن القدماء والمحدثين الذين وردت أسماؤهم في الرسالة .

وسوف أرتبهم حسب الحروف الهجائية بصرف النظر عن العصور التي عاشوا فيها .

وبالنسبة للشعراء القدامى الى ماقبل عصر النهضة سوف أذكر مصادر ترجمة كل منهم عقب ترجمته مباشرة .

أما الشعراء المعاصرون فمصادر تراجمهم محدودة ومحصورة في المصادر التالية :

الأعلام للزركلي ، تاريخ الشعر العربي الحديث لأحمد قبش ، الأبعاد الموضوعية والفنية للمقالح ، من الأدب اليمني للشامي ، شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجي ، مصادر الفكر العربي الاسلامي للحبشي ، رحلة في الشعر اليمني للبردوني ، الشعر بين الرؤيا والتشكيل للمقالح ، مع الشعر المعاصر في اليمن للشامي . مجلة العربي الكويتية عدد يناير ١٩٨٢م ، الشرق الأوسط لعام ١٩٨٤م في أعداد متفرقة في سلسلة دراسات للشامي ، صحيفة ٢٦ سبتمبر ، مجلة اليمن الجديد ، مجلة الوطن اليمنيتان .

وسأكتفي بهذا السرد المختصر لمصادر تراجمهم منعا لتكرار هذه المصادر عقب كل ترجمة .

* *

١ - الحضرانـــى :

ابراهيم بن احمد الحضرانى شاعر قحطان ،ولد فى حضران من أعمال ذمار سنة ١٩١٨م تلقى تعليمه الدينى والأدبى فى ذمار عن طريق المجهود الشخصى .

وهو من بيت علم وأدب ، فأبوه احمد الحضرانى شاعر وراوية .

اشترك الحضرانى فى ثورة ابن الوزير عام ١٩٤٨م فاعتقل ثـــلاث سنوات وله قصائد متعددة فى تلك الثورة وفى سجنائها وشهدائها كما أن له كثيرا من الشعر العاطفى .

غير أن شعره لم يجمع فى ديوان حتى هذه الآونـه .

عمل الحضرانى بعد ثورة سبتمبر ١٩٦٢م نائبا لوزارة الأعلام .

* *

٢ - ابراهيم بن الجـدّويـه :

شاعر له مكانته وشهرته بين شعراء اليمن فى أواخـر القـرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجرى ،وقد اختلف فى ضبط لقبه فضبطه الهمدانى فى مؤلفاته بابن الجـدّريه بتشديد الـــدال وفتح الواو ،وسماه ياقوت فى معجم البلدان ابن الحدويه بالحاء المهملة والباء ووافقه احمد عالح ابو الرجال فى مطلع البـــدور وسماه ابراهيم بن محمد بن الحدويه الصنعانى الشاعر .

والحدوهه بيت معروف فى اليمن يقال لهم " فرس العـــدن "
كما ذكر الشامى فى دراسته المنشورة مؤخرا فى صحيفة الشـــرق
الأوسط ، وابراهيم صنعانى المنشأ والمولد وعاش فترة من حياته
فى صعده فى كنف الناصر بن الامام الهادى وعاصر الهمدانـــى
صاحب الاكليل ،وكان عصره عصر ازدهار الشعر العربـــى فى
العراق والشام اذ عاصر المتنبى وأبا فراس وأضرابهما ،وقال عنه
الهمدانى فى الاكليل كان أشعر زمانه ،وقال عنه فى صفة جزيرة
العرب " كان مطبوعا فى الشعر وكان فى الرجز أبرع وكان ربمـــا
يشابه فى بعض مذهبه مذهب الكميت يعنى فى التشيع .
" انظر الاكليل ١/ ٤٤١ ،وصفة الجزيرة ص ٨٧ "

٣ - ابراهيم بن صالح الهندى :

شاعر يمانى صنعانى أصله من الهند ،قال الشوكانى كـــان
أشعر أهل عصره غير مدافع ،كان منذ صغره مشغوفا بالأدب
والشعر ،ومدح أكثر معاصريه من الحكام والأمراء ،ولما آلـــت
الخلافة الى المهدى صاحب المواهب (١) ، وفد عليه لكن المهـــدى

(١) هو محمد بن احمد بن الحسن بن القاسم المعروف بصاحـــب
المواهب أحد حكام الدولة القاسمية فى اليمن فى مرحلتهـــا
الأخيرة ،كان مغامرا شجاعا جبارا أخمد عددا من الثـــورات
ضد الدولة القاسمية توفى سنة ١١٣٠هـ .

لم يكن يرتاح له ،فقال له : بأىّ شفيع جئت فقال بهذا وأخرج المصحف ،فقال المهدى قد قبلنا هذا الشفيع ،ولكن لا أراك بعد اليوم ،فتغيب عنه من ذلك اليوم ولازم العباده والتزهد له ديوان شعر فى مجلد ضخم كما يقول الشوكانى ،وله أيضا كتاب براهين الاحتجاج ،مفاخرة بين القوس والبندق ، ولد بصنعاء وتوفى بها سنة ١١٠١ هـ ،وقبره بالروضه من اعمال صنعاء رحمه الله .

" انظر البدر الطالع للشوكانى ١٦/١ والأعلام ٤٣/١"

* * *

٤ - ابراهيم بن قيس الحضرمى :

هو أبو اسحاق بن ابراهيم بن قيس بن سليمان الهمدانى ولد فى حضرموت وتبحر فى علوم الأباضيه حتى صار من أئمتهم واستمان بالخليل بن شذان امام الأباضيه بعمان فاعانه بجند ومال فاستولى على حضرموت باسم الخليل فأقامه الخليل عاملا عليها ، وكان شجاعا أديبا شاعرا له مصنفات منها :

" مختصر الخصال " مطبوع ،وله ديوان شعر بعنوان " السيف النقاد " مطبوع أيضا .

توفى حوالى سنة ٤٧٥ هـ .

" انظر الأعلام للزركلى ١/ ٥٨ ، ومصادر الفكر العربى الاسلامى فى اليمن للحبشى ص ٣١٤ ، وعصر الدول والامارات لشوقى ضيف ص ١٧٤ ومابعدها ، وفيه يصف د . شوقى الشاعر بأن الشعر سال على لسانه مبكرا مما جعله يخلف ديوانا يصور فيه حياته وأحداثها تصويرا تاما ولم يجزم بتحديد تاريخ وفاة الشاعر ورجح أنه توفى فى منتصف القرن الخامس الهجرى "

* * *

٥ - الشهابى :

ابراهيم بن كنيف الشهابى

شاعر اسلامى عاش فى صدر الاسلام اشتهر بأبيات له أولها :

تعزّ فان الصبر بالحر أجمل ". وليس على ريب الزمان معوّل

وقد ذكرناها فى موضعها من هذه الرسالة ولم أعثر على ترجمة مطوله للشاعر فقد ذكره الهمدانى فى الأكليل أثناء حديثه عن أنساب بنى شهاب ١/ ٢١٧ ولم يترجم له .

وذكره ياقوت فى معجم البلدان مادة " حقل " واستشهد له وأختار له أبو تمام الأبيات التى مطلعها البيت السابق ، ديوان الحماسه شرح التبريزى ١/ ٨٨ ، ولم يشر الى شىء من أخباره .

وهو عند ياقوت وأبى تمام " النهبانى " بدلا من الشهابى وهذا تحريف نبه عليه المحقق محمد بن على الأكوع فى تحقيقه للجزء الأول من الأكليل ص ٢١٧ وقال " ماذكره الهمدانى فهو الصواب " .

* * *

٦ - أبو السمط الفيروزى :

من مشاهير شعراء صنعاء وعلمائها ، قال عنه الهمدانى شاعر مغلق وفد على المهدى ممتدحا فقبل مدحته ، ومدح البرامكه وصار من أنصارهم ، فاقتطعوا له من المهدى أموالا بصنعاء وعقارا .

وقد أثبت الهمدانى مرثيته فى احد أجزاء الأكليل كما ذكر ذلك فى صفة جزيرة العرب ، ولعل المرثية التى أشار اليها الهمدانى فى الأجزاء المفقودة من الأكليل اذ أنها غير موجودة فى الأجزاء المطبوعه منه ، وهى من أحسن قصائد الشاعر كما يقول الهمدانى .

" أنظر صفة جزيرة العرب ص ٨٦ ، ومصادر الفكر العربى الأسلامى لعبد الله محمد الحبشى ص ٣١٣ "

* * *

٧ - الأجدع الهمداني :

هو الأجدع بن مالك بن أمية بن جعفر بن معمر فارس همدان وشاعرها في عصره .

وفي تاج العروس الأجد بن مالك بن أميه بن عبدالله بن مر ابن سليمان بدلا من جعفر ،شاعر جاهلي وابنه مسروق بن الأجدع التابعي الشهير الذي سماه عمر بن الخطاب رضي اللهعنه مسروق بن عبدالرحمن .

" انظر ترجمته في : الأكليل ١٠/ ٧٦ ،تاج العروس مادة جدع ، الاعلام للزركلي ١/ ٨٤ " .

* * *

٨ - احمد الحضراني :

عالم وشاعر وراوية من مواليد ذمار ،ولا يعرف تاريخ مولده الا أن عمره الآن يزيد على ١٣٠ سنة عاصر السلطان عبدالحميد وأواخر الخلافة العثمانية ،قاتل مع الامام يحي ،ثم مع الملك عبدالعزيز آل سعود ،وشهد الحرب العالمية الأولى .

يحفظ كثيرا من أشعار القدامى والمحدثين .

يعيش الآن في مدينة الطائف في المملكة العربية السعودية .

* * *

٩ - حنبـــله :

أدريس احمد حنبله شاعر بارز من مواليد ١٩٢٢م بالتواهى بعدن ساهم فى عدد من الأعمال وتقلد عدة مناصب بعـــــد الاستقلال ،وشارك فى الحركة الوطنية مع الأستاذ عبداللـــــه الأصنـــج زعيم الحركة الوطنية آنذاك ،دخل السجن أكثر من مره فى عهد الاستعمار البريطانى عمل بعد ذلك فى حقل التعليم.

من دواوينه المطبوعة :

١ - أغاريد وأهازيج صدر سنة ١٩٦٧م.

٢ - حكايات الصحاب ، صدر سنة ١٩٧٠م.

١٠- المرونـــى :

احمد حسين المرونى من مواليد سنة ١٩٢٢م تلقى تعليمه الثانوى فى اليمن ثم سافر الى بغداد وتلقى علومه العسكرية فى كليتها الحربية ،تخرج منها عام ١٩٣٧م ثم عاد الى اليمـــن واشترك فى الحركة الوطنية وانتقل الى عدن مع أبرز شخصياتهـا وشارك هناك فى العمل الوطنى المناهض للامامة فى الشمـــال والاحتلال فى الجنوب اعتقل فى سجن حجة عدة سنوات عقـب فشل حركة ١٩٤٨م ١٣٦٧هـ.

ولما عادت المياه الى مجاريها خرج من السجن ،وفى عـام ١٩٥٦م شغل منصب مدير الاذاعة فى صنعاء ،وكان أول وزيـر

للاعلام والثقافة بعد الثورة عام ١٩٦٢م ،عين في بداية السبعينيات سفيرا لليمن في بغداد ثم وزيرا للتربية والتعليم والأوقاف ثم سفيرا في الامارات العربية المتحدة ،يشغل حاليا منصب رئيس مركز البحوث والدراسات اليمنى التابع لجامعة صنعاء .

* * *

١١ - الوريث :

احمد عبد الوهاب الوريث عالم وأديب وصحفي وشاعر كان أبوه من أهل ذمار وولي القضاء بيريم ،وانتقل الى صنعاء وأقبل على الأدب فكان رئيس تحرير مجلة الحكمة اليمانية بين عامي ١٩٣٤ - ١٩٤٠م وكتب فيها مقالات كثيرة ،وتوفي شابا في صنعاء عام ١٩٤٠م ،له مجموعة من القصائد لم تجمع في ديوان كان صريحا شجاعا قوي الحجة مناضلا .

* * *

١٢ - أحمد الزنمة :

أحمد بن احمد الأفسي المشهور بالزنمه شاعر مشهور نشأ بصنعاء ،كان حاد الطبع سريع الانحراف ،مدح المهدي صاحب المواهب ،وجرت له معه خطوب فلحق بمكه ومدح أميرها الشريف احمد بن غالب ،واجتمع هناك بجماعة من أدباء عصره من مصر

والشام والحجاز وجرت بينهم محاولات فحاز الزنمة قصب السبق على شعراء عصره بقصيدته المشهورة التي مطلعها :

الا حيّ ذاك الحيّ من ساكني صنعا
فكم أحسنوا بالنازلين بهم صنعا

قال الشوكاني وشعره تارة يكون في أعلى طبقة وتارة يكون سافلا توفي سنة ١١١٩ هـ .

" أنظر البدر الطالع ١/ ٣٦ ،وترجم له الحبشي في مصادر الفكر ص ٣٣٩ ،وذكر أنه اتهم أثناء مكثه في مكه بالزندقه وحاولوا قتله ففر عائدا الى اليمن كما أشار الى أن الزنمه له ديوان شعر مخطوط في جامع الغربيه بصنعا تحت رقم ٩٨ أدب .

* * *

١٣ - المعلمي :

احمد بن عبد الرحمن المعلمي شاعر بارز وطنيا وفنيا ولد سنة ١٣٣٧ هـ ١٩١٩ م في بيت فقه وعلم وأدب ،وكان يتنقل بين بلده عتمه وريان للحصول على العلم هناك ،ورشف من كبار علماء اريان وعلى رأسهم القاضي يحي بن محمد الاريانى .

ثم هاجر الى صنعاء حيث اختلط بكبار علمائها وأدبائها وشعرائها كالأمير والمطاع والعزب وغيرهم .

سيق الى سجن حجة سنة ١٩٤٤م ضمن مجموعة من الأحرار وبعد خروجه انضم الى مجموعة الأحرار في تعز .

اشترك في حركة ١٩٤٨م - ١٣٦٧هـ فسجن بعدها ردحا من الزمن ثم خرج ، شارك في بعض الأعمال بعد ثورة ١٩٦٢م وأخيرا هجر البلاد وعاش في المنفى حيث يعيش الآن في سوريا .

له شعر جم ولكنه لم يجمعه في ديوان الى الآن .

* * *

١٤ - القاضي احمد بن لطف الزبيري :

العلامة البليغ مولده بصنعا سنة ١٢٣٣ هـ وبها نشأ وأخذ العلم عن كبار علمائها حتى صار عالما محققا وفهامة بارعا عارفا نقادا شاعر بليغا تولى القضاء في عدة جهات من اليمن ، له أشعار كثيرة معظمها جيد ولم تجمع في ديوان حتى اليوم .

ذكره زباره في نيل الوطر ١/ ١٧٢ وأطال في ذكر أشعاره وأخباره .

* * *

١٥ - الشامي :

احمد محمد الشامي ، شاعر وأديب وسياسي ، ولد في مدينة الضالع عام ١٩٢٤م ١٣٤٢هـ نشأ يتيما وذاق مرارة التشرد وجوى الهجران ، سكن صنعاء وتعلم في مدارسها وشارك في الكتابة

فى مجلة الحكمة ثم أنشأ البريد الأدبى ، مجلة خطية ، هاجر الى عدن ضمن الأحرار وشارك فى كتابة " الميثاق المقدس " قبيل حركة ١٩٤٨م ١٣٦٧هـ ، كان من أبرز رجال الحركة ، اقتيد بعد فشلها سجينا الى حجه وسجن هناك خمس سنوات ثم أفرج عنه وعاش فى ظل الأمامه بعد ذلك ، كان ممثل اليمن فى مجلس الأتحاد بين مصر وسوريا واليمن عام ١٩٥٨م ثم نقل بعد ذلك وزيرا مفوضا لليمن فى بريطانيا . عين وزيرا للخارجية فى حكومة البدر بعد الثورة وأثناء الحرب الأهلية وبعد المصالحة الوطنية عين عضوا فى المجلس الجمهورى فى حكومة الثورة لكنه اعتزل السياسة بعد ذلك وتفرغ للأدب والشعر ، له أثار كثيره فى الشعر والأدب والنقد من أشهرها فى مجال الشعر :

(أ) ١- النفس الأول ، ٢ - ومن اليمن ، ٣ - وهنات الخمسين ٤ - ولزوميات الشعر الجديد ، ٥ - ومع العصافير فى بروملى - دواوين شعرية .

(ب) وفى مجال الدراسات الأدبية صدر له :

١ - قصة الأدب فى اليمن ، ٢ - من الأدب اليمنى ، ٣ - مع الشعر المعاصر فى اليمن .

وغيرها وهو الآن يمكف على اخراج معجم لشعراء اليمن جميعا القدامى والمحدثين .

* * *

١٦ - ابن فليته :

هو احمد بن محمد بن على بن فليته ، من أكابر أدباء وشعراء العصر الرسولى ، تولى كتابة الانشاء فى هذه الدولة وبرع فى أكثر من اتجاه أدبى ، له ديوان يقع فى مجلدين ضخمين الأول فى الشعر الفصيح والثانى فى الشعر الحميني ، ذكره الحبشى وقال ان منه نسخة مبتوره فى الكلجامع الكبير بصنعاء ومصورة فى دار الكتب فى القاهرة . توفى سنة ٧٣١ فى زبيد

" انظر: حياة الأدب اليمنى فى عصر بنى رسول ص ١٣٢ ، ومصادر الفكر العربى الاسلامى فى اليمن ٣٢٣

وكلاهما للحبشى .

* * *

١٧ - المطاع :

احمد المطاع عالم وأديب وفارس ، علم من أعلام التاريخ ، ولد سنة ١٣٢٨ هـ ١٩٠٩ م نشأ بصنعاء وتعلم بها وطاف مع مفرزته العسكرية كل أصقاع اليمن واتصل بمعظم رجالاتها البارزين ، كان مهاب الطلعة شجاعا مستنير الفكر ، أحاط بعلوم زمنه الكونية والعربية ، استوعب التاريخ والتفسير ودواوين الشعر ، كان دائرة معارف ، خلف الوريث فى تحرير مجلة الحكمة ، تعرض للسجن مرارا وكافح وقاسى وصابر ، سيق الى المعتقل بعد فشل حركة ١٩٤٨م ثم أعدم فى حجه فى العام نفسه ضمن قافلة الشهداء .

* * *

١٨ - ابن المقرى :

هو اسماعيل بن أبى بكر بن عبدالله المعروف بابن المقرى عالم وشاعر أشهر علماء اليمن فى عصره ولد سنة ٧٥٤ هـ فى زبيد تفقه فى العلوم الشرعية والعربية ونبغ فى الفقه والنحو والشعر فاق أهل عصره واشتهر ذكره ، فأقبل عليه الحكام وجعلوه من جلسائهم ودرس بالمدرسة المجاهديه بتعز والنظامية بزبيد فأفاد واستفاد ، ألف كتبا عديدة من أشهرها " عنوان الشرف " وقد التزم أن يخرج فيه عدة علوم غير العلم الذى ألف فيه وهو الفقه ومارس الشعر وبرع فيه فأقبل عليه ملوك اليمن وصار له عندهم حظ .

له شعر جم ومعظمه شعر جيد ، توفى سنة ٨٣٧ هـ .

ذكره الخزرجى فى العقود اللؤلؤيه ٢/ ٣١٨ وذكر بعضا من شعره وترجم له السخاوى فى الضوء اللامع ٢/ ٢٩٢ ، والسيوطى فى بغية الوعاة ١/ ٤٤٤ ، والشوكانى فى البدر الطالع ١/ ١٤٢ وفيه يقول الشوكانى : " والحاصل أنه امام فى الفقه والعربية والمنطق والأصول وذو يد طولى فى الأدب نظما ونثرا .

* * *

١٩ - السيد الحميرى :

السيد لقبه واسمه اسماعيل بن محمد بن يزيد بن الربيعة بن المفرج الحميرى ، فابن المفرج الشاعر المشهور جده وأمه من الأزد وأبوه من خولان ، كما سيأتى فى ترجمة جده .

وكان شاعرا متقدما كما يقول الأصفهانى " مطبوعا " يقال ان أكثر الناس شعرا فى الجاهلية والاسلام ثلاثة ، بشار وأبو العتاهيه والسيد ".[1]

وانما مات ذكر السيد وهجر الناس شعره لأفراطه فى سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه وتشيعه الشديد للعلويين .

ولولا ذلك لكان أبعد شأوا فى الشعر ولهذا يقول الأصفهانى : " وله طراز من الشعر ومذهب قلما يلحق فيه أو يقاربه "[2] وقد سبقت الاشارة الى ذلك عن الحديث عن الشعر العباسى فمعظم شعر السيد تشيع ولعل أطول قصائده الشيعيه القصيدة المشهورة " بالمذهبه " ولهذا عنى بها الشيعة وشرحوها مرارا ومطلعها :

أين التطرف بالولاء وبالهوى .. أ الى الكواذب من بروق الخلّب

وكان يعرف كيف يوازن بين جزالة شعره وعذوبته ، وظل على ذلك حتى توفى سنة ١٧٣ هـ .

" أنظر الأغانى ٧/ ٢٢٩ ومابعدها ، وديوان السيد جمع هادى شاكر " المقدمة " وحديث الأربعاء ٢/ ٢٣٩ ، والعصر العباسى الأول لشوقى ضيف ص ٣٠٩ ومابعدها .[3]

* * *

(١) الأغانى الجزء السابع ص ٢٩ - ٢٣٠ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) وقف المتأخرون من نسبه مواقف متضاربه فلم يشك طه حسين ولا هادى شاكر فى نسبه العربى بينما يرى الدكتور شوقى ضيف بأنه يرجع الى أصول ايرانية . أنظر المراجع المذكورة فى الأصل .

٢٠ - بكر بن مرداس :

لم أعثر له على ترجمه ولم يزد الهمدانى فى صفة الجزيرة على أن أورد القصة التى ذكرناها عند الحديث عن الشعر اليمنى فى العصر العباسى .

" صفة جزيرة العرب ص ٨٤ " .

* * *

٢١ - جعال بن عبد :

هو جعال بن عبد بن ربيعة بن جشم بن حرب ، قال الهمدانى فى الاكليل ١/ ٢٥٣ " كان مكينا عند تبع وملكه على بكيل وله أخبار عجيبة يطول ذكرها " . وقد ذكر شيئا من أشعاره .

وذكره الشامى فى قصة الأدب فى اليمن ص ٢٨٨ ، نقلا عن الاكليل .

* * *

٢٢ - الهمدانى :

الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف الهمدانى المعروف بابن الحائك ، ولم يكن أبوه حائكا ولا أحد من أهله ولا فى أصله وانما كان هذا لقبا لمن يشتهر بقول الشعر وحياكته .

قال السيوطى فى بغية الوعاه : هو الأوحد فى عصره الفاضل على من سبقه ، المبرز على من لحقه ، لم يولد فى اليمن مثله علما

وفهما ولسانا وشعرا ورواية وفكرا واحاطة بعلوم العرب .

وقال القفطى فى " أنباه الرواه " يصف الهمدانى هو " نادرة زمانه وفاضل أوانه الكبير القدر الرفيع الذكر صاحب الكتب الجليلة والمؤلفات الجميلة ،لو قال قائل : انه لم تخرج اليمن مثله لـــم يزل - أى لم يخطأ - كان عالما بالعربية والفقه وعلوم الشريعـــة بأنواعها اضافة الى احاطته بعلوم الأنساب والتاريخ والطـــب والنجوم وغيرها .

ولد الهمدانى بصنعاء ونشأ بها ثم رحل الى مكه وسكث فيها دهرا ثم عاد الى صعده وحصل بينه وبين شعرائها خلاف وتهاج فوشوا به الى حاكمها فسجنه حتى مات سنة ٣٣٤ هـ .

له مصنفات كثيرة من أشهرها الأكليل ومعظمه مفقود ،وصفة جزيرة العرب مطبوع ،والقوس والحيوان والأيام ،وله ديوان شعر كبير مفقود ،وله أيضا دامغة الدوامغ النونية المشـهورة المكونـــه من اكثر من ستمائة بيت ، وهى مطبوعه ومحققه .

" انظر فى ترجمته : كشف الظنون ١٤٤/١ ،وبغية الوعـــاه للسيوطى ٤٩٨/١ ،وانباه الرواة على أنباه النحاه للقفطـــــو ٢٧٩/١ ومابعدها ،ومعجم الأدباء لياقوت ٢٣٠/٧ ،وانظـر أيضا مقدمتى الأكليل ،وصفة جزيرة العرب للمحقق محمد بن علـى الأكوع .

* * *

٢٣ - الهبـل :

الحسن بن على بن جابر المعروف بالهبل شاعر مكثر ومجيـد ولد سنة ١٠٤٨ هـ اشتغل بالعلوم والأداب حتى برع ،وبرز فى الشعر أكثر من غيره ،وله ديوان شعر فائق وسحر حلال رائق فى كل معنى مليح كما يقول المحبى (١) ،وجارى الشعراء فى جدهـم وهزلهم وفى رقتهم وجزالتهم .

وقال الشوكانى له شعر يكاد يسيل رقة ولطافه وجودة سبـك وحسن معان وغالبه الجودة ،توفى شابا لم يتجاوز الحـاديـة والثلاثين من عمره ،فقد توفى سنة ١٠٧٩ هـ .ولو طال به العمر لكان له شأن .

أنظر خلاصة الأثر ٢/ ٣٠ لمحمد المحبى وقد ذكر شيئا من قصائده ،والبدر الطالع للشوكانى ١/ ١٩٩ ،والأعلام ٢/ ٢٠٥ .

* * *

٢٤ - الـذارى :

هو حسن بن يحى الذارى من مواليد منطقة الهجرة لـواء اب سنة ١٩٣٥م وهو من بيت علم وأدب وفضل ،ابوه يحـسـو الذارى من كبار علماء اليمن فى زمانه ،حفظ القرآن ،وقرأ السير

(١) فى خلاصة الأثر .

والفقه وعلوم اللغة فى مدرسة دار العلوم والجامع الكبير بصنعاء وحصل على اجازة علمية عودلت بعد ذلك " بليسانس " الجامعة الأزهرية ،كان له منح ودراسات متعددة فى القاهرة ، فدرس بمعهد الدراسات العربية العالية ،وبمركز تنمية المجتمع ومركز التدريب التعاونى ،وحصل على دبلوم فى الخدمة الاجتماعية وآخر فى الادارة العامة ،كان من صغره مولعا بالدراسات الأدبية والاسلامية ،بدأ يمارس الشعر منذ السادسة عشره من عمره ، وشعره متفاعل مع قضايا اليمن والأمة الاسلامية عامة ، تقلب فى عدة مناصب ادارية ،يعمل الآن مديرا للادارة الفنية فى المعاهد العلمية ،له ديوان شعر مطبوع بعنوان " من صرخات الايمان " ولا يمثل شعره كله ،فله قصائد مخطوطه كثيرة .

* * *

٢٥ - ابن القـــم :

هو الحسين بن على بن محمد المعروف بابن القم من شعراء اليمن المعدودين فى القرن الخامس ،كان من الشعـــــراء المكثرين والمجيدين ،ولد بزبيد وتخرج على فضلائهـا كـان أديبا كاتبا شاعرا من أفاضل اليمن المبرزين فى النظم والنثـر والكتابة رزق الحظوه فى الشعر حتى تقدم من سواه ،له ديوان شعر محفوظ فى المتحف البريطانى تحت رقم ٤٠٠٤ ، أورد

العماد الأصفهانى فى الخريدة وعمارة اليمنى فى المفيد كثيرا من أشعاره ، كان أهل اليمن يعدونه كالمتنبى فى الشام والعـــراق وكان مترسلا ومن رسائله الرسالة التى كتبها الى أبى حمير سبأ ابن أبى السعود احمد بن المظفر بـــن على الصليحى ذكرهـا ياقوت فى معجم الأدباء .

تيقظت موهبته الأدبية مبكرة فكان كاتبا فى دواوين الصليحية وشاعر من شعرائهم فى سنة ٤٥٨ هـ .

على أننا لم نعرف تاريخ مولده ولا تاريخ وفاته بشكل دقيق لكنه من الواضح من خلال قصائده أنه عاش فى القرن الخـامس الهجرى ، وقد اضطرب المؤرخون فى وفاته فذكر ياقوت فى معجم الأدباء أنه توفى سنة ٥٨١ هـ وذكر الزركلى أنه توفى سنة ٤٩٠ وهذا أقرب للصواب .

" انظر الخريدة ٣/ ٧٤ ومابعدها للعماد الأصفهانى ، والمفيد فى تاريخ صنعاء وزبيد لعمارة اليمنى ص ٢٤٠ ومابعدها ومعجم الأدباء لياقوت ١٠/ ١٣٠ ، والأعلام للزركلى ٢/ ٢٤٦ ، ومصادر الفكر العربى الاسلامى فى اليمن للحبشى ص ٣١٥ ، وعصر الدول والامارات لشوقى ضيف ص ١٤٧ ومابعدها .

* * *

٢٦ - حسين محمد البار :

شاعر من خضرموت من أسرة عريقة ومعروفة بالعلم والثقافة ،ولد عام ١٩١٩م وتلقى دراسته الأولى فى المعهد الدينى فى بلده ثم عكف على تثقيف نفسه وعمل مدرسا ، وشعره صورة لحياته ،له ديوان شعر بعنوان " من أغانى الوادى " صدر عام ١٩٥٤ م ذكره هلال ناجى ولم أطلع عليه ، توفى الشاعر عام ١٩٦٤م ، " أنظر شعراء اليمن المعاصرون ص ٢٧٧ ،والابعاد ص٢٧٢ ، وملحق جريدة المدينة السعودية " الأربعاء " عدد ١٨ تاريخ ٢٠/٨/١٤٠٣ هـ " .

* * *

٢٧-٢٨- الخطاب وسليمان ابناء أبى الحفاظ :

كان الحسن بن أبى الحفاظ الحجورى الهمدانى حاكما على وادى الجريب ومدينته فى اقليم حجور ،وكان من رجال الدولة الصليحيه ،وتوفى الحسن فى أوائل القرن السادس الهجرى وكان له ابنان ، سليمان والخطاب ،وخلفه على حكم الجريب ابنه الأكبر سليمان ،ودان له أخوه الخطاب بالطاعة والولاء ثم نشب الخلاف بين الأخوين بفعل الوشاة ودب النزاع بينهما حتى انتهى بحرب ضروس انتهت سنة ٥١٤ هـ بغلبة الخطاب على أخيه بمساعدة الملكة أروى بنت احمد وكانت آنذاك على رأس الدولة الصليحية .

وكان بينها وبين الخطاب صلات عقديه فكل منهما كان يدين بالولاء للفاطميين وكان سليمان سنيا .

وقد استدرجه الخطاب حتى أمن جانبه وعاد اليه ولم يمهله حتى قتله غدرا سنة ٥٣٠ هـ وقد عاجلت المنية أيضا الخطاب سنة ٥٣٣ هـ .

وكان الأخوان شاعرين ولكل منهما ديوان ،وقد اشتهرا بالفصاحة والبلاغة ورقة الشعر وهما من الشعراء المجيدين في العصر الصليحي .

وقد ذكرهما عمارة في كتابه تاريخ اليمن ص ٢٤١ ومابعدها وأورد لهما كثيرا من القصائد العتابيه المتداولة بينهما .

وذكرهما أيضا العماد الأصفهاني في الخريده ٣/٢٠٦ ، ومابعدها ،وأشار الأستاذ المحقق محمد علي الأكوع في هامش تاريخ عماره ص ٢٥٢ أن ديوان الخطاب مخطوط ومحفوظ في المكتبة المحمدية الهمدانيه .

وترجم الزركلي في الأعلام للخطاب ٢/٣٠٨ وأشار الى أن معظم قصائده في مدح آل البيت والأئمة ،ولم يترجم لسليمان .

وكذلك ترجم د . شوقي ضيف للخطاب فقط في عصر الدول والامارات ص ١٥١ .

* * *

٢٩ - الموشكـــى :

زيد بن على الموشكى عالم وشاعر من مواليد منطقة ذمار جنوب صنعاء نشأ وترعرع فى ظل حكم الامام يحى حميد الدين .

تلقى علومه الأولية فى بلاده ثم انتقل الى صنعاء وأخذ العلم عن كبار علمائها ،وكان فى طليعة العلماء المصلحين والشعراء المناضلين من أجل مصلحة أمتهم ووطنهم ،قاوم السياسة التجهلية التى ابتعها الأئمة بكل جهد .

هاجر مع الزبيرى ومجموعة من الأحرار الى عدن وهناك أنشأوا حزب الأحرار ثم عاد الى صنعاء واشترك فى ثورة ١٩٤٨م وكان من أبرز ضحاياها وشهدائها ،قتل فى حجه عقب فشل الثـــورة مع مجموعة من الثوار فى العام نفسه ، له شعر جيد لا زال مفرقا فى الكتب وصدور بعض زملائه .

٣٠ - الشيبـانى :

سعيد الشيبانى من شعراء جيل الثورة ومن مواليد الحجرية لواء تعز عام ١٩٣٥م ،درس فى عدن والقاهرة وباريس ،وعمـــل فترة فى البنك المركزى .

له ديوان مطبوع بعنوان " ألف لا شىء له " ، له آراء نقديه جيدة .

٣١ - الأفوه الأودي :

واسمه صلاءة بين عمرو بن مالك من بني أود من مزحج ، شاعر يماني جاهلي يكنى أبا ربيعة ، لقب بالأفوه لأنه كان غليظ الشفتين ظاهر الأسنان كان سيد قومه وقائدهم في حروبهم ، وهو أحد الحكماء والشعراء في عصره ، أشهر شعره أبياته التي منها :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم

ولا سراة اذا جهالهم سادوا

" أنظر : الأغاني ١٢/١٦٥ ، والأعلام ٣/٣٠٦ " .

* * *

٣٢ - عبد الخالق بن أبي الصلح :

من شعراء اليعفريين ومن وجوه بني شهاب ، وهو من عظماء عصره ذكره الهمداني في الاكليل ١/٣٧٩ ، وذكر له عددا من القصائد في محمد بن يعفر وغيره ، وقال عنه في صفة جزيرة العرب ص٨٦ " كان مطبوعا مفوها " . ذكره [illegible] في الاكليل في صفحات متعددة من الجزء الاول ص ١٣٣ ، ٢٤٥ ، ٣٥٧ ، ٣٧٩ .

* * *

٣٣ - وضاح اليمن :

واسمه عبد الرحمن بن اسماعيل بن عبد كلال ، ويختلف النسابون في نسبه فيقول قوم انه من أولاد خولان ابن عمرو بن قيس فهو يمنى الأصل والمنشأ .

ويقول آخرون انه من أبناء الفرس الذين قدموا لنصرة سيف ابن ذى يزن على الحبشة ، فهو على هذا فارسى الأصل يمنى الولادة والمنشأ .

ويشير بعض النسابين كما فى الأغانى ان وضاحا لأب يمنى من خولان ، وأم فارسية انتقلت به الى قومها بعد وفاة أبيه فشب وضاح فى حجر زوج أمه .

المهم فى الأمر أن وضاحا كان شاعرا غزليا وكان من أجمل المعرف فى العصر الأموى وقد سبق أن أشرنا الى الخلاف الذى دار حوله وقصته مع أم البنين فلا داعى لاعادة ذلك هنا .

وقد أطال صاحب الأغانى فى ذكر أخباره وأشعاره ٦/٢٠٩ ومابعدها . وذكر له الحبشى فى مصادر الفكر العربى الاسلامى فى اليمن ترجمة مختصره وأشار الى أن له ديوانا انفرد بذكره العينى فى تاريخه ولم يشر الى مكان أو زمان هذا الديوان .

" انظر مصادر الفكر ص ٣١٢ " .

* * *

٣٤ - ابو بكر العلـــوى :

واسمه عبد الرحمن بن شهاب الدين ، شاعر وفقيه متصوف عاش طويلا مابين سنتى ١٢٦٢ - ١٣٤١هـ ويعد شاعر اليمن الأول فى زمانه ،ولد وتربى فى مدينة تريم وتعلم فنون العلم من والده ، وأخيه عمر المحضار الفقيه المعروف ،رحل فى سنة ١٢٨٦هـ الى الحجاز ومكث فيها فترة ثم عاد الى تريم ،وأخيرا تركهـــا وتنقل فى عدد من مناطق اليمن ،كما تنقل فى عدد من المناطق والبلاد الاسلامية منها الشام ومصر وتركيا ،ثم رحل الى الهنـد ومكث فيها ومارس التدريس فى بعض مدارسها وتزوج هناك ،وفى سنة ١٣٣١هـ عاد الشاعر الى وطنه وفى سنة ١٣٣٤ عاد الى الهند ليقطع علاقته بها وينقل أسرته فحالت ظروف الحـــرب العالمية الأولى دون ذلك فوافته المنية بعد ذلك فى مدينـــة حيدر أباد فى الهند سنة ١٣٤١هـ - ١٩٢٢م.

خلف وراءه ديوان شعر ضخم وكتبا أخرى .

ترجم له الزركلى فى الأعلام ٣/٣٠٨ ،وهلال ناجى فى شعراء اليمن المعاصرين ص ١٩٧ ومابعدها .

* * *

٣٥ - أعشى همدان :

اسمه عبدالرحمن بن عبدالله بن الحارث ويكنى أبا المصبح شاعر فصيح كان من الفقهاء القراء ثم ترك ذلك وقال الشعر ونبغ فيه كان من أتباع عبدالرحمن بن الأشعث الخارجي ،أتى به الى الحجاج أسيرا فقتله صبرا .

ذكر صاحب الأغاني كثيرا من أخباره وأشعاره ، قال الأصمعي عن أعشى همدان هو من الفحول وهو اسلامي كثير الشعر .

" أنظر الأغاني ٦/ ٣٣ ،والاكليل للهمداني ١٠/ ٥٨ ،

وهو فيه عبدالرحمن بن الحارث بن نظام بن جشم وينتهي به الى حاشد .

والأعلام للزركلي ٣/ ٣١٢ وفيه أن الأعشى .. شاعر اليمانيين بالكوفه وفارسهم في عصره ويعد من شعراء الدولة الأموية قال الشعر وعرف به وكان من الغزاة أيام الحجاج ، وترجم له أيضا الدكتور شوقي ضيف في كتابه : " العصر الاسلامي ص ٣٣٢ " .

* * *

٣٦ - السقاف :

عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف ، فقيه ومتكلم وشاعر رحل الى عدة أقطار اسلامية والتقى بزعمائها وكان له يد في الصلح بين

الفئات المتنافره فى اليمن ، أشهر قصائده " الاماميات " التى قالها فى مدح الامام يحى حميد الدين ، وله أيضا مجموعة من المراثى جمعت فى ديوانه " السيف الحاد " توفى فى مدينة سيئول بحضرموت سنة ١٣٧٥ هـ .

* * *

٣٧ - عبد الرحمن قاضى :

من مواليد الحيمة لواء صنعاء تلقى تعليمه فى صنعاء ونبغ فى الشعر حتى صار من شعرائها البارزين فى العصر الحديث له عدد من الدواوين منها :

١ - معا الى العليا صدر عام ١٩٧١ م،

٢ - انتصار ثورة ١٩٤٨م.

٣ - بقايا قلب صدر عام ١٩٧٠م .

* * *

٣٨ - الاريانى :

عبدالرحمن بن يحى الاريانى من كبار علماء اليمن وقضاتها وزعمائها ،وأحد أقطاب الحركة الوطنية المعاصرة فى اليمن ومن شعرائها المقلين ،من مواليد منطقة اريان لواء اب نشأ فى كنف والده العلامة يحى الاريانى وحرص والده على تعليمه حتى تضلع بعلوم الشريعة واللغة العربية تولى القضاء فى سن مبكرة وبرز فيه

حتى أصبح رئيسا للاستئناف ، اشترك فى حركة ١٩٤٨م ومكث فى السجن فترة ثم اشترك فى انقلاب الثلايا عام ١٩٥٥م وبعد فشل الانقلاب اعدم الانقلابيون ولم ينفذ حكم الاعدام فى الاربانى لمكانته الاجتماعية المرموقه .

تولى مناصب قيادية فى العهد الجمهورى أهمها رئاسة المجلس الجمهورى مابين ٥ فبراير ١٩٦٧م و ١٣ يونيو ١٩٧٤م يقيم حاليا فى اللاذقية بسوريا .

* * *

٣٩ - عبد الرحيم البرعى :

شاعر بليغ صوفى سنى يمنى هاجرى أخذ النحو والفقه على جماعة من علماء عصره حتى تأهل للتدريس وجاء الطلاب من أماكن شتى فدرس وأفتى واشتهر بالعلم والشعر ، مات سنة ٨٠٣ هـ

" انظر ملحق البدر الطالع لزبارة ص ١٢٠ ، وعصر الدول والامارات لشوقى ضيف ص ١٩٥ ، وفيه دراسة فنية لمقطوعات من شعره ، وفى الأعلام ٣/ ٣٤٣ ، وله ديوان شعر ط ، أكثره فى المدائح النبوية نسبته الى برع كعمر جبل بتهامه " . اهـ .

* * *

٤٠ - باكثيـــر :

عبدالصمد بن عبدالله باكثير ،شاعر وكاتب يمنى من كنده .

قال المحبى انه خاتمة مفلقى الشعراء ونابغة العصر ،.

وكان كاتب الانشاء (١) للسلطان عمر بن بدر (٢) ملك الشحر فى عصره

وشاعره وله ترسل وانشاء توفى سنة ١٠٢٥ هـ .

ذكره المحبى فى خلاصة الأثر ٢/٤١٨ ،وذكر شيئا من أشعاره

وذكره زباره فى ملحق البدر الطالع ص ١٢١ ،والزركلى فى الأعلام

٤/١٠ ولم يأتيا بجديد زيادة على ماذكره المحبى فى الخلاصة

وذكره أيضا الحبشى فى مصادر الفكر العربى الاسلامى فى اليمن

وذكر أن له ديوان شعر مخطوط وموجود فى المكتبة المحمودية

فى المدينة المنورة وقد اطلعت عليه وهو مكون من صفحة .

* * *

٤١ - المقالـح :

عبدالعزيز المقالح شاعر وأديب وناقد من أبرز شعراء اليمـن

المعاصرين ومن شعراء جيل الثورة ،من مواليد النادره لـــواء

اب ،نال قدرا من التعليم فى اليمن ورحل الى القاهرة وحصل

(١) أحد سلاطين حضرموت ولى السلطنة سنة ٩٩٠هـ بعد مقتـــل السلطان جعفر بن عبدالله ،امتاز بأخلاق فاضله وحسن سياسة أنظر الأعلام ٥/٤٣ .

(٢) الشحر منطقة يمنية هى احدى مناطق حضرموت وعاصمة بـــعض سلاطينها .

على الشهادة العالية منها ثم شهادة الماجستير وأخيرا الدكتوراه

عمل في اذاعة صنعاء ثم مندوبا لبلاده في الجامعة العربيـــة

حتى عام ١٩٦٧م ثم مديرا لمركز البحوث والدراسات اليمـــنى

يعمل حاليا مديرا لجامعة صنعاء .

أصدر مجموعة من الدواوين الشعرية والدراسات الأدبيـــة

والنقدية منها :

١ ـ مأرب يتكلم ، ديوان شعر

٢ ـ لابد من صنعاء ،ديوان شعر

٣ ـ رسائل الى سيف بن ذى يزن ، ديوان شعر

٤ ـ هوامش يمانية ،ديوان شعر .

٥ ـ عودة وضـاح ،ديوان شعر

٦ ـ الأبعاد الموضوعية ، دراسة .

٧ ـ الشعر بين الرؤيا والتشكيل ، دراسة .

* * *

٤٢ ـ عبده عثمـان :

شاعر بارز من رواد شعراء جيل الستينيات من مواليد الهجريه

سنة ١٩٣٦م تلقى تعليمه في عدن والقاهرة شغل مناصب عديدة

في حكومة الثورة في الستينيات منها : وزارة الوحده ،ووزارة الاعلام

وعمل سفيرا لليمن في أثيوبيا ثم في الصين الشعبية ولا زال يعمل في

السلك الدبلوماسي ،من أعماله الشعرية ديوان " فلسطين في السجن"

ومأرب يتكلم بالاشتراك مع زميله المقالح .

* * *

٤٣ - البردونـــى :

عبدالله صالح البردونى ، شاعر مبدع وأديب فنان وكاتـــب محترف ، ولد سنة ١٣٤٨هـ ، ١٩٢٥م فى قرية البردون من اعمال ذمار من أبوين فلاحين ، أصيب بالجدرى فسبب له فقد بصره وهو فى الخامسة من عمره درس فى مدارس ذمار ومساجدها فـى أول حياته التعليمية ، ثم نقل الى صنعاء وواصل تعليمه فى مدرسـة دار العلوم . وبعد تخرجه منها عين فيها أستاذا للأدب العربى ، بدأ رحلته مع الشعر فى أواخر الأربعينيات ونبغ فيـه فى الخمسينيات ومابعدها ، عمل مديرا لبرامج الاذاعة فترة من حياته .

أصدر عددا من الدواوين الشعرية والدراسات الأدبية منها : من أرض بلقيس ، ولعينى أم بلقيس ، وفى طريق الفجر ، ومدينـة الغد ، والسفر الى الأيام الخضر ، ورحلة فى الشعـر اليمـنى ، وقضايا يمنية ، وغيرها .

* * *

٤٤ - الملاحـى :

عبدالله عبد الكريم الملاحى من مواليد مدينة الشحر بحضرموت عام ١٩٣١م اشتغل فى حقل التربية والتعليم ، حضر عددا من المؤتمرات الأدبية فى الوطن العربى صدر ديوانه الأول ثـــورة الحرمان عام ١٩٧٠م .

* * *

٤٥ - الشماحـــى :

عبدالله عبد الوهاب المجاهد الشماحى قاضى وأديب ومؤرخ يمنى معروف صاحب الكتاب المشهور " اليمن الحضارة والانسان" شارك فى الحركة الوطنية منذ بدايتها أواخر الثلاثينيات ،وأجرى عدة لقاءات فى الحجاز ومصر وغيرهما ،شارك فى حركة ١٩٤٨م اقتيد الى سجن حجه بعد فشل الانقلاب مع زملائه الأحـــرار، وبعد خروجه من السجن توقف نشاطه السياسى ولم يعد لـــه نشاط يذكر ولا سيما بعد قيام ثورة سبتمبر ١٩٦٢م.

* * *

٤٦ - العـزب :

عبدالله العزب ، أديب وشاعر وكاتب ، أحد أعمدة النهضة الحديثة فى اليمن شارك الوريث والمطاع فى انشاء مجلة الحكمة وكان أحد كتابها البارزين ،حمل راية الدفاع عن الأدب اليمنى وابرازه للباحثين والدارسين ،وكان ينشر مقالاته تلك فى مجلـ الحكمة ابان صدورها فى الثلاثينيات .

توفى سنة ١٩٤٥ م ١٣٦٤ هـ .

* * *

٤٧ - عبدالله فاضل :

(١)

من مواليد الشيخ عثمان بعدن سنة ١٩٢٦م ،تخرج من الجامعة الامريكية بالقاهرة وحصل على دبلوم التربية العالى من جامعة لندن .

عمل بعد الاستقلال نائبا لوزير التربية والتعليم ثم عميدا لكلية التربية بعدن ثم عمل أمينا عاما لاتحاد الكتاب والأدباء اليمنيين .

ترجم مجموعة من الأعمال الشعرية ،له ديوان شعر بعنوان " دوامة الهباء " .

* * *

٤٨ - عبد الودود سيف :

شاعر وناقد من مواليد الحجرية عام ١٩٤٣م ،درس فى كلية الآداب جامعة دمشق تخرج سنة ١٩٧٠م ،أشرف على انشاء مجلة " اليمن الجديد " الفكرية الأدبية رأس تحريرها بعد انشائها وركز جهوده الأدبية فى بداية ظهوره على النقد الأدبى ،عمل محررا ادبيا لصحيفة الثورة ،له شعر لم يطبع بعد ،وشعره كله من النوع المرسل .

(١) الشيخ عثمان احد المناطق القريبة من عدن تعد حاليا واحدا من أحيائها البارزين .

٤٩ - الشامي :

عبد الوهاب ، شاعر وسياسي بارز من مواليد الضالع سنة ١٩٢٧م ، تلقى علومه الأولية في صنعاء ثم رحل الى القاهرة وواصل تعليمه هناك ، عمل بعد الثورة وزيرا مفوضا في لندن طبع له ديوان واحد فقط هو " ابن الظلام " وشعره رومنسي رقيق .

* * *

٥٠ - عبد يغوث الحارثي :

هو عبد يغوث بن صلاءة الحارثي ، شاعر يماني من شعراء الجاهلية فارس سيد قومه بني الحارث ، وكان قائدهم في يوم الكلاب الثاني ، أسر وقتل في ذلك اليوم التي وقعت فيه الواقعة بين بني الحارث ومن شايعهم من قبائل اليمن وبين بني تميم ، كما في الأغاني ، وفي خزانة الأدب تيم بدل تميم .

وعبد يغوث من أهل بيت شعر معرق لهم في الجاهلية والاسلام ، وقد أورد له صاحب الأغاني أخبارا مفصلة ١٦/ ٣٢٨ ومابعدها ، ط دار الكتب المصرية ١٣٨١هـ - ١٩٦١م ، وله تراجم مختصرة في خزانة الأدب ١/ ٣١٧ والبيان والتبيين للجاحظ ٢/ ٣٠٠ تحقيق السندوبي وفي الأعلام ٤/ ١٨٧ ، ط دار القلم للملايين - بيروت .

* * *

٥١ - باكثير :

على أحمد باكثير ، شاعر ومسرحي بارز على مستوى العالم العربي ، ولد في أندونيسيا من أبوين عربيين من حضرموت في جنوب اليمن سنة ١٩١٠م ونشأ في حضرموت ، وتعلم في مصر بعد أن نال قسطا من ثقافته العربية والاسلامية في بلاده ، وكان قد بدأ في نظم الشعر هناك . قدم الحجاز سنة ١٩٣١ م ثم غادرها الى مصر والتحق بكلية الآداب " قسم اللغة الانجليزية" ثم درس في معهد التربية للمعلمين .

اشتغل بعد ذلك بالتدريس في مصر ثم عمل في وزارة الثقافة في مصر ، رحل الى فرنسا ورومانيا والاتحاد السوفيتي في عدد من المناسبات والمؤتمرات له عدد من المسرحيات ومن أبرز رواياته " ملحمة عمر " وتقع في ١٨ جزءا ، وله في الدراسات الأدبية ، كتب " فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية " .

توفي في القاهرة سنة ١٩٦٩م.

* * *

٥٢ - علي بن صالح المعمساري :

العلامة الوزير ، ولد سنة ١١٥٠ هـ ، وبرع في علوم الأدب وشارك في التفسير والحديث مشاركة قوية ، وتفرد بمعرفة بعض

الفنون كعلم الهيئة والهندسة والنجوم ،ونظم الشعر الحسن أورد له الشوكاني في البدر الطالع جملة مفيدة من الأشعار المختاره .

وترجم له زباره في نيل الوطر ، وأفاض في ذكر أخباره وأشعاره وذكر بعض ترسّلاته .

" أنظر البدر الطالع للشوكاني ١/ ٤٤٦ ،ونيل الوطر ٢/ ١٣٦ ".

* * *

٥٣ - صبره :

علي بن علي صبره شاعر مشهور من أهل صنعاء ،ولد سنة ١٩٣٧م تلقى تعليمه الثانوي في صنعاء وأكمله في دار العلوم عمل رئيسا لدار الاذاعة ثم نائبا لوزارة الاعلام ،وتقلب في عدة مناصب بعد الثورة ،له ديوان شعر جمع فيه معظم شعره وطبع مؤخرا في دار العودة - بيروت .

بدأ يكتب الشعر في أوائل الخمسينيات في الصحف الصادرة في تعز ،وكان رائده في ذلك شعراء مدرسة أبولو .

* * *

٥٤ - نصـــر :

على عبد العزيز نصر ، ولد فى مدينة الحديدة سنة ١٩٢٣م درس فى الحديدة وفى ثانوية صنعاء ،عمل بالتدريس فتـرة من حياته ثم هجر البلاد خوفا من الأمام ،شغل بعد الثورة عـددا من المناصب ، شاعر مكثر من اعماله الشعرية المطبوعة :

١ - أنا الشعب . ٢ - كفاح شعب .

* * *

٥٥ - لقمـــان :

على محمد لقمان ،ولد فى عدن عام ١٩١٨م ونشأ فيهـــا نال شهادته العالية من الجامعة الامريكية فى القاهرة فـــى الصحافة ،عمل مديرا لصحيفة " فتاة الجزيرة " فى عدن عام ١٩٤٠م ثم انشأ دار " الأخبار " . من أبرز شعراء جيل الأربعينيـات له عدد من الدواوين والمسرحيات منها :

١ - الوتر المغمور ٢ - اشجان الليل

٣ - أنـات شعب ٤ - الظل المنشود - مسرحية

٥ - يجماليون - مسرحية ٦ - العدل المفقود - مسرحية

٧ - سمراء العرب - مسرحية .

توفى فى جده فى المملكة العربية السعودية بعد أن أدى فريضة الحج سنة ١٩٦٦م .

* * *

٥٦ - العنســـى :

علي محمد العنسي ، يمني صنعاني ، نشأ بمدينة صنعاء في بيت علم وفضل ، وبدأ بحفظ القرآن واستظهار الأشعار ، ثـــم أختلف الى مجالس النحاة والفقهاء وعلماء المنطق حتى برع فـي هذه العلوم كلها ، تولى القضاء ببلاد العدين التابعة لمدينة اب ، ولا زال في هذا المنصب حتى وشى به الواشون الى الامـام القاسم بن الحسين امام اليمن آنذاك ونسبو اليه القصيدة الـتي مطلعها :

سماعا عباد الله أهل البصائـر

وهي قصيدة تصور ظلمه وتدعو للثورة عليه ، فقبض عليه القاســم وألقاه في غياهب السجون ، وأخيرا تبين له براءته فرد اليـــه حريته وعينه حاكما بالحسيمة من لواء صنعاء ، وظل بها حتى توفي سنة ١١٣٩هـ .

أنظر ترجمته ودراسة عن شعره في البدر الطالع للشوكانـي ٤٧٥/١ ، وعصر الدول والامارات لشوقي ضيف ص ١٦٨ ومابعدها وذكره المؤرخ الحبشي وقال : ان له ديوانا في الجامع الكبيـــر برقم ١٤ أدب ، ومن مؤلفاته :

الروض الأقحواني ، أنظر مصادر الفكر ص ٣٤٣ .

* * *

٥٧ - عمارة اليمنى :

هو ابو حمزة عماره بن الحسن الحكمى نجم الدين ، نشأ فى تهامة وتعلم فى زبيد وتفقه على المذهب الشافعى ودرس ودرّس كان على صلة بآل نجاح الحاكمين فى تهامه ، حج سنة ٥٤٩ هـ فأرسله أمير مكة رسولا الى الديار المصرية ، وكان يحكمها الفاطميون فأجزل لواصلته وبالغوا فى اكرامه وقال فيهم مدائح كثيرة ومشهورة وظل مواليا لهم دون أن يخرجه ذلك عن مذهب أهل السنة (١) يدل على ذلك القصة التى رواها عن نفسه فى النكات العصرية (٢) وخلاصتها : أن عمارة كان من جلساء الملك الصالح ، وكان قد أمره بملازمته ومجالسته ومدحه ، قال عمارة : وكانت تجرى بحضرته مسائل ومذاكرات ويأمرنى بالخوض مع الجماعة فيها ، وأنا بمعزل عن ذلك لا أنطق بحرف واحد حتى جرى من بعض الأمراء الحاضرين فى مجلس السمر من ذكر السلف ما اعتمدت عند ذكره وسماعه قول الله عز وجل : " فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره " (٣) ونهضت وخرجت . . . " وغاب عن المجلس ثلاثة

(١) ص ٤٣ .

(٢) طائع بن رزيك ، أصله من الشيعة الامامية فى العراق - قدم مصر واشتغل مع الفاطميين حتى ولى وزارة الخليفة الفائز سنة ٥٤٩ هـ واستقل بأمور الطراز طيلة عهد الفائز وجزء من عهد العاضد حتى اغتيل سنة ٥٥٦ هـ .

(٣) آية ١٤٠ من سورة النساء .

أيام بدعوى أنه مريض فكان الملك يرسل له الغلام والطبيب كل يوم ، وظفر به عمارة يوما فى بستان وهو فى خلوة من جلسائه فقال له : انى لم يكن بى وجع وانما كرهت ماجرى فى حق السلف وأنا حاضر ، فان أمر السلطان بقطع ذلك حضرت والا فلا ، وكان فى فى الأرض سعة وفى الملوك كثرة ، فعجب من هذا ، وقال : سألتك بالله مالذى تعتقد فى أبى بكر وعمر ، قلت : اعتقد أنه لولاهما لم يبق الاسلام علينا ولا عليكم وأنه ما من مسلم الا ومحبتهما واجبة عليه ثم قرأت قول الله تعالى : " ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه . . "

ففى هذه القصة دلالة على أن عمارة لم يتورط فى المذهب الفاطمى الى حد الاعتقاد .

أما مدائحه فى الفاطميين فكانت بمثابة شكر على العطاء الجزيل الذى كانوا يغدقونه عليه وليس فيها مايدل على تشيعه اعتقادا وان كان قد بالغ فى مدح الفاطميين وظل موالیا لهم حتى قتل شنقا سنة ٥٦٩ هـ فى أول عهد الأيوبيين فى الثانى من رمضان .

وللمؤرخين أقوال فى سبب قتله ، ذكر العماد الأصفهانى فى الخريدة بعضا منها ، ولعل أشهرها انه تآمر مع جماعة من الفاطميين على السلطان صلاح الدين ، ونسب اليهم مكاتبة

الأفرنج واستدعاءهم من أجل اجلاس ولد للخليفة العاضد على عرش مصر (١) ،

ومنها : أنه نسب اليه بيت من الشعر فيه طعن فى نبـــوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام والبيت هو :

قد كان أوّل هذا الدين من رجل ∴ سعى الى أن دعوه سيد الأمم

قال العماد الأصفهانى : ويجوز أن يكون هذا البيت معمولا عليه وقد أمر علماء مصر بقتله ، وعمل فيه تاج الدين الكندى بعد صلبه أبياتا منها :

عمارة فى الاسلام أبدى خيانة ∴ وبايع فيها بيعة وصليبـــا

وأمسى شريك الشرك فى بغض أحمد ∴ فأصبح فى حب الصليب صليبا

ومهما يكن من أمر فقد كان عماره فقيها وأديبا وشاعرا مجيدا ومحدثا ممتعا له تصانيف كثيرة طبع منها :

النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية ، وفيه الكثير من قصائده والمفيد فى تاريخ صنعاء وزبيد ، وله ديوان شعر لا يزال مخطوطا جمعه أحمد الأدباء ورتبه على الحروف منه نسخة غير تامة فى دار الكتب المصرية (٥٣٠٣ أدب) هكذا فى الأعلام للزركلى .

(١) العاضد هو الخليفة الفاطمى عبد الله بن يوسف العلوى الفاطمى آخر خلفاء الدولة العبيدية بمصر والمغرب توفى سنة ٥٦٧ هـ .

أنظر فى ترجمته وأخباره النكت العصرية فى مواضع متعـــددة ، وتاريخ اليمن لعمارة المسمى المفيد فى أخبار صنعاء وزبيد ،وفيه مقدمة عن عمارة للمحقق القاضى محمد بن على الأكوع، وخريـــدة القصر للعماد الأصفهانى قسم شعراء الشام ص ١٠١- ٤١- وفيه كثير من أخبار عمارة وأشعاره .

وانظر أيضا صبح الأعشى للقلقشندى ٣/ ٥٣٢ ،وفيه قصيدتـــه التى قالها عمارة فى الفاطميين كاملة وبعد ذكر القصيدة قال : قلت وعمارة هذا لم يكن على معتقد الشيعة بل فقيها شافعيا . . وفيه أن سبب قتل عماره هو هذه القصيدة التى رثا بها الفاطميين

وأنظر ايضا الأعلام للزركلى ٥/ ٣٧ .

وأفاض الدكتور شوقى ضيف فى ذكر أخبار عمارة ولا سيما مايتعلق منها بالجانب العقدى اذ لم يشك د . شوقى : أن عمارة كـان شيعيا فاطميا عقيدة وسلوكا ،وقد ساق عدد من الأدلة والبراهين على أقواله ،من شعر عمارة نفسه ولم يعتد بما قاله عمارة عن نفسه فى " النكات العصرية " وما أعلنه من براءته واخفائه تشيعه باعتبار أن هذا الكتاب لم يكتب الا فى العصر الأيوبى - دولة صلاح الدين السنية فبدهى أن يقف هذا الموقف ولو من باب التقية والحذر.

أنظر عصر الدول والامارات ص ١٥٤ - ١٥٧ .

* * *

٥٨ - عمر بن عبد الرحمن السقاف :

هو عمر بن عبد الرحمن بن محمد السراج أبو حفص شريف علوى من أهل حضرموت سكناه فى تعز وتوفى بها سنة ٨٨٩ هـ ، وكان قد رحل الى مكة قال السخاوى كان رجلا كبير القدر مقبولا عند العوام وأكثر الخواص وله بسلطان اليمن عبد الوهاب بن طاهر زيادة أختصاص وسماع قول وكان شاعرا بديع القول .

" انظر الضوء اللامع للسخاوى ٦ / ٩١ ، ومصادر الفكر للحبشى ص ٨٢٣ .

* * *

٥٩ - عمرو بن براقه :

هو عمرو بن الحارث بن عمرو بن منبه النهمى من همدان وبراقه أمه ، كان شاعر همدان قبل الاسلام وفارسها ، أدرك خلافة عمر بن الخطاب ووفد عليه وهو شيخ كبير ، ويعد عمرو من فحول الشعراء فى الجاهلية .

أنظر الاكليل ١ / ٢٤٨ ، وصفة جزيرة العرب ص ٦١ ، وكلاهما للهمدانى ، والأغانى ٢١ / ١١٣ ، والاصابة لابن حجر القسم الخامس ص ١٤٢ ، وفيه عمرو بن براقه مخضرم وكان يسعى على رجليه فى الجاهلية فلا يلحق . . له أخبار فى الجاهلية وعمر الى أن أدرك الحسن بن على رضى الله عنه ، وذكره الزركلى فى الأعلام ٥ / ٧٦ .

* * *

٦٠ - عمرو بن معدى كرب الزبيدى :

شاعر يمانى مخضرم يكنى أبا ثور كان فارسا معدودا من فرسان الجاهلية ومجاهدا مقداما فى الاسلام وشاعرا مبرزا فى الجاهلية والاسلام وغزواته فى الجاهلية مشهورة .

أسلم وبايع لقومه على الاسلام وذلك منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك سنة ٩ للهجرة .

وشهد الفتوحات الاسلامية أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأبلى فيها بلاء حسنا ، وكان عصىّ النفس قوى الشكيمة .

توفى فى نهاوند أثناء فتح بلاد فارس مع الصحابى الجليل النعمان بن مقرن قائد تلك المعركة .

جمع شعره مرتين :

جمعه هاشم الطعمان فى العراق وطبعه سنة ١٩٧٠م

وجمعه مطاع الطرابيشى فى دمشق وطبعه سنة ١٩٧٤م

له ديوان شعر تشير اليه مصادر الأدب القديمة ، لكن أخبار هذا الديوان انقطعت منذ ٣٠٠ سنة فيما يذكر الاستاذ الطرابيشى .

أنظر أخباره فى الأغانى ١٥/ ٢٠٨ ط دار الكتب ، والخزانة للبغدادى ١/ ٤٢٢ ، وشرح التبريزى على الحماسه ، وترجم له الطرابيشى فى مقدمة كتابه المذكور ١/ ٤٤ ترجمة وافيه .

* * *

٦١ - فروة بن مسيك :

هو فروة بن مسيك بن الحارث بن سلمة المرادى من رؤساء قومه قبل الاسلام ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر فأسلم وروى عنه فهو صحابى جليل وكان شاعرا محسنا هكذا فى الاستيعاب .

ترجم له ابن الأثير فى أسد الغابه وفيه أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقا لملوك كنده مباعدا لهم وقد كان قبيل الاسلام بين همدان ومراد وقعة أصابت فيها همدان من مراد حتى أثخنوهم فى يوم يقال له يوم " الرّدم " وكان الذى سار من همدان الى مراد الأجدع بن مالك الشاعر الجاهى وقد سبقت ترجمته ، وقد ذكر صاحب أسد الغابة هذين البيتين اللذين قالهما صاحب الترجمة عقب الوقعة المذكورة وهما :

لما رأيت ملوك كنده اعرضوا ∴ كالرجل خان الرجل عرق نسائها
يممت راحلتى أؤمّ محمدا ∴ أرجو فواضلها وحسن ثنائها

وفى الاصابة أن عمرا استعمله على صدقات مذحج . وقد سكن الكوفة فى أواخر أيامه وكان من وجوه قومه فى الاسلام .

انظر : الاستيعاب ٣/ ١٢٦١ ، وأسد الغابة ٤/ ٣٥٩ ، والاصابة قسم ٥ ص ٣٦٨ .

* * *

٦٢ - ابن هتيمـــل :

القاسم بن على بن هتيمل ، أكبر شعراء اليمن فى العصـــر الرسولى ، مدح ملوك عصره وكان كثير التنقل بين اليمن والحجاز مدح المظفر الرسولى ورجال دولته ومدح احمد بن الحسيـــن القاسمى الامام المقتول سنة ٦٥٦ هـ .

عاش مايقرب من مائة عام ومات فقيرا .

قال الخزرجى : كان فصيحا حسن الشعر مداحا ، وأورد لـه عدة قصائد فى مواضع متفرقة من كتابه ، توفى سنة ٦٩٦ هـ على وجه التقريب . عاصر الشاعر محمد بن حمير الآتى ذكره ، وكـان ابن هتيمل يعترف بفضله .

انظر العقود اللؤلؤيه للخزرجى ١ / ٢٨٠ ومواضع أخرى ، والأعلام للزركلى ٥ / ١٧٨ وأشار الى أن له ديوانا حققه المقيلى ١٥٠ صفحة منه ، وحياة الأدب اليمنى فى عصر بنى رسول للحبشى ص ٢٨ ، ومصادر الفكر العربى الاسلامى فى اليمن للحبشى ص ٣٢٠ وعصر الدول والامارات لشوقى ضيف ص ١١٤ ومابعدها .

* * *

٦٣ - قيس بن المكشوح المرادى :

ابو شداد واختلف فى اسمه المكشوح فقيل هبيره بن هلال ، وقيل عبد يغوث بن هبيرة بن هلال بن الحارث ، اختلفوا فـــى

صحبته ،فقيل لا صحبة له ،قيل بل لقيس صحبة باللقاء والرواية .

وعلى أى حال هو أحد الصحابة الذين شهدوا فتح نهاوند مع النعمان بن مقرن ، له ذكر صالح فى الفتوحات فى القادسية وغيرها زمن عمر وعثمان ،وهو أحد الذين قتلوا الأسود العنسى الذى ادعى النبوة فى اليمن فى أواخر أيام النبى صلى الله عليه وسلم ، كان قيس شجاعا فارسا بطلا شاعرا وهو ابن أخت عمرو بن معد يكرب الزبيدى الشاعر المشهور ،قتل فى صفين مع علـــى رضى الله عنه .

أنظر الاستيعاب لابن عبد البر ٣/ ١٢٩٩ ،وترجم له أيضـا ابن الأثير فى أسد الغابة ٤/ ٤٤٧ ولم يزد شيئا على ما فـــى الاستيعاب ،وانظر الاصابة لابن حجر ٨/ ٢٤٤ ،والأعلام٥/ ٢٠٩.

٦٤ - لطفى أمـــان :

لطفى جعفر أمان واحد من رواد الشعر اليمنى المعاصر فى اليمن ولد فى عدن سنة ١٩٢٨م تلقى تعليمه الابتدائـــــى والاعدادى فى بلده ثم أرسل فى بعثة دراسية الى الســودان درس فيها الثانوى والجامعة لمدة سبع سنوات نال خلالهـــا شهادة " الليسانس " فى الأدب من جامعة الخرطوم عام١٩٤٩م

ثم عاد الى عدن وفى عام ١٩٥١ م عمل مدرسا فى أوغندا ، نال دبلوم التربية العالى من جامعة لندن .

وعقب عودته الى عدن شغل منصب ضابط المعارف المسئول عن الطباعة والنشر بعدن ، توفى فى القاهرة سنة ١٩٧٢م .

له أربعة دواوين شعرية هى :

١ - بقايا نغم صدر عام ١٩٤٨م.

٢ - الدرب الأخضر صدر عام ١٩٦٢م.

٣ - كانت لنا أيام ، صدر عام ١٩٦٣م.

٤ - ليلى من ستى صدر عام ١٩٦٤ م.

٦٥ - الأشتر النخعى :

هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعى المعروف بالأشتر - لقب له - كان شاعرا يمنيا من شعراء الصحابة شهد حرب القادسية أيام عمر بن الخطاب التى كانت بين المسلمين والفرس وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها ، عاصر الفتنة التى نشبت فى عهد عثمان وكان من المؤلبين عليه ، وشهد وقعتى الجمل وصفين مع على بن أبى طالب ، وكتب له علىّ بولاية مصر فخرج يريدها فلما علم معاوية عظم عليه الأمر فأوعز الى أحد رجاله فى مصر فى التخلص من الأشتر فوضع له سما فى العسل فشربه

فمات وذلك سنة ٣٧ هـ .[1] فقال معاوية لما بلغه ذلك ان لله جنودا منها العسل .

أنظر شرح الحماسة للتبريزى ١/ ٣٩-٤٠ ودائرة المعارف الاسلامية ٢/ ٢١٠ وقد أطال فى ذكر أخبار الأشتر ودوره فى الفتنة التى بين معاوية وعلى ، وانظر الأعلام ٥/ ٢٥٩ ،وفيه له شعر جيد ويعد من الشجعان الأجواد والعلماء الفصحاء .

٦٦ - مالك بن حريم :

شاعر جاهلى يمانى ،شاعر همدان فى عصره وفارسها وصاحب مغازيها ،يعد من فحول الشعراء فى الجاهلية ويقال له مفزع الخيل ،وهو أحد وصافيها المشهورين .

ذكره صاحب الأمالى ٢/ ١٢٣ وأورد شيئا من أشعاره ،والجاحظ فى الحيوان ٢/ ٢١٠ ،والمرزوقى فى شرح الحماسة ٣/ ١١٧١ والتبريزى فى شرحه على الحماسة أيضا ،وفيه وجده مسروق بن الأجدع شاعر جاهلى وابنه الأجدع بن مالك الذى قاد همدان الى بنى مراد فى يوم يقال له يوم الروم ،فأصابت فيه همدان من مراد حتى أثخنوهم ،وكان ذلك قبل الاسلام .

وترجم له أيضا الزركلى فى الأعلام ٥/ ٢٦٠

* * *

(١) وفى شرح الحماسة للتبريزى أنه توفى سنة ٣٣ وهو خطأ واضح اذ لم تقع الفتنه الا بعد مقتل عثمان سنة ٣٥ وكان أحداث الفتنة كلها بعد هذا التاريخ ،بما فى ذلك وقعتا الجمل وصفين اللتين حضرهما الأشتر.

٦٧ - مالك بن زيد :

مالك بن زيد بن أوسله بن عميره بن الدعام بن بكيل من همدان شاعر وفارس يمانى ذكره الهمدانى فى الاكليل قال : ويعرف "بالحما" وهو القائل مخاطبا عقيل بن مسعود الكلبى سيد قضاعة :

أبا ربيعة ان الحق مغضبة ∴ آثرت قومك اذ نادى منادیها

وكنت عدلا تقول الحق معتلما ∴ وللعدالة أسباب تؤدیها

" أنظر الاكليل ١٠/ ١٣٥ ،والأعلام ٥/ ٢٦١" .

٦٨ - الحنفرى :

محمد بن أبان بن ميمون الحنفرى فارس وشاعر كان سيد قومه بنى حنفر - بطن من حمير صعده - وله وقائع مع معن بن زائده الشيبانى وغيره وله فى ذلك شعر.

" انظر المحمدون من الشعراء ١/ ١٥٣ ،والأعلام ٥/ ٢٩٣".

٦٩ - ابن أقنونه :

محمد بن أقنونه عالم وشاعر من علماء العهد اليعفرى ، ولى القضاء لآل يعفر وكان شاعرا مفلقا وقاضيا نزيها .

" أنظر تاريخ مدينة صنعاء للرازى ص ١٨٨ ،

ومصادر الفكر العربى الاسلامى للحبشى ص ٣١٤ "

٧٠ - محمد بن اسماعيل الأمير :

هو محمد بن اسماعيل بن صلاح الكحلاني ثم الصنعاني ،عالم مجتهد وشاعر مشهور من بيت علم وجاه ،أصيب بمحن كثيرة من الجهلاء والعوام المتعصبين .

نشأ بكحلان ثم انتقل الى صنعاء وأخذ عن علمائها ، وبرع في كثير من العلوم وفاق أقرانه فيها ،عمل بالدليل ونفر من التقليد توفي سنة ١١٨٢هـ وخلف وراءه آثارا كثيرة منها

١ - ديوان شعر طبع سنة ١٩٦٤م.

٢ - سبل السلام شرح بلوغ المرام.

٣ - ارشاد النقاد الى تيسير الاجتهاد .

٤ - الأنوار شرح ايثار الحق على الخلق ،لمحمد بن ابراهيم الوزير.

٥ - الروضة الندية شرح التحفة العلوية .

٦ - الدراية شرح العناية في أصول الفقة .

٧ - حاشية في النحو على شرح الرضى .

ومؤلفاته كثيرة منها المطبوع ومنها المخطوط.

أنظر ترجمته وأخباره في :

١ - البدر الطالع للشوكاني ٢/ ١٣٣

٢ - مقدمة ديوانه لعلي صبح المدني

٣ - الاعلام للزركلي ٦/ ٣٨.

٧١ - غالب :

محمد أنعم غالب ، من مواليد الحجرية عام ١٩٣٠م ، خريج حقوق القاهرة حاصل على الماجستير من جامعة تكساس بالولايات المتحدة شغل منصب التربية والتعليم بعد الثورة بعام ثم وزير الاقتصاد ثم وزير التعليم العالى والاعلام . من مؤلفاته :

١ - غريب على الطريق - ديوان شعر

٢ - مسرحية مترجمة عن الانجليزية

٣ - نظام الحكم والتخلف الاقتصادى فى اليمن - دراسة اجتماعية واقتصادية .

* * *

٧٢ - العمولى :

محمد حسن العمولى من مواليد عدن ١٩٢٢م ، شاعر وناقد أدبى جيد ، غير أن نشاطه الأدبى توقف أواخر الخمسينيات بعد أن دخل معترك السياسة .

* * *

٧٣ - الشرفى :

محمد حسين شاعر ومسرحى من مواليد الشرف لواء حجه سنة ١٩٤٢م تخرج من دار العلوم بصنعا عمل عضوا فى اذاعة صنعاء وكتب بعض المقالات الأدبية فى الصحف اليمنية ، عمل

مؤخرا فى السلك الدبلوماسى ولا يزال فيه يشغل حاليا منصبا فى السفارة اليمنية فى أثيوبيا ،له أربعة دواوين مطبوعه هى :

١ - أغنيات على الطريق الطويل .

٢ - دموع الشراشف

٣ - من أجلها .

٤ - ولها أغنى .

وكلها ماعدا الاول تدور حول المرأة كما سبق بيانه ،وله مجموعة من المسرحيات منها :

١ - فى أرض الجنتين .

مثل اليمن فى مؤتمر الأدباء العرب المنعقد فى بغداد سنة ١٩٦٥م .

* * *

٧٤ - المرهبى :

محمد حسين بن سليمان المرهبى أبو فاضل ،ولد فى ناحية ريمه سنة ١٠٥٤هـ ، كان من الأدباء والشعراء والكتاب المترسلين قال الشوكانى انه كان شاعرا بليغا وكاتبا مجيدا له نظم جمعه ابنه الحسن على حروف الهجاء وسماه فرائد الفوائد كما ذكر ذلك الزركلى ، وذكر الحبشى أن هذا الديوان موجود مصور فى معهد المخطوطات العربية ونسخة أخرى فى الجامع الكبير بصنعاء وثالثه بدار الكتب المصرية مخطوطة عام ١١٤٨ وهى تحت رقم ٤٦٦٨ أدب ،توفى الشاعر بمدينة اب سنة ١١١٣هـ

أنظر البدر الطالع ٢ / ١٦٤ ،والأعلام ٦ / ٣٠ ومصادر الفكر للحبشى ص ٣٣٨ .

* * *

٧٥ - محمد بن حمير :

من فضلاء أهل اليمن شاعر مجيد مكثر من شعراء الجيل الأول في العصر الرسولي كان شاعرا مادحا وفارسا شجاعا كان مقربا الى الملك المنصور عمر بن علي الرسول أول سلاطين آل رسول ومؤسس دولتهم .

معظم شعره مفقود ، ومن خلال قراءاتنا للشعر المتداول يمكن أن نكون صورة صادقة لشعر ابن حمير ، فهو شعر جزل الألفاظ قوي المعاني مشرق الديباجه كما يقول الأستاذ الحبشي .

كان ابن حمير من مشاهير الشعراء في العصر الرسولي وكان استاذا لابن هتيمل الشاعر المشهور ، عاصر ابن عطارد الشاعر المصري وكان بينهما مهاجاة ، توفي ابن حمير سنة ٦٩٢ هـ في زبيد له ديوان شعر غزير الوجود كما أشار الى ذلك الخزرجي في العقود اللؤلؤية (١) .

أنظر العقود اللؤلؤيه ذكره في مواضع متعددة منها ص ٨٦-٨٧ - ١١٠-١١١ وغيرها ، وحياة الأدب اليمني في عصر بني رسول للحبشي ص ١٢٠ ومابعدها والأعلام للزركلي ٦ / ١١١ .

(١) حدثني مؤخرا الاستاذ اسماعيل الأكوع مدير دار الآثار باليمن أن أخاه القاضي محمد علي الأكوع المحقق المعروف حصل على نسخة مخطوطة من ديوان ابن حمير في مكتبة " برلين " .

٧٦ - محمد بن زياد المأربـــي :

من مأرب مدينة السد ، كان مداحا للملوك كثير الوفادة عليهـم كريما بما فى يديه ، مدح المفضل بن أبى البركات (١) .

وهو من الشعراء المجيدين ، كان غالب اقامته فى نجران ،

قال الأكوع فى تحقيقه على تاريخ اليمن لعمارة : كان شاعر مفلقا مجيدا متلافا مدح الأمراء الزواحين والملوك الصليحيين (٢) .

أنظر الخريدة ٣/ ٢٢١ قسم شعراء الشام وهو فيه محمود ، وتاريخ عمارة ص ٢٦٨ ومابعدها ، ومصادر الفكر العربى الاسلامى للحبشى ص ٣١٦ .

* * *

٧٧ - البيحانـــي :

محمد بن سالم الكرادى البيحانى فقيه وخطيب وشاعر ، ولـد فى بيحان سنة ١٣٢٦ هـ ودرس دراسته الأولى فى بلدته ، ثم رحل الى حضرموت سنة ١٣٣٩ هـ ، وأخذ على علمائها ، وأخذ

(١) قائد يمنى من ذوى الشجاعة والرأى ، كان من رجال المملكـــة الصليحية الحره أروى بنت أحمد وقائد جيشها ومدبر أمور دولتها ولم تكن الحرة تقطع أمرا دونه ، توفى سنة ٥٠٤ هـ .

(٢) مؤسسوا الدولة الصليحية نسبه الى الزياحى بن حبابه بن لباحه من أذواء مأرب .

يتعاطى التدريس ورحل الى الشيخ عثمان لمواصلة تعليمه ثم أرسل فى بعثة الى مصر للدراسة بالجامع الأزهر فنال منه شهادته سنة ١٣٦٢ هـ ثم عاد الى عدن واشتغل بالتدريس وأنشأ معهدا دينيا فيها ، يعد من كبار علماء اليمن له مجموعة من المؤلفات منها : ١ - اصلاح المجتمع .

٢ - أستاذ المرأه .

٣ - أشعة الأنوار فى التاريخ .

وله أيضا ديوان شعر بعنوان " العطر اليمانى من أشعار البيحانى " طبع مؤخرا فى قطر على نفقه الشؤون الدينية بها .

توفى فى تعز سنة ١٣٩١ هـ .

* * *

٧٨ - السمسرى :

محمد صالح السمرى ، عالم وأديب ومجاهد ، لم أعثر على تاريخ ميلاده ، والمعروف أنه تلقى تعليمه الأولى فى اليمن ثم رحل الى القاهرة ودرس فى كلية اللغة العربية والتقى بالعلماء والأدباء فى مصر ، وأفاد افادة كبيرة من علمهم وأدبهم كان ذلك أواخر الثلاثينيات ثم عاد الى اليمن واشترك فى ثورة ١٩٤٨م ١٣٦٧هـ وبعد فشل الثورة اقتيد الى سجن حجه ومكث فيه حوالى شهر وعشرين يوما ثم لقى ربه شهيدا ضمن قافلة الشهداء فى هذا العام .

٧٩ - غـــانـــم :

محمد عبده غانم شاعر وأديب من مواليد عدن سنة ١٩١٢ م نشأ فيها وتلقى دراسته الاعدادية والثانوية بها تلقى تعليمـــه الجامعى فى الجامعة الامريكية ببيروت وبعد تخرجه سنة١٩٣٦م التحق بالسلك التعليمى وتدرج فيه حصل على دبلوم تربية مـــن جامعة لندن عام ١٩٤٩م وفى عام ١٩٦٠م تولى ادارة المعارف وأخيرا التحق بالسلك الدبلوماسى ولا زال فيه وهو الآن سفيـــر للجمهورية العربية اليمنية فى دولة الأمارات العربية بعد أن شغل عدة مناصب فى شمال البلاد من آثاره المطبوعه :

١ - كتاب " شعر الغنار الصنعانى " دراسة .

٢ - وعلى الشاطئ المسحور ديوان ،صدر عام ١٩٤٥م.

٣ - موج وصخر ديوان صدر عام ١٩٦٢م.

٤ - حتى يطلع الفجر ديوان شعر .

* * *

٨٠ - جـــراده :

محمد سعيد جراده ،ولد فى مدينة الشيخ عثمان فى عدن عام ١٩٢٧م من أب متوسط الحال وبعد وفاة أبيه كفله خاله حفـــظ القرآن وهو صغير ثم حفظ كثيرا من نصوص الشعر الجاهلى بـــدأ ينظم الشعر وهو فى الخامسة عشره من عمره فمدح الامام احمـــد وابنه البدر ، توظف مدرسا فى مدرسة النهضة العربية ثم مديـــرا

لها ، له ديوانان " من الوجدان " وفيه شعر عاطفي وفلسفي واجتماعي ، و " وحي الوطن " وفيه شعر وطني منه ما هو مدح لأئمة اليمن ومعظمه ضد الأوضاع الفاسدة في الشمال والجنوب على السواء .

* * *

٨١ - الهبي :

محمد بن عبدالله من أدباء القرن العاشر عاش بمدينة صعده ومدح أمراءها ، ذكره الحبشي في مصادر الفكر ص ٣٣٢ وأشار الى ترجمته في نشر العرف لمحمد بن محمد زباره ، ولم أطلع عليه .

* * *

٨٢ - السودي :

محمد بن علي بن محمد السودي ، أبو عبدالله الشهير بالمهادي شاعر متصوف من أهل تعز ، ووفاته فيها سنة ٩٣٢هـ له ديوان شعر مخطوط موجود في مكتبة الفاتيكان كما ذكر الزركلي ونسخة أخرى في دار الكتب وأشار الى أن اسمه في مقدمته محمد بن علي بن احمد بن ابراهيم ، وذكر الحبشي أن أسمه محمد بن علي بن ابراهيم السودي ، وأشار الى أن هناك نسخا من ديوانه غير التي ذكرها الزركلي موجودة في مكتبة ابراهيم عقيل في تعز ، وأخرى في مكتبة الحبشي .

أنظر الأعلام ٦ / ٢٨٩ ، ومصادر الفكر للحبشي ص ٣٣٠ .

* * *

٨٣ - محمد بن على الشوكانى :

القاضى الحافظ الناقد الشهير محمد بن على بن محمد الشوكانى ثم الصنعانى ،ولد سنة ١١٧٣ هـ ونشأ فى صنعاء وتعلم بها وبرع فى كثير من العلوم ولا سيما العلوم الشرعية والأدبية ،وبلغ درجة الاجتهاد ، له مصنفات كثيرة فى الأصول والفقه والحديث وعلوم أخرى ،وله ديوان شعر طبع مؤخرا ، من أشهر مصنفاته :

١ - فتح القدير ، تفسير القرآن الكريم .

٢ - ارشاد الفحول فى أصول الفقه

٣ - نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، فى الحديث .

٤ - السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ،فى الفقه

ومصنفاته كثيرة منها المطبوع ومنها المخطوط ،ذكر صاحب الأعلام أنها تبلغ ١١٤ مؤلفا ،ترجم لنفسه فى البدر الطالع ٢/ ٢١٤ وترجم له زباره فى نيل الوطر ٢/ ٢٩٧ ،وذكر شيئا من أخباره وأورد له قصيدة مطولة كانت من جملة مكاتباته مع أتباع محمد بن عبد الوهاب والقصيدة فى الديوان ص ١٥٥ ، كما ترجم له الزركلى فى الأعلام ٦/ ٢٩٨ ،وقد اتفع الجميع أن وفاته كانت سنة ١٢٥٠هـ.

* * *

٨٤ - زبـــاره :

محمد بن محمد يحى زباره ، مؤرخ من علماء صنعاء مولده فى سنة ١٣٠١ هـ ١٨٨٤م ،كان من جلساء الامام يحى ولم يرضه ماعليه اليمن من تخلف فدعا الى الاصلاح السياسى والاجتماعى والدينى فساءت علاقته بالامام يحى فترك اليمن وطاف ببعـــض البلاد الاسلامية .

عنى عناية كبيرة بتراجم علماء اليمن فصنف كتبا كثيرة فى هـذا السبيل منها - أئمة اليمن - واتحاف المهتدين - ونيل الوطر فى تراجم رجال اليمن فى القرن الثالث عشر ،ونشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف ، وغيرها من الكتب منها المطبوع ومنها المخطوط توفى فى صنعاء سنة ١٣٨١ هـ ١٩٦١م.

٨٦ - الـــزبيـــرى :

محمد محمود الزبيرى شاعر وأديب وزعيم سياسى ولد سنـــة ١٣٣٦ هـ ١٩١٨م حفظ القرآن صغيرا تلقى علومه الأولية فـى المساجد والمدرسة العلمية بصنعاء سافر سنة ١٩٣٨م الـــى القاهرة وواصل دراسته فى " دار العلوم " وهناك بدأت تظهـر بعض مواهبه - عاد الى اليمن سنة ١٩٤١م وهنا بدأت تبـــرز ملامح شخصيته زعيما سياسيا ومصلحا اجتماعيا وداعيا اسلاميـــا

وأديبا بارعا ،سجن بسبب خطبه الرنانه التى كان يلقيهـا فـى المساجد ثم أفرج عنه بعد عام .

وفى سنة ١٩٤٤م سافر الى عدن وأنشأ هناك " حزب الأحرار" ثم " الجمعية اليمانية الكبرى " - كما تقدم - رجع الى اليمن سنة ١٩٤٨م مؤيدا ومخططا لثورة ابن الوزير ،وبعد فشل الثورة سافر الى مصر ومنها الى باكستان وظل هناك حتى قيام ثورة سنـــة ١٩٥٢م ثم عاد الى مصر وظل هناك حتى قيام ثورة سبتمبر١٩٦٢م فى اليمن عاد بعدها الى صنعاء وتولى وزارة التربية والتعليم فى حكومة الثورة لكنه مالبث أن أختلف مع الثورا بسبب تصرفـات بعضهم المتهوره وغير المسئوله خرج عقب ذلك من صنعاء الـى بعض المناطق القبلية داعيا الى الاصلاح وحقن الدماء المراقـه بين اليمنيين لغير ما سبب .

وفى واحد من جبال برط فى المنطقة الشمالية امتدت اليـــه بعض الأيدى المجرمة فاغتالته فى وضح النهار وسقط شهيدا فى ١ ابريل سنة ١٩٦٥م فرحمه الله وأدخله فسيح جناته .

وقد خلف الزبيرى ثروة أدبية وفكرية هائله المطبوع منها :

صلاة فى الجحيم - ديوان شعر ، ثورة الشعر - ديوان شعر ، مأساة واق الواق -رواية سياسية ، الأمامه وخطرها - دراســـة سياسية لأوضاع اليمن ،الخدعة الكبرى فى السياسة العربية -

دراسة ، وقد كتبت حولة عدة دراسات ولم يكن أى منها قـــد أحاطه من جميع جوانبه ولا زال هناك الكثير من تراثه الشعـــرى والفكرى مدفونا تحت الأنقاض وفى صدور بعض رفاقه .

* * *

٨٦ - محمد بن هاشم الشامى :

هو السيد العلامة محمد بن هاشم بن يحى الشامى عـــالم وأديب وشاعر عالى القدر رفيع الهمه ، كان زاهدا متعففا متقللا من الدنيا لا يبالى بما ظفر منها .

قال عنه الشوكانى ونظمه كله فى الذروة العليا بحيث يفضـــل على كثير من المتقدمين .

وقال القاضى محمد زباره فى وصفه :

امام البلاغة وحامل لواء الفصاحه المقدم على جميع أهـل عصره فى صناعة الانشاء وحسن السبك وجودة النظم ، توفى سنة ١٢٠٧ هـ .

وقد ترجم لـه :

١ - الامام الشوكانى فى البدر الطالع ٢/ ٢٧٢ وذكر شيئا من أخباره وأشعاره .

٢ - محمد بن محمد زباره فى نيل الوطر فى تراجم رجال اليمـن فى القرن الثالث عشر ٢/ ٣٢٢ ، وقد أطال فى ذكر أخبـاره وذكر كثيرا من قصائده وأشعاره .

* * *

٨٧ - موسى بهـــران :

موسى بن يحى بهران ،شاعر يمانى أصله من البصره ومولده بصعده ووفاته بصنعاء ، له ديوان شعر مخطوط بصنعاء أكثره فى مدح الامام شرف الدين أحد أئمة اليمن فى عصره ، توفى بالطاعون سنة ٩٣٣ هـ .

" انظر الأعلام ٧/ ٣٣١ ،ودرسه الدكتور شوقى ضيف ،وذكر شيئا من شعره ،أنظر عصر الدول والامارات ص ١٦٥".

* * *

٨٨ - نشوان الحميـرى :

هو الأمير الكبير نشوان بن سعيد الحميرى ، ينتهى نسبه الى حمير وأقيال اليمن عالم وفقيه وشاعر عارف باللغة والنحو والتاريخ وسائر فنون الأدب ،كان فصيحا بليغا وشاعرا مجيدا استولى على قلاع وحصون وقدمه أهل جبل صبر ،حتى صار ملكا عليهم ،وله تصانيف أجلها " شمس العلوم " و " شفاء كلام العرب من الكلوم" وله القصيدة " النشوانية " المشهورة التى مطلعها :

الأمر جد وهو غير مزاح ∴ فاعمل لنفسك صالحا ياصاح

وقد سبقت الاشارة اليها .

مات فى ذى الحجة سنة ٥٧٣ هـ .

أنظر الخريدة ٣/٢٦٨ للعماد الأصفهاني ،وتاريخ اليمن لعماره اليمني ص ٢٩٧ ،وفيه وهو شاعر فحل قوى الحبك حسن السبك وقد أطال محقق الكتاب الأستاذ الأكوع في سرد أخبار نشوان وأشعاره ، وذكره ياقوت في معجم الأدباء ١٩/٢١٧ ، والقفطي في " انباه الرواه ٣/٣٤٢ " وفيه أن لنشوان شعرا كشعر العلماء لا يخلو من تكلف وقد ذكر أن وفاته كانت سنة ٥٨٠هـ والصحيح ماذكره الحموى في معجمه وعليه أكثر المؤرخين .

وفي بغية الوعاه للسيوطي ٢/٣١٢ " انه شاعر فصيح بليغ مفوّه .

وقد حمل عليه الأصفهاني بسبب أبيات نسبت اليه يفاخر فيها بين الحقطانية والعدنانية .

* * *

٨٩ - ابن روبك :

ابو محمد يحى بن روبك ، شيخ النحاة في عصره باليمن تفقه بصنعاء ثم استوطن تعز ومدح الملوك ،له رياسة معهم ،وكان على طريقة العرب في ارتجال الشعر مات سنة ٨٣٥ في زبيد ودفن هناك . وهو من الفقهاء الشعراء غير أن شعره لم يجمع في ديوان .

أنظر الضوء اللامع للسخاوى ١٠/٢٢٥ ،وحياة الأدب اليمني في عصر بني رسول ص ٧٥ للحبشي " .

٩٠ - يحى بن زياد الحارثى :

نسبه الخطيب فى تاريخ بغداد وانتهى به الى كهلان بن شبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وكان شاعرا أديبا ماجنا نسب الى الزندقة وله فى السفـــاح مدائح ،استشهد له أبو تمام فى حماسته وترجم له التبريزى فى شرح الحماسة وفيه " وهو شاعر مقل ماجن خليع يرمى بالزندقـة ولاه أبو جعفر المنصور على الأهواز برجاء من ابنه المهدى .

انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ٤/١٠٦ ، وشـرح الحماسه للتبريزى ١/٣٥٦ ،والمرزوقى ٢/٨٦٠ " .

* * *

٩١ - الامام شـرف الدين :

واسمه يحى شرف الدين بن شمس الدين ولد فى الخـامـس عشر من رمضان سنة ٨٧٧ هـ شاعر وامام كان فى حروب مستمـرة مع القوات العثمانية فى اليمن ودب خلاف بينه وبين ابنه المطهر أدى الى اتاحة الفرصة للأ تراك للاستيلاء على أجزاء كثيرة من اليمن ثم اتفقا على أن يحتفظ الأب بالامامه ويتولى الأبن سياسة البلاد ،استقر بعد ذلك شرف الدين فى كوكبان ثم سافر الـى حجة وفقد بصره هناك .

له مصنفات كثيرة منها :

الأثمار مختصر الأزهار فى فقه الزيدية ،والقصص الحق فى مدح خير الخلق ،قصيدة مخطوطه ،والاحكام فى أصول المذهب ، وغيرها ، توفى سنة ٩٦٥ هـ .

أنظر ترجمته فى البدر الطالع ١/ ٢٧٨ ،والاعلام ٨/ ١٥٠ .

* * *

٩٢ - الامام يحى حميد الدين :

هو يحى بن محمد بن يحى حميد الدين ،من مواليد صنعاء سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩م من سلالة الأئمة فى اليمن ،تفقه وتأدب على علماء وفقهاء صنعاء ،صحب أباه الامام المنصور فى رحلاته وحروبه ضد الأتراك فاكتسب خبرة عسكرية وحنكة سياسية كبيرة تولى حكم اليمن عقب وفاة أبيه سنة ١٣٢٢ هـ حارب الأتراك مرات عديدة حتى تمكن أخيرا من الاستيلاء على صنعاء بعد خروج الأتراك عقب الحرب العالمية الأولى ،وظل على عرش اليمن فترة طويلة رغم حركات التمرد التى قامت ضده حتى تمكنت الحركة الوطنية بمختلف فئاتها من اغتياله عام ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨م ،وكان قد بلغ من الكبر عتيا وجاوز عمره الثلاثين سنة .

* * *

٩٣١ - ابن المفرغ الحميرى :

هو يزيد بن المفرغ الحميرى ، ولقب جده مفرغا لأنه راهن على سقاء لبن أن يشربه كله فشربه ، وقد طعن النسابون فى نسبته الى حمير ، ولا غيرة بهذا الطعن فأبوه حميرى من خولان ، وأمه من قبيلة الأزد ، وكان شاعرا هجاء وقد صحب عباد بن زياد فترة ثم ساءت العلاقة بينهما فسجنه عباد ثم رق له فأخرجه وفر بعدها الى الشام وصار يتنقل بين مدنها وقراها ويهجو آل زياد فطلبه عبيد الله بن زياد أخو عباد فلم يجده ثم شكاه الى يزيد بن معاوية ، وأخيرا نزل الشاعر بالبصرة واستجار الأحنف ابن قيس فأبى أن يجيره ثم بخالد بن أسيد فلم يجره أيضا ، واستجار آخر الأمر بالمنذور بن الجارود وكانت ابنته تحت عبيد الله بن زياد فأجاره لكن عبيد الله لم يرع جوار المنذر فأخذ ابن المفرغ وسجنه واستأذن يزيد بن معاويه فى قتله فلم يأذن له وأشار اليه بحبسه وتنكيله بما يؤدبه فنكل به عبيد الله وأمر أن يطاف به فى أسواق البصرة ثم رد الى السجن وبقى فيه مدة طويلة الى أن أطلق بشفاعة قومه اليمنيين عند يزيد بن معاويه .

ومات سنة تسع وستين .

وله أشعار كثيرة ذكر صاحب الأغانى طرفا منها وقد جمعهـا مؤخرا كل من :

١ - داوود سلوم من العراق تحت عنوان " شعر ابن المفـرغ الحميرى " .

٢ - وعبد القدوس أبو صالح من سوريا تحت عنوان " ديـوان يزيد بن المفرغ الحميرى " .

أنظر ترجمته فى الأغانى ١٧ / ٥١ ط مطبعة التقدم بمصر . ومعجم الأدباء ٢٠ / ٤٣ لياقوت ، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام ٢ / ٦٨٦ تحقيق محمود محمد شاكر وفيه أنه أستأذن معاوية فى قتله بدلا من يزيد فى رواية ياقوت ، فقال معاوية أما قتلـه فلا ولكن ما دون القتل .

* * *

٩٤ - يوسف الشحارى :

من مواليد الحديدة سنة ١٩٣٢م تلقى دراسته الأولية فى مسقط رأسه ثم فى كلية الشرطة فى تعز تخرج منها عام ١٩٥٦م عين بعد ثورة ١٩٦٢م مديرا للشرطون العامة والتوجيه المعنوى ثم كبيرا لمعلمى كلية الشرطة بصنعاء ثم وكيلا لمجلس الشورى ، يعمل الآن مسئولا عاما عن المجالس البلدية ، يقول الشعـر بشقيه العمودى والحر .

* * *

الخاتمة

" الخاتمـــــــة "

.. وتتضمن مايلـــى :

١ ـ النتائج التى توصلت اليها من خلال هذا البحث .

٢ ـ قائمة بأسماء المصادر والمراجع .

٣ ـ فهرس الموضوعات .

* * *

١ - النتائج :

اذا كان للأمة الاسلامية والعربية أن تعرف شيئا عن آداب شعوبها ومعارفها الانسانية ، فان من حقها - على الباحثين والدارسين - أن تعرف من تلك الآداب والمعارف مايدلها على عادات وتقاليد وقيم تلك الشعوب ومثلها العليا التى ينبغى أن يمثلها هذا الأدب أو ذاك .

وأن تظفر منه بما يوضح أهدافها ويقيم اعوجاجها ، ويرشدها الى مواطن الضعف ومعالم الاصلاح .

على أن تكون تلك المعرفة بعيدة عن الصراعات الفكرية والنظريات الأيدلوجية والشعارات البراقة التى يرفعها - عادة - أصحاب الاتجاهات السياسية .

ولابد أن يكون الصدق والاخلاص هما رائدا حملة الأقلام ورواد الفكر فى هذا المجال .

وقد حرصت حرصا شديدا - وأنا أقدم هذا الجهد المتواضع الى قراء العربية - أن يأتى وفق هذه المقياس .

اذا جعلت هدفى الأساسى ، التعريف بالشعر اليمنى المعاصر ومكانته الفكرية والفنية بين مختلف الآداب العربية ، ومدى تطوره وعوامل تأثره بمختلف التيارات الأدبية التى عمت الأقطار العربية فى العصر الحديث .

كل ذلك بعيدا عن التوجهات الفكرية والشعارات السياسية التى يتأثر بها هذا الفريق من الشعراء أو ذاك .

على أن تخصيص هذه الدراسة بالقطر اليمنى لا يعنى أننى مؤمن باقليمة الأدب العربى وتجزئته .

فالأدب العربى جزء من العقيدة التى نزل بها القرآن الكريم ، وهذا يعنى أنه وحدة متكاملة فى مصر والشام والحجاز واليمن وغيرها من الأقطار التى تهتم بالقرآن وعلومه .

وهو كذلك وحدة متكاملة فى خصائصه ومميزاته وأهدافه وثقافة شعرائه .

والخطوات متوازية من قطر الى قطر لكنها متلاحقه يبدأ التيار الأدبى فى بلد ثم يعم الأقطار العربية جميعها .

ولم يكن هذا البحث ارضاء لفريق أو طرف معين بقدر ماهو دراسة أدبية خالصة ، واجتهاد شخصى ونظرة فردية خاصة - تحاول أن تكون نظرة موضوعية - الى الحركة الشعرية المعاصرة فى اليمن ، من خلال النصوص التى بين أيدينا لعدد كبير من شعراء اليمن المعاصرين .

ولابد لى هنا وأنا أختم الموضوع أن أضع بين يدى القارىء خلاصة مفيدة لأهم النتائج التى انتهيت اليها من خلال هذا البحث علها تجمع شتاته وتقرب أطرافه ، وتذكر بأهدافه ومراميه .

وهذه النتائج كالتالى :

١ - فى التمهيد تتبعت حركة الشعر اليمنى فى عصوره السالفة ، فتبين لى من خلال ذلك أنه كان يساير حركة الشعر العربى عموما ، قوة وضعفا ، وجمودا وتطورا وتخلفا وازدهارا .

٢ - فى دراستى للعوامل السياسية والاجتماعية والثقافية التى تراكمت على اليمن قبل عصر النهضة ، وأدت الى ركوده أقول من خلال تلك الدراسة تبين لى أن عوامل التخلف المتنوعة كانت من الكثافة بحيث تكفى لرسم معالم الجمود على أى شعب مهما تكن طموحاته .

٣ - وفى دراستى للاتجاه الوطنى بدا واضحا أنه يحتل المكانة المرموقة فى شعر اليمن المعاصر ، ولعل ذلك لاحساس اليمنيين - ولا سيما الفئة المثقفة والواعية منهم بالحاجة الى رفع مستوى الوطن سياسيا واجتماعيا وثقافيا .

فتطور هذه العوامل هو مفتاح التطور المادى والمعنوى وجمودها هو علامة التخلف والركود .

لكن اليمنيين لم يفهموا الوطنية فهما اقليميا بعيدا عن المفهوم الاسلامى فمبادىء الاصلاح التى دعوا اليها كانت نابعة من الاطار الاسلامى العام ، وشعرهم كذلك كان دائما موصولا بالفكر الاسلامى والمنهج الاسلامى .

٤ - اتضح لنا من خلال دراستنا للمبحث الثانى من الباب الثانى أن الحركة الوطنية احتوت فى فترة الأربعينيات والخمسينيات كافة الاتجاهات

السياسية على الساحة اليمنية واحتوت تبعا لذلك معظم الشعراء بمختلف مشاربهم واتجاهاتهم ،وكان الاسلام هو منطلق هذه الحركة ومبتغاها وبه تحقق أهدافها التى هى أهداف اسلامية أيضا .

ومن ثم لم نكن بحاجة الى دراسة التيار الاسلامى دراسة متميزة فى شعر اليمن المعاصر فى تلك الفترة .

ولكن بعد أن برزت فى الساحة تيارات فكرية أخرى مناوئه للاسلام وحاول أصحاب تلك التيارات احتواء عدد من الشعراء وابراز النصوص والنماذج الشعرية التى تخدم أهدافهم وتحقق اغراضهم .

فى هذه الظروف والملابسات وجدت أنه لابد من ابراز الجانب الاسلامى وتمييزه فى دراسة خاصة .

فكان أن قمت بتتبع نصوص الشعر الاسلامى فى مختلف الدواوين الشعرية والدراسات الأدبية وأفرزتها افرازا خاصا حتى تسنى لى بعد ذلك أن أكون منها ذلك التيار الشعرى الاسلامى الذى فاق كثيرا من التيارات أصاله ومعاصره .

٥ - وفى دراستنا للشعر القومى ومن خلال نصوصه المعروضة أدركنا أن له منطلقين :

أ - فبعض الشعراء انطلقوا فى معالجتهم للقضايا العربية من منطلق اسلامى وهو أن العروبة وعاء للاسلام كما رأينا فى قصائد الموشكى والزبيرى والبيحانى والقاضى والبار وغيرهم .

ب ـ وفريق آخر من الشعراء انطلقوا فى تجربتهم الشعرية ومعالجتهم لتلك القضايا من منطلق قومى حديث .

وقد عرفنا أن المفهوم الحديث للقومية لا يتفق ومبادىء الاسلام التى تدعو الى الأخوة والعدالة والمساواة ، وعدم التفاضل بين بنى البشر الا بقدر قربهم من الله أو بعدهم عنه دون الاعتبار بجنس أو لون أو مال أو جاه أو نحوها .

ويتمثل هذا المنطلق دواوين البردونى الأخيره ومعظم شعر الشرفى والمقالح ومعبده عثمان وصبره وأضرابهم .

٦ ـ وفى ظاهرة الشعر الاجتماعى رأينا مدى اهتمام الشعر بالانسان اليمنى وأوضاعه ومشكلاته وأهمها الجهل والفقر والمرض .

كما كان الشعر حريصا على تسجيل أدق التفاصيل فى القضايا ذات الصبغة الاجتماعية مثل الهجرة والزراعة ونحوها كما بينت ذلك فى موضعه .

٧ ـ وفى دراستنا للجانب الفنى بمختلف عناصره تبين لنا أن المؤثرات الوافدة على الشعر اليمنى كانت فى معظمها مؤثرات عربية .

وقليل جدا من الشعراء اليمنيين من تأثر بالآداب الأجنبية عن طريق الترجمة مثل باكثير ولطفى جعفر أمان ، على أن هذا التأثر فى الغالب لم يتجاوز التيارات الأدبية المعروفة فى العالم العربى وهى :

أ ـ التيار المحافظ .

ب ـ التيار .

جـ - التيار الواقعى .

وربما التقت هذه التيارات كلها فى شاعر واحد أو فى فريق من الشعراء اكما بينا ذلك من قبل .

وقد شمل التأثر بتلك التيارات جانبى الدراسة الأدبية الشكلى والمضمونى كما أسلفت .

وبهذه الكلمات نطوى صفحات هذه الرسالة سائلين المولى عز وجل أن ينفع بها وأن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا ما ينفعنا ،وأن يرزقنا الاخلاص فى القول والعمل انه سميع مجيب .

،، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته

أجمعين ،وعلى الداعين بدعوته الى يوم الدين ،،

* * *

فرغت من كتابة هذه الرسالة فى مساء يوم السبت ٢٤/٢/١٤٠٥ هـ الموافق ١٧/١١/١٩٨٤م ،،،

أحمد / ى . .

ثبت المراجع والمصادر

" فهرس المصادر والمراجع مرتبة حسب تسلسل الحروف الهجائية "

(أ)

١ - أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر الهجرى لمحمد بن محمد زباره

ط المطبعة السلفية القاهرة

٢ - الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر فى اليمن

د . عبد العزيز المقالح - ط دار العودة بيروت

٣ - ابن الرومى حياته من شعره :

عباس محمود العقاد - ط دار الكتاب العربى بيروت

٤ - الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر

محمد محمد حسين - ط ٣ دار النهضة العربية بيروت .

٥ - الأدب وفنونه

محمد مندور - ط دار نهضة مصر القاهرة .

٦ - الأدب وفنونه

د . عز الدين اسماعيل - ط دار الفكر العربى بيروت

٧ - الأدب وقيم الحياة المعاصره

د . زكى العشماوى - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٨ - الأدب ومذاهبه

لمحمد مندور - ط دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة .

٩ - الاستيعاب فى معرفة الأصحاب

لابن عبد البر - ط مطبعة نهضة مصر القاهرة .

١٠ ـ أسد الغابة فى معرفة الصحابة

لعز الدين ابن الأثير ـ ط مطبعة الشعب ـ القاهرة ٠

١١ـ الاصابة فى تمييز الصحابة

لابن حجر العسقلانى ـ ط دار نهضة مصر ـ القاهرة ٠

١٢ ـ أصول النقد الأدبى

لاحمد الشائب ـ ط ونشر مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة

١٣ ـ اضاءات نقدية

لمجموعة من الكتاب العرب ـ ط دار العودة ـ بيروت

١٤ ـ الأعـــلام

لخير الدين الزركلى ـ ط الخامسة ١٩٨٠ دار العلم للملايين بيروت

١٥ ـ الأغانى

لأبى الفرج الأصفهانى ـ ط مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ٠

١٦ ـ اقتضاء الصراط المستقيم

لابن تيمية ـ ط مطابع المجد التجارية

١٧ ـ الاكليـــل

لأبى محمد الحسن الهمدانى

جـ ١ ط مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة ١٣٨٣ هـ

١٨ ـ الاكليـــل

لأبى محمد الحسن الهمدانى

جـ ٢ ط دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٠م

١٩ ـ الاكليـــل

لأبى محمد الحسن الهمدانى

جـ ١٠ ط المكتبة السلفية ـ القاهرة ٠

٢٠ - امام اليمن احمد حميد الدين

لأحمد محمد الشامى - ط مطابع مؤسسة الانتاج بيروت .

٢١ - أيام العرب فى الجاهلية

لمحمد أبو الفضل وشركاؤه - ط دار احياء التراث العربى - بيروت

٢٢ - أيام العرب فى الاسلام

لمحمد أبو الفضل وشركاؤه - ط دار احياء التراث العربى بيروت .

(ب)

٢٣ - البداية والنهاية

لابن كثير - ط مكتبة المعارف بيروت .

٢٤ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع

لمحمد على الشوكانى - ط دار المعرفة بيروت

٢٥ - بلوغ المرام فى من تولى ملك اليمن من ملك وامام - لحسين العمرشى

ط دار احياء التراث العربى بيروت

٢٦ - البناء الفنى للقصيدة العربية

محمد عبد المنعم خفاجه - ط دار الطباعة المحمدية - القاهرة .

٢٧ - البيان والتبيين

للجاحظ - ت السندوبى - ط المكتبة التجارية الكبرى - بيروت

(ت)

٢٨ - تاريخ الأدب العربى

لكارل بروكلمان - ترجمة د . عبد الحليم نجار - ط دار المعارف بمصر .

٢٩ - تاريخ الاسلام

حسن ابراهيم حسن - ط مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .

٣٠ - تاريخ الشعر العربى الحديث

لأحمد قبش - ط دار الجيل - بيروت

٣١ - تاريخ الطباعة فى الشرق العربى

د . خليل صابات - ط دار المعارف بمصر

٣٢ - تاريخ الفكر الاسلامى فى اليمن

أحمد حسين شرف الدين - مطابع الرياض

٣٣ - تاريخ اليمن - المسمى المفيد فى أخبار صنعاء وزبيد

لعماره اليمنى - ط مطبعة السعادة

٣٤ - تاريخ اليمن - المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث تاريخ اليمن

لعبد الواسعى - ط الدار اليمنية للنشر والتوزيع

٣٥ - التجديد فى شعر المهجر

لأنس داود - ط دار الكتاب العربى القاهرة

٣٦ - تحت راية القرآن

مصطفى صادق الرافعى - ط ٧ دار الكتاب العربى بيروت

٣٧ - التصوير الفنى فى القرآن

سيد قطب - ط دار الشروق بيروت

٣٨ - تطور الأدب الحديث فى مصر

أحمد هيكل

٣٩ - تطور الصورة الفنية فى الشعر الحديث

د . نعيم اليافى - ط مطبعة اتحاد الكتاب العرب دمشق ١٩٨٣م

٤٠ - تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام

د . شكرى فيصل - ط ٤ دار العلم للملايين - بيروت.

٤١ - تطور النقد الأدبى الحديث

لمحمد غنيمى هلال - دار نهضة مصر القاهرة

(ح)

٤٢ - حاضر العالم الاسلامى

ترجمة عجاج نويهض تعليق شكيب أرسلان - دار الفكر بيروت

٤٣ - حديث الأربعاء

د . طه حسين - ط١٨ . دار المعارف بمصر.

٤٤ - الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية

ط دار صادر بيروت ١٣٩٢ هـ

٤٥ - الحركات القومية الحديثة

لمنير محمد نجيب - مكتبة الحرمين

٤٦ - الحكم العثمانى فى اليمن

لفاروق أباظه - ط دار العودة بيروت

٤٧ - الحياة الأدبية فى الشام

عبد الجليل حسن - ط مكتبة الأقصى - عمان ١٣٩٧هـ

٤٨ - حياة الأدب اليمنى فى عصر بنى رسول

عبدالله محمد الحبشى - ط دار الشهباء - لندن

٤٩ - الحياة الأدبية فى جزيرة العرب

د . طه حسين

٥٠ - الحيوان

للجاحظ - ت عبدالسلام هارون

ط ٢ مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر.

(خ)

٥١ - خريدة القصر وجريدة العصر

للعماد الأصفهاني - الكاتب قسم شعراء الشام

ت - د . شكري فيصل - ط المطبعة الهاشمية دمشق .

٥٢ - خزانة الأدب للبغدادي

ط دار صادر بيروت

٥٣ - خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر

للمحبي - ط دار صادر بيروت

(د)

٥٤ - دراسات أدبية

أحمد هيكل - ط دار المعارف بمصر

٥٥ - دراسات في الأدب الأندلسي

لسامي مكي العاني - المكتبة الوطنية بغداد

٥٦ - دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه

لمحمد عبد المنعم خفاجي - ط دار الطباعة المحمدية - القاهرة

٥٧ - دراسات في الشعر العربي المعاصر

لشوقي ضيف - ط دار المعارف بمصر .

٥٨ - دراسات في المجتمع العربي

لأنور العقاد - ط ٢ مطبعة الشرق بحلب

٥٩ - دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية

لعباس محمود العقاد - ط المكتبة العصرية بيروت

٦٠ - دراسات ونماذج

لمحمد غنيمي هلال - ط دار نهضة مصر القاهرة .

(ذ)

٦١ - ذيل الأمالى

لأبى على القالى - ط دار الفكر القاهرة .

(ر)

٦٢ - رحلة فى الشعر اليمنى قديمه وحديثه لعبد الله البردونى

ط دار العودة - بيروت .

٦٣ - الرمز والرمزية فى الشعر المعاصر

د . محمد فتوح حمد - ط دار المعارف .

(ز)

٦٤ - الزبيرى أديب اليمن الثائر

عبد الرحمن الحمرانى - ط مركز الدراسات والبحوث اليمنى .

٦٥ - الزبيرى شاعر ومناضلا

لمجموعة من الكتاب اليمنيين - ط دار العودة بيروت .

(س)

٦٦ - السيرة النبوية

لابن هشام - ط مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة

(ش)

٦٧ - شرح ديوان الحماسة

للتبريزى - ط مكتبة النورى - دمشق .

٦٨ - شرح ديوان الحماسة

للمرزوقى - ط ٢ مطبعة لجنة التأليف والترجمة - القاهرة

٦٩ - شرح المعلقات السبع - للتبريزى .

٧٠ - شرح المعلقات السبع

للزوزنى - مكتبة المعارف - بيروت .

٧١ - الشعر بين الرؤيا والتشكيل

عبد العزيز المقالح - ط دار العودة بيروت

٧٢ - الشعر التونسى المعاصر

لمحمد صالح الجابرى - ط الشركة التونسية للتوزيع

٧٣ - شعرنا الحديث الى أين

لغالى شكرى - ط دار المعارف بمصر .

٧٤ - شعراء الدعوة الاسلامية

للجذع والجرار - ط مؤسسة الرسالة - بيروت

٧٥ - الشعر العربى المعاصر رؤية وفن

لعز الدين اسماعيل - ط دار الكاتب العربى القاهرة .

٧٦ - الشعر العربى بين الجمود والتطور

لمحمد عبد العزيز الكفراوى - ط دار القلم بيروت

٧٧ - شعر عمرو بن معدى كرب الزبيدى

تحقيق مطاع الطرابيشى - ط المطبعة التعاونية

من مطبوعات مجمع اللغة العربية - بدمشق .

٧٨ - شعر الغناء الصنعانى

لمحمد عبده غانم - ط دار العودة بيروت

٧٩ - الشعر المعاصر فى اليمن

لعز الدين اسماعيل - ط مطبعة الجبلاوى - القاهرة

٨٠ - شعراء اليمن المعاصرون

لهلال ناجى - ط مؤسسة المعارف - بيروت ١٩٦٦م .

٨١ - الشعر والشعـــراء

لابن قتيبة - ط مطبعة بريل بمدينة ليدن سنة ١٩٠٣م

٨٢ - الشهاب الراصـد

لمحمد لطف جمعة - ط مطبعة المقتطف والمقطم - القاهرة

٨٣ - شهادتى للتاريخ

لعبد القوى مكاوى - ط مطبعة العاصمة القاهرة .

(ص)

٨٤ - صبح الأعشى فى صناعة الانشاء

لاحمد بن على القلقشندى - ط دار الكتب المصرية القاهرة .

٨٥ - صفة جزيرة العـرب

لأبى محمد الحسن الهمدانى - ت محمد بن على الأكوع

ط - مطبعة نهضة مصر .

٨٦ - صفحات من التاريخ

للأستاذ صلاح أبو شادى - ط شركة الشعاع الكويت

٨٧ - الصورة بين البلاغة والنقـد

د . احمد بسام ساعى - ط مطابع المنارة للطباعة والنشر والتوزيع

(ض)

٨٨ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع

لشمس الدين السخاوى - من منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

(ط)

٨٩ - طبقات فحول الشعراء

لابن سلام - ت محمود شاكر ط مطبعة المدنى القاهرة

٩٠ - طبقات فقهاء اليمن

لعمر بن على الجعدى - ط دار الكتب العلمية - بيروت

(ع)

٩١ - العصر الاسلامى

لشوقى ضيف - ط مطبعة دار المعارف بمصر

٩٢ - العصر الجاهلى

لشوقى ضيف - ط مطبعة دار المعارف بمصر

٩٣ - عصر الدول والامارات

لشوقى ضيف - ط مطبعة دار المعارف بمصر

٩٤ - العصر العباسى الأول

لشوقى ضيف - ط مطبعة دار المعارف بمصر

٩٥ - العصر العباسى الثانى

لشوقى ضيف - ط مطبعة دار المعارف بمصر

٩٦ - العقد الفريد

لابن عبد ربه الأندلسى - ط ٣ مطبعة لجنة التأليف والترجمة القاهرة ١٣٨٢هـ

٩٧ - العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية

للشيخ على بن حسن الخزرجى ط مطبعة الهلال بمصر .

(غ)

٩٨ - غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى

ليحى بن الحسين تحقيق سعيد عاشور - ط دار الكاتب العربى للطباعة والنشر - القاهرة ١٣٨٨هـ

(ف)

٩٩ - فصول فى الشعر ونقده

لشوقى ضيف - ط دار المعارف بمصر .

١٠٠- الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى

لمحمد البهى - ط ٨ مكتبة وهبة بمصر .

١٠١- فلسفة اقبال

لمحمد سعيد الأعظمى - ط دار الفكر دمشق

١٠٢- فلسفة وفن

لزكى نجيب محمود ط - مكتبة الأنجلو مصرية ١٩٦٣م القاهرة

١٠٣ - فن الشعر

لاحسان عباس - ط دار الثقافة - بيروت

١٠٤- الفن ومذاهبه فى الشعر العربى

لشوقى ضيف - ط دار المعارف بمصر

١٠٥ - فيض القدير شرح الجامع الصغير

للمناوى ط ٢ دار المعرفة بيروت

١٠٦ - فى الأدب الجاهلى

لطه حسين - ط ١٠ دار المعارف بمصر

١٠٧- فى الأدب الحديث

لعمر الدسوقى - ط دار الفكر العربى - القاهرة

١٠٨ - فى الأدب والنقد

لمحمد مندور - ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة

١٠٩ - فى اللغة والأدب والنقد

لمحمد احمد الغزب - ط الأولى دار المعارف بمصر ١٩٨٠م

١١٠ - فى النقد الأدبى

لشوقى ضيف - ط دار المعارف بمصر .

(ق)

١١١ - القاموس السياسى

لأحمد عطية الله - لعام ١٩٦٨م

١١٢ - القاموس المحيط

للفيروز أبادى - الناشر مؤسسة الحلبى وشركاؤه .

١١٣ - قصة الأدب فى اليمن

لأحمد الشامى - ط الأولى ١٣٨٥ هـ المكتب التجارى بيروت

١١٤ - قضايا الشعر المعاصر

لنازك الملائكه - ط مكتبة النهضة

١١٥ - قضايا معاصره فى الأدب والنقد

لمحمد غنيمى هلال - ط دار نهضة مصر القاهرة

١١٦ - قضايا يمنية

لعبد الله البردونى - ط دار الاندلس بيروت

١١٧ - القومية العربية بين الفكر والواقع

لحسين أبو الحسن - ط المكتبة العصرية بيروت

١١٨ - قيم جديده للأدب العربى

لعائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ" ط - دار المعارف بمصر

(ك)

١١٩ - كتاب التعريفات

للجرجانى على بن محمد - ط دار الكتب العلمية - بيروت .

١٢٠ - كتب وشخصيـــات

لسيد قطب - ط دار الكتب العربية بيروت

١٢١ - كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون

لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة

ط - مكتبة المثنى بيروت

(ل)

١٢٢ - لسان العـــرب

لابن منظور - ط دار صادر بيروت

(م)

١٢٣ - مأساة واق الـواق

لمحمد محمود الزبيرى ط - دار العودة بيروت

١٢٤ - محاولة لفهم المشكلة اليمنية

لزيد بن على الوزير - مؤسسة الرسالة - بيروت

١٢٥ - محيط المحيـــط

للبستانى - ط مكتبة لبنان - بيروت

١٢٦ - مدرسة أ بـولـو

للفيف من النقاد والأدباء - نشرته رابطة الأدب الحديث

١٢٧ - مصادر الشعر الجاهلـى

لناصر الدين الأسد - ط ٥ دار المعارف بمصر .

١٢٨ - مصادر الفكر العربى الاسلامى فى اليمن

لعبد الله محمد الحبشى - ط مركز الدراسات والبحوث اليمنية

١٢٩ - معجـم الأخطاء الشائعة

لمحمد العدنانى ط مكتبة لبنان - بيروت .

١٣٠ - معجم الأدبـاء

ليقاوت الحموى - ط دار احياء التراث العربى بيروت

١٣١ - معجم قبائل العـرب

لعمر رضا كحاله - ط دار العلم للملايين

١٣٢ - المعجم الوسيط

ط دار المعارف من منشورات المجمع اللغوى - القاهرة

١٣٣ - مع الشعر المعاصر فى اليمن

لاحمد محمد الشامى - ط دار النفائس - بيروت

١٣٤ - ملوك حمير وأقيال العرب شرح لقصيدة - نشوان الحميرى

ت - على المؤيد واسماعيل الجرافى - ط المطبعة السلفية بالقاهرة

١٣٥ - ملوك العـــرب

لأمين الريحانى - ط دار الريحانى للطباعة والنشر بيروت

١٣٦ - من الأدب اليمنى

لأحمد الشامى - ط دار الشروق - بيروت

١٣٧ - موسيقى الشعـــر

لابراهيم أنيس - ط دار القلم بيروت

١٣٨ - الموسوعة العربية الميسره

لمجموعة من المختصين - ط مطبعة الشعب - القاهرة

(ن)

١٣٩ - النقد الأدبى الحديث

لمحمد غنيمى هلال - ط دار النهضة بمصر للطباعة والنشر

١٤٠ - النقد التحليلى لكتاب فى الأدب الجاهلى

لمحمد احمد الغمراوى - ط المكتبة العربية - بيروت.

١٤١ - النقد العربى الحديث

لمحمد زغلول سلام - ط مكتبة الانجلو مصرية القاهرة

١٤٢ - نقض كتاب فى الشعر الجاهلى

لمحمد الخضر حسين - ط المكتبة العلمية بيروت

١٤٣ - النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية

لعماره اليمنى - ط مطبعة مرسو ١٨٩٧م

١٤٤ - نيل الوطر من تراجم رجال اليمن فى القرن الثالث عشر

لمحمد محمد زباره - ط المطبعة السلفية - القاهرة

(هـ)

١٤٥ - هذه قوميتنـــا

لعبد الرحمن البزار - ط دار القلم - القاهرة ١٩٦٤م.

(ى)

١٤٦ - اليمن الانسان والحضارة.

عبد الله عبد الوهاب الشماحى ط الدار الحديثة للطباعة والنشر بيروت

١٤٧ - اليمن ثورة وانتكاسه

محمد على الشهارى - ط دار ابن خلدون - بيروت

١٤٨ - اليمن عبر التاريخ

لأحمد حسين شرف الدين - ط مطابع البادية - الرياض

١٤٩ - اليمن والغرب لأريك ماكـرو

تعريف حسين بن عبد الله العمرى - نشر فى انجلترا.

* * *

ب - الدواويـــــن

(أ)

١٤٦ - ديوان ابن الظـــلام

لعبد الوهاب الشامى - ط المكتب التجارى للطباعة والنشر بيروت ١٩٦٥م

١٤٧ - ديوان أبو تمـــام

الديوان الكامل - ط دار بيروت

١٤٨ - ديوان أبو القاسم الشابـــى

ط دار العودة بيروت

١٤٩ - ديوان أشجان الليـــل

لعلى محمد لقمان - ط فتاة الجزيرة - عدن ١٩٤٥م

١٥٠ - ديوان أغانى الوادى

لحسين محمد البار ١٩٥٤م

١٥١ - ديوان أغنيـات على الطريق الطويل

لمحمد الشرفى - ط دار العودة بيروت

١٥٢ - ديوان الاليـاذه من صنعاء

لأحمد الشامى - ط دار الكتاب العربى بيروت

١٥٣ - ديوان أنا الشعـــب لعلى عبد العزيز نصر

(ب)

١٥٤ - بشـــار بن بـــرد

ط مطبعة لجنة التأليف والترجمة القاهرة

١٥٥ - بقيـا نفـــم - عدن ١٩٤٨م

(ث)

١٥٦ - ثورة الشعـــر

لمحمد محمود الزبيرن - ط دار العودة بيروت

(ج)

١٥٧ - الجداول

لالياء ابى ماضى - دار العلم للملايين بيروت

(ح)

١٥٨ - حتى يطلع الفجـــر

لمحمد عبده غانم - من منشورات المكتب التجارن بيروت

(خ)

١٥٩ - ديوان خلف القضبـان

لأدريس احمد حنبله

(د)

١٦٠ - ديوان دامغة الدوامـــع

لأحمد محمد الشامى - من مطبوعات معهد الامام الهادى للتأليف والنشر.

١٦١ - ديوان الدرب الأخضـــر

للطفى جعفر أمان - المكتب التجارن للطباعة والتوزيع بيروت ١٩٧٠م

١٦٢ - ديوان دمـــوع الشرائـــف

لمحمد الشرفى - دار النهار بيروت ١٩٧٠

(ر)

١٦٣ - رسالة الى سيف بن ذى يزن - لعبد العزيز المقالح .

دار العودة بيروت

(س)

١٦٤ - ديوان السيد الحميرى .

ت - شاكر هادى - ط دار مكتبة الحياة بيروت

١٦٥ - ديوان السفر الى الأيام الخضر

لعبد الله البردونى - ط دار العودة بيروت

(ش)

١٦٦ - ديوان الشريف الرضى

ت - رشيد الصفار - ط دار احياء الكتب العربية القاهرة

١٦٧ - ديوان شعر بن المفرغ الحميرى

جمع داود سلام

١٦٨ - ديوان الشفق الباكى

لأحمد زكى أبو شادى - المطبعة السلفية القاهرة

١٦٩ - ديوان الشوكانى

لمحمد على الشوكانى .

(ص)

١٧٠ - ديوان صلاة فى الجحيم

لمحمد محمود الزبيرى - دار العودة - بيروت

١٧١ - ديوان الأمير الصنعانى

ط ١ مطبعة المدنى القاهرة .

(ع)

١٧٢ - ديوان العطر اليمانى من أشعار البيحانى

للأستاذ محمد سالم البيحانى - ط المطابع الوطنية بقطر .

١٧٣ - ديوان على الشاطئ المسحور

لمحمد عبده غانم - عدن ١٩٤٦ .

١٧٤ - ديوان عودة وضاح اليمن

لعبد العزيز المقالح - دار العودة بيروت

(غ)

١٧٥ - ديوان غريب على الطريق

لمحمد أنعم غالب

(ف)

١٧٦ - ديوان فلسطين فى القلب

لعبده عثمان

١٧٧ - ديوان فى طريق الفجر

لعبد الله البردونى - دار العودة بيروت

(ق)

١٧٨ - قصيدة الدامغة لأبى محمد الحسن الهمدانى

ت وشرح محمد بن على الأكوع .

(ك)

١٧٩ - ديوان كفاح شعب

لعلى عبد العزيز نصر - مطبعة الحكمة عدن ١٩٥٩م

(ل)

١٨٠ - ديوان لابد من صنعاء

لعبد العزيز المقالح - ط دار العودة بيروت

١٨١ - ديوان لعينى أم بلقيس

لعبد الله البردونى - دار العودة بيروت

١٨٢ - ديوان ليل الى متى

للطف جعفر أمان - المكتب التجارى بيروت

(م)

١٨٣ - ديوان مأرب يتكلم

لعبد العزيز المقالح - ط دار العودة بيروت

١٨٤ - ديوان مدينة الغد

لعبد الله البردوني - ط دار العودة بيروت

١٨٥ - ديوان المتنبي - دار صادر بيروت

١٨٦ - ديوان مشاعل الدرب

لمحمد سعيد جراده - عدن ١٩٧١م

١٨٧ - ديوان معا الى العليا

لعبد الرحمن قاضي

١٨٨ - ديوان من القافلة

لعلي بن علي صبره - دار العودة بيروت

١٨٩ - ديوان موج وصخر

لمحمد عبده غانم - دار المعارف بمصر ١٩٦٢م

١٩٠ - ديوان من أرض بلقيس

لعبدالله البردوني - دار العودة بيروت

١٩١ - ديوان من صرخات الايمان

لحسن بن يحيى الذارع - ط مطابع مدكور - القاهرة

١٩٢ - ديوان من اليمن

لأحمد محمد الشامي - المكتب التجاري للطباعة والنشر - بيروت

(ن)

١٩٣ - ديوان النغم البكر

لعلي بن علي صبره - ط دار العودة بيروت

١٩٤ - ديوان النفس الأول

لاحمد محمد الشامى - مطبعة مخيمر القاهرة

(و)

١٩٥ - ديوان الوتر المخمور

لعلى محمد لقمان - مطبعة فتاة الجزيرة - عدن

١٩٦ - ديوان وجوه دخانية فى مرايا الليل

لعبد الله البردونى - ط دار العودة بيروت

* * *

جـ - الدوريـــات

١٩٧ - مجلة الأدب اللبنانية

١٩٨ - مجلة الاكليل - عدد ٢ - ٣ - ١٤٠٣ هـ

١٩٩ - صحيفة ١٣ يوليو عدد ٢٦٥ فى ٤/٣/١٩٨٢م

٢٠٠ - صحيفة الثورة اليمنية - فى أعداد متفرقة من الصحيفة

٢٠١ - صحيفة ٢٦ سبتمر - عدد ٢٢ فى ٢٤/ /١٩٨٣م

٢٠٢ - صحيفة ٢٦ سبتمر - عدد ٢٣ فى ١/٣/١٩٨٣م

٢٠٣ - صحيفة الشرق الأوسط سلسلة مقالات للشامى كتبها عن شعراء اليمن عام ١٩٨٤م.

٢٠٤ - مجلة العربى الكويتية عدد يناير ١٩٨٢م

٢٠٥ - مجلة عالم الفكر الكويتية - عدد وتاريخ

٢٠٦ - صحيفة عكاظ السعودية عدد ٥٨١٨ فى ١٢/٧/١٤٠٢ هـ

٢٠٧ - مجلة مسلمون - المصرية العدد ٨ السنة الأولى شوال ١٣٧١هـ ١٩٥٢م

" والحمد الله الذى بنعمته تتم الصالحات "

* * *
* *
*

فهرس الموضوعات

" فهرس الموضوعات "

الموضوع	رقم الصفحة
الاهداء	
كلمة شكر	
التمهيد : الشعر اليمنى قبل العصر الحديث ...	١
الباب الأول : العوامل المؤثرة فى نشأة الشعر اليمنى المعاصر	٧٣
تمهيد	٧٤
المبحث الأول : العامل السياسى	٧٧
المبحث الثانى : العامل الثقافى	١٠١
المبحث الثالث: العامل الاجتماعى	١٢٤
الباب الثانى : موضوعات الشعر اليمنى المعاصر	١٥٥
تمهيد	١٥٦
المبحث الأول : الشعر الوطنى	١٦٤
المبحث الثانى : الشعر الاسلامى	٢٥٨
المبحث الثالث: الشعر القومى	٣٠٦
المبحث الرابع: الشعر الاجتماعى	٣٦٤
الباب الثالث : التطور الفنى وملامحه فى شعر اليمن المعاصر	٤٢٦
مدخل	٤٢٧

الموضـــوع	رقم الصفحة
المبحث الأول : التطور الفنى فى المضامين الشعرية	٤٤٦
المبحث الثانى : التطور الفنى فى الصـــورة الشعرية	٥٥٢١
المبحث الثالث : التطور الفنى فى موسيقـى الشعـــر	٥٥١
ملحق بتراجم الشعراء	٥٩٠
الخاتمـــة	٦٦٠
قائمة بأسماء المصادر والمراجع	٦٦٧
فهـرس الموضـوعات	٦٨٩

* * *

* *

*